سعادة الأسرة المسلمة

في القرآن والسنـــة

المؤلـف

طلعت عبده أحمد الحناوى

موجه لغة عربية

بالمعاهد الأزهرية سابقًا

مكتبة جزيرة الورد

الطبعة الأولى 2013

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: سعادة الأسرة المسلمة في القرآن والسنة

إعـــــداد: طلعت عبده أحمد الحناوى

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى 2013



القاهـــرة : 4 ميـــــدان حليـــم خلـــف

Tokoboko_5@yahoo.com

إهداء

عرفانا بالجميل أهدى هذا العمل المتواضع إلى أهلى وعشيرتى، وفى مقدمتهم زوجتى التي سهلت لى الحصول على كثير من المراجع الهامة، وشجعتنى على المضى في إتمام هذا العمل الهام، وإلى أولادى وبناتى الذين سهلوا لى طريق البحث والكتابة وعاونونى على تخطى كل الصعاب، وإلى كل أب وأم وابن وابنة وأخ وأخت وقريب وقريبة، مِن الذين يبحثون عن السعادة ويعملون على الأخذ بأسبابها وإلى كل من ساعدنى في إتمام هذا الكتاب وتجهيزه للطبع داعيا المولى تبارك وتعالى من جديد، أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يضيفه لى في ميزان حسناتى يوم الحساب العظيم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المؤلف

طلعت عبده أحمد الحناوى

موجه لغة عربية

بالمعاهد الأزهرية سابقا

* * *

فهرس المحتويات

Contents

مقدمة

لا شك أن السعادة الأسرية هى هدف كل أب وكل أم. ولا شك كذلك أن نجاحهما في تكوين أسرة يتمتع كل فرد فيها بتحقيق طموحاته الشرعية يمثل في حد ذاته سعادة أسرية.. لكن مقياس السعادة يختلف من فرد إلى فرد ومن أسرة إلى أسرة ومن مجتمع إلى مجتمع.. فمن الناس من يعتقد أن السعادة تكون في جمع المال. ومنهم من يعتقد أنها في التقوى ومن هنا يقول الشاعر العربى[1]:

ولست أرى السعادة جمع مال ::: ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخرا ::: وعند الله للأتقى مزيد

ومن الناس من يعتقد أن السعادة تكون في الفاخر من المسكن والمطعم والمشرب والملبس والمركب. كما تكون في الارتباط بزوجة جميلة. وبالجملة فهى عندهم تكمن في متع الحياة الدنيا وزينتها..

لكن فريقا آخر منهم يرى أن السعادة الدنيوية سعادة مؤقتة، مصيرها إلى الزوال. وأن السعادة الأخروية هى الباقية الخالدة. ويستدل هذا الفريق على ذلك بآيات قرآنية كريمة، منها قول الله عز وجل: { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ } [آل عمران: ١٤](2).

---

(1) هو الحطيئة، وكان أقرب إلى البدو في الجفاء والخشونة. لكنه تأثر في تفكيره بالقرآن الكريم بعد ظهور الإسلام.

(2) الخيل المسومة: المعلمة الأصيلة الحسان - الأنعام: الإبل والبقر والغنم - المآب: المرجع.

ومن المؤكد أن الشريعة الإسلامية بشقيها القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة - قد وضعت معايير لهذه السعادة الأسرية، لابد من تواجدها حتى يمكن القول بأن هذه الأسرة أو تلك، أسرة سعيدة..

وقد كتب وتحدث في هذا الموضوع خلق كثير، كل أدلى بدلوه فيه. فمنهم من ركز على جانب أو أكثر من جوانب هذه السعادة ومنهم من تناولها من جميع جوانبها.. وقد تحدث قوم عن هذه السعادة في غير موطنها الإسلامى في البيئات الأجنبية. وقد انبهر هؤلاء القوم بأساليب غير إسلامية، وأعجبوا وتمسكوا بها في تحقيق السعادة لأنفسهم ولأولادهم وبناتهم. وقد اقتفى أثرهم وسار على نهجهم بعض المسلمين، غير المتمسكين بمبادئ الدين الإسلامى الحنيف وتعاليمه المفيدة في هذا المجال، فأرادوا تطبيق أساليبهم وأفكارهم البعيدة عن الإسلام، في البيئة الإسلامية. لكنهم فشلوا فشلا واضحا. وانقلبت في نظرهم الموازين فجعلوا الباطل حقا والحق باطلا.

ونحن في تناولنا لهذا الموضوع بجوانبه المتعدده بعون الله ومشيئته وتوفيقه سنسير في طريق الشمول. فسوف نتتبع - إن شاء الله - معايير السعادة الأسرية في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لكل عنصر من عناصرالأسرة - الأب والأم والأولاد والبنات - وما يتصل به..

ومن المعروف والثابت الذي شهد به التاريخ والناس في كل جنبات الأرض - أن الشريعة الإسلامية هى الشريعة الرائدة - التي تصلح لكل زمان ومكان. بعكس ما يروج له الآن أعداء الإسلام والمتعاطفين معهم. ولسوف نستدل - إن شاء الله - على ما نقوله بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، من أدلة قاطعة تدحض آراء المخالفين. ضاربين الأمثلة عليه من

واقع الحياة في أسر المجتمعات الإسلامية وأسر المجتمع المصرى على وجه التحديد دون ذكر أسماء الأشخاص والأسر والبلدان[1]، للدلالة على التقصير في مبدأ أو أساس أو إرشاد إسلامى.. راجين من المولى جل جلاله التوفيق والسداد، والنفع بما تقرره الشريعة الإسلامية - بشقيها - في مجال سعادة الأسرة المسلمة.

وتناولنا لهذا الموضوع - إن شاء الله - يكون في أبواب تندرج تحتها فصول. ويسير على النحو التالى:

الباب الأول: عن خلق آدم وحواء وذريتهما. ويندرج تحته:

الفصل الأول: التمهيد لخلق آدم وحواء عليهما السلام.

والفصل الثانى: خلق آدم عليه السلام.

والفصل الثالث: خلق حواء عليها السلام وإقامتها مع آدم في الجنة.

والفصل الرابع: طرد إبليس اللعين من الجنة وهبوطه إلى الأرض. وهبوط آدم وحواء إليها بعده.

والفصل الخامس: اعتراف بنى آدم بالربوبية والألوهية لله رب العالمين والإشهاد على ذلك.

والفصل السادس: بداية التكاثر السعيد لبنى آدم.

والفصل السابع: مراحل خلق الإنسان والاهتمام بها.

والفصل الثامن: تخير النطفة وما بعده.

والباب الثانى: عن ركائز وأسس الاختيار الصحيح للزوج والزوجة في الإسلام ويندرج تحته:

---

(1) نقصد بلدان المحافظات التي حدثت فيها الوقائع.

الفصل الأول: الاختيار على أساس الدين والأخلاق الفاضلة.

والفصل الثانى: الاختيار على أساس الأصل والشرف.

والفصل الثالث: اختيار الغرباء والبعد عن الأقارب.

والفصل الرابع: تفضيل البكر في الاختيار.

والفصل الخامس: تفضيل المرأة الولود.

والفصل السادس: تفضيل واختيار المرأة الجميلة.

والفصل السابع: مراعاة الكفاءة بين الزوجين.

والباب الثالث: عن أسس أخرى لازمة لإتمام الزواج. ويندرج تحته:

الفصل الأول: الخطبة وما تتطلبها.

والفصل الثانى: عقد القران (الميثاق الغليظ).

والفصل الثالث: ما يصاحب عقد القران: خطبة النكاح - الولاية في الزواج - الإشهاد على العقد - الصداق.

الفصل الرابع: ما يكون بعد العقد: وليمة العرس - التهنئة والدعاء للعروسين - تزيين العروس ومرافقتها إلى بيت الزوجية وإيناسها.

والباب الرابع: عن الحياة الزوجية الإسلامية ومتطلباتها. ويندرج تحته:

الفصل الأول: دور الزوج في توفير السعادة لزوجته.

الفصل الثانى: دور الزوجة في إسعاد زوجها.

والفصل الثالث: اهتمام الإسلام بالإنجاب والحمل والمولود.

والباب الخامس: عن متابعة الوالدين اهتمامهما بالمولود في ظلال توجيهات الكتاب والسنة. ويندرج تحته:

مقدمة: الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

الفصل الأول: دور الوالدين في تثبيت الفطرة وتنشئة المولود عليها.

الفصل الثانى: مرحلة الرضاعة وما يتبعها.

الفصل الثالث: مرحلة الطفولة وإسعاد الوالدين لطفلهما.

الفصل الرابع: عناية الوالدين بأبنائهما وبناتهما في مرحلة الصبا والشباب في ظلال القرآن والسنة.

والباب السادس: عن مرحلة الرجولة والأنوثة ويندرج تحته:

الفصل الأول: في القرآن الكريم: المجال الدينى - المجال الاجتماعى - المجال الاقتصادى.

والفصل الثانى: في السنة النبوية: مجال العقيدة - المجال الاجتماعى - المجال الاقتصادى - المجال الصحى - مجال طلب العلم.

أما في الباب السابع: فنتحدث - إن شاء الله - عن أسباب التعثر في الحياة الزوجية ويندرج تحته:

أولا: اختلاف الدين بين الزوجين.

ثانيا: عدم التزامهما أو أحدهما بأسس ومبادئ الدين الإسلامى.

ثالثا: الزواج من الزناة.

رابعا: عقم الزوجين أو أحدهما.

خامسا: الزواج للتمتع فقط بجمال المرأة.

سادسا: الزواج من الغنية للتمتع فقط بمالها.

سابعا: عدم التكافؤ بين الزوجين.

ثامنا: الغيرة.

تاسعا: التفريق بين الأبناء والبنات في التعليم والمعاملات الأخرى.

عاشرا: تعطيل نقل ملكية الأخت أو جزء منها إلى أبنائها وبناتها.

حادى عشر: محاولة التدخل في شئون الزوجين من جانب الأهل.

ثانى عشر: الرغبة الملحة في إنجاب البنين.

ثالث عشر: نشوز الزوجة أو الزوج أو هما معا.

رابع عشر: نساء ورد النهى عن الزواج منهن.

خامس عشر: التسرع في قرار الارتباط.

سادس عشر: الطلاق.

سابع عشر: انعكاس الحالة السياسية في المجتمع على الأسرة وأفرادها.

ثم الخاتمة.

هذا وآمل أن يستفيد من هذه الصفحات التي بذلت فيها جهدا كبيرا، القطاع العريض من القراء ذوى الثقافة المحدودة والقطاع العريض من أصحاب الفكر الرفيع والثقافة العالية. حيث يجد كل من الفريقين مطلبه إن شاء الله.

هذا.. وأسأل الله العلى القدير والسميع المجيب، الهداية والتوفيق. إنه ولى ذلك والقادر عليه...

ملاحظة: هذا وقد ترد أخطاء إملائية نتيجة الطبع لكنها لا تخفى على فطنة القارئ الكريم.

طلعت عبده أحمد الحناوى

موجه لغة عربية

بالمعاهد الأزهرية سابقًا

* * *

الباب الأول: خلق آدم وحواء وذريتهما

الباب الأول

خلق آدم وحواء وذريتهما

الباب الأول:

خلق آدم وحواء وذريتهما

أراد الله عز وجل تعمير الكون الذي خلقه لحكمة يعلمها سبحانه. وعمارة الكون تكون بخلق الحياة في سمائه وأرضه وفيما بينهما. ففى السماء تكون الملائكة وسائر الكائنات العلوية. وفى الأرض بكل ما فيها من ظواهر لابد من تواجد آدم وحواء وذريتهما.

الفصل الأول:

التمهيد لخلق آدم وحواء - عليهما السلام - وذريتهما من بعدهما

لقد مهد الله لخلق آدم وحواء - وهما أبوا البشرية - بخلق ما يلزمهما من عناصر البيئة التي يعيشان فيها، وذريتهما من بعدهما، وما يتصل بهذه البيئة وعناصرها من أمور تسهل عليهم جميعا البقاء في الأرض، إلى أن يرثها الله ومن عليها. وذلك مع استثناء الفترة التي عاش فيها آدم وحواء - عليهما السلام - في الجنة، وما فيها من اختلاف في الرأى بين العلماء. فقد كانت فترة خاصة، لمهمة خاصة أراد الله عز وجل تنفيذها على يد آدم وحواء - عليهما السلام - وقد وَضُحت تلك المهمة الخاصة من خلال منهج ربانى يشمل مجموعة من الأوامر والنواهى، يلتزم بها آدم وحواء في تلك الجنة، فيثابان على الطاعة، ويعاقبان على المعصية. وبهذا فقد أراد الله تعالى أن يدرب آدم وحواء - عليهما السلام - تدريبا عمليا، يباشران فيه واقع التجربة قبل أن يهبطا إلى الأرض ليزاولا مهمتهما [1]. ومن هنا كانت تلك الفترة الخاصة فترة تربية وإعداد لآدم

---

(1) ص173من كتاب " الإنسان في القرآن الكريم " للأستاذ الدكتور السعيد عاشور. أستاذ الهندسة الصناعية والإدارية بكلية الهندسة، جامعة المنصورة. الطبعة الأولى يونيو عام 1998م.

وحواء حتى يستطيعا وذريتهما بعد ذلك العيش على وجه الأرض بإرادتهم الممنوحة لهم يتخيرون بها طريقة حياتهم خيرا أو شرا، فيكونون
مسؤولين عن اختيارهم وبالتالى يحاسبون عليه. وعندما أمر الله جلت قدرته آدم وحواء بالسكن في تلك الجنة حذرهما من طاعة إبليس اللعين الذي طرده الله منها ومن رحمته عز وجل؛ لعصيانه لربه العظيم بعدم السجود لآدم. فقد صار هذا الإبليس عدوا مبينا لآدم وزوجه وذريتهما يجب أن يحذروا منه في كل الأحوال..
أما عن عناصر البيئة اللازمة للأبوين - آدم وحواء - وذريتهما حتى يعمر الكون، طبقا لمشيئته وقدرته وعلمه سبحانه - فقد تحدث عنها القرآن الكريم ببعض التفصيل. وذلك في قول الله العزيز الحكيم: { قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [فصلت: ٩ - ١٢].
فقد أمر ربنا العظيم رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يبلغ الناس بإنكار الخالق جل وعلا سلوك بعض بنى آدم لطريق الكفر والإشراك به عز وجل، عن عمد مع أنه جلت قدرته سخر لهم مخلوقاته النافعة؛ كالأرض بما فيها من خيرات ظاهرة وباطنة، مباركة منه سبحانه، والجبال الراسيات التي تحفظ توازن الأرض حتى لا تميد أو تضطرب بكل ما فيها وما عليها، والسماء بما فيها من ظواهر ومخلوقات لازمة وملازمة لهم، وكذلك النجوم والكواكب المعلقة بين السماء والأرض بما فيها من فوائد جليلة. وكل ذلك يلزم آدم وحواء وذريتهما. ويعينهم جميعا على البقاء في الأرض سعداء، واستعمارها إلى أن يأذن الله تعالى للدنيا بالفناء.

وعن هذه العناصر أيضا تحدثت السنة النبوية الكريمة. ففى مسند الإمام أحمد رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :{خلق الله التربة يوم السبت. وخلق فيها الجبال

يوم الأحد وخلق الشجر يوم الإثنين. وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها

الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل} [(1)].

ومن المعروف أن السماوات والأرضين كانت ملتصقة تبدو وكأنها شيء واحد. ففرق بينها الله عز وجل بحكمته حتى يستفيد الخلق وعلى رأسهم آدم عليه السلام وذريته من بعده من كل سماء وأرض. فقد تفتقت السماء بأمر خالقها الكريم، فنزل منها المطر. وتفتقت الأرض بأمر ربها سبحانه، فخرج منها النبات. وخرجت منها بعد ذلك وتخرج إلى الآن معادن أخرى يستفيد منها بنو آدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ويقول العزيز العليم سبحانه في ذلك:{ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ } [الأنبياء: ٣٠].. قال الحسن وقتادة: " كانت السماء والأرض ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهواء " [(2)]. وقال ابن عباس: " كانت السماوات رتقا لا تمطر، وكانت الأرض رتقا لا تنبت. ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات " [(3)]. وقد رفع الله السماء حيث هى وأقر الأرض كما هى. وكل هذا ليستفيد خلق الله وأولهم آدم وذريته. وجعل ربنا سبحانه الماء أصلا لكل الأحياء، وسببا لحياة

---

(1) رواه أحمد في مسنده ص 72حرف الخاء من كتاب مختار الأحاديث النبوية للمرحوم الشيخ سيد أحمد الهاشمى.

(2) القرطبى283/11. بتصرف من ص10من القسم السابع عشر من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

(3) زاد المسير348/5. وارجع إلى نفس الصفحة من كتاب المرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

الإنسان والحيوان والنبات. فلا يجوز بعد كل هذا أن يشرك آدمى بربه عز وجل[1].. ومن المشاهد أيضا أن إنقاص ديار الكفر، وزيادة ديار الإسلام جزء هام من تهيؤ الأرض والسماء ليعيش الإنس والجن عليها. وتلك سنة الله في خلقه، يقول فيها سبحانه:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ } [الرعد: ٤١]. ويقول جل جلاله:{ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آَمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } [غافر: ٥١]...

ولما كانت السماوات مليئة بالملائكة الذين خلقهم الله عز وجل، خاضعين له مطيعين لأمره{ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ} [الأنبياء: ٢٧] كان يحلو للبعض في الجاهلية أن يزعموا أن الملائكة تُعبد من دون الله. فأبطل الله جل جلاله قولهم، وبين أن الملائكة من خلق الله تبارك وتعالى، وهم أضعف من أن يُعبدوا. فقال أصدق القائلين سبحانه: { قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (22) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } [سبأ: ٢٢ - ٢٣][2].. وفى قرة العيون أن هاتين الآيتين تقطع عروق الشرك بأمور أربعة[3]: فهم (أى الملائكة وغيرهم) لا يملكون مثقال ذرة مع الله جل وعلا في السماوات ولا في الأرض، وليس لهم مشاركة في خلق السماوات والأرض معه سبحانه،

---

(1) نفس الصفحة من المرجع السابق.

(2) ظهير: معين ومساعد.

(3) ص 205 من كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

وليس لله جل ثناؤه منهم معين، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له عز جاهه. فالملائكة الذين قال عنهم بعض المشركين إنهم يُعبدون من دون الله - تأخذهم رعدة شديدة وربما صعقة إذا سمعوا كلام الله عز وجل. فكيف يعبدهم غيرهم؟!

واستكمالا لاستعداد السماء لخلق آدم عليه السلام وإعمار ذريته للأرض كما أراد الله رب العالمين - خلق ربنا الخلاق العليم النجوم مسخرات في جو السماء. ويقول خالقها العظيم سبحانه مبينا بعض فوائدها التي خُلقت من أجلها:{ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ} [الملك: ٥][1]. ويقول المولى جل شأنه:{ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل: ١٦]. ويقول تبارك وتعالى:{ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (6) وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (7) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (8) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (9) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ } [الصافات: ٦ - ١٠][2]. فمن فوائد النجوم أنها زينة ربانية للسماء الدنيا. وأنها يهتدى بها البشر لتحديد طرق السير في غيابات الصحراء، يقول تعالى:{ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأنعام: ٩٧]. والفائدة الكبرى لها أنها تحفظ الملأ الأعلى من اقتراب وتنصت مردة الشياطين. إذ يسلطها الله تعالى في الوقت المناسب على مردة الجن لمنعهم من الاقتراب والاستماع والتنصت إلى الملأ الأعلى.. ويحدث ذلك من وقت أن أفسد الجن في الأرض، فبعث الله الكبير المتعال إليهم جندا من الملائكة فقتلوهم، وأجلوهم إلى جزائر البحار. وكان إبليس ممن أُسِرَ فأخذوه معهم إلى السماء. فكان

---

(1) رجوما: قذائف يقذفون بها

(2) مارد: متمرد - دحورا: مهزومين مطرودين عن السماع. واصب: موصول.

هناك. فلما أُمرت الملائكة بالسجود امتنع إبليس منه[1].. وطُرد إبليس من الجنة وأُهبط إلى الأرض. ومن الطبيعى أن يحاول هو وفريقه من مردة الشياطين التصنت إلى الملأ الأعلى، ليفسد على آدم سعادته في الجنة، ثم في الأرض بعد ذلك هو وذريته إلى اليوم المعلوم.. لكن الله جلت قدرته أعد لإبليس وأعوانه من الجن والإنس نوعا من النجوم ترجمهم فلا يستطيعون السماع.. قال الإمام أحمد رضى الله عنه: حدثنا محمد ابن جعفر وعبد الرزاق قالا: حدثنا معمر، أخبرنا الزهرى عن على عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من أصحابه. قال عبد الرازق (من الأنصار): فَرُمِىَ بنجم فاستنار، فقال صلى الله عليه وسلم :{ما كنتم تقولون إن كان مثل هذا في الجاهلية؟}. قالوا: كنا

نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم. قلت: للزهرى: أكان يرمى بهذا في الجاهلية؟ قال: نعم لقد غَلُظَتْ مِنْ بَعْثِ النبى صلى الله عليه وسلم :{فإنها لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته. لكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا سَبَّح حملةُ العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهى الخبر إلى هذه السماء وتخطف الجن السمع فيُرْمَوْنَ، فما جاءوا به على وجهه فهو حق لكنهم يقرفون ويزيدون} [2]..

وعن قتادة: أن هذا كان بابتداء إيحاء الله تعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم بعد

---

(1) ص 10و11 بتصرف واختصار من كتاب قصص الأنبياء لابن كثير - تحقيق أبي عبد الله الأنصارى.

(2) ص503من الجزء الثالث من تفسير القرآن العظيم لابن كثير - يقرفون: يكذبون.

الفترة التي كانت بينه وبين عيسى عليه السلام[1]. وعنده أن هذا القول هو أولى الأقوال بالقبول.. وعلى كلتا الروايتين فقد ازداد هذا الأمر وغلظ بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم. وهو ما سيتبين بعد قليل..

أما ما ورد في صحيح البخارى عن هذا الأمر فهو أكثر توضيحا.. فقد روى البخارى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:{إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، يَنْفَذُهُم ذلك، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلى الكبير، فيسمعها مسترق السمع - ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصفه سفيان بكفه، فحرفها وبدد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى مَنْ تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة فقال:

أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت في السماء}[2]..

وهكذا كان ربنا عز وجل ولا يزال وسيظل لهؤلاء المردة بالمرصاد. فهو سبحانه يسلط عليهم الشهب وربما أدرك الشهاب مارد الجن قبل أن يلقى بالكلمة التي سرقها بسمعه إلى الكاهن فيقصمه فلا يحقق هدفه. وربما أدركه بعد أن يلقيها.. وهى كلمة بسيطة لكن الشيطان يزيد عليها الكثير من الكذب فإذا اعترض عليه أحد قال: ألم يكن قد قال

---

(1) ص504من نفس المرجع السابق.

(2) من ص207 إلى ص210من كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للشيخ عبد المجيد بن حسن آل الشيخ.

صفوان: حجر أملس - ينفذهم: يسيطر عليهم - فزع عن قلوبهم: سرى عنها مما هم فيه - حرفها: أمالها - بدَّدَ: بَعَّدَ.

لنا يوم كذا، كذا وكذا. فيصدق بهذه الكلمة رغم كذبه في بقية ما أبلغ به.. ولذلك حذر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين جميعا من الركون إلى هؤلاء الكهنة الذين يأخذون عن الجن فيصدقونهم فيما يزيدونه افتراء على الله وإيهاما بأنهم يعلمون الغيب.. ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى..

وقد ازدادت مسألة رمى الجن بالشهب حدة وغلظة حتى لا يسترقوا السمع منذ تكليف الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم وسلم بتبليغ رسالة الإسلام إلى العالمين.

وقد استغربت الجن هذا الأمر حتى أنهم اهتموا به وأرادوا معرفة سببه فبعثوا أعوانهم في كل مكان حتى وصلوا مكان مولد الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وهناك عرفوا سبب زيادة وضراوة تلك الشهب وامتلاء السماء بالحرس الإلهى من الملائكة. فعرفوا أن السبب في ذلك هو ميلاد صاحب الرسالة الخالدة محمد صلى الله عليه وسلم فعبروا عن خيبة أملهم في الاستماع والتصنت. ويظهر ذلك من قول الله جل وعلا واصفا حالهم: { وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا} [الجن: ٨ - ٩][1].. وهكذا تحداهم الله الخالق العظيم، القادر على كل شيء والذى أمره بين الكاف والنون. وتحدى معهم مردة الإنس، الذين يأخذون عنهم أكاذيبهم وافتراءاتهم. فقال تبارك وتعالى:{ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33) فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (34) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ } [الرحمن: ٣٣ - ٣٥](2)...

---

(1) الجن 8، 9 - شهاب: حفر وشهب وهى النجوم المحرقة المقذوفة على مردة الجن - رصدا: تنتظرهم وتترصد لهم لتقذفهم إذا حاولوا التصنت.

(2) أقطار: جوانب - سلطان: غلبة وقهر - شواظ: لهب لا دخان له - ونحاس: النحاس المذاب بعد الغليان.

وهكذا اكتملت الاستعدادات في السماء كما اكتملت في الأرض إيذانا بخلق آدم عليه السلام. وانتشار ذريته في الأرض لتعميرها كما أراد الحق تبارك وتعالى. ووجه الإله الخالق الرازق العظيم، ورب العرش الكريم إلى بنى آدم النداء السارى منذ خلق آدم إلى يوم القيامة. فأمر رسله الكرام أن يخبروهم بوجوب العمل الصالح في الدنيا من أجل السعادة في الدارين. وكان آخر هؤلاء الرسل الكرام محمدا صلى الله عليه وسلم الذي خاطبه ربه وأمره أن يخبر بنى آدم بذلك. فقال سبحانه وتعالى:{ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [التوبة: ١٠٥]. وقد حكم عالم الغيب والشهادة سبحانه في بنى آدم حكما عادلا يطبق على الجميع بلا استثناء. فالكل ينال جزاء ما عمل في دنياه. إن خيرا فخير وإن شرا فشر. فذلك هو يوم القيامة الذي قال عنه رب العالمين: { يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ } [الزلزلة: ٦ - ٨](1).

* * *

(1) يصدر الناس أشتاتا: ينصرفون من قبورهم بعد إحيائهم متفرقين.

الفصل الثانى:
خلق آدم عليه السلام

وبعد أن تهيأت الظروف تماما لخلق آدم عليه السلام، خلقه الله عز وجل. وهذه المسألة لها جوانب متعددة، نتناولها لنسلط الضوء عليها. وأول هذه الجوانب، أن الله جلت قدرته، خلق آدم من قبضة من تراب الأرض جميعها. ونرى ذلك واضحا في روايات عديدة وردت في السنة النبوية المباركة عن خلق آدم عليه السلام. ومن ذلك ما قاله الإمام أحمد رضى الله عنه في مسنده حيث قال: حدثنا يحيى ومحمد بن جعفر، حدثنا عوف، حدثنى قسامة بن زهير، عن أبي موسى، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:{إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض؛ فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسود وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن وبين ذلك} [1]. وصدق الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم فإننا نجد أن بنى آدم جاءوا في خَلْقِهم مختلفى الألوان والطبائع، فقد كان ويكون منهم الأبيض والأحمر والأسود وما بينهما من الألوان، وكان ويكون منهم السهل والصعب والطيب والخبيث وما بينها من الطبائع. وهذا مشاهد ومحسوس بين الناس.

وقد جاء العلم الحديث بعد أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان ليؤكد ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن. ومما ورد في ذلك ما ذكره الأستاذ الدكتور السعيد عاشور في كتاب له: حيث يؤكد أن جسم الإنسان يتركب من نفس العناصر التي يتركب منها جسم الأرض وهى ستة عشر عنصرا. وهو يقول في ذلك: " وقد أقر العلم الحديث هذه الحقيقة العلمية، وأثبتت التحاليل الكيميائية أن جسم الإنسان يتركب من نفس

---

(1) صـ27 من كتاب قصص الأنبياء لابن كثير تحقيق أبي عبد الله الأنصارى - الحزن: من يصعب المراس والتعامل معه.

العناصر التي يتركب منها تراب الأرض، وبنفس النسب وهى 16(ستة عشر) عنصرا منها ست عناصر أساسية تكّون

ما يقرب من 99٪من كتلة الجسم، وهى مبيّنة بنسبتها التقريبية على النحو التالى: أكسجين 63.3٪ ونيتروجين 2.50٪ وكربون20.20٪ وكالسيوم2.25٪ وأيدروجين9.95٪ وفوسفور1.01٪ أما بقية العناصر فهى تشكل 1٪ من كتلة الجسم وتتكون هذه العناصر من: الكلور والفلور والكبريت والبوتاسيوم والصوديوم والماغنيسيوم والحديد بالإضافة إلى آثار ضئيلة من: اليود والسيليكون والمنجنيز. وبمزج هذه العناصر بعضها مع بعض بنسبها الصحيحة ينتج عن هذا المزج قطعة من الطين لا حياة فيها " [(1)].

ومعلوم من نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة - أن الله الخالق العظيم خلق منها آدم عليه السلام ثم نفخ فيه من الروح بعلمه وقدرته وإرادته وحكمته سبحانه وتعالى، ومن عجيب خلق الله تبارك وتعالى أنه جعل الحيوان والنبات والجماد تشترك مع الإنسان في هذه الألوان والأشكال والطبائع الإنسانية المأخوذة كلها من تراب الأرض.

ونلمس ذلك في قوله جل شأنه:{ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [فاطر: ٢٧ - ٨][(2)].

---

(1) صـ153و154 من كتاب: الإنسان في القرآن الكريم، للأستاذ السعيد عاشور أستاذ الهندسة الصناعية والإدارية بكلية الهندسة جامعة المنصورة، الطبعة الأولى يونيو عام 1998م.

(2) جدد: طرائق - غرابيب سود: شديدة السواد.

أما عملية الخلق فقد تناولها القرآن الكريم في آيات مباركات يكمل بعضها بعضا دون أن يحدث تنافر بينها وكذلك تناولتها السنة النبوية المطهرة في أكثر من حديث نبوى شريف ومن الآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عن خلق آدم قوله تعالى:{ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٥٩].

وقوله جل جلاله{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} [الحجر: ٢٦][1]. وقوله عز شأنه:{ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ } [الصافات: ١١][2] وقول الواحد الأحد:{ فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (13) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ } [الرحمن: ١٤][3]. وقوله أصدق القائلين سبحانه:{ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (28) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ } [الحجر: ٢٨ - ٢٩](4).

وتستمر الآيات الكريمة السابقة في بيان صورة خلق آدم عليه السلام، وتوضح السنة المباركة هذه الجوانب فبعد إحضار قبضة تراب من كل بقاع الأرض، خُلِطَ هذا التراب بماء حتى صار طينا متلاصقا وتُرِك هذا الطين مدة من الزمن حتى صار أسودًا منتنًا تنبعث منه رائحة كريهة. ثم صُوِّرَ كما يُشَكِّلُ الأوانى صانِعُها من الطين أو الخزف. ثم تُرِكَ لِيجفَّ حتى صار غاية في الصلابة كالفخار الذي يحدث صوتا إذا نَقَرَ عليه أحد أو دَقَّ عليه. قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا عمرو بن محمد، عن

---

(1) الحمأ المسنون: الطين الأسود المنتن

(2) الطين اللازب: أى المتلاصق الذي يجمع بين الصلابة والسيولة.

(3) الصلصال: طين يابس يسمع له صلصلة أى صوت. الفخار: طين تصنع منه الأوانى ويوقد عليها فتصير صلبة

(4) فقعوا له ساجدين: خروا له ساجدين.

إسماعيل بن رافع، عن المقبرى، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{إن الله خلق آدم من تراب، ثم جعله طينا ثم تركه، حتى إذا كان حمأ مسنونا خلقه وصوره، ثم تركه، حتى إذا كان صلصالا كالفخار}. قال:{فكان إبليس يمر به، فيقول لقد خُلِقْتَ لأمر عظيم، ثم نفخ الله فيه من روحه} [1]. الحديث..

أما وقت نفخ الروح في آدم عليه السلام ومدة بقائه في الجنة، فقد تحدثت عنه كتب السنة النبوية الكريمة. ومن ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده، وسبقت الإشارة إليه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه:{وخَلَقَ آدم بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق، في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل}.. ولعل هذا الحديث النبوى الشريف يوضح وجهة نظر فريق من العلماء يقول: إن ساعة الإجابة يوم الجمعة هى آخر ساعة في نهار يوم الجمعة. وهو يختلف في ذلك مع فريق آخر هو الراجح، يقول: إنها من وقت جلوس الخطيب على المنبر إلى أن ينتهى من صلاة الجمعة وعلى المسلمين اغتنام الفرصتين والدعاء فيهما. وفى إشارة إلى اليوم الذي خلق فيه آدم وفيه أُدخل الجنة وفيه أخرج منها - قال ابن جرير: " ومعلوم أنه خَلَقَ آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة، والساعة منه ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فمكث مُصَوَّرًا طينا قبل أن يُنفخ فيه الروح أربعين سنة، وأقام في الجنة قبل أن يهبط ثلاثا وأربعين سنة وأربعة أشهر، والله تعالى أعلم " [2].

وهذا تأكيد وتصديق لما رواه النبى صلى الله عليه وسلم من أن آدم عليه السلام أُهبط إلى الأرض في نفس اليوم الذي أُدخِل فيه الجنة وهو يوم الجمعة. فقد جاء في صحيح

---

(1) ص29 من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق أبى عبد الله الأنصارى.

(2) ص 35 من المرجع السابق.

مسلم، من حديث الزهرى عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة: فيه خُلِقَ آدمُ، وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها} [1].

وقال الحاكم في مستدركه: أنبأنا أبو بكر بن بالويه عن محمد بن أحمد بن النضر، عن معاوية بن عمر، عن زائدة عن عمار بن أبي معاوية البجلى، عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: " ما أسكن آدم الجنة إلا ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس " [2].

وأما عن طول آدم وعرضه فقد تعددت الروايات، ومنها ما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم :{خلق الله آدم على صورته وطوله ستون ذراعا ثم قال: اذهب فسلم على أولئك النفر وهم من الملائكة جلوس. فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فذهب فقال: السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه " ورحمة الله "، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم في طوله ستون ذراعا، فلم يزل الخلق ينقص بعدُ حتى الآن} [3]. وقال الإمام أحمد: حدثنا روح: حدثنا حماد بن سلمة عن عليّ بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{كان طول آدم ستين ذراعا في سبعة أذرع عرضا} [4].

---

(1) ص20من كتاب قصص الأنبياء لابن كثير. وفى صحيح مسلم ص387.

(2) ص20 من نفس المرجع السابق.

(3) رواه الشيخان عن أبي هريرة ص71 من كتاب مختار الأحاديث النبوية.

(4) ص310من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير.

الفصل الثالث

خلق حواء وإقامتها مع آدم في الجنة

خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام. وعندما نفخ فيه الروح، رفض إبليس أن يطيع الله عز وجل، وأن يسجد لآدم مع ملائكة الرحمن. فطرده الله العلى القدير من رحمته، وأخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض كما سيأتى ذكره.. فصار آدم عليه السلام وحيدا في الجنة. وكان يمشى فيها فيحس بالوحشة والوحدة. فأراد ربه جل جلاله أن يُذهب عنه الوحشة والوحدة.

فنام آدم عليه السلام نومة واستيقظ، فوجد حواء التي خلقها الله تعالى له، من ضلع من أضلاعه ليأنس بها ويسكن إليها. وفى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يدل على ذلك.. ففى كتاب الله العزيز نجد آيات كثيرة تدل على ذلك، منها قوله تعالى:{ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا } الآية [الأعراف: ١٨٩].. وأما في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فنجد رواية أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:{استوصوا بالنساء خيرا فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء خيرا} [(1)]..

وقد ذكر ابن اسحاق " أُلقيت السِّنَةُ على آدم فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم. عن ابن عباس وغيره، ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه لحما. وآدم نائم لم يهب من نومه. حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن إليها. فلما كَشَفَ عنه السنة وهب من نومه رآها إلى جنبه

---

(1) رواه الشيخان عن أبي هريرة ص21 - من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.

فقال: - فيما يزعمون - لحمى ودمى وزوجتى فسكن إليها " [(1)] **.. فلما خلق الله تعالى لآدم زوجة من نفسه فسكنت إليه وسكن إليها " قال له قبيلا:{ وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ } [البقرة: ٣٥](2) الآية..**

وسياق هذه الآية الكريمة يوحى بأن حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة. كما صرح بذلك محمد بن إسحاق في روايته السابقة. ويؤيد ابن إسحاق ومن نحا نحوه رواية ذكرت عن ابن عمر وابن عباس، رضى الله عنهما، قالا: " بعث الله جندا من الملائكة فحملوا آدم وحواء عليهما السلام على سرير من ذهب كما تحمل الملوك، ولباسهما النور. على كل واحد منهما إكليل ذهب مكلل بالياقوت واللؤلؤ. وعلى آدم منطقة مكللة بالياقوت واللؤلؤ حتى أدخلا الجنة " [(3)] **.**

ويرجح فكرة هذه الرواية، ما رواه الحافظ ابن عساكر عن مجاهد في شأن إخراج آدم وحواء من الجنة، قال: " أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء من جواره. فنزع جبريل التاج عن رأسه. وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه وتعلق به غصن، فظن آدم أنه عوجل بالعقوبة، فنكس رأسه يقول: العفو العفو فقال الله: أفرارا منى يا آدم. قال: بل حياء منك يا سيدى " [(4)] **..**

---

(1) ص76، ص77من الجزء الأول من تفسير القرآن العظيم - لابن كثير. لأم مكانه لحما: أى خلق مكان الضلع لحما سواه مع بقية أضلاع شقه الأيسر - السِّنة: النوم.

(2) قبيلا: أى عيانا نفس الصفحة من المرجع السابق

(3) نقَلت هذا الأثر عن الدكتور مصطفى مراد - الأستاذ بجامعة الأزهر الصحفية أمانى ماجد في صفحة فكر دينى - بالأهرام - الجمعة غرة رمضان عام 1425هـ.

(4) ص19، 20من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير..

ولكن قال آخرون: إن خلق حواء كان بعد دخول آدم الجنة. وقد قال بذلك السدى عن أبي مالك، وأبو صالح عن ابن عباس، ومرة عن ابن مسعود، وناس من الصحابة. قالوا: " أُخرج

إبليسُ من الجنة وأُسكن آدم الجنة، فكان يمشى فيها وحشيا ليس له فيها زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ، وعند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه. فسألها من أنت؟ قالت: امرأة. قال: ولم خُلقتِ؟ قالت: لتسكن إليّ. فقالت له الملائكة ينظرون ما بلغ من علمه: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء. قالوا: ولم كانت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حى ".[1]

وسواء أكان خلق حواء قد تم قبل دخول آدم الجنة، أم كان بعد دخوله عليه السلام إليها. فالمهم أنها خلقت ليأنس بها آدم وتأنس به، وليسكن إليها وتسكن إليه، وهذا هو الهدف الأول من وراء الزواج السعيد المؤدى إلى التناسل السعيد والنسل المبارك..

وقد سكن آدم وحواء عليهما السلام الجنة، امتثالا لأمر الله عز وجل، إلى أن أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما الجليل عن الأكل منها. فاستمعا بذلك إلى وساوس إبليس اللعين، عدوهما اللدود. فأمرهما ربهما بالنزول إلى الأرض، بعد أن قبل توبتهما؛ ليواجها مع ذريتهما إبليس وذريته في حياة دنيوية مؤقتة.

وقد قال ربنا الكريم في ذلك:{ وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (36) فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة: ٣٥ - ٣٧].

(1) ص12من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق أبي عبد الله الأنصارى.

وقد اختلف العلماء في المدة التي قضاها آدم وحواء في الجنة. فقال الأوزاعى عن حسان بن عطية: " مكث آدم في الجنة مائة عام " وفى رواية " ستين عاما " [1]. وهناك من الأحاديث النبوية الشريفة ما يدل على أنهما مكثا في الجنة بعض يوم. وقد سبقت الإشارة إليه، وهو

قوله صلى الله عليه وسلم :{خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أُدخل الجنة، وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة} [2] وكذلك قول ابن جرير في مقدار الساعة من يوم الجمعة وهو ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر. قال ابن جرير: " ومعلوم أنه خُلق في آخر ساعة من يوم الجمعة، والساعة منه ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، فمكث مُصورا طينا قبل أن يَنْفُخَ فيه الروح أربعين سنة، وأقام في الجنة قبل أن يهبط ثلاثا وأربعين سنة وأربعة أشهر، والله تعالى أعلم " [3]..

وهكذا تكونت أول أسرة في الوجود الإنسانى من آدم وحواء عليهما السلام. ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن آدم عليه السلام قد تلقى وعدا من ربه جل جلاله بتحقيق السعادة له ولزوجته مادامًا متجنبين لوساوس إبليس عدوهما في السماء وعدوهما في الأرض..

ويقتضى هذا الوعد الربانى الكريم؛ أنه إذا أطاع آدم إبليس في الأرض فسيشقى، وإذا أذعن أحد من أبنائه لوساوس إبليس الرجيم وحزبه، فسوف يشقى فيها كما شقى آدم عند سماعه لإبليس وأكله من الشجرة التي نُهِى عنها، فأخرجه الله من جنته وأُهْبِطَ إلى الأرض ليشقى بالبحث عن قوته وقوت زوجته ومتطلبات عيشه على وجه الأرض هو

---

(1) رواه ابن عساكرص20 من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق أبى عبد الله الأنصارى.

(2) رواه مسلم عن فروخ عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم. نفس الصفحة من المرجع السابق.

(3) قاله ابن جرير ص 35 من نفس المرجع

وأسرته بعد أن كان مستريحا في الجنة يذلل له كل شيء.. ويتضح ذلك من قوله تعالى:{ فَقُلْنَا يَا آَدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى } [طه: ١١٧]. والشقاء هنا بنص القرآن الكريم مقدر على آدم وذريته من الرجال دون النساء. وهذا يعنى أن الرجل هو المطالب شرعا بالإنفاق على زوجته، وعلى بيت الزوجية، من كده وسعيه حتى لو كانت لها ذمة مالية مستقلة. وهذا أمر في غاية الأهمية. حيث يمثل أساسا قويا من أسس نجاح الأسرة الناشئة وسعادتها واستقرارها...

* * *

الفصل الرابع:
طرد إبليس من الجنة وهبوطه إلى الأرض وهبوط آدم وحواء بعده إليها

واكتمل التمهيد لخلق آدم وحواء عليهما السلام بخلق ما يلزمهما في السماء والأرض كما سبق القول.. فلما خلق الحق تبارك وتعالى آدم عليه السلام وحان الوقت الذي قدر الله عز وجل نفخ الروح فيه - قال للملائكة:{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [الحجر: ٢٩]. ونفخ الخالق العظيم الروح في جسد آدم،{ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} [الحجر: ٣٠ - ٣١]. ولم يكن لإبليس حجة معقولة لرفضه أمر خالقه سبحانه بالسجود لآدم. فاختلق الأعذار عذرا بعد عذر. فتارة يقول: { قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} [الحجر: ٣٣]. وتارة يقول:{ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) } [الأعراف: ١٢]. وكان جزاء تكبره وتعاليه على آدم عليه السلام وعلى خالقه علام الغيوب - أن طرده الله تعالى من رحمته، وأمره بالخروج من الجنة، والهبوط للأرض. وأحلَّ عليه اللعنة والذلة والحقارة إلى يوم القيامة. يقول الحق سبحانه:{ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ} [الحجر: ٣٤ - ٣٥](1).. وتعبيرا عما حل به من طرد من رحمة الله وهبوط إلى الأرض في ذلة وحقار - رَنَّ إبليس رنة حين لعن، ورنة حين أهبط إلى الأرض. والرنة منه صوت يدل على الفزع مما حل به جزاء تكبره وتعاليه. " ذكر إبراهيم بن مفلح أن في تفسير بَقيِّ بن مَخْلَد: أن إبليس رن أربع رنات: رنة حين لعن، ورنة حين أهبط، ورنة

---

(1) رجيم: أي مطرود من رحمة الله عز وجل.

حين وُلِدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، ورنة حين نزلت فاتحة الكتاب " [1]. وقال سعيد بن جبير: " لما لعن الله تعالى إبليس تغيرت صورته

عن صورة الملائكة، ورن رنة، فكل رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة " [2]. وهذا الرنين منه إشارة إلى أنصاره، تَجمْعُ على إبليس أصحابَهُ وأعوانه من الجن حتى يستمعوا إلى توجيهاته ضد الإسلام والمسلمين من بنى آدم.. فقد ورد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: " لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة رن إبليس رنة فاجتمعت إليه جنوده " [3]..

وهبط إبليس اللعين إلى الأرض امتثالا لأمر الله عز وجل ولحق به آدم وحواء بعد عصيانهما الله وأكلهما من الشجرة وتوبتهما إلى الله بعد إحساسهما بالندم.{ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [البقرة: ٣٨]. وطلب الملعون إبليس من ربه سبحانه وتعالى أن ينظره أى يؤجل موته وعقابه إلى يوم البعث والنشور. وقد قصد من وراء ذلك الهروب من الموت والبقاء حيا إلى يوم البعث والنشور. لكن الله جل جلاله فوت عليه قصده فأنظره إلى يوم الوقت المعلوم. وهو يوم النفخة الأولى التي تموت عند سماعها كل الخلائق(4).{قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (37) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ } [الحجر: ٣٦ - ٣٨]. وما أن حصل الشيطان الرجيم على وعد من الله تعالى بتأجيل عذابه وموته إلى يوم النفخة الأولى -

---

(1) ص 301 من كتاب فتح المجيد - شرح كتاب التوحيد - تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

(2) رواه ابن أبي حاتم نفس الصفحة.

(3) رواه الحافظ الضياء في المختارة. ص 301 من نفس المرجع السابق.

(4) القرطبى27/10ص 8 من القسم السابع من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

حتى تعهد أمام خالقه عز وجل بإغواء آدم وبنيه وتزيينه طريق الضلال لهم كما أغواه ربه، واستثنى إبليس من الإغواء عباد الله المخلصين لأن هؤلاء لا سلطان له عليهم. وفى مقابل وعد إبليس تعهد رب الخلق أجمعين بأن يدخل إبليس وكل من تبعه ومات على تبعيته من الضالين - جهنم وبئس المصير المخصص لهم يوم القيامة. فقال سبحانه:{ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (39) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (40) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (41)
إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (43) } [الحجر: ٣٩ - ٤٣].. وبدأ إبليس في تحقيق وعيده. فقصد أول ما قصد إلى إغواء آدم قبل أن يخرج من الجنة. فزين له الأكل من الشجرة التي نهاه ربه عن الأكل منها هو وزوجته حواء. وأوعز الملعون لآدم، أن ربه ما نهاه عن الأكل من هذه الشجرة إلا لكى لا يصبح ملكا أو يكون من الخالدين. فإن من أكل منها يكون نصيبه الخلود والملك. ومن المؤكد أن إبليس كان كاذبا في هذا الزعم الذي أغوى به آدم عليه السلام. إذ لو كان زعمه صادقا لأكل هو منها وما طرد من الجنة وأهبط إلى الأرض. لكنها إرادة الله. وما زال إبليس يزين لآدم ذلك حتى أكل من الشجرة هو وزوجه حواء. وسرعان ما ظهرت لكل منهما عورة الآخر فأسرعا يقطفان من ورق الجنة ما يدارى عورتهما. وعاتبهما ربهما العظيم على استماعهما لوساوس عدوهما إبليس. وأحسا بالندم على طاعتهما لهذا العدو المبين. وطلبا العفو والمغفرة من الرحمن الرحيم فأوحى ربنا العظيم لآدم كلمات يقولها مع حواء ليتوب جل جلاله عليهما. وفى ذلك يقول المولى عز وجل{ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: ٣٧]. وقد ورد أن هذه الكلمات جاءت في سورة الأعراف. وهى قوله تعالى:{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الأعراف: ٢٣](1).

(1) وقد روى ذلك عن مجاهد وسعيد بن جبير وأبي العالية والربيع بن أنس والحسن وقتادة ومحمد بن كعب وخالد بن معدان وعطاء الخرسانى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

. وفى رواية أخرى عن أبي نجيح عن مجاهد أيضا أن الكلمات هى: " اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك. رب إنى ظلمت نفسى فتب علىَ إنك أنت التواب الرحيم " [1].. وهى كلمات تؤدى نفس المعنى الذي ورد في آية سورة الأعراف.

وبعد أن تاب الله التواب الرحيم على آدم وحواء أمرهما بالهبوط إلى الأرض؛ حتى يكملا حياتهما ويعمرا الأرض بالإنجاب والبناء والإصلاح، ويشتركا مع ذريتهما في المعركة الكبرى وهى الصراع بين الخير والشر، كما سبق بيانه. قال عز وجل:{ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } [الأعراف: ٢٤].. وهكذا صدر الأمر الإلهى لآدم وحواء بالهبوط إلى الأرض كما صدر لإبليس من قبلهما. وما ذلك إلا لبدء مرحلة جديدة من الحياة تختلف عن سابقتها بالنسبة لآدم وحواء عليهما السلام. فهما يتعايشان مع عدوهما اللدود إبليس اللعين وجها لوجه. وعليهما أن يحذرا منه في كل تصرفاتهما وفى كل مراحل حياتهما. وكذلك الحال بالنسبة لأولادهما وبناتهما الموجودين معه والقادمين إلى يوم الدين..

وعن إخراج آدم وحواء - عليهما السلام - من الجنة وردت بعض الآثار، منها ما سبق أن أشرنا إليه، مما رواه الحافظ ابن عساكر عن مجاهد: " أمر الله ملكين أن يخرجا آدم وحواء من جواره. فنزع جبريل التاج عن رأسه وحل ميكائيل الإكليل عن جبينه وتعلق به غصن، فظن أدم أنه قد عوجل بالعقوبة فنكس رأسه يقول العفو العفو، فقال الله: أفرارا منى؟ قال: بل حياء منك يا سيدى " [2]..

---

(1) قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير، تحقيق أبي عبد الله الأنصاري - دار القلم للتراث ص 21.

(2) سورة ص19، 20من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق أبي عبد الله الأنصارى.

كما وردت آثار عن مكان هبوط آدم وحواء إلى الأرض، منها ما قاله ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن سعيد عن ابن عباس قال: " أُهْبِطَ آدم - عليه السلام - إلى أرض يقال لها دحنا بين مكة والطائف " [1]. وعن الحسن قال: أُهبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس. بدستمان - من البصرة على أميال، وأهبطت الحية بأصبهان " [2]. وقال السُّدِّيُّ: " نزل آدم بالهند، ونزل معه الحجر الأسود، وبقبضة من ورق الجنة، فبثه في الهند فنبتت شجرة الطيب هناك " [3].. وروى ابن أبي حاتم كذلك عن ابن عمر قال:

" أُهبط آدم بالصفا، وحواء بالمروة " [4]..

وسواء كان هذا أو ذاك، فقد تم هبوط آدم وحواء - عليهما السلام - تنفيذا لأمر الله جل جلاله وإرادته، حتى يحدث الصراع بين الحق والباطل كما قدمنا، وتعمر الأرض كما أراد الله سبحانه، بغلبة الحق على الباطل ويظل ذلك إلى يوم القيامة...

* * *

---

(1) ص20من نفس المرجع.

(2) الصفحة20من المرجع السابق ورواه أبو حاتم.

(3) نفس الصفحة من المصدر السابق.

(4) من نفس المرجع السابق ونفس الصفحة.

الفصل الخامس:

اعتراف بنى آدم بالربوبية والألوهية لله رب العالمين وحده والإشهاد على ذلك

وحتى تستقيم الحياة وتصفو السعادة لذرية آدم عليه السلام على وجه الأرض كان لابد أن تعترف هذه الذرية لله رب العالمين بالربوبية والألوهية والوحدانية. وسهل لهم الله عز وجل طريق هذا الإقرار وهم كالذر في ظهر أبيهم آدم. وكان هذا الإقرار منهم أساسا في غاية القوة لسعادة بنى آدم أفرادا وأسر ومجتمعات. وفى ذلك يقول ربنا وهو أصدق القائلين:{ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آَبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].

قال الطبرى رحمة الله عليه في تفسير هاتين الآيتين: " أى اذكر يا محمد إذ استخرج ربك أولاد آدم من أصلاب آبائهم فقررهم بتوحيده وأشهد بعضهم على بعض بذلك " [1]. وقال ابن عباس " مسح الله ظهر آدم فاستخرج منها كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة وقررهم على ربوبيته ووحدانيته فأقروا بذلك والتزموه " [2]. وروى أحمد حدثنا حسين بن محمد، وحدثنا جرير - يعنى ابن حازم - عن كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:{إن الله أخد الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه كالذر. ثم كلمهم

---

(1) ص52، 53 من القسم الرابع من كتاب صفوة التفاسير - الطبعة الأولى - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية - بجامعة أم القرى بمكة الكرمة

(2) نفس الصفحات من المرجع السابق.

قبلاَ، قال: ألست بربكم. قالوا بلى شهدناأن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون} [1].

ومن أقوى الأدلة التي ساقها الجمهور دليلا على أخد الميثاق على الذرية - ما قاله الإمام أحمد: حدثنى حجاج، حدثنى شعبة، عن أبي عمران الجونى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:{يقال للرجل من أهل النار يوم القيامة: لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به؟ قال: فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك ما هو أهون من ذلك، قد أخذت عليك في ظهر آدم ألا تشرك بى شيئا، فأبيت إلا أن تشرك بى} [2]. وفى مجال الإشهاد على ذرية آدم باعترافهم بالله ربا وإلها واحدا.

قال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى:{ :{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ }}فجمعهم يومئذ جميعا ما هو كائن منه إلى يوم القيامة، فخلقهم ثم صورهم ثم استنطقهم فتكلموا، وأخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم{ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ } الآية: قال: فإنى أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم، أن لا تقولوا يوم القيامة: لم نعلم بهذا. اعلموا أنه لا إله غيرى ولا رب غيرى ولا تشركوا بى شيئا، وإنى سأرسل إليكم رسلا ينذروكم عهدى وميثاقى، وأنزل عليكم كتابى. قالوا نشهد أنك ربنا وإلهنا. لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك، فأقروا يومئذ بالطاعة. ورفع أباهم آدم فنظر إليهم، فرأى فيهم الغنى والفقير، وحسن الصورة ودون ذلك. فقال: يا رب لو سويت بين عبادك؟ فقال: إنى أحب أن أُشكر " [3]الرواية.

---

(1) ص33من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق أبي عبد الله الأنصارى - قبلا: عيانا.

(2) رواه أحمد في مسنده(3 /127، 129حلبى).

(3) رواه الأئمة عبد الله بن أحمد وابن أبي حاتم، وابن جرير، وابن مردويه في تفاسيرهم من طريق أبي جعفر ص34 من قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق أبي عبد الله الأنصارى.

وتم هذا الإقرار والإشهاد بين يدى الله تعالى على رأى من قال به ثم أعادهم إلى ظهر آدم، إلى أن تتاح لهم فرصة الخروج إلى الحياة الدنيا فيوفون بعهدهم وينفذون إقرارهم. ويجعلون الله تعالى القدير إلههم ومعبودهم الأوحد. ويلتمسون منه وحده العون في كل أمور حياتهم. فإذا فعلوا ذلك كانوا في قمة السعادة؛ لأنه سبحانه يكون ناصرهم ومؤيدهم وهاديهم إلى ما يوفر لهم التوفيق والسعادة والهناء في الدارين.

ويضم ابن كثير رأيه إلى رأْيِ بعض العلماء الذين رأوا أن إشهاد الله على بنى آدم بأنه ربهم لا رب لهم غيره ولا إله لهم سواه - لم يَرِدْ إلا في حديث كلثوم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وفى حديث عبد الله بن عمرو وهما موقوفان لا مرفوعان[1].

ومن جملة الأحاديث التي ذكرها في هذا الموضع أحاديث مرفوعة يتصل نسبها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالحديث المرفوع اصطلاحا هو ما أضيف إلى النبى صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير[2] أو صفة.. وأما الحديث الموقوف فهو في الاصطلاح ما أضيف إلى الصحابي من قول أو فعل أو تقرير. ولا أريد أن أخوض أكثر من ذلك في مصطلح الحديث، ولذلك نجده قد عبر عن الرأى الذي رجحه بعض السلف والخلف بقوله: " ومن ثم قال قائلون من السلف ومن الخلف أن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد كما في حديث أبي هريرة رضى الله عنه، وعياض بن حمار المجاشعى. ففى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{كل مولود يولد على الفطرة} الحديث وقد سبق ذكره. وفى صحيح مسلم عن عياض بن حمار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{يقول الله: إني خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم} [3]..

---

(1) ص254، من ج2 من كتاب تفسير بن كثير.

(2) ص128، 129، 130من كتاب تيسير مصطلح الحديث - للدكتور محمود الطحان.

(3) ص251ج2من كتاب تفسير ابن كثير - اجتالتهم: حبستهم ومنعتهم.

وسواء كان الإشهاد قد وقع كما ورد في الأحاديث السابقة أو كان المقصود به فطر بنى آدم على التوحيد فإن الإشهاد بهذا المعنى أو ذاك، يعنى أن الله عز وجل قد اختار لبنى آدم طريق الأمان والسعادة في دنياهم وآخرتهم فيجب أن يتوارثوا هذا الطريق صغارا ويعملوا من أجل الأمان والسعادة كبارا عن طريق الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والأخذ بتعاليم الإسلام والتمسك بها. يقول الحق تبارك وتعالى: { الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } [الأنعام: ٨٢]. ويقول النبى الكريم صلى الله عليه وسلم :{أوصيكم بتقوى الله تعالى والسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور: فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار} [1]...

* * *

(1) ص47من كتاب مختار الأحاديث النبوية - النواجذ: الأضراس.

الفصل السادس:
بداية التكاثر السعيد لبنى آدم عليه السلام

قضى آدم وحواء عليهما السلام في الجنة فترة هامة من حياتهما، تعتبر فترة إعداد واختبار وتعلم[1]. عرف فيها كل منهما كيف يعيش على وجه الأرض التي قدر عليه أن يهبط إليها، مع أولادهما من البنين والبنات. يعرف كل منهم الخير والشر، والحسن والقبيح، والصواب والخطأ، والصالح والأصلح وغير ذلك من المعايير الدنيوية المتباينة التي تنفعه في دنياه وآخرته. ويتخير أيا منها بإرادته الحرة التي سوف يحاسب عليها في الآخرة، حسب ما يقتضيه قول العلى الكبير سبحانه{ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ } [الزلزلة: ٧].

لم تكن هذه الفترة التي قضياها في الجنة إذن فترة إخصاب وجماع وإنجاب على الوجه الغالب ولم يكن أمر الجماع والإنجاب قد وضح لهما بعد. ولم تخطر فكرة الجماع والإنجاب في خلدهما في هذا الوقت بدليل أن عين كل منهما لم تقع على عورة الآخر. وقد ستر الله جل جلاله عورتهما بنور ربانى وضاء يحجب رؤية ما يكون خلفه[2].

وقد اقتضت إرادة الله عز وجل ألا يرى كل منهما عورة الآخر، إلا بعد أن أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما في الجنة عن الأكل منها. فعندئذ وقعت عين كل منهما على عورة الآخر. وفزعا من هذا الأمر وأخذا يقطفان من ورق الجنة ليخفيا ما ظهر من سوءاتهما. وهنا عاتبهما ربهما الكريم على عصيانهما له سبحانه، وطاعتهما لعدوه إبليس الذي زين لهما الأكل من هذه الشجرة ليهبطا معه إلى الأرض. وأحس كل منهما بالذنب فطلبا من الله العفو والمغفرة والتوبة. فتاب الله عليهما. وأمرهما بالهبوط إلى الأرض حتى يستطيعا

---

(1) ص161 من كتاب الإنسان في القرآن الكريم - للدكتور السعيد عاشور.

(2) تفسير القرآن العظيم لابن كثير الآية 22من سورة الأعراف ص198من الجزء الثانى.

بحرية تامة أن يمارسا ما يحلو لهما من الشهوات، وأولها شهوة البطن، وأن يمارسا الأفعال المتنوعة بإرادتهما التي

منحها جل شأنه لهما في الدنيا، دار العمل والابتلاء والاختبار. وبعد انقضاء أجلهما ينتقلان إلى الدار الآخرة وأولها حياة البرزخ[1]. انتظارا للبعث والنشور والحساب ويحدث كل ذلك لذريتهما من البنين والبنات إلى أن يرث الأرض ومن عليها.

وحتى تتم إرادة الله الواحد الأحد في تعمير الأرض واستعمارها بالبشر وغيرهم من أدوات التعمير والإعمار - كان لابد أن يعرف آدم عليه السلام الجماع، ليجامع حواء، حتى تنجب أولادا وبنات يساهمون في عمارة الكون. ومن المؤكد أن آدم عليه السلام تعلم الجماع وكيفيته عن طريق الإلهام من الله تعالى. فهو سبحانه مصدر كل علم يتعلمه آدم وحواء. ولا يشترط لذلك أن ينزل إليه ملك يعلمه طريقة الجماع، ثم يعود إليه بعد ممارسته له حتى يطمئن إلى تلك الممارسة، كما ورد في بعض الآثار التي أنكرها العلماء[2]. وعلى أية حال، فقد جامع آدم زوجته حواء. وقد اقتضت إرادة الخالق العظيم أن تلد حواء في كل بطن ذكرا وأنثى. ولم يكن الذكر يتزوج الأنثى التي ولدت معه في ذات البطن. " وكان يُزَوِّجُ الذكرُ مِنْ هذا البطن الأنثى من البطن الآخر. فلما أراد آدم عليه السلام أن يزوج قابيل أخت هابيل، ويزوج هابيل أخت قابيل[3]، رضى هابيل، وأَبَى قابيل، لأن توأمته كانت أجمل. فقال لهما آدم: قَرِّبَا قربانا فمِنْ أَيِّكُمَا تُقُبِّلَ تزوجها. وكان قابيل صاحب زرع فقرب أرذل ما عنده، وكان هابيل صاحب غنم فقرب أحسن كبش عنده. فَتُقُبِّلَ قربان هابيل،

---

(1) حياة البرزخ: حياة القبر

(2) ومن ذلك حديث سعيد بن ميسرة الذي أنكره العلماء ص21من قصص الأنبياء - لابن كثير تحقيق أبي عبد الله الأنصاري.

(3) هابيل وقابيل هما أول من أنجبهما الأبوان آدم وحواء. وكانت مع كل توأمة له ولدت معه من ذات البطن.

بأن نزلت نار فأكلته. فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعد هابيل بالقتل " [1]. ففى أول زواج يتم على وجه الأرض حرص آدم عليه السلام

أن يتم باختيار سليم سعيد من ولديه هابيل وقابيل كل لزوجته. فأشار عليهما بتقديم القربان عندما رفض قابيل الزواج من توأمة هابيل. ولا شك أنهما إن أطاعا أباهما آدم عليه السلام فإنهما يكونان بذلك قدوة حسنة، لبنى آدم جميعا. فسلوك آدم عليه السلام في الالتجاء إلى الله عز وجل، وحثه ولديه قابيل وهابيل على فعل ذلك - هو أحسن طريق يوصل أبناء آدم وبناته إلى الأمان والسعادة، في كل ما يعترضهم من مشاكل وصعاب.. وإذن فالأولى والمضمون للسعادة بين أفراد الأسرة يتمثل في اللجوء إلى الله العلى القدير، والتماس العون منه لاختيارالزوجة المناسبة. ويمكن أن يتم ذلك الآن عن طريق الاستخارة كما ورد في السنة النبوية الكريمة.

وتقبل الله قربان هابيل ولم يتقبل من قابيل. فغضب قابيل أشد الغضب وتوعد أخاه هابيل بالقتل، كما سبق، وكانت حجته أن أباه آدم دعا الله تعالى أن يتقبل قربان هابيل ولم يدعه سبحانه بتقبل قربان قابيل[2]. وعندما رد هابيل على حجة أخيه بأن الله يتقبل ممن يتقيه، ولا يتقبل ممن يعصيه - اعتقد قابيل عند ذلك أن أخاه هابيل يتهمه بالعصيان فازداد غضبه، وأصر على قتل أخيه عندما تحين الفرصة.. وفى أول استجابة من بنى آدم لنزغة الشيطان الرجيم على وجه الأرض - قتل قابيل هابيل، ناسيا أن السعادة كل السعادة تكون بطاعته لأبيه آدم الذي وجهه من أول الأمر الوجهة الصحيحة التي يرضى عنها الله عز وجل. وهى الزواج من توأمة أخيه هابيل. وكان على قابيل أن يفعل ذلك وخصوصا بعد أن تقبل الله قربان أخيه ولم يتقبل قربانه. ولو فعل قابيل ذلك لأحس بالسعادة

---

(1) الكشاف484/1والقرطبى134/6، وانظر أيضا ص17 من كتاب صفوة التفاسير - القسم الثالث - الطبعة الأولى - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

(2) ص36من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق أبي عبد الله الأنصارى.

الحقيقية. لكنه لم يدرك أن السعادة تكون بطاعة الله والوالد، ولا تكون بالقتل وسفك الدماء. وقد ندم قابيل على فعلته. وأحس بأنه من الخاسرين حيث لم يطع الله ولم يطع أباه.

ويقول ربنا العظيم في هذا الشأن:{ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾} [المائدة: ٢٧ - ٣١]..

ولم يشعر قابيل بالسعادة رغم تزوجه من البنت الأجمل وهى توأمته. وذلك لأنه لم يدرك أن الجمال الجسدى ليس هو المصدر الوحيد للسعادة. بل لابد من القناعة والرضا بما قدر الله وقسم له ولأخيه.

وقد " ذكر مجاهد أن قابيل عوجل بالعقوبة يوم قتل أخاه، فعُلِّقت ساقُه إلى فخذه، وجُعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت؛ تنكيلا به وتعجيلا لذنبه وبغيه وحسده لأخيه لأبويه " [(1)]. وما قاله مجاهد رضى الله عنه يعتبر تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من قطيعة الرحم، والخيانة والكذب، وإنَّ أعْجَلَ الطاعة ثوابا لَصِلَةُ الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم إذا تواصلوا} [(2)].

---

(1) ص39من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تعليق أبى عبد الله الأنصارى.

(2) رواه الطبرانى ص131من كتاب مختار الأحاديث النبوية، للمرحوم الشيخ سيد أحمد الهاشمى.

وقد ورد في السنة النبوية الكريمة مايشعر بأن قابيل شريك لكل قاتل يقتل غيره ظلما، ومن ذلك قول الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية ووكيع قالا: حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن

مسروق عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{لا تُقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سَنَّ القتل} [1]...

وتوالت ذرية آدم وحواء، عليهما السلام، بعد قابيل وهابيل وأختيهما، من البنين والبنات. وقد ذكر الإمام أبو جعفر بن جرير في تاريخه عن بعضهم: أن حواء ولدت لآدم أربعين ولدا في عشرين بطنا " قاله ابن إسحاق وسماهم والله تعالى أعلم.. وقيل مائة وعشرين بطنا في كل واحد ذكر وأنثى، أولهم قابيل وأخته (فليما)، وآخرهم عبد المغيث وأخته (أم المغيث). وذكر أهل التاريخ أن آدم عليه السلام لم يمت حتى رأى من ذريته من أولاده وأولاد أولاده أربعمائة ألف نسمة " والله أعلم[2]... وكان كل هذا الإنجاب - كما سبقت الإشارة - على أساس سماوى يضمن السعادة لكل زوجين ولكل أسرة تنشأ في هذا الإطار..

* * *

(1) ص38من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق أبي عبد الله الأنصارى.

(2) ص40من المصدر السابق.

الفصل السابع:
مراحل خلق الإنسان والاهتمام بها

اهتم القرآن الكريم، كما اهتمت السنة النبوية المطهرة، بمراحل خلق الإنسان وتوضيحها. فذلك يؤدى حتما إلى زيادة الإيمان بالله الخالق العظيم سبحانه. وينبه إلى وجوب حسن الاستعداد والتتبع الدائم لهذه المراحل.

ففى القرآن الكريم تشير الآيات المباركة في أكثر من سورة إلى هذه المراحل والاهتمام الإلهى بها. ففى سورة (المؤمنون) نجد الإشارة إلى أن هذا الإنسان من ذرية آدم وسلالته. وآدم مخلوق من طين، وكذلك ذريته يدخل في تركيبها تراب الأرض. كما سيأتى تفصيله إن شاء الله.. وتشير آيات هذه السورة الكريمة إلى أن هذا " الإنسان كان أول ما كان نطفة من المنى، تقذف وتراق في الرحم، وتستقر فيه. ثم صارت النطفة علقة، أى قطعة من الدم المتجمد تشبه العلقة أى الدودة تعلق بجدار الرحم. ثم تحولت العلقة إلى مضغة، وهى قطعة لحم صغيرة لا شكل فيها ولا تخطيط، يتبين فيها ما يشبه آثار المضغ. وفى طور المضغة " تقدر أعضاؤه وصورته وشكله وهيئته أى يتحول من مضغة غير مخلقة إلى مضغة مخلقة. ويأتى بعد ذلك طور تحول المضغة إلى عظام. وفيه تقدر له مفاصل أعضائه وعظامه وعروقه وعصبه. ويشق له سمع وبصر وفم. وينفتح حلقه بعد أن كان رتقا أى مغلقا. ويركب فيه اللسان. ثم تكسى العظام لحما. ويربط بعضها إلى بعض بأحكم رباط وأقواه. وهو الأسر، الذي قال الله تعالى فيه:{ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ } [الإنسان: ٢٨]. ثم تنفخ فيه الروح " [1].

---

(1) ص5، 7من كتاب تنوير الأذهان بذكر أطوار خلق الإنسان - لابن قيم الجوزية - تحقيق أبو أسامة الطحاوى بتصرف واختصار.

فعن أطوار خلق الإنسان يقول ربنا عز وجل:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (12) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (13) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } [المؤمنون: ١٢ - ١٤]. وعن هذه الأطوار جاء فيما رواه البخارى ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا ويؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح}[1].

ومن خلال ما عرضنا من آيات قرآنية ومن أحاديث نبوية نلمس بوضوح آثار رحمة الله سبحانه وتعالى في مرور المنى بهذه المراحل المتعاقبة حتى يصير بشرا سويا بعناية الله عز وجل وتقديره وحكمته. فهو الذي خلق فسوى، وقدر هذا الإنسان حتى خرج في أحسن تقويم إلى عالم الوجود الدنيوى..

وفى الأَسْر، أى الرباط المحكم الذي يربط أوصال الإنسان بعضها ببعض، والذى يدل على بديع صنع الخالق الكريم - روى الإمام أحمد في مسنده: حدثنا روح بن عبادة. حدثنا هلال. حدثنا ثابت عن صفوان بن محرز قال: " كان نبى الله داود عليه السلام إذا ذكر عذاب الله تخلعت أوصاله لا يمسكها إلا الأسر. فإذا ذكر رحمة الله رجعت " [2]. وهذا تصديق لحديث شريف آخر رواه ابن عساكر عن ابن عمر: " كان الناس يعودون داود يظنون أن به مرضا وما به إلا شدة الخوف من الله " [3]. فشدة خوف هذا النبى الكريم من الله عز وجل كانت تؤدى إلى تخلع أوصاله بعضها من بعض ولولا الأسر لتركَتْ أماكنها تماما..

---

(1) ص37، 38من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ سيد الهاشمى - حرف الألف.

(2) ص7من كتاب تنوير الأذهان بذكر أطوار خلق الإنسان - لابن قيم الجوزية.

(3) ص110من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ سيد الهاشمى - حرف الكاف.

وبهذا تتجلى بوضوح عظمة الخالق البارئ المصور في الاهتمام التام بتتبع مراحل خلق الإنسان ورعايتها. خصوصا مرحلة النطفة التي يتعلق بها قدر كبير من سعادة الأفراد والأسر المسلمة...

* * *

الفصل الثامن:
تخير النطفة

إن المتتبع لسور وآيات القرآن الكريم يلاحظ أن الله عز وجل قد خلق النوع الإنساني على أربعة أضرب[1]. أحدها: لا من ذكر ولا من أنثى كآدم عليه السلام. والثاني: من ذكر بلا أنثى كحواء عليها السلام. والثالث: من أنثى بلا ذكر كالمسيح عليه السلام. والرابع: من ذكر وأنثى كسائر النوع. والضرب الرابع أى خلق الإنسان من ذكر وأنثى هو موضوع حديث هذا الفصل. ومراحل خلق هذا الإنسان معروفة. وقد سبق توضيحها. وضحها القرآن الكريم. ووضحتها السنة النبوية الشريفة..

وفى إشارة إلى المرحلة الأولى من مراحل خلق الإنسان - يقول الحق تبارك وتعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ } الآية [الحج: ٥]. فالمرحلة الأولى من مراحل خلق الإنسان هى خلقه من تراب الأرض أسوة بأبيه آدم عليه السلام. والفارق بينهما، أن الله الخالق العظيم، خلق آدم بيده من تراب الأرض فلم يكن به منىّ. أما بنو آدم ففى خلقهم يخلط المنى بتراب الأرض. فيأخذ الملك الموكل بهذا الأمر من قبل الخالق جل وعلا، من التراب الذي يدفن في بقعته هذا الإنسان فيعجن به نطفته. وفى القرآن الكريم ما يدل على ذلك؛ حيث يقول المولى الكريم:{ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ﴿٥٥﴾ } [طه: ٥٥]. وسوف نلقى الضوء على تفسير الآية بعد قليل. وفى سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم ما يدل أيضا على ذلك. حيث يقول النبى محمد صلى الله عليه وسلم :{ما من مولود إلا وقد ذُرَّ عليه من تراب حفرته}[2]. وقد روى مرة عن ابن مسعود أن

---

(1) أضرب: أنواع.

(2) رواه أبو نعيم عن أبي هريرة ص95من كتاب التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة تأليف القرطبى سنة671هـ - الطبعة الثانية 1978م - حفرته: أى قبره.

الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم فيضعها على كفه، ثم يقول: يا رب، مخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال مخلقة، قال يا رب ما الرزق؟ ما الأثر؟ ما الأجل؟ فيقول أنظر في أم الكتاب، فينظر في اللوح المحفوظ، فيجد فيه رزقه، وأثره، وأجله، وعمله، ويأخذ التراب الذي يدفن في بقعته ويعجن به نطفته. فذلك قوله تعالى:{ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ } [طه: ٥٥] (1) الآية.. والمقصود بكلمة الأثر في الرواية السابقة - رواية مرة عن ابن مسعود - التراب الذي يؤخذ فيعجن به ماؤه.

وقد وضح هذا المعنى في رواية أخرى عن علقمة عن عبد الله قال: " إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها الملك بكفه، فقال: أى رب أمخلقة أو غير مخلقة؟ فإن قال غير مخلقة لم تكن نسمة وقذفتها الأرحام دما. وإن قال مخلقة، قال: أى رب أذكر أم أنثى؟ أشقى، أم سعيد؟ ما الأجل؟ وما الأثر؟ وما الرزق؟ وبأى أرض تموت؟ فيقول: اذهب إلى أم الكتاب، فإنك ستجد هذه النطفة فيها، فيقال للنطفة: من ربك؟ فتقول: الله، فيقال: من رازقك؟ فتقول: الله، فتخلق، فتعيش في أجلها، وتأكل رزقها، وتطأ أثرها، فإذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك المكان، فالأثر هو التراب الذي يؤخذ فيعجن به ماؤه " (2).

ومن ذلك يتبين أن ذرية آدم من لدن هابيل ولده الأكبر إلى يوم الدين هى الأخرى - خلقت وتخلق من تراب الأرض في المرحلة الأولى من خلق الإنسان. وليس آدم وحده هو الذي خلق من ترابها. ويؤيد ذلك أيضا ما أضافه الأستاذ الدكتور السعيد عاشور في كتابه " الإنسان في القرآن الكريم " وقد سبقت الإشارة إليه. وهو أن عناصر تكوين الإنسان هى نفسها عناصر تكوين الأرض وطينها..

---

(1) نفس الصفحة من المصدر السابق.

(2) ص95، 96 من المرجع السابق.

ويقابِلُ هذا التكريم الذي حظى به الإنسان في خَلْقِه، منذُ تَكَوُّنِ نطفته التي خلطت بتراب الأرض، تكريم آخر للنطفة أوجبه الإسلام على المسلمين والمسلمات إذا أرادوا الزواج. فعليهم

أن يختاروا الوعاء الصالح للنطفة؛ لأنها تعد أمانة في أعناقهم، وعليهم أن يضعوها في موضعها اللائق بها. فقد صورها الخالق العظيم في أحسن صورة وهيئة. يقول ربنا العظيم:{ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ **} [التغابن: ٣]. ويقول الحكيم العليم سبحانه: {** لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ **} [التين: ٤]. ومن ثم يجب على الإنسان إن أراد الزواج أن يحافظ على هذه النطفة ويضعها في موضع مصون مختار بإتقان؛ ليحمى الفرد والأسرة والمجتمع المسلم. ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يحث المسلمين والمسلمات على تخير الأوعية الصالحة للنطف المسلمة. فيقول ربنا الكريم:{** ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ **} [النور: ٢٦] الآية، فسنة الله عز وجل في خلقه من البشر أن يقترن الطيبون بالطيبات، وأن يرتبط الخبيثون بالخبيثات. فيلجأ الطيب إلى الطيبة ويلجأ الخبيث إلى الخبيثة. فالزانى مثلا لا يقترن إلا بزانية أو مشركة، فكلاهما خبيث. وكذلك الزانية لا يتزوجها إلا زان أو مشرك لأن كلاهما خبيث. وصدق الله العظيم حيث يقول:{** ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ **} [النور: ٣].**

وفى مجال السنة النبوية الكريمة يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :{تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم} [1]. ويقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم : {تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس} [2]. ويقول صلى الله عليه وسلم :{خير نسائكم العفيفة الغلمة، عفيفة في فرجها غلمة على زوجها} [3]. وحثت السنة النبوية أيضا على تجنب

الزواج من البيئة غير الصالحة لذلك ومن النساء غير الصالحات. وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إياكم وخضراء الدمن} قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال:{المرأة الحسناء في المنبت السوء} [4].. ففى النصوص السابقة من القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة والتى أشرنا إليها - ما يشير إلى وجوب تخير البيئة الصالحة والبيت المعروف بشرف العِرض والطيب والأخلاق الكريمة.. كما يجب التأكد من السلامة العامة للجسم، حيث تنتقل صفات الأبوين العقلية والخِلقية والجسمية وحتى الأخلاقية إلى الطفل.. وقد سبق الإسلام العلم الحديث في بيان ذلك والمطالبة به. وأشارت إليه نصوص إسلامية كثيرة، قبل أن يصل إليه علم الوراثة الحديث بأكثر من

---

(1) رواه ابن ماجة بسنده عن عائشة ص375 - من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور وزير الأوقاف السابق.

(2) أخرجه ابن عدى عن أنس ص53من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد لعبد العزيز الشناوى 1994م.

(3) رواه الديلمى عن أنس ص74حرف الخاء من مختار الأحاديث النبوية للهاشمى - الغلمة: التي تهوى جماع زوجها.

(4) رواه الدارقطنى في الإفراد والديلمى عن أبي سعيد الخدرى والرامهرمزى في الأمثال من حديث أبي سعيد الخدرى ص68، 69من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبي حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت يونيو1984م. فالمرأة سيئة الخلق والسلوك تكون كالبهيمة التي تربى في المزبلة وإن كانت حسنة المظهر.

أربعة عشر قرنا من الزمان. ومن ذلك - علاوة على ما سبق: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن} [1]. وفى حديث أنس بن مالك الثابت في الصحيحين البخارى ومسلم قول النبى صلى الله عليه وسلم لأم سلمة رضى الله عنها:{ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة رقيق أصفر، فأيهما علا أو سبق يكون منه الشبه}[2]. وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة:{إذا علا ماؤها ماء الرجل، أشبه الولد أخواله، وإذا علا ماء الرجل ماءها، أشبه أعمامه} [3].

وحتى في الذكورة والأنوثة قد يمكن تحديد نوع المولود ذكرا كان أم أنثى بعُلُوِّ ماء أحد الزوجين. فقد دلت بعض الآثار الإسلامية على أنه إذا علا ماء الرجل ماء الأنثى كان المولود ذكرا بإذن الله. وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل كان المولود أنثى بإذن الله. فقد " ورد في حديث مسلم عن ثوبان أن حبرا من أحباراليهود قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أردت أن أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبى أو رجل أو رجلان، قال:{أينفعك إن حدثتك}؟ قال: أسمع بأذنى. قال: جئتك أسألك عن الولد، قال:{ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر. فإذا اجتمعا فعلا منىّ الرجل منىّ المرأة أذْكَرا بإذن الله. وإذا علا منى المرأة منى الرجل أَنَّثَا بإذن الله}. فقال اليهودى: لقد صدقت وإنك لنبى. ثم انصرف فذهب، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{قد سألنى عن الذي سألنى عنه ومالى علم بشيء منه حتى أتانى الله عز وجل به} [4].

---

(1) رواه ابن عدى وابن عساكر عن عائشة ص53 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

(2) رواه أنس في الصحيحين ص193من كتاب تحفة المودود بأحكام المولود - لابن قيم الجوزية.

(3) نفس الصفحة من المصدر السابق.

(4) ص36، 37من كتاب تنوير الأذهان بذكر أطوار خلق الإنسان - لابن قيم الجوزية.

وقد تقتضى مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يعلو ماء الرجل ولا يكون المولود ذكرا أو يعلو ماء الزوجة ولا يكون المولود أنثى. فتبقى إذن مشيئة الله تعالى هى الغالبة. ورغم ذلك لم يتوصل العلم إلى إمكان معرفة جنس المولود إلا في العصر الحديث في المرحلة الأخيرة من الحمل. فالإسلام سابق للعلم الحديث في هذا المجال أيضا كما وضحنا. يقول الأستاذ الدكتور السعيد عاشور في كتابه " الإنسان في القرآن الكريم " [1]: جنس الجنين يتحدد على ثلاثة مستويات: مستوى الغيب ومستوى الصبغيات ومستوى الأنسجة. وعن مستوى الغيب يقول: " قدر الله أمر المخلوقات قبل تمام الخلق في اللوح المحفوظ، ثم قدرها في عالم الذر أى قبل مولد الإنسان ". وعن مستوى الصبغيات يقول: " قدر الله تعالى نوع جنس الجنين في الحيوان المنوى الذي يلتقى بالبويضة الأنثوية لتلقيحها. فإذا التقى حيوان منوى يحمل شارة الذكورة " y "

بالبويضة التي تحمل دائما شارة الأنوثة " x " - فإن الجنين سيكون بمشيئة الله تعالى ذكرا. أما إذا التقى حيوان منوى يحمل شارة الأنوثة " x " بالبويضة التي تحمل دائما شارة الأنوثة " x " - فإن الجنين سيكون أنثى بإذن الله تعالى ". وعن مستوى الأنسجة يقول الدكتور السعيد عاشور: " يبدأ في نهاية الأسبوع الرحمى العاشر نمو خصية الذكر قبل نمو بويضة الأنثى - من الحدبة التناسلية الواقعة بجوار الكلى في المنطقة المحددة بين الصلب (منتصف العمود الفقرى) والترائب (أسفل الضلوع الصدرية) مصداقا لقوله تعالى: { فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ } [الطارق: ٥ - ٧]. ثم يقول: " وتبدأ الأعضاء التناسلية الظاهرة ببرعم صغير يلتصق في الذكر مكونا كيس الصفن، أو يبقى مشقوقا في الأنثى " [2]. ولا يكشف ذلك إلا طبيب

---

(1) ص95من كتاب الإنسان في القرآن الكريم - للأستاذ السعيد عاشور - أستاذ الهندسة الصناعية والإدارية - بكلية هندسة المنصورة.

(2) نفس الصفحة من المرجع السابق.

حاذق وقد لا يستطيع وقد وضحنا سابقا أن الإسلام قد سبق العلم الحديث - كما هو واضح في النص العلمى السابق - في إمكانية معرفة جنس الجنين. ومع ذلك يبقى الأمر مرهونا بمشيئة الله عز وجل. فيصبح تكهن العلم الحديث بذلك نوعا من العلم المتقدم الذي قد يحصل وقد لا يحصل. وفي ذلك يقول المولى العظيم سبحانه:{ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ } [الشورى: ٤٩ - ٥٠]..

والمهم في هذا الأمر كما قدمنا هو الاهتمام بهذه النطف ووضعها في وعائها الصالح اللائق بها. وهذا حق الأجيال الناشئة من لدن هابيل إلى يوم الدين. وهو أيضا واجب الأبوين في كل أسرة على مستوى العالم الإسلامى كله حتى تكون الأسرة المسلمة سعيدة والمجتمع الإسلامى أسعد وأوفق.

ومن الأهمية بمكان أن نشير إلى أن انتقال الأمراض الخطيرة والعيوب الخلقية المؤثرة من الأبوين إلى الأبناء عن طريق الوراثة - وارد ومحتمل. وخصوصا إذا كان هناك اتجاه للزواج من

الأقارب مع وجود شبهة في احتمال انتقال مرض خطير أو عيب خلقى منفر. وتحذرنا كتب السنة النبوية المباركة من الاتجاه إلى الزواج من الأقارب في هذه الحالة. فالقرابة كما ثبت واقعيا - قد تسهم في نقل هذا المرض أو العيب الخِلقى الخطير إلى الذرية القادمة. ولذلك ورد نهى عمر بن الخطاب لبنى السائب وتحذيرهم من الزواج بالأقارب خشية انتقال

الأمراض والعيوب الخلقية الخطيرة - بعد أن رأى أجسامهم واهية ضعيفة سقيمة. فقد روى ابن أبي مليكة عن عمر بن الخطاب قوله لهؤلاء القوم: " يا بنى السائب إنكم قد أضويتم فانكحوا في النزائع " [(1)].

ففى هذا الأثر نهى عن الزواج من الأقارب بسبب ما عندهم من مرض يتوقع انتقاله إلى الذرية.. ويؤيد احتمال انتقال المرض من الأبوين إلى الأبناء بالزواج من الأقارب عن طريق الوراثة - ما قاله العلامة أبو حامد الغزالى في كتابه " الزواج الإسلامى السعيد ". فقد قال: " إن الوراثة تتم عن طريق الصفات الوراثية بما فيها الاستعداد المرضى والعيوب الأنزيمية. وتحمل الجينات هذه الصفات الوراثية في الخلايا الحية. وإذا وُجِدَ العيبُ الخِلقى الذي تحمله إحدى جينات الأب مثلا وتزوج سيدة لا تحمل مثل هذا العيب - فإن انتقال الصفة للأبناء يكون مخففا وضعيفا. أما إذا كانت الزوجة تحمل مثل هذا العيب لوجود قرابة للزوج غالبا - فإن انتقال العيب إلى الأبناء يتضاعف باستمرار. وكلما كانت درجة القرابة بين الزوجين أكثر كانت الاحتمالات أكبر " [(2)]. فهذا النص يوضح بجلاء أن احتمال انتقال المرض أو العيب الخلقى من إحدى جينات الأب الغير متزوج من قريبة تكون أقل بكثير مما إذا كان هذا الأب متزوجا من قريبة له تحمل هذا العيب أو المرض بسبب قرابتها له.. ومن هنا يجب التحرى بدقة عند الاختيار. كما يجب تجنب الاختيار من الأقارب إذا كانت هناك شبهة في احتمال مرض أو وجود عيب خِلْقى خطير يخشى انتقاله في حالة الزواج من الأقارب. وتلك مسؤولية الزوجين حتى لا ينتج عن هذا الزواج جيل مريض من الأبناء

---

(1) ذكره الزبيدى عن إبراهيم الحربى في الغريب وعن أبي نعيم في فضل النفقة على البنات. انظر الزبيدى على الأحياء349/5 - أضويتم: ضعفتم وأصابتكم العلل - النزائع: الغرائب. وانظرص284من كتاب السنة في الزواج - للدكتور الأحمدى أبو النور.

(2) ص59من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبي حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت.

والبنات أو يحمل عيوبا خلقية لا يمكن تجنبها أو تقبلها. فالغاية من الزواج إنتاج جيل صالح خال من العيوب الخلقية والأمراض الخطيرة حتى لا تحرم الأسر والأفراد المسلمة من السعادة التي هى الغاية من الزواج وسوف. نلقى مزيدا من الإيضاح لهذه المسألة في حديثناعن الزواج من الأقارب إن شاء الله تعالى.

الباب الثانى

ركائـز وأسس الاختيـار الصحيح للزوجيـن في الإسلام

الباب الثانى:
ركائز وأسس الاختيار الصحيح
للزوجيـن في الإسلام

إن ما سبق من الحديث عن خَلْق آدم وحواء عليهما السلام، وذريتهما، وعن مراحل هذا الخلق وتطورها، وخصوصا مرحلة النطفة وتخيرها ووجوب الحفاظ عليها والاهتمام بها - ينقلنا إلى الحديث عن الركائز والأسس الإسلامية الهامة التي يجب أن يُبنى عليها الاختيار الصحيح لكل من الزوج والزوجة. وقد اهتم الإسلام - قرآنا وسنة - باختيار كل من الزوجين للآخر، اختيارا صحيحا، يؤدى إلى سعادة الطرفين، والأخذ بيدهما لبناء أسرة سعيدة على عدد من الأسس الشرعية. كالاختيار على أساس الدين والأخلاق الفاضلة، وعلى أساس الأصل والشرف، وعلى أساس تجنب الزواج من الأقارب إن أمكن وخصوصا في حالة الاشتباه في وجود مرض أو عيب خلقى، وعلى أساس تفضيل البكر، وتفضيل المرأة الولود، وعلى أساس الكفاءة بين الزوجين، وعلى أساس الجمال المقترن بالتدين والأخلاق الكريمة، وعلى غيرها من الركائز والأسس التي لابد من توافرها لقيام أسرة إسلامية سعيدة في مجتمع إسلامى سعيد..

* * *

الفصل الأول:

الاختيار على أساس الدين والأخلاق الفاضلة

يعتبر الاختيار على أساس الدين والأخلاق الفاضلة هو أول وأهم الركائز والأسس. إذ يترتب على النجاح والتوفيق فيه، نجاح وتوفيق في اختيار بقية الأسس والركائز لأن كل ما بعده من الأسس مدعوم به ومترتب عليه. وقد وضح القرآن الكريم، كما وضحت السنة النبوية المباركة هذا الاختيار وأهميته وكيفيته.

وإذا بدأنا بالقرآن الكريم، نجد قول الحق تبارك وتعالى:{ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [البقرة: ٢٢١]. فقد نهى الله جل جلاله المؤمنين، وهو الأعلم بما ينفعهم وما يضرهم، عن التزوج من المشركات حتى لو أعجبهم حسنهن الفاتن. لأنهن من قوم يدعون إلى النار ولا يدينون دين الحق الذي يدعو إلى الجنة. فهن - وهن على الشرك - يتصرفن تبعا لأهوائهن في كل الأمور والأحوال. والهوى هو النفس، والنفس أمارة بالسوء إلا من رحم الله. فلا يجوز الاقتران بهن والتزوج منهن إلا إذا آمنَّ بالله رب العالمين. كما نهى الله عز وجل نساء وبنات المؤمنين عن التزوج من رجال وشباب المشركين إلا إذا آمنوا. فالأَمَة المؤمنة خير للمؤمن حتى لو أعجبته المشركة بجمالها. والعبد المؤمن خير للمؤمنة حتى لو أعجبها المشرك برجولته أو شبابه، لأن المشركين - وهم على الشرك - بعيدون دائما عن الحق ويجندون أنفسهم ومن تبعهم لخدمة الشيطان وحزبه. يدعونهم إلى الرذائل ويصرفونهم عن المكرمات والأعمال الصالحة التي تنفعهم في دينهم ودنياهم. فسيكونون إذن بطبيعة أحوالهم الشركية شرا مستطيرا على زوجاتهم من المسلمات، يجذبونهن دائما إلى طريق الضلال والخسران.

ونجد أيضا قول ربنا عز وجل:{ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الروم: ٢١]. فقد تضمنت هذه الآية الكريمة أهم أهداف الزواج السعيد الناتج عن اختيار موفق على أساس الدين والأخلاق الكريمة. فالسكن والمودة والرحمة كلها أمور لا يمكن أن تتحقق لو لم تتوفر لها عقيدة إسلامية صلبة وأخلاق إسلامية عالية، تؤدى إلى الإيمان بالله القادر على كل شيء وتستمد منه العون على توفر الأمن والسعادة لكل من الطرفين. يقول الحكيم العليم سبحانه:{ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا } [الكهف: ٤٦]. ويقول أصدق القائلين جل شأنه{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [المنافقون: ٩]. ويقول المولى الكريم سبحانه:{ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ } [الأنعام: ٨٢]. فهذا الاختيار وهذه الركيزة القائمة على اختيار كل من الزوجين للآخر على أساس الدين والأخلاق الحميدة - هبة من الله الكريم يهبها من يشاء من عباده الصالحين؛ ليجعل حياتهم في الدنيا مع قِصَرِها سعيدة هنيئة مملوءة بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام. فالمؤمنون أحق بالأمن والسعادة من الكفار والمشركين، ما لم يخلطوا إيمانهم بشرك. والأمن يعنى أول ما يعنى الاستقرار والسعادة. واستنادا إلى هذه الركيزة ومن زاوية الأخلاق الكريمة التي ينبغى أن يتمتع بها الرجل والمرأة أو البنت المقبلان على الزواج - يمتنع أن يتزوج الزانى الذي سمح لنفسه بانتهاك أعراض المسلمات من النساء والبنات الفضليات، وكذلك يمتنع على المرأة أو البنت الزانية التي سمحت لنفسها بتلويث عرضها وعرض أسرتها أن تتزوج بالرجال الأفاضل.. يقول الحق تبارك وتعالى:{ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ } [النور: ٣].

فإذا انتقلنا إلى السنة النبوية الكريمة الحبيبة إلى نفوس المسلمين والمسلمات - نجدها قد وضحت وفصلت هذا الأساس تفصيلا مُعِيناعلى حسن الاختيار موصلا إلى السعادة

المستهدفة.. ومن ذلك ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم موجها الخطاب إلى آباء البنات وأولياء أمورهن حيث قال:{إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير} (1). فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحذر الآباء وأولياء أمور البنات من التراخى والتردد إذا تقدم لبناتهم من يرضون عن دينه وخُلقه. فالواجب عليهم في هذه الحالة أن يوافقوا ويباركوا هذا العرض بالزواج ما داموا قد تثبتوا من تمسك المتقدم بآداب الدين الإسلامى وتعاليمه ومن تحليه بالأخلاق الكريمة. إذ أن التردد والتراخى من العديد من آباء البنات وأولياء أمورهن في هذه الحالة - قد يؤدى إلى إحداث فتنة وفساد بين الشباب والفتيات على نطاق واسع. وهذا ما لا يرضاه الإسلام.. ومن ذلك أيضا قول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم مخاطبا المقبلين على الزواج من الشباب والرجال ومن يساعدهم في الاختيار:{تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها. فاظفر بذات الدين تربت يداك} (2). فهذا الحديث الشريف يحث الشباب وكل من يريدون اختيار زوجاتهم على التمسك بذات الدين أى المتدينة فهى وحدها - بدينها وأخلاقها الكريمة - القادرة على إقامة وتكوين أسرة صالحة سعيدة. ولا يمنع الإسلام أن يكون مع الدين والأخلاق الفاضلة حسب أو جمال أو مال أو أن تجتمع كلها. ولكن يبقى أن يكون الدين والأخلاق الفاضلة هما الأساس في الاختيار...

ولا شك أن الزوج المتمسك بدينه الإسلامى، والحريص على تنفيذ ما به من التزامات نافعة في مجال حقوق وواجبات الأزواج والزوجات، وكذلك

---

(1) رواه الترمذى بسنده عن أبي حاتم المزنى. ص61من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

(2) أخرجه البخارى ومسلم عن أبي هريرة ص61من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى - حرف التاء - تربت يداك: أى التصقت بالتراب كناية عن الفقر الذي يلحق به إذا تزوج من غير ذات الدين وترك المتدينة.

الزوجة أو المتجهة إلى الزواج والمتمسكة بدينها الإسلامى وما به من التزامات وتوجيهات نافعة للأزواج والزوجات - لابد أن يكونا من ذوى وذوات الأخلاق الكريمة. ويبشر الله عز وجل هذين الصنفين من الرجال والنساء ممن يتمسكون بدينهم ويتصفون بأخلاق إسلامية عالية - إذا تزوجوا أو اتجهوا إلى الزواج - بالفوز والفلاح في الدارين. فيقول سبحانه وتعالى: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٣٥].

والواضح من تفسير هذه الآية الكريمة أن هذا الأجر العظيم الذي ثبت لكل من اتصف بالصفات الكريمة الواردة في الآية - لا يختص فقط بالآخرة، وإنما يشمل الدنيا أيضا. فيكون من شأن هؤلاء المتخلقين بتلك الأخلاق العالية الرفيعة - التوفيق في كل مراحل ومجريات حياتهم الدنيا، ماداموا ملتزمين بتلك الأخلاق الفاضلة التي توصل إلى رضا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. وينطبق ذلك على الرجال والنساء على حد سواء..

وتحذرنا كتب السنة من غير الفضليات من النساء والبنات، ومن الارتباط بهن بزواج أو غيره. وذلك لعدم التزامهن بما توجبه الأخلاق الفاضلة ومبادئ الدين والتوجيهات الإسلامية - في التعامل مع أزواجهن. وقد حُكِىَ أن السائح الأزدى لقى إلياس عليه السلام في سياحته، فأمره بالتزوج ونهاه عن التبتل - وهو البعد والانصراف عن الزواج والنساء، ثم قال: " لا تنكح أربعا: المختلِعة، والمبارية، والعاهرة، والناشز " [1] وبالنظر في المعنى المراد من تلك الأربعة التي نهى إلياس عليه السلام السائح الأزدى عن الزواج منهن - نجد أنهن من ذوات الأخلاق الوضيعة، التي لا يرضى عنها الإسلام ولا يقرها بل يحذر

---

(1) ص62من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - للشيخ أبي حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت يونيو1984م.

منها.. فالمختلِعة هى التي تطلب خلع نفسها من الارتباط بزوجها في كل وقت بلا سبب موجب لذلك الخلع شرعا. فالخلاف بين الزوجين متوقع ولا يكون الخلاص منه بالخلع بلا ضرر واضح بَيِّن.. والمبارية هى التي تستعرض لزوجها غيرها ممن تعرفه من النساء، وتفخر بهن أمامه، وتتخذهن أمثلة للكمال الأنثوى. وتذكر له ما يمتلكن من متع الدنيا الزائلة لتشترى منها النصيب الأكبر؛ مما ينفر منها زوجها الصالح التقى.. والعاهرة هى الفاسقة، التي تخرج بأقوالها وأفعالها الخبيثة عن طاعة الله تعالى ورسوله الكريم. كما أنها عادة تكون معروفة ومشهورة بخليل وخدن، عكس ما تفعله النساء الفضليات العفيفات من ملك اليمين اللاتى يقول الله عز وجل فيهن:{ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [النساء: ٢٥] الآية.. يقول ابن عباس: " والخدن هو الصديق للمرأة يزنى بها سرا " (1).. أما الناشز فهى التي تنكر حق زوجها وتتعالى عليه دائما بالقول والفعل. وتتمرد عليه ولا تطيعه. ولا تنفذ ما أمرتها به الشريعة الإسلامية تجاهه. ومن ذلك العرض يتضح أن الأربعة التي تحدث عنهن إلياس عليه السلام يتصفن بالأخلاق المنفرة الوضيعة التي لا تراعى فيها حقوق الزوج التي حث عليها الإسلام. ومن ثم فقد نهى السائحَ الأزدى عن الارتباط بأيهن كزوجة.

وفى ضرورة التمسك بحسن خلق الزوجة ينهى بعض العرب عن الزواج من ست من

---

(1) ص 91 من القسم الثاني من كتاب صفوة التفاسير الطبعة الأولى، الدكتور محمد على الصابوني، تفسير الآية 25 من سورة النساء.

النساء فيقول: " ولا تنكحوا من النساء ستا: لا أنَّانة، ولا منَّانة، ولا حنَّانة، ولا تنكحوا حَدَّاقة ولا برَّاقة ولا شَدَّاقَة " [1]. وتلك الأصناف الست من النساء لا يتصفن بأخلاق حميدة: فالأنانة، كثيرة الأنين والشكوى تدعى المرض وتعصب رأسها كثيرا حتى تظهر بمظهر المريضة لمن لا يعرفها. وربما تشتكى زوجها لمن لا يعرفه ولا يقدره. والمنّانة، تمن على زوجها دائما فتذكره بأنها فعلت من أجله الكثير، ولا تذكر شيئا من فضائله وأفضاله عليها. والحنَّانة، تحن إلى زوج جديد، تريد التغيير، ولا تقنع بالزوج الذي جعله الله تعالى من نصيبها رغم صلاحه. وقد تحن إلى ولدها من زوج آخر فتثير غضب الزوج الصالح الحالى. والحدَّاقة، تتطلع ببصرها إلى كل شيء وتشتهى تملكه، ولا تقنع بما وفره لها زوجها الصالح، الذي قد لا يستطيع بإمكانياته أن يوفر لها كل ما تشتهيه، فهى كالمبارية السابق ذكرها.. والبرّاقة، تقضى نهارها في تزيين وجهها حتى يلفت نظر المتطلع إليها، ويكون له بريق يجذب إليها الرجال. أما الشدَّاقة، فهى كثيرة الكلام بغير حق أو فائدة، متشككة في كل شيء وتحاول أن تجعل غيرها يشك في كل شيء. وهى بذلك لا تقبل شيئا ولا تثق في أحد، وتكون مصدر قلق لمن تتزوجه..

والرجل أيضا إذا اتصف بإحدى الصفات العشر السابقة، فإنه يكون غير مرغوب فيه من النساء الصالحات. والصفة الغالبة على الرجال غير المتمسكين بتعاليم الإسلام وغير المتمتعين بالأخلاق الكريمة - هى الفسوق. فإذا كانت الفاسقة غير مرغوب فيها لما يغلب عليها من عدم التمسك بالدين وعدم التخلق بالأخلاق الفاضلة، فكذلك الرجل الفاسق يكون غير مرغوب فيه من النساء. فالولى أو الأب الذي يزوج ابنته من رجل فاسق يكون في مرتبة القاطع لرحمها؛ ذلك لأن الولى أو الأب يغلب عليهما شرعا وواقعا العمل لمصلحة ابنتهما وعدم تعريضها لحياة شقية عن طريق الزواج برجل لا يحب

---

(1) ص61من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - للشيخ أبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت1984م وص53من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السعيد الشرقاوى - الطبعة الثانية، يوليو1986م.

الارتباط والعمل بمبادئ الدين الإسلامى المحافظ على حقوق وواجبات الزوج والزوجة، ولا يتمتع بأخلاق حميدة. فهو إذن فاسق. وسوف يحاول أن يجعل امرأته فاسقة. وهكذا يكون الولى أو الأب الذي يفعل ذلك، قد حول ابنته إلى امرأة فاسقة. وتلك جريمة كبرى في حق الابنة. فالإسلام يدعو إلى تكريم النساء والبنات. والبنات أمانة في عنق الآباء ومن يرعاهن من أقرب الأقارب. وقد نبه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك فقال:{من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها} [1].

وهكذا تحرص السنة النبوية الكريمة كما يحرص القرآن الكريم على بيان أن الاختيار الصحيح الموصل إلى السعادة - يكون دائما على أساس الدين والأخلاق الفاضلة الكريمة، سواء بالنسبة للزوج أو الزوجة. وهذا التمسك بمبادئ الدين الإسلامى الحنيف والأخلاق العالية الرفيعة في الاختيار - يسهل الوصول والتنعم بكل ما يوصل إلى السعادة، ويعنى أن النظر في بقية الركائز والأسس الموصلة إلى السعادة في الزواج - يكون أيضا من زاوية دينية وعلى أساس من الأخلاق الإسلامية الرفيعة؛ حتى ينعم الطرفان بالاختيار الناجح الصحيح ويسعدان به...

* * *

---

(1) ضعفه البعض وصححه البعض ووصفه البعض بأنه موضوع. ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث أنس ورواه في الثقات من قول الشعبى بإسناد صحيح. ص70 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت - يونيو 1984م.

الفصل الثاني:
الاختيار على أساس الأصل والشرف

يخبرنا رب العزة سبحانه في القرآن الكريم، أَنَّ أساس المفاضلة بين الناس، الذي يرتضيه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لعباد الله في كل مكان وزمان - هو التقوى. فيقول جل شأنه:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ } [الحجرات: ١٣]. فالتقوى هى أساس التفاضل والتفضيل بين الناس جميعا ذكورا وإناثا. والأكرم في الميزان السماوى هو الأكثر تقوى، كما أشار القرآن الكريم. وفى توضيح للتقوى والمتقين، يقول جل جلاله: { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } [البقرة: ١٧٧]. وكما تشير الآية الكريمة، فإن أعمال هؤلاء الأبرار المتقين تنحصر في الإيمان بالله سبحانه وتعالى، واليوم الآخر والملائكة والكتب المنزلة على الرسل الكرام وآخرها القرآن الكريم المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك الإيمان بالرسل الكرام جميعا. وتشمل التقوى كذلك إنفاق المال رغم حبه على الأقارب وأصحاب الحقوق كاليتامى والمساكين وابن السبيل الذي انتهى ماله وهو في السفر، والسائلين المعونة من غيرهم، وفى شراء الرقاب وعتقها - وكان ذلك في أوائل قيام الدولة الإسلامية - وتشمل أعمال المتقين كذلك إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد، والصبر على الفقر والمرض، والصبر أيضا على القتال في سبيل الله.. ولا شك أن المتقين المتصفين بهذه الصفات الحميدة يعرفون مالهم عند زوجاتهم، وما عليهم نحو تلك الزوجات وهم الأقدر على تنفيذ ذلك..

وتواصل السنة النبوية المباركة بيان ذلك للراغبين والراغبات في الزواج من المسلمين والمسلمات - فتوجه كلا الطرفين إلى الاختيار على أساس الأصل الكريم، الخالى من العيوب الخِلقية، وعلى أساس من الشرف النظيف والبيئة النظيفة. فيقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{تجدون الناس معادن فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا} [1]. الحديث.

ويتضح من الحديث الشريف أنه حتى في حث السنة على ارتباط الرجل المسلم أو المرأة المسلمة بصاحب الشرف والأصل الكريم - فإنها تشترط أن يتوفر في ذلك التفقه في الدين. وذلك يعنى تواجد القدرة على الفهم في اختيار ذات الأصل الطيب والشرف المصون. وفى هذا المجال تحذرنا السنة النبوية المطهرة من اختيار المرأة الجميلة التي تعيش في منبت سيئ. وسوء المنبت يعنى سوء الأصل. ويتضح هذا التحذير من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إياكم وخضراء الدمن} قالوا: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال:{المرأة الحسناء في المنبت السوء} [2].

ويشمل التفقه المطلوب أيضا أمورا هامة: كالقدرة على اختيار الأيسر حالا، والخالى من العيوب الخِلْقية والخُلُقية والنقائص الفاضحة التي لا يمكن مداراتها أو التستر عليها. وذلك من حق كلا الطرفين؛ عملا بقوله صلى الله عليه وسلم :{تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس} [3]. وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم :{المؤمن القوى خير وأحب

---

(1) رواه البخارى ومسلم ص59 - حرف التاء من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ سيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه الدارقطنى والديلمى عن أبي سعيد ص52 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى - وقد سبق شرحه وتوضيحه في الفصل الثامن من الباب الأول.

(3) رواه أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث أنس ص96 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبي حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت.

إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير} [1] الحديث.. وذلك ينبه المسلمين المقبلين على الزواج إلى وجوب الاختيار الأمثل الخالى من العيوب الخلقية والصفات المذمومة..

وفى كتب السنة النبوية الكريمة ما يُذَكِّرُ بموقف المرأة التي زوجها أبوها دون أن يستأذنها - من ابن عمها ليرفع بها خسيسته كما قالت. فقد روى عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: " جاءت فتاة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أبي زوجنى من ابن أخيه ليرفع بي خسيسته. قال: فجعل الأمر إليها. فقالت: قد أجزت ما صنع أبي لكنى أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء " [2].. فالمرأة أو البنت التي يزوجها أبوها أو وليها من أصل خسيس - لها أن ترفض هذا الزواج. وهذا حق شرعى لها. وليس المقصود بالخسة الفقر. فالفقر ليس خسة وإنما هو ابتلاء من الله عز وجل للإنسان. والصابر في الابتلاء ينال خير الجزاء. وإنما المقصود بالخسة تواجد بعض الصفات الخِلقية والخُلقية السيئة في الإنسان وهى صفات تبعد صاحبها عادة عن دائرة الاختيار الموفق، لما فيها من بعد عن التقوى أو عن بعض الصفات الصالحة التي تفضل في الاختيار. لكن هذه المرأة التي ورد ذكرها في حديث أبي بريدة عن أبيه ركزت على أن أباها لم يستأمرها في هذا الزواج. وأحست بضعف موقفها من اتهام الرجل بأنه خسيس فوافقت أباها بعد أن واجهته في عدم استئذانها. وأجازت ما صنع.

والقصد إلى الغنى والسعى إليه بالزواج من امرأة غنية أمر مشروع لكنه مشروط بتوفر الأساس الديني والأخلاق الكريمة عند المرأة المختارة، فالمرأة الغنية المتمسكة بدينها الإسلامي يرشدها دينها كما ترشدها أخلاقها الكريمة إلى طريق السعادة مع زوجها،

---

(1) رواه مسلم عن أبي هريرة ص42من كتاب: من كنوز السنة - للمرحوم الدكتور محمد على الصابونى ط3.

(2) أخرجه ابن ماجه602/1 - 603 بإسناد صحيح كما يقول صاحب الزوائد. ص139من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور الأحمدى أبو النور.

فهما يقللان من تكبرها على زوجها بسبب غناها، ويجعلان مالها سببًا لسعادتها مع زوجها، بدلاً من أن يكون سببًا لشقائهما، فيكون مالها عنصرا من عناصر القوة التي تقوى به رابطة الأسرة وليس عنصر ضغف أو هدم لبيت الزوجية..

فالزوج في ظل الشريعة الإسلامية هو المطالب بالنفقة على بيت الزوجية، وليست الزوجة. وهكذا تطمئن الزوجة المسلمة ذات الأخلاق الحميدة، في ظل شريعة الإسلام وتعاليمها الرشيدة السمحة - إلى أن زوجها المسلم لم يتزوجها طمعا في مالها. فهو مطالب بالإنفاق عليها وعلى بيت الزوجية مهما كثر مال زوجته وتعددت عناصر ذمتها المالية. وبذلك يحل التعاون والتسامح والاتفاق محل التنازع والتعالى والاختلاف، فتسعد الأسرة المسلمة الناشئة.. وفى القرآن الكريم يقول ربنا العظيم:{ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [النور: ٣٢]. ففى الآية الكريمة أمر من الله عز وجل للمؤمنين بأن يزوجوا من لا زوج له من الرجال والنساء والشباب والشابات من أحرار رجالهم ونسائهم، وأن يُنكحوا أهل التقوى والصلاح من عبادهم وجواريهم. وعلى الآباء والأولياء عدم الخوف من فقر أزواج بناتهم. فالله تبارك وتعالى قد تكفل بأن يُغنيهم من فضله بعد إتمام الزواج. وهذا أمر مشاهد ومحسوس دائما في الحياة العملية. فكم من فقير تزوج امرأة متدينة ذات أخلاق رفيعة غنية أو فقيرة - أغناه الله من فضله بعد الزواج منها.. وفى السنة النبوية المباركة نجد قول عائشة رضى الله عنها: " تزوجوا النساء فإنهن يأتينكم بالمال " [1].

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم والبزار عن عائشة. ص86من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور الأحمدى أبو النور.

بمعنى أن الزواج عادة يكون سببا في زيادة رزق الزوج بعد أن كان فقيرا وهو أعزب. ونجد أيضا قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه: " أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجزلكم ما وعدكم من الغنى، قال تعالى:{ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ }[1]. ونجد كذلك قول عمر رضى الله عنه: " ما رأيتُ مِثْلَ مَنْ يجلس أَيِّمًا بعد هذه الآية:{وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ } التمسوا الغنى في الباءة " [2]. فعمر أيضا ينهى القادرين على الزواج وباءته - عن الإحجام عنه بعد أن تكفل الله عز وجل بأن يغنى المتزوجين الفقراء. وخلاصة الأمر في هذا الموضوع أن الزواج في حد ذاته ليس مانعا من الغنى ولا سببا في الفقر.

ومن أمثلة التفقه المطلوب في اختيار الزوج الصالح والزوجة الصالحة، على أساس الأصل الطيب والشرف المصون، تحذير النبى صلى الله عليه وسلم ونهيه لزيد بن حارثة حتى لا يتزوج من خمس من النسوة التي ذكرهن في الحديث الشريف إذ وجد صلى الله عليه وسلم في كل من تلك الخمس ما يتعارض مع الأصل الطيب أو الشرف المصون. فقد " سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة يوما:{تزوجت يا زيد؟} قال أبو أسامة: لا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{تزوج تزد عفة إلى عفتك. ولا تزوج خمسة: شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا}. قال زيد بن حارثة: يا رسول الله لا أدرى مما قلت. وأنا بإحداهن جاهل. قال النبى صلى الله عليه وسلم :{ألستم عربا؟ أما الشهبرة فالطويلة المهزولة، وأما اللهبرة فالزرقاء البذية، وأما النهبرة فالقصيرة الذميمة، وأما الهيدرة فالعجوز المدبرة، وأما اللفوت فهى ذات الولد من غيرك} [3].

---

(1) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي بكر الصديق. نفس الصفحة من المرجع السابق.

(2) عن عمر في المصنف لابن أبي شيبة. نفس الصفحة من المرجع السابق. والباءة تكاليف ومصاريف ومسئوليات الزواج.

(3) ص57من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى. والمفردات اللغوية الموجودة بالحديث الشريف موضحة في المعجم الوجيز - طبعة خاصة بوزارة التعليم عام1993م من مجمع اللغة العربية.

وبالنظر في معنى هذا الحديث الشريف وفى تعريفه للأنواع الخمسة المشار إليها - نجد عيوبا خِلقية وخُلُقية تقف حجر عثرة في إدخال السعادة على طرفي هذا الزواج الناشئ وعلى عش زوجيتهما. فالشهبرة وهى الطويلة المهزولة تكون عرضة لسخرية ضعاف الإيمان؛ مما يشعرها وزوجها بالخجل من الناس والبعد عن التعامل معهم.

هذا بالإضافة إلى احتمال أن يكون هذا الهزال نتيجة مرض خطير لم تخبر به الزوجة أو وليها زوجها. فيكون ذلك الزواج خطرا على الزوج وعلى ما قد ينتج عن هذا الزواج من ذرية يتسرب إليها الهزال بالوراثة. فتكون الأسرة كلها هزيلة مريضة وضعيفة وهذا شيء لا يرضى به الإسلام ولا يشجع عليه..

واللهبرة وهى الزرقاء البذيئة: فالزرقاء تكون عادة مصابة بزراق الأطراف، وهى زرقة تصيب اليدين والقدمين. ومن ناحية أخرى فإن الزراق يعنى شدة التوتر الداخلى في العين ويشمل ذلك أيضا الزراق المعوى، وهو مرض يميزه زرقة في اللون واضطراب شديد في الأمعاء. والبذية عادة: خارجة الصدر، داخلة البطن.. ولهذا كله يحق للصادق المصدوق أن يحذر زيدا وغيره من المسلمين من الزواج من الزرقاء البذية؛ حتى لا تُخْرِجَ ذرية مثلها زرقاء بذية فتكون الأسرة في خطر كبير قد يتعداها إلى غيرها من الأسر في المجتمع الإسلامى.. والنهبرة وهى القصيرة الدميمة: جمعت مع قصر قامتها قبح المنظر. فتكون الحياة الزوجية معها مهددة بالحرج والفشل، خلافا للقصيرة التي تحظى بقدر معقول من الجمال، يعوض عنها عيب القصر ويشجع على الارتباط بها كزوجة.. والهيدرة وهى العجوز المدبرة التي ذهب شبابها ولم يعد لها رغبة في الجماع، علاوة على كبر سنها الذي يعنى أنها لا تنجب في غالب الأحوال، اللهم إلا إذا أراد الله، فالارتباط بها كزوجة يهدد الحياة الزوجية بالفشل والانتهاء، حيث يكون رباط الزوجية

ضعيفا هشا، إلا إذا كان الزوج مثلها فلا بأس من الارتباط حينئذ لرجحان الكفتين..

وأما اللفوت وهى الثيب التي أنجبت من الغير فإنها تكون دائما متعلقة بذريتها من هذا الغير. ويحدث ذلك عادة مع عدم احتياجها إلى تلك الذرية احتياجا شديدا. وعادة ما يثير ذلك غضب زوجها الحالى. كما أنها لا تكون عادة في نضارة المرأة البكر. فالبكر أعذب فاها وأنتق رحما وأرضى باليسر الذي يقدمه لها زوجها. وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى ذلك في قوله:{عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها، وأنتق أرحاما وأثخن أقبالا وأرضى باليسير من العمل} [1].

ومن هذا الحديث الشريف يتضح أن البكر حديثها أعذب من الثيب حيث يجذب إليها من يسمعها. ورحمها أكثر نفضا من رحم الثيب - وهذا يعنى تمام الاستعداد للحمل. كما أن فرجها أغلظ وأصلب من فرج الثيب مما يعنى غاية الإشباع في الجماع. والبكر دائما أكثر رضا باليسير من الرزق الذي يقدمه إليها زوجها على عكس الثيب غالبا.. فالزواج من اللفوت، وهى الثيب، لا يكون إلا لحاجة شرعية؛ كأن يكون الراغب فيها عنده أولاد أو بنات من زوجة أخرى ماتت أو طلقت طلاقا بائنا. فهو يحتاج إليها لتساعده في تربية أولاده وبناته من غيرها. فمثل هذه الظروف هى التي ترغب في الزواج من الثيب. والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ينبه المسلمين والمسلمات إلى أن الزواج من هذه المرأة لغير الظروف المذكورة، أمر يهدد الحياة الزوجية التي تهدف إلى الاستقرار والسعادة لما ذكرناه من أسباب.

---

(1) أخرجه أبو نعيم في الطب وابن السنى عن ابن عمر ص56 - من الزوجة المسلمة والبيت السعيد - عبد العزيز الشناوى.

وإذا أضفنا إلى ما سبق ذكره في هذا المجال مثالا آخر للتفقه المطلوب في اختيار المرأة أو البنت المتدينة ذات الأخلاق الكريمة وهو ما ذكره إلياس عليه السلام للسائح الأزدى[1] - من وجوب تجنب أربع من النسوة في الاختيار للزواج وهى: المختلعة والمبارية والعاهرة والناشز

- لوجدنا أن السنة النبوية المباركة ومن قبلها القرآن الكريم ينبهان إلى وجوب حسن الاختيار، بالزواج من المتدينة ذات الأخلاق الكريمة ومن صاحبة الأصل الطيب والشرف العظيم. حيث يستمر الزواج الموفق ويؤتى ثماره تقدما للفرد والأسرة والمجتمع الإسلامى. وهو ما تحرص عليه الشريعة الإسلامية وتتمسك به...

* * *

(1) ذكرت في مجال الاختيار على أساس الدين والأخلاق الفاضلة في الفصل الأول من هذا الباب.

الفصل الثالث:
اختيار الغرباء والبعد عن الأقارب

ومن الركائز والأسس الهامة التي يستند إليها الاختيار الصحيح، من أجل الوصول إلى السعادة الأسرية في الإسلام - مبدأ الاغتراب في الزواج. وهو مبدأ جدير بالاعتبار. فالاغتراب هنا يعنى أن تكون الذرية الناتجة عن الزواج من الغريبات - ذرية قوية تتمتع بصفات وراثية جيدة جسمية وعقلية. وهى صفات مكتسبة جديدة على الأسرة. علاوة على ما يكتسب من أسرة الزوج من صفات مقبولة. وكلها صفات ينبغى أن تكون خالية من العيوب الخِلقية والخُلُقية والأمراض والعاهات الخطيرة التي قد تنتج عن الزواج من القريبات المريضات أو التي يمكن أن ينتقل إليها المرض عن طريق الوراثة أو الحاملات لخطر انتقال عاهة أو عيب خِلقى عن طريق الوراثة أيضا. ويضاف إلى ذلك خلو هذا الزواج بالأباعد من التخاصم والتشاحن بين الزوجين وأسرتيهما. فعادة ما تكون الخلافات بين الغرباء المتزوجين سطحية يتم تسويتها بسهولة، على عكس ما إذا كان بين الزوجين قرابة. فالواقع يشير إلى أن صلة القرابة تضخم الخلافات فيسهل فيها التخاصم والتشاحن. حيث يلقى كلا من الطرفين باللوم على الطرف الآخر، ويتهمه بأنه لم يراع صلة القرابة بينهما. فلا نجد تنازلا بين الطرفين عن واجب متصل بصلة القرابة. ومن هنا تنشأ بين الطرفين خصومات ومقاطعات لا يتم تجنبها عادة. على عكس ما إذا كان هناك اغتراب بين الأسرتين.

ولو اتجهنا إلى القرآن الكريم لوجدنا أن الله العلى القدير قد حرم الزواج من القرابة اللصيقة.

وفى هـذا المجـال، يقـول ربنـا عـز وجـل:{ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (23) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء: ٢٣ - ٢٤] الآية.

فالمحرمات من القرابة اللصيقة تنحصر فيما يلى حسب نص الآيتين الكريمتين: محرمات من النسب: وهى الأم ومعها في ذلك الجدة لأب أو لأم، والابنة ومعها في ذلك بنات الأولاد وإن نزلن، والأخت شقيقة أو لأب أو لأم، والعمة ومعها في ذلك أخت الجد، والخالة، وبنت الأخ وبنت الأخت ويدخل معهما أولادهما. ومحرمات من الرضاع: وهى الأم المرضع، والأخت من الرضاعة، ولم تشر الآيتين إلى بقية المحرمات من الرضاعة وهن سبعة كالمحرمات من النسب. ومحرمات من المصاهرة: وهى: أم الزوجة سواء دخل بابنتها أو لم يدخل، وابنة الزوجة من رجل آخر والتى تربت في حجر زوجها الحالى الذي دخل بها، وزوجة الإبن الذي ولد من صلب أبيه أى ليس ولدا بالتبنى... ويحرم كذلك الجمع بين الأختين لزوج واحد، والمرأة المتزوجة..

ويؤخذ من الآيتين كذلك أن تحريم الجمع بين القريبتين ينحصر في: ما بين الأختين، وما بين المرأة وعمتها أو خالتها.. على أن المشاهد والمعمول به في الواقع بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو كراهة الجمع بين القريبتين على الإطلاق. والملاحظ كذلك أن هذه الكراهة قد شاعت وانتشرت في معظم القبائل العربية تقريبا[1]..

وقد خاضت كتب السنة النبوية المباركة في هذه المسألة وأشبعتها شرحا وتفصيلا. ويجب أن يُفهم من أول الأمر أن السنة المطهرة لم تحرم الزواج من الأقارب اللهم إلا القرابة اللصيقة التي سبق الحديث عنها في آيتى سورة النساء والتى سبق لنا توضيحها..

لكن السنة النبوية المطهرة تحدثت عن استحسان الزواج من الأباعد. فإذا أردنا ذرية نجيبة سليمة فعلينا أن نأخذ بتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل:{هاجروا تورثوا أبناءكم مجدا} [2]. فالمتزوج أو المتزوجة من الغرباء والغريبات كالمهاجر الذي يريد الوصول إلى أسباب المجد ليلصقها بأولاده وأحفاده. وعلينا أيضا أن نأخذ بقوله صلى الله عليه وسلم :{الناكح في قومه كالمعشب في داره} [3]. فأذا أراد المسلم أن يُكْسِبَ ذريته المزيد من الصفات الحسنة فعليه أن يبتعد عن الأقارب في اختيار زوجته، وكذلك المرأة المسلمة. أما من يتزوج من أقاربه فإنه لن يضيف جديدا من الصفات الحميدة المكتسبة عن طريق الوراثة إلى ذريته؛ فهو يقنع بما في أسرته من الصفات التي تنتقل إلى ذريته حتى لو لم تكن محمودة.

---

(1) نوقشت هذه الفكرة في كتاب الأسرة والمجتمع - للدكتور على عبد الواحد وافى - فيما بين ص33، 41.

(2) أخرجه الخطيب عن عائشة ص54 - من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

(3) رواه الطبرانى في الكبير عن طلحة. نفس الصفحة من المرجع السابق.

والذى يؤكده العقل والمنطق حسب ما وضحناه سابقا - أن انتقال الصفات الخِلْقية والخُلُقية السيئة إذا كانت موجودة في أسرته فإنها لن تنتقل إلى نسله من زوجته الغريبة عنه إلا بنسبة قليلة جدا. بالإضافة إلى أن فرص التباغض والتشاحن تقل أيضا في الزواج من الأباعد عنه في الزواج من الأقارب. وتأييدا لحقيقة انتقال الصفات

الخِلقية والخُلقية السيئة بنسبة قليلة جدا مع الاغتراب في الزواج - نجد ابن أبي مليكة يروى عن عمر رضى الله عنه قوله لبنى السائب: " يا بنى السائب إنكم قد أضويتم فانكحوا في النزائع " [1].

ففى هذا الأثر تحذير من عمر بن الخطاب رضى الله عنه من منطلق مسؤوليته كخليفة للمسلمين لبنى السائب من الزواج من قريباتهم حتى لا ينتج نسل ضاو. إذ المحتمل أن يكون هذا الإضواء ناتجا عن مرض أصاب الزوجة أو أحد أقاربها في الأسرة. فاللجوء إلى الزواج من الأباعد يقلل من احتمال وقوع هذا الإضواء.. وقد لا يقتصر الأمر على ذلك. فقد تنتقل

عاهة مستديمة أو خُلق قبيح اتصف به أحد أفراد العائلة عن طريق الوراثة إلى الزوجة القريبة.. ومن هنا نجد عمر رضى الله عنه ينصح هؤلاء القوم بأن يتوجهوا إلى الغرباء فيتزوجوا منهم حتى يكتسبوا صفات وراثية أفضل من صفاتهم، وفى الوقت ذاته تكون جديدة عليهم. فلا تنتقل أمراضهم وعاهاتهم بل وميولهم، من الضغائن والأحقاد، والأخلاق غير السوية إلى نسلهم من الأبناء والأحفاد..

---

(1) ص384من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور. أضويتم: نحفتم وضعفتم - النزائع: الغرائب.

وسبق أن تحدثنا عن تحذير السنة النبوية الكريمة من الزواج من الأقارب مخافة قطيعة الرحم. نظرا لما يكون بين الأقارب من حساسيات في التعامل وعدم تنازل الأقارب من الرحم الواحد عن بعض الحقوق البسيطة في تعاملهم بعضهم مع بعض. وفى هذا الإطار يروى أبو داود في المراسيل عن عيسى بن طلحة قوله: " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنكح المرأة على قرابتها مخافة القطيعة " [1]..

وتحذر بعض كتب السنة من الزواج من القرابة القريبة لأنه يقلل الشهوة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاويا} [2] أى نحيفا. وذلك لتأثيرها في تضعيف الشهوة أى تقليلها. " فالشهوة تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس. وإنما يقوى الإحساس بالأمر الجديد الغريب. أما المعهود الذي دام النظر إليه مُدَّة فإنه يَضْعُفُ الحِسُّ عن تمام إدراكه والتأثر به ولا تنبعث به الشهوة " [3]..

وقلة الشهوة المنبعثة من الزواج بالقرابة القريبة - لها أصل في علم النفس والاجتماع. فمن الحقائق الثابتة في علم النفس والاجتماع أنه: " إذا كان الأقارب متجاورين يكثر بينهم

---

(1) منهج السنةفى الزواج - للأحمدى أبو النورص385.

(2) ص69من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت.

(3) ص69نفس الصفحة من المرجع السابق. - القرابة القريبة ليست هى القرابة اللصيقة التي بيناها. بل تكون في أولاد وبنات العم والخال والعمة والخالة.

الاتصال والاختلاط ويشيع بينهم الحياء، غلب عليهم بعد ذلك في الحياة الزوجية طابع الفتور في وقت الحاجة إلى الإشباع والنشاط " [1]..

ويعتقد الكثيرون أن الزواج من الأقارب يضعف الذرية ويجعلها ضاوية على مر الأيام. وذلك استنادا إلى أن الأمراض والعلل الموجودة في الأسرة تنتقل إلى الذرية عن طريق الوراثة كما سبق أن وضحنا بخلاف الزواج من الأباعد. ويزيد هذا الأمر توضيحا ما قاله الشيخ أبو حامد الغزالى: " إن الوراثة تتم عن طريق الصفات الوراثية بما فيها الاستعداد المرضى والعيوب الأنزيمية. وتحمل الجينات هذه الصفات الوراثية في الخلايا الحية. وإذا وجد العيب الخِلْقى الذي تحمله إحدى جينات الأب مثلا وتزوج سيدة لا تحمل مثل هذا العيب، فإن انتقال الصفة إلى الأبناء يكون مخففا وضعيفا. أما إذا كانت الزوجة تحمل مثل هذا العيب - لوجود قرابة للزوج غالبا - فإن انتقال العيب إلى الأبناء يتضاعف باستمرار (أى يزيد) وكلما كانت درجة القرابة بين الزوجين أكثر كانت الاحتمالات أكبر " [2]...

ومن أحدث ما توصل إليه العلم الحديث في هذا الشأن ما أعلنته د. سامية التمتامى أستاذ الوراثة البشرية ورئيس الجمعية القومية للوراثة البشرية بالمركز القومى للبحوث: وهو أن خطورة زواج الأقارب تكمن في تماثل الجينات في الأقارب التي تزيد طبقا لزيادة درجة القرابة سواء كانت القرابة من ناحية الأم أو الأب

---

(1) ص386من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور. وكتاب الأسرة والمجتمع - للدكتور على عبد الواحد وافى من ص33 إلى ص41، وكتاب سيكولوجية الجنس - للدكتوريوسف مراد - طبعة دار المعارف - سلسلة اقرأ.

(2) ص59 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - للشيخ أبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت.

. وذلك بسبب انتقال الجينات مناصفة من جيل الجدود للآباء ثم الأبناء طبقا لقوانين الوراثة المندلية المعروفة. وإذا كانت الجينات المتماثلة تسبب أمراضا وراثية متنحية فإن كلا من الزوجين يحمل المرض ولا تظهر عليه أى أعراض. لكن تكون نسبة حدوث هذا المرض 25% في كل طفل من أطفالهم. وهذه الأمراض الوراثية
تُعَدُّ بالآلاف وتصيب مختلف أعضاء الجسم وأجهزته. وهى أمراض خطيرة تسبب الإعاقة مثل التخلف العقلى والتشوهات المتعددة والأمراض العصبية إلخ[1]..

وهكذا نجد أكثر من دليل على انتقال الأمراض والعلل التي تكون في الزوج المصاب إلى الذرية عن طريق زوجته القريبة له والتى تحمل نفس العلل والأمراض.. ومن هنا ندرك المسئولية الكبرى الملقاة على عاتق المسلم وقت اختياره لزوجته.. فالواجب في هذه الحالة التأكد من خلو الزوج والزوجة من الأمراض والعلل التي تنتقل بالوراثة حتى لا تنتقل إلى النسل، فيخلق ضاويا ضعيفا هزيلا. وهذا لا يقبله الإسلام ولا يرضى عنه..

والمتتبع لمضار الزواج من الأقارب يجد أنها ليست ظاهرة عامة. فالواقع يشير إلى نجاح الكثير من حالات الزواج بين الأقارب، كما يشير إلى إنجاب ذرية قوية سليمة في كثير من هذه الحالات، وأن الذي يجب أن يحذر منه المقبل على الزواج من قرابته سواء من الرجال أو النساء - هو الابتعاد عن هذا الارتباط وعدم إمضائه - إذا تيقن أو توقع حدوث أحد الأضرار المشار إليها سابقا: كالمرض الخطير أو العيب الخِلقى الواضح الذي لا يمكن تجنبه بناء على الدلائل والقرائن المتوفرة لديه.

---

(1) الأهرام الأسبوعى بتاريخ 10 أبريل عام 2009 الصفحة الثانية.

وهذا الضرر المتيقن أو المتوقع من الزواج بالقرابة القريبة لوجود مرض أو عيب أو توقع حدوثه على المدى القريب أو البعيد - تشير إليه كل النصوص التي أوردناها.. أما الحالات التي ينتفى فيها وجود المرض أو العيب، وتوقع حدوثهما - فلا بأس فيها من الارتباط بالأقارب والزواج منهم ومنهن، وخصوصا إذا كانت هناك حاجة إلى ذلك؛ كالمحافظة على صلة الرحم والمحافظة على سلامة الاختيار، إذا لم يكن متأكدا منه في حالات الرغبة من الاقتران بالأباعد.

ويكفينا في الاستدلال على صحة الاختيار من القرابة بعيدة أو قريبة - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شجع على الزواج من الأقارب في مثل هذه الظروف وباركه. ويتضح ذلك من

قوله صلى الله عليه وسلم :{من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا.. ومن تزوجها لمالِها لم يزده الله إلا فقرا.. ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة.. ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه، بارك الله له فيها وبارك لها فيه} [(1)]..

فهذا الحديث الشريف يبين فضل الزواج من الأقارب.

وهو لا يتعارض مع الأحاديث الأخرى التي لا تشجع على هذا الزواج بل هو مكمل لها.

لا سيما بعد أن عرفنا أنه إذا كان العيب أو المرض في القريب أو القريبة ظاهرا

ومنفرا ومعيرا ويترتب على إمضاء الزواج من صاحبه أو صاحبته خطر على النسل وعلى الأسرة في الحاضر والمستقبل - فينبغى تجنبه. أما إذا لم يوجد عيب أو مرض، أو وجد ولكنه لا يمثل خطرا متوقعا على النسل أو الأسرة،

(1) رواه أنس بن مالك ورواه الطبرانى في الأوسط ورواه أبو نعيم في الحلية. هامش ص361من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

وكانت هناك حاجة لإمضاء هذا الزواج - وقد سبق مناقشة ذلك - فيمكن إمضاء هذا الزواج على بركة الله عز وجل ولا حرج في ذلك على الإطلاق... فالأمر إذن يتطلب أن يخضع اختيار الزوج أو الزوجة من البداية للأساس الأول الذي سبق الحديث عنه وهو الدين والأخلاق الكريمة والأصل الطيب..

هذا وقد تأكد لنا من خلال سور وآيات القرآن الكريم إباحة الزواج من الأقارب كما أباحته السنة النبوية إذا لم يترتب عليه مرض أو عيب خِلقى ينتقل إلى النسل عن طريق الوراثة.. ففى سورة الأحزاب نجد من الآيات الكريمة ما يشير إلى أن الله جل جلاله قد أحل لنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أن يتزوج من بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته. ولو كان هناك خطر عام أو خاص من جراء الارتباط بالزواج من ذوى القرابة من النساء - وهى هنا قرابة قريبة - ما أحل الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم الزواج منهن، وما أحل لأحد من أمته صلى الله عليه وسلم ذلك الزواج. أما إذا تُوُقِّع المرض أو العلة

فلا بأس من الامتناع عن الزواج منهن كما سبق بيانه. وفى هذا يقول أصدق القائلين سبحانه: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا [الأحزاب: ٥٠]..

ويؤكد هذه الحقيقة أيضا الدكتور محمد الأحمدى أبو النور وزير الأوقاف السابق في كتابه: منهج السنة في الزواج[1]. وهو يؤيد ما قاله وقلناه بموقف أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها. عندما أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصرحة له بأساس رغبتها في الزواج منه.

فقد كان مما قالته لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنى قد رغبت فيك لقرابتك منى، وشرفك في قومك وأمانتك عندهم، وحسن خُلقك وصدقك في حديثك " [2]. فقد جعلت رضى الله عنها في المقدمة من أسباب رغبتها في الزواج من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن هناك قرابة تربطها به.. ولو كان النهى عن الزواج من الأقارب عاما لترتب على ذلك أن تنتشر قطيعة الرحم على نطاق واسع بين الأسر المسلمة بحجة منع الزواج من الأقارب في الشريعة الإسلامية،

---

(1) ص269من المصدر السابق.

(2) نفس الصفحة من المصدر السابق.

وهذا عكس ما تأمر به الشريعة الإسلامية الغراء، وتحث عليه، من صلة الرحم والاهتمام بها. وفى ذلك يقول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم :{من أحب أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنْسَأَ له في أثره فليصل رحمه} [1].. ويقول صلى الله عليه وسلم :{ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة - من قطيعة الرحم، والخيانة والكذب، وإن أعجل الطاعة ثوابا لَصِلَة الرَّحِم، حتى إن أهل البيت ليكونون فجرة، فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم، إذا تواصلوا}[2].

وهكذا يتضح لك يا أخى المسلم أن الزواج من القرابة غير اللصيقة مباح إلا في حالة التأكد من وجود مرض خطير أو عيب خِلقى ظاهر يخشى انتقاله عن طريق الوراثة إلى الذرية.. والله الهادى إلى سواء السبيل...

* * *

(1) رواه البخارى ص137من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى - ينسأ له في أثره: أى يزاد له فيه وقد عرفنا أن الأثر هو قبضة التراب التي يدخلها الملك في رحم أمه والتى تدخل في خلقه بخلطها بالمنى.

(2) رواه الطبرانى ص131من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ سيد أحمد الهاشمى - حرف الميم.

الفصل الرابع :

تفضيل البِكْرِ في الاختيار

البكر هى العذراء التي لم يسبق لها الزواج ولم تفض بكارتها بعد. ويعتبر اختيارها للزواج من الركائز والأسس الهامة المؤدية إلى السعادة الأسرية. إذ أن كل صفاتها محببة إلى النفس.. وقد ورد تفضيل الزواج من البكر في القرآن الكريم. فيقول ربنا عز وجل:{ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (35) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (36) عُرُبًا أَتْرَابًا (37) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ } [الواقعة: ٣٥ - ٣٨]. فقد أنشأ الله تعالى نساء الجنة بعد البعث نشأة جديدة. وقد أفاض العلماء في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين؛ فقال صاحب التسهيل لعلوم التنزيل: " ومعنى إنشاء النساءأن الله تعالى يخلقهن في الجنة خلقا آخر في غاية الحسن بخلاف الدنيا. فالعجوز ترجع شابة، والقبيحة ترجع جميلة " [1].. وقال ابن عباس: يعنى الآدميات العجائز الشمط خلقهن الله بعد الكبر والهرم خلقا آخر " [2]. فقد جعلهن الله عذراوات، كلما جامعهن أزواجهن وجدوهن أبكارا لم تفض بكاراتهن. وهذا من بعض أفضال الله جل جلاله على عباده وإمائه الصالحين والصالحات في الجنة. فتكريما للصالحات من النساء جعلهن ربهن العظيم عُرُبا أى متحببات إلى أزواجهن عاشقات لهم. قال مجاهد: " هن العاشقات المتحببات اللواتى تشتهين أزواجهن " [3]. وهن كذلك مستويات في السن مع أزواجهن في سن ثلاث وثلاثين. فعن أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت:سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى:{ إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين } فقال:{يا أم سلمة: هن اللواتى قبضن في الدنيا عجائز، شُمْطا،

---

(1) التسهيل لعلوم التنزيل ص64 من القسم17من صفوة التفاسير - لمحمد على الصابونى - الطبعة الأولى.

(2) تفسير الخازن18/4.

(3) تفسير الألوسى143/27.

عُمْشا، رُمْصا، جعلهن الله بعد الكبرأترابا على ميلاد واحد في الاستواء} [1]. وقد جعلهن الله العلى الكبير متعة لأصحاب اليمين جزاء حفظهن لفروجهن في الدنيا، بالإضافة إلى ما أعده سبحانه لهم ولهن في الآخرة من ألوان النعيم الأخروي[2]..

والبكر بطبيعتها محبة للأنس والألفة والتعلق بأول إنسان ارتبطت به وصارت في عصمته، دون سواه. وهذه أمور لا توجد عادة عند المرأة الثيب في زواجها الثانى؛ لأن من طباع البكر أنها تأنس وتتعود على أول مألوف لديها. فهى تحب زوجها وتألفه ويصير وُدُّها له مؤشرا على ذلك. مما يجعل للحياة الزوجية مذاقا حلوا وسعادة مؤكدة[3]. ومن أجل ذلك رغب الإسلام بشقيه القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة - في الزواج من الفتاة البكر.

وإذا كان القرآن الكريم قد أشار إلى تفضيل البكر في الزواج وفى الارتباط بها في الآخرة أكثر من الثيب - وقد لمسنا ذلك في آيتى سورة الواقعة الكريمتين اللتين فصلنا القول فيهما في أول الفصل - فمن الأولى أن يتمسك من يريد الزواج في الدنيا بالبكر. ونجد نفس الاهتمام بالبكر في السنة النبوية المطهرة، والحث على تفضيلها في الزواج. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :{عليكم بأبكار النساء فإنهن أعذب أفواها وأنتق أرحاما وأقل خبأ وأرضى باليسير} [4]. وقد ورد الحديث ذاته بلفظ " عليكم بالأبكار "

---

(1) تفسير القرطبى210/17.

(2) وانظر أيضا في تفسير الآيتين ص64من القسم 17 من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ الدكتور محمد على الصابونى - ط أولى - شمطا: مختلطا سواد شعرهن ببياضه - عمشا: ضعاف البصر مع سيلان دمع أعينهن في أكثر الأوقات - رمصا: يجتمع في أمواق أعينهن وسخ أبيض.

(3) ص58بتصرف من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السعيد الشرقاوى - الطبعة الثانية.

(4) أخرجه ابن ماجه عن عويم بن ساعدة ص372 - من كتاب منهج السنة في الزواج - للأحمدى أبو النور.

[1]. وقد أورد هذا الحديث الشريف عدة صفات للأبكار، تحبب في الزواج منهن وتفضيلهن على الثيبات. فالأبكار طيبات الكلام، وهن أكثر استعدادا للإخصاب والحمل؛ لأنهن لم يلدن من قبل. ومن صفاتهن الطيبة كذلك أنهن بطبيعتهن أكثر بعدا عن المكر والخديعة في التعامل مع أزواجهن دون غيرهن من النسوة. وهن أيضا يرضين دائما باليسير من الرزق والخدمات التي يقدمها لهن أزواجهن. وهن أيضا يتميزن بالأخلاق العزيزة الفاضلة التي منحهن إياها الله العزيز الحكيم. حيث يتوفر لهن بتدينهن التحلى بمبادئ الدين الإسلامى الحنيف وما يأمر به من أخلاق حميدة.

ويتضح ذلك من خلال حديث شريف للنبى صلى الله عليه وسلم حيث قال:{عليكم بالجوارى الشباب فإنهن أطيب أفواها وأعز أخلاقا، وأفتح أرحاما ألم تعلموا أنى مكاثر} [2].

فالأبكار عادة صغار في السن. ويجد أزواجهن يسرا وسهولة في التعامل معهن وتوجيههن الوجهة الشرعية التي يريدونها. وإذا ظهرت بينهم وبينهن في الأفق مشكلة طارئة فسرعان ما يجد الطرفان لها حلا. ويساعدهما على ذلك التزامهما المتبادل بقواعد الدين الإسلامى ومبادئه وتوجيهاته، والأخلاق الكريمة التي يتمتعان بها. فتكون روح التفاهم البناء هى المسيطرة دائما على هذا الكيان الأسرى الصغير مع تواجد حسن النية بين طرفيه..

وقد لفتت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها أنظار الرجال والشباب إلى أهمية الزواج من البكر: فقد سألت رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: قلت يا رسول الله.. أرأيت لو نزلت واديا وفيه شجرة قد أُكل منها، ووجدت شجرة لم

---

(1) نفس الصفحة من المصدر السابق.

(2) رواه سعيد بن منصور من طريق الود بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن مكحول ص94- من كتاب منهج السنة في الزواج.

يؤكل منها - في أيتها كُنتَ تُرْتِعُ بعيرك؟ قال:{في التي لم يرتع منها}. قالت: فأنا هية[1].. فالشجرة التي لم يرتع منها شجرة بكر. وهى في الرعى محببة إلى النفس ومفضلة عن التي ارتُعِيَ منها. تماما كالمرأة التي لم تفض بكارتها بعد. فهى أفضل للشباب المقبلين على الزواج. فأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها توجه الشباب المسلم إلى أن البكر أطيب على النفس في الزواج من الثيب التي سبق لها الزواج. والملاحظ أنها رضى الله عنها كانت البكر الوحيدة بين أمهات المؤمنين، رضى الله عنهن جميعا..

والإسلام رغم اتجاهه إلى تفضيل البكر في الزواج - لايمنع من الارتباط بالثيب واتخاذها زوجة. وخصوصا إذا كانت هناك حاجة شرعية لإمضاء هذا الزواج. كأن يكون الشاب أو الرجل المقبل على الزواج له بنات من زوجة أخرى، وماتت أو طلقت طلاقا بائنا، أو يكون له أخوات صغيرات أو في سن المراهقة، وهو عائلهم الوحيد، فهؤلاء البنات أو الأخوات تحتجن إلى من ترعاهن وتصلح من شأنهن فالإسلام في هذه الأحوال لايمنع المسلم من الزواج من الثيب بل يحسنه ويحث عليه؛ لما لها من خبرة سابقة في تربية البنات والتعامل معهن وتحقيق مطالبهن. ويتضح ذلك من قصة زواج جابر بن عبد الله رضى الله عنهما. ففى الحوار الذي دار بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يؤيد ذلك حيث سأله النبى صلى الله عليه وسلم يوما بعد أن رأى تغيرا في وجهه أو أثر صفرة كما ورد في إحدى الروايات:{أتزوجت يا جابر}؟ قال نعم. قال النبى صلى الله عليه وسلم : {بكرا أم ثيبا}؟ قال جابر بل ثيبا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وتضاجعها وتضاجعك}؟ قال جابر: إن أبى قتل يوم أُحد وترك لى تسع بنات. فلى تسع أخوات فلم أحب أن يجمع إليهن خرقاء مثلهن. وقلت امرأة تقوم عليهن

---

(1) رواه البخارى بسنده عن عائشة ص366، 367 - من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

وتمشطهن. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{صدقت} [1]. فتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر دليل على رضاه عن اختياره الثيب زوجة له نتيجة للظروف الاجتماعية التي كان يمر بها جابر رضى الله عنه وقت اختياره...

ولقد تكرر زواج النبى صلى الله عليه وسلم من الثيب لكن ذلك كان لظروف اجتماعية وسياسية، كلها شرعية وتحقق أهدافا إسلامية كتأليف قلوب غير المسلمين وتشجيعهم على الدخول في الإسلام، وعلى البقاء فيه بعد تركهم عقيدة الشرك. وكإقرار لغرض إنسانى اجتماعى يشجع عليه الإسلام. فزواجه صلى الله عليه وسلم من أم سلمة رضى الله عنها كان لغرض إنسانى اجتماعى بعد أن مات زوجها بعد هجرته إلى المدينة لحاقا برسول الله صلى الله عليه وسلم. وكذلك كان زواجه صلى الله عليه وسلم من أم حبيبة ومن جويرية بنت الحارث وصفية بنت حُيَىّ - لغرض إنسانى واجتماعى نبيل، وتأليفا لقلوب غير المسلمين الداخلين في الإسلام من اليهود والنصارى وتشجيعا لهم على البقاء في الإسلام بعد خروجهم من دائرة الشرك...

وهكذا يقتدى المسلمون برسول الله صلى الله عليه وسلم، رسول الإنسانية كلها، حين يضرب لهم المثل تلو المثل في حب الإسلام ومبادئه والتمسك به والتكيف مع الظروف الاجتماعية التي تمر بالمسلمين وبالمجتمع الإسلامى. وقد حذوا حذوه في التزوج من الثيب إذا كانت هناك ظروف تستدعى ذلك وإلا فالأفضلية للبكر كما سبق توضيحه...

والإسلام بتفضيله للبكر والارتباط بها كزوجة لا يغلق الطريق أمام الثيب. فطريق الزواج مفتوح أمامها على أوسع نطاق.. فهناك الكثيرون من الرجال الذين فقدوا زوجاتهم بموت أو طلاق. ولا ينفعهم إلا الزواج من الثيب. وإذا كان القرآن الكريم قد دعا إلى الارتباط

---

(1) أخرجه البخارى ومسلم في كتاب المغازى، والترمذى. 286/7. واقرأ ص368من كتاب منهج السنة في الزواج - المرجع السابق - خرقاء: لا تحسن تدبير أمورها في كل الأحوال.

بالبكر وعدد صفاتها الحميدة - فإنه تحدث عن الثيب وقدمها على البكر في قوله تعالى:{ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا } [التحريم: ٥]. وذلك لدورهن في استقرار كثير من بيوت الرجال الذين فقدوا زوجاتهم نتيجة لظروف اجتماعية خارجة عن إرادتهم.

وخلاصة القول أن من أتيحت له فرصة الزواج من البكر فقد سار على منهج الإسلام. ومن فضل الثيب لظروف اجتماعية مشروعة - كالتى ذكرنا سابقا أمثلة منها، فقد سار كذلك على النهج الإسلامى الصحيح. والله الهادى إلى سواء السبيل.

* * *

الفصل الخامس:
تفضيل المرأة الولود في الزواج

جعل الله سبحانه وتعالى المال والبنون زينة للحياة الدنيا. يقول عز وجل:{ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ }[الكهف: ٤٦]. وليس لهذه الزينة الدنيوية إلا طريق واحد هو اللجوء إلى الله تعالى وطاعته. فهو طريق آمن يجعل هذه الزينة نافعة في دارى الدنيا والآخرة. فالطاعة الدائمة لله رب العالمين ولرسوله الأمين صلى الله عليه وسلم والاستغفار الدائم من الذنوب هما خير السبل الموصلة إلى المال والبنين. ولذا يقول الحق تبارك وتعالى على لسان نوح عليه السلام:{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } [نوح: ١٠ - ١٢]. فالعليم الخبير سبحانه خالق النفوس الإنسانية، يعلم أن هذه النفوس تميل دائما إلى الولد. ولذلك دلها سبحانه وتعالى على أفضل الطرق المؤدية إلى الفوز بهذا الشطر من الزينة الدنيوية وهو الولد بل بالشطرين معا - المال والبنون.

وهذا الطريق هو طاعة الله القادر على كل شيء والإكثار من الاستغفار فالنفس الإنسانية تخطئ بالليل والنهار وربها الخالق العظيم يغفر الذنوب جميعا وفى لفتة كريمة يلقى مزيدا من الضوء على هذه الفكرة، الإمام زين العابدين محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم، فقد وضح رضى الله عنه أحد الجوانب المطلوبة لإنجاب الولد، الذي تتطلع إليه أفئدة كثير من الناس. فقد أتاه رضى الله عنه رجل يسأله النصيحة لإنجاب الولد، فقال له: أكثرْ مِنَ الاستغفار. ففرح الرجل بالنصيحة وانصرف. لكنه سأل نفسه في الطريق: لقد طلبت منه نصيحة لإنجاب الولد فدلنى على كثرة الاستغفار. فما هى العلاقة بين الاستغفار وإنجاب الولد؟! ولما عجز عن إدراك هذه العلاقة والإجابة عن السؤال الذي طرحه على نفسه - عاد إلى شيخه الناصح ليستفسر

منه عن تلك العلاقة. فأجابه الشيخ الناصح بقوله: يا هذا ألم تقرأ قوله تعالى:{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا } [نوح: ١٠ - ١٢]. فانصرف الرجل وهو سعيد بما سمع من شيخه[1].

وإذا كان الإسلام قد دل المسلم على طريق التمتع بزينة الحياة الدنيا - فقد بين الله في نفس الوقت أن زينة الحياة الدنيا - المال والبنون - سلاح ذو حدين فهو عادة يجلب النفع والخير لكنه قد يجلب الشر إذا لم يحسن الإنسان استخدامه. فقد ينصرف المسلم ضعيف الإيمان بهذه الزينة عن ذكر الله الخالق الرازق وينسى الطريق إليه سبحانه وينشغل بماله وبنيه عن طاعة الله عز وجل والاستغفار الدائم له. وهنا يحذرنا المولى الكريم من هذا الانشغال والانصراف عن ذكر الله وطاعته واستغفاره. فيقول جل شأنه:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [المنافقون: ٩]. ويقول أصدق القائلين سبحانه:{ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } [التغابن: ١٥]. وهذا تحذير للمسلمين والمسلمات من الانشغال بهذه الفتنة عن ذكر الله عز وجل.

وكما أشار القرآن الكريم إلى أهمية الولد في حياة الإنسان - كذلك أشارت السنة النبوية الكريمة إلى ذلك. فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول:{الولد ثمرة القلب، وإنه من ريحان الجنة} [2]. ويشير صلى الله عليه وسلم إلى بعض فضل الولد على والده في الدنيا فيقول صلى الله عليه وسلم :{لا يدع أحدكم طلب الولد، فإن الرجل إذا مات وليس له ولد

(1) نقلا عن الشيخ إبراهيم جلهوم، إمام مسجد السيدة زينب بالقاهرة رحمه الله.

(2) رواه الترمذى ص156، من كتاب مختار الأحاديث النبوية، حرف الواو، للمرحوم الشيخ سيد أحمد الهاشمى.

انقطع اسمه} [1].. وهناك أقوال أخرى لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر وردت في كتب السنة النبوية المباركة. ورغم هذا لم تغفل السنة الكريمة عن ذكر فضل البنت على أبويها والحث على عدم كراهية إنجاب البنات ونبذ هذه الفكرة الجاهلية.

ومما ورد في ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم :{من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهذا، وضم أصبعيه} [2]. وقوله صلى الله عليه وسلم :{من كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن وعلى ضرابهن دخل الجنة}. وفى رواية: فقال يا رسول الله واثنتين؟ قال:{واثنتين}، قال يا رسول الله وواحدة؟ قال:{وواحدة} [3]. وقوله صلى الله عليه وسلم :{من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته كن له حجابا من النار} [4]...

وهكذا نجد كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة تحدثت عن فضل إنجاب البنات وتربيتهن والإحسان إليهن والصبر عليهن وأثبتت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جزاء ذلك هو الفوز بالجنة ونعيمها والنجاة من النار ولهيبها وذلك هو الفوز المبين.

ولكل ما سبق حرصت السنة النبوية الكريمة على التنبيه إلى فضل وتفضيل المرأة الولود في الزواج. ومن ذلك ما ورد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالباءة وينهى عن التبتل نهيا شديدا ويقول:{تزوجوا الودود

---

(1) رواه أحمد بسند حسن145/16، من الفتح الرباني. والبيهقي في السنن 81/7 - 82 ص90 - من كتاب منهج السنة في الزواج.

(2) ورد في صحيح مسلم عن أنس بن مالك ص16، من تحفة المودود بأحكام المولود - لابن القيم الجوزية.

(3) ص17من كتاب تحفة المودود بإحكام المولود - لابن قيم الجوزية.

(4) رواه الإمام أحمد في مسنده ص18 - من كتاب تحفة المودود - جدته: ماله وثروته. ويقال كلما جدد له ولأسرته الثياب جدد لبناته.

الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة} [1]. ويقول صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن أيضا:{لا تتزوجوا عجوزا ولا عاقرا فإني مكاثر بكم الأمم} [2].

فهنا نهى من رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين والمسلمات عن أن يزوجوا أبناءهم عجوزا أو عاقرا. فالعجوز لا تلد عادة والعاقر جربت ولم تلد. والاستثناء الوحيد هنا أن تتدخل إرادة الله فتكتب لهما أو لإحداهما الإنجاب. ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{خير نسائكم العفيفة الغلمة، عفيفة في فرجها غلمة على زوجها} [3].

وتعرفُ الناسِ على المرأة الولود لاصعوبة فيه على الإطلاق. فالمرأة الولود تُعرفُ أولا بسلامتها العامة من الأمراض والعلل. وتعرف كذلك بأحوال أمها وأخواتها وعماتها وخالاتها اللائى يتصفن بهذه الصفة. وقد قطع الطب شوطا كبيرا في هذا المجال. فيمكن الرجوع إلى الأطباء المتخصصين لمعرفة المرأة الولود. وخصوصا إذا دعت الحاجة إلى ذلك. فقد تبدو البنت أو المرأة سليمة من الأمراض والعلل، وكذلك قريباتها، ومع ذلك لا تنجب. وعادة ما يكون السبب في ذلك علة في الرحم أو البويضة أو نحو ذلك من الأمور المتصلة بعدم الإنجاب. ويعالج الطب الآن الكثير من هذه الأحوال. واللجوء إلى الطب هنا واجب حتمى وشرعى. حتى تنتفى تهمة الإهمال عن الزوج والزوجة في هذا المجال الحيوى لسعادة الأسرة.

---

(1) رواه الإمام أحمد وأبو حاتم في صحيحه. ص10 من كتاب تحفة المودود بأحكام المولود - لابن قيم الجوزية. والتبتل: الإقبال على العبادة والبعد عن الزواج.

(2) رواه الطبراني في الكبير والحاكم في مستدركه ص54 - من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى - العاقر: التي لا تلد أى العقيم.

(3) رواه الديلمى عن أنس - الغلمة: شديدة الشوق إلى جماع زوجها دائما. ص74 من كتاب مختار الأحاديث النبوية

هذا بالإضافة إلى تجنب الزواج من القرابة القريبة أو البعيدة إذا كان هناك مرض خطير لايمكن إغفاله عند المرأة المرشحة للزواج من قريبها، أو عند الرجل المرشح للزواج من قريبته، أو وُجدت شبهة مرض خطير عند أحد الطرفين أو أقاربه يمكن أن ينتقل عن طريق الوراثة كما سبق توضيحه. ويجب كذلك تجنب أصحاب العاهات والعلل والأمراض المتصلة بالإنجاب من الأقارب ذكورا أو إناثا. فالكثرة الضعيفة المهددة دائما بالأمراض والعلل، تكون عبئا على الأسرة المسلمة والمجتمع الإسلامى. وهنا تكون أهمية الاختيار وتبرز أسسه. فيختار الزوج المناسب القادر على الكسب وعلى رفع مستوى الدخل والإنتاج لأسرته الناشئة وبالتالى رفع مستوى الأمن لها من كافة الوجوه. فإذا حدث ذلك وحسُن الاختيار - أحست الأسرة الوليدة فعلا بالسعادة المرجوة في ظل كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم...

ومع السلامة العقلية والجسمية وفي ظل هذه السلامة العقلية والجسمية للزوجين يبقى الأمل قائما في ثمرة هذا الزواج وهى الذرية الصالحة التي يأمل الطرفان في الوصول إليها. فهى هدف أساسى تسعى إليه كل أسرة يكتب لها التكون والبقاء. وصدق ربنا العظيم حيث يقول في صفة من صفات عباد الرحمن{ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ } [الفرقان: ٧٤].. وهذا التكاثر القوى هو الذي يستحق أن يباهى به رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره من الرسل والأمم يوم القيامة. فالواجب إذن أن تجعل الأسر الناشئة هذا التكاثر ذا قوة وسعادة. فالكثرة هنا تكون محمودة. ويحذرنا الإسلام من الكثرة المذمومة التي لا قوة فيها ولا سعادة. ويصور لنا القرآن الكريم هذه الكثرة المذمومة في الغرور الذي أصاب المسلمين قبل غزوة حنين. يقول جل شأنه:{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ } [التوبة: ٢٥] الآية. إذ لما أُعجِبَ المسلمون بكثرتهم في هذا اليوم وقالوا: لن نُغلب اليوم من قلة، وكانوا اثنى عشر ألفا ولم يتجاوز عدد عدوهم أربعة آلاف - ضاقت

عليهم الأرض رغم اتساعها لشدة خوفهم من عدوهم رغم قلة عَدده وعُدده لأنهم كانوا كثرة ضعيفة مشغولة عن الجهاد بمتاع الدنيا فولوا أدبارهم هاربين منهزمين.. قيل للبراء بن عازب: أفررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين؟ فقال البراء: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر، ولقد رأيته على بغلته البيضاء - وأبو سفيان آخذ بلجامها يقودها - فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول:{أنا النبى لا كذب.. أنا ابن عبد المطلب}. ثم أخذ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين وقال:{شاهت الوجوه} ففروا، فما بقى أحد إلا ويمسح القذى عن عينيه [1]. وقال البراء شاهدا على شجاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورباطة جأشه في ساعات الشدة والخوف: " كنا والله إذا حمى البأس نتقى برسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن الشجاع منا الذي يحاذيه " [2]..

فهذا الموقف المتخاذل الذي وقفه المسلمون في حنين كان بسبب غرورهم. فقد رهبوا عدوهم وخافوا منه رغم كثرة عَددهم وقلة عَدده. وقد أوصلهم إلى ذلك غرورهم بكثرة عددهم. ولو كان هؤلاء المشتركون من المسلمين في حنين كثرة قوية ما رهبوا عدوهم القليل في عدده.. وقد صور القرآن الكريم في موقف آخر هذا التكاثر الضعيف في الأموال والأولاد بالغيث الذي يعجب الكفار نباته ثم يهيج فيروه مصفرا، ثم يكون حطاما، لا قيمة له. فهو تكاثر هش لا يفيد الأسرة ولا المجتمع الإسلامى، بل يكون عبئا ثقيلا عليه. وهو يشغل الإنسان عن طاعة الله ورسوله، بالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة، فهو يفاخر غيره من الناس في حطام الحياة الدنيا الفانية. وقد امتد هذا التفاخر بين الناس مؤخرا إلى القبور التي يدفنون فيها بعد موتهم. كما قال الشاعر:

---

(1) الطبرى103/1. واقرأ القسم الخامس من كتاب صفوة التفاسير ص14 - تفسير سورة التوبة - للشيخ المرحوم محمد على الصابونى - الطبعة الأولى.

(2) نفس الصفحة من المرجع السابق.

أرى أهل القبور إذا أميتوا ::: بنوا فوق المقابر بالصخور
أبوا إلا مباهاة وفخرا ::: على الفقراء حتى في القبور

وقد قال ابن عباس رضى الله عنه في هذا التفاخر والتكاثر في الأموال والأولاد: " يجمع المال في سخط الله، ويتباهى به على أولياء الله، ويصرفه في مساخط الله، فهو ظلمات بعضها فوق بعض " [1]. وذلك هو حال الدنيا ومتاعها الزائل الذي يغتر به وينصرف إليه كثير من الناس، تاركين العمل من أجل الآخرة الباقية في الجزاء والثواب.. تلك الكثرة المنغمسة في الشهوات والملذات كثرة ضعيفة ضائعة لا يرجى من ورائها خير ويقول ربنا عز وجل في ذلك:{ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [الحديد: ٢٠].

فالكثرة المطلوبة هى القوية في إيمانها وسلامة أجسامها وعقولها وعلمها وأخلاقها وعملها الصالح. فإذا كانت كذلك فهى الكثرة المستحقة لأن يباهى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم غيره من الرسل والأمم يوم القيامة.. وقد دعانا القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة إلى الكثرة القوية. وحذرنا كلاهما من الكثرة الضعيفة التي يقول النبى صلى الله عليه وسلم فيها:{يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها} قالوا: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال:{لا أنتم يومئذ كثير.. ولكنكم

---

(1) التفسير الكبير للرازى 233/29. وانظرص82من القسم السابع عشر من كتاب صفوة التفاسير - الطبعة الأولى.

غثاء كغثاء السيل} [1]. فقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين وقت أن تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها بأنهم كثرة ضعيفة كغثاء السيل لا تقوى على ما يصادفها من تيارات القوة التي تجرفها في طريقها غير مكترثة بكثرتها.

وفى هذا السياق وفيما يتصل أيضا بالذرية وجَعْلِها ذرية قوية نافعة - نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن وطء الزوجة المرضع التي قد تحمل فتضيف ثقلا وعبئا جديدا إلى طاقتها المرهقة بالرضاع. وقد لا يكون في إمكانها أن تتحمل هذا العبء فينشأ نسلها ضعيفا هزيلا. فيزيد إلى ضعف الأسرة والمجتمع ضعفا جديدا. وسيأتى الحديث مفصلا عن الغيل الذي حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين والمسلمات منه. حتى لا يكون النسل ضاويا هشا لا حول له ولا قوة...

* * *

(1) رواه أبو داود الطياليسى في مسنده عن ثوبان 133/4. وانظر منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور ص504. غثاء السيل: ما يتركه السيل من شوائب ومواد لا قيمة لها ولا تقوى على مقاومة تيار السيل.

الفصل السادس:
تفضيل واختيار المرأة الجميلة

مقدمة[1]:

الجمال غالبا مبهر للنفس الإنسانية. فهى متعلقة به، وتعبر عنه بكل أنواع التعبير الممكنة. ويتنوع الجمال؛ فقد يكون ماديا، وقد يكون معنويا. فالجمال المادى يتضح في الألوان والأشكال الطبيعية والصناعية. فالطبيعة تحمل الكثير من ألوان الجمال وأشكاله. وقد عبر الإنسان كثيرا عن جمال الطبيعة، وخصوصا الشعراء العرب الذين جعلوا الشعر ديوانا لهم. فقد كانوا يعبرون عن كل شيء هام في حياتهم بالشعر. فهذا شاعر عربي من شعراء العصر العباسى يصف جمال الربيع وأثره على الورود والرياحين، وعلى الإنسان نفسه صاحب الحس المرهف الذي عبر عن ذلك. يقول البحترى:

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ::: من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النيروز في غسق الدجى ::: أوائل ورد كن بالأمس نوما

وأما الجمال المعنوى فيختلف من شخص لآخر، فما يراه هذا جميلا، قد لا يراه الآخر كذلك، وما يراه الآخر قبيحا، قد يراه غيره جميلا، وهكذا. فمعيار هذا الجمال المعنوى يختلف من إنسان لآخر. وقد يقنع إنسا بجمال مرئىّ، ويقنع آخر بجمال مسموع؛ فقد كان الشعراء القدامى من العرب يصفون الجمال المرئى عند المرأة. فمنهم من يصف عينها، ومنهم من يصف ريقها، ومنهم من يصف خاصرها. فهذا جرير، على سبيل المثال، يقول واصفا محبوبته ومركزا قوله في عينيها:

---

(1) أمثلتها وشواهدها مأخوذة من كتاب تحفة الطلاب في تاريخ الآداب. الطبعة الثانية 1932م من ص45 إلى ص198.

إن العيون التي في طرفها حور[1] ::: قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له ::: وهُنَّ أضعف خلق الله إنسانا[2]

وإذا كانت العين والنظر هما الطريق المعتاد إلى الإعجاب المتبادل بين الرجال والنساء - فإن البعض يعشق بالأذن، فيبرز ما يوضحه الصوت من محاسن صاحبة الصوت، ويميز محبوبة على أخرى بصوتها وطريقتها المسموعة في الكلام، ويفضلها على غيرها. فهذا بشار بن برد يقول:

يا قوم أُذْنى لبعض الحى عاشقة ::: والأُذْنُ تعْشِق قبل العين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تَهْذِى فقلت لهم ::: الأذن كالعين توفى القلب ما كانا

وعلى ذلك يمكن للأذن أن تؤدى نفس الدور الذي تقوم به العين في مجال تمييز المحبوب، ومن تهواه، وما تهواه. ومن هنا اعتبر علماء الإسلام سماع الأغانى النسائية الخليعة ولهجة بعض النساء والبنات الخارجة عن حدود أدب الحديث - من مقدمات الزنى[3] ومحرم مثله..

ولم ينفرد الغزل الفاحش في ساحة الشعر. فقد وجد إلى جانبه الغزل العذرى العفيف

---

(1) إنسان العين: ناظرها أى سوادها الذي تتم الرؤية به.

(2) الحور: شدة بياض العين في شدة سوادها.

(3) وردت كلمة الزنى في القرآن الكريم بالمد بالياء حسب القاعدة اللغوية. لكنها وردت في كثير من كتب الحديث بالمد بالألف. واحتراما لنقل النصوص من كتب الحديث نكتبها فيها كما سجلتها تلك الكتب. ونكتبها في أسلوبنا نحن بالمد بالياء حسب القاعدة اللغوية.

الخالى من الإثارة ووصف جوانب الجمال عند المرأة. وقد شكل هذا الغزل العذرى مرحلة انتقال بين ظهور الغزل وانتقاله وبين فتوره وانحساره. وهذا أبو نواس يقول في محبوبته قولا خاليا من الألفاظ الفاضحة:

وذاتُ خد مُوَرَّدْ ::: فِضِّيَةَ المتجرد

ومن ذلك أيضا قول ذى الرمة الشاعر المضرى الذي وجد الجمال يكمن في الاستتار فقال في محبوبته:

تمامُ الحجِّ أن تقف المطايا ::: على خرقاء واضعة اللثام(1)

وفى قوله دعوة إلى التستر وعدم السفور. فمحبوبته المفضلة تضع اللثام على وجهها لتستره عن أعين الناظرين. ونجد هذا الشاعر نفسه عندما يحس بقرب وفاته يرجع إلى ربه ويسأله سبحانه أن يزحزحه عن النار فيقول:

يا قابض الروح عن نفسى إذا احتضرت ::: وغافر الذنب زحزحنى عن النار

ومن تلك المقدمة ندرك أن الإسلام قد بدأ يتغلغل بتعاليمه في نفوس العرب المسلمين. فإذا بهم في النهاية يعرضون عن هذا الغزل الفاضح بل يتركون الغزل بكافة أشكاله وينصرفون إلى أغراض أخرى كثيرة، كانت أنفع لهم ولغيرهم من الناس. ووجدنا كثيرا من الشعراء الذين عاصروا بداية الإسلام يتأثرون بتعاليمه النافعة وينعكس تأثرهم بها على شعرهم. كما فعل ذو الرمة السابق ذكره فقد اقتبس من القرآن الكريم ما جمل

---

(1) الحج: القصد - خرقاء: غير ماهرة في السفور فهى تضع اللثام على وجهها. والمتجرد: الجسم.

به شعره، فقوله في بيته السابق: " زحزحنى عن النار " - متأثر بقوله تعالى:{ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران: ١٨٥] الآية. بل إن كثيرا من الشعراء قد انصرفوا عن الشعر وخصوصا بعد أن اقتنعوا بصدق الله عز وجل في وصف الشعراء بقوله تعالى:{ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ } [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧]. وبذاك حلت قوة إيمان المؤمن والتزامه بتعاليم الدين الإسلامى وتوجيهاته - محل التأثر بالشعر وشطحاته التي قد تبعد الإنسان عن الإيمان بالله ورسوله وعن الأخلاق الفاضلة التي يجب التحلى بها وبعد أن كان الشاعر يوجه نظراته الفاحصة النافذة إلى المرأة فيصف كل مواطن الجمال فيها - أصبح كثير من الناس يلتمسون نصائح وإرشادات الإسلام في هذا المجال بعد الاقتناع برسالة الإسلام العادلة النافعة..

وقد حذر الإسلام - قرآنا وسنة - من تتبع النساء والبنات بالنظرات. ووضع لأتباعه من الشباب وغيرهم برنامجا مباركا لتجنب الزنى ومقدماته التي أولها النظرة النافذة. والمرجو أن يسير كل مسلم ومسلمة حسب هذا البرنامج وتوجيهاته، حتى ينجو الجميع من هذا الخطر المدمر، خطر الوقوع في الزنى والبعد عن تعاليم الإسلام وإرشاداته.

ففى القرآن الكريم يحذرنا ربنا وخالقنا جل شأنه من تتابع النظر إلى النساء والبنات. فإذا كانت النظرة الأولى تأتى في الغالب عفوا - فإن النظرة الثانية وما بعدها تدل على الإصرار على المخالفة والسير في بداية طريق الخطيئة. والأوْلى أن يغض المؤمن بصره، وتغض المؤمنة بصرها. وفى هذا يقول ربنا الكريم:{ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ

يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [النور: ٣٠ - ٣١]. فبالإضافة إلى الأمر الموجه إلى النساء بغض البصر وعدم إبداء زينتهن للرجال إلا الظاهر منها فقط - أمرهن العزيز الكريم بإلقاء خمرهن - وهى أغطية رءوسهن - على صدورهن لئلا يبدو شيء من النحر والصدر فيطمع الذي في قلبه مرض. فعن عائشة رضى الله عنها: أنها قالت: " يرحم الله النساء المهاجرات الأُوَل لما أنزل الله{ںڻڻڻ} شققن مروطهن فاختمرن بها " [1]. قال المفسرون: " كانت المرأة في الجاهلية - كما هى اليوم في الجاهلية الحديثة - تمر بين الرجال مكشوفة الصدر، وبادية النحر، حاسرة الذراعين، وربما أظهرت مفاتن جسمها وذوائب شعرها لتغرى الرجال، وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى صدورهن مكشوفة عارية، فأُمِرَت المؤمنات بأن يلقينها من قدامهن حتى يغطينها ويدفعن عنهن شر الأشرار " [2].

وقد لاحظنا ولاحظتم معنا في الآيتين الكريمتين السابقتين أن أمْر النساء بحفظ فروجهن مسبوق بأمر بغض البصر من الرجال والنساء على حد سواء. وبالإضافة إلى ذلك أمر النساء المؤمنات بألا يبدين زينتهن الخفية إلا لمحارمهن المذكورين في الآية الثانية وهم

---

(1) أخرجه البخارى ص17من القسم العاشر من كتاب صفوة التفاسير - تفسير سورة النور - المروط: جمع مِرط وهو كساء من خز أو صوف أو كتان تتلفع به المرأة.

(2) نفس الصفحة من المرجع السابق. النحر: أسفل الرقبة من الأمام - حاسرة: مكشوفة - ذوائب الشعر: الشعر المحاذى للأذنين - يسدلن: يلقون.

اثنا عشر محرما. وهؤلاء المحارم المصرح لهم بجواز النظر إلى زينة المرأة الخافية عن النظر وليس إلى شيء من عورتها كما قد يظن البعض - هم: الأزواج، وآباء الزوجات، وآباء الأزواج، وأبناء الزوجات، وأبناء الأزواج، وإخوة الزوجات، وأبنائهن، وأبناء أخوات الزوجات، ونسائهن المسلمات وليست المشركات، وما ملكت أيمانهن من الإماء المشركات لأنهن إماءهن، والخُدَّام غير أولى الميل والشهوة والحاجة إلى النساء كالبله والحمقى والمغفلين الذين لا يدركون من أمور الجنس شيئا. قال مجاهد: هو الأبله الذي يريد الطعام ولا يريد النساء ولا يهمه إلا بطنه، والأطفال الصغار الذين لم يبلغوا حد الشهوة ولا يعرفون أمور الجماع لصغرهم(1).. ويقول الرحمن الرحيم سبحانه:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [الأحزاب: ٥٩]. وفى الآية الكريمة أمر لنساء المؤمنين أن يلبسن الجلباب الواسع (العباءة) الذي يستر محاسنهن وزينتهن ويميزهن عن نساء الجاهلية.

روى الطبرى عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: " أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة "[2].. وكانت البغايا في الجاهلية تلبسن الثياب القصيرة الضيقة المبينة لمفاتن أجسادهن فينجذب إليهن أمثالهن من الشباب والرجال الذين يميلون إلى فعل الفاحشة. فلما جاء الإسلام حذر المسلمات من ذلك، وأمر المسلمين ألا تخرج نساؤهم وبناتهم إلى الشوارع والطرقات بهذه الصورة الخبيثة المزرية، حتى لا يقعن في قبضة الشيطان وأعوانه المزينين للزنى[3]..

---

(1) نفس الصفحة من المرجع السابق.

(2) ص72من القسم12من كتاب صفوة التفاسير - سورة الأحزاب - للشيخ المرحوم محمد على الصابونى بتصرف.

(3) نفس الصفحة من المصدر السابق.

وقد حرّم الله الزنى بكافة صوره وأشكاله كما حرم مقدماته، ومن أهم هذه المقدمات النظرة النافذة التي تتكرر من التعساء وتوقعهم في دائرة الخطر. فهذه النظرة محظورة لأنها عادة ما يتبعها ابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء. وهذا اللقاء غير الشرعى يمثل خطورة قصوى على مستقبل الرجل والمرأة والشاب والفتاة. فتلك النظرة المشار إليها محظورة كالقبلة وكالاستغراق في التفكير في المحاسن المرئية للمرأة أو البنت، وكتمنى أو تخيل الجماع بين الناظر والمنظورة وكسماع صوت الأنثى الخليع والاستمتاع به وبطريقتها الخليعة في الكلام وكاقتناء الصور العارية للنساء والفتيات التي تنشرها بعض الصحف الأجنبية وبعض المجلات الخليعة. فاقتناء كل ذلك من مقدمات الزنى. وقد حرمه الإسلام كما حرم الزنى. وقد ورد هذا التحريم في قوله تعالى:{ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا } [الإسراء: ٣٢]. فالاقتراب من الزنى يكون بفعل مقدماته التي تحدثنا عنها وهى محرمة بتحريمه...

وفى مجال السنة النبوية المباركة نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر الشباب والشابات المسلمين والمسلمات من مقدمات الزنى للابتعاد عنها كخطوة هامة على طريق الامتناع عن الزنى، فيقول صلى الله عليه وسلم :{إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة. فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق، والنفس تتمنى وتشتهى، والفرج يصدق ذلك كله ويكذبه} [1]. وبالقياس يمكن القول: وزنى الأذن السماع.

ويرسم لنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم طريق النجاة من هذا الخطر الداهم فينبه من لا يملك باءة الزواج إلى الطريق المفيد، فيقول صلى الله عليه وسلم :{يا معشر

---

(1) أخرجه البخارى عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم في كتاب الاستئذان - باب زنا الجوارح دون الفرج ص225 من ج3 من صحيح البخارى.

الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء} [1].. ونظرا لأن المتزوج نفسه قد يقع في هذا الخطأ الممقوت - نجد الرسول صلى الله عليه وسلم الحريص على سلامة أمته من هذا الزلل - يتابع إرشاد المسلمين المتزوجين إلى الطريق المنجى من هذا المنزلق الخطير، فيقول صلى الله عليه وسلم :{إذا رأى أحدكم امرأة حسناء فأعجبته فليأت أهله، فإن البضع واحد ومعها مثل الذي معها} [2] وفى رواية أخرى يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه}[3]. وقد روى جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى امرأة، فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال صلى الله عليه وسلم :{إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته، فليأت أهله، فإن معها مثل الذي معها} [4]. ويكمل لنا الرسول الإنسان صلى الله عليه وسلم طريق السلامة من الافتتان بالنظر إلى النساء فيقول صلى الله عليه وسلم :{ما من مسلم ينظر إلى امرأة أول رمقة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه} [5].

---

(1) رواه الجماعة حرف الياء ص160 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى - الباءة: مصاريف الزواج ومستلزماته ومسؤلياته - وجاء: حافظ.

(2) رواه الخطيب عن عمر ص13، من مختار الأحاديث النبوية.

(3) رواه مسلم ص23من المصدر السابق.

(4) رواه مسلم والترمذى واللفظ له وقال حسن صحيح ص33، من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى تحقيق محمد عثمان الخشت - يونيو 1984م.

(5) رواه أحمد ص34، من كتاب مختار الأحاديث النبوية.

كما يحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء اللاتى يلفتن أنظار الرجال والشباب بتبرجهن وملابسهن الفاضحة فيقعون في شباك الخطيئة فيفتِنَّ الرجال والشباب ويفتَتِنَّ بهم. ويكون مصير هؤلاء وأولئك إلى النار وبئس المصير، فيقول صلى الله عليه وسلم :{صنفان من أهل النار لم أرهما بعد: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس. ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات. رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة. لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها. وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا}[1]..

وفى رواية:{وإن ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة سنة} [2]. كما حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنف من النساء تبدو إحداهن جميلة لكن منبتها منبت سوء نشأت وتربت في بيت سوء. وقدسبق أن ذكرنا حديثه صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن.{إياكم وخضراء الدمن}، قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال:{المرأة الحسناء في المنبت السوء}..

وللاحتياط والحذر من مقدمات الزنى المؤدية إليه - يحذر صلوات الله وسلامه عليه المسلمين والمسلمات من عدة أمور تُدْخِلُ فاعِلَها في محيط مقدمات الزنى. وذلك حتى يحتاط المسلمون جميعا من خطر هذا الداء العضال. ومما ورد في ذلك: " نهى صلى الله عليه وسلم أن تُكلَّمَ النساءُ إلا بإذن أزواجهن " [3]. حتى لا يتدخل الشيطان بين الرجل والمرأة إذا رآهما منفردين.. كما يحذر المصطفى صلى الله عليه وسلم المسلمين والمسلمات من أن يتمطى الرجل عند نساء غيرِ زوجته منعا لتدخل الشيطان الرجيم. وقد ورد نهيه صلى الله عليه وسلم عن ذلك فيما رواه الدارقطنى عن أبي هريرة: " نهى

---

(1) رواه أحمد عن أبي هريرة ص90 - حرف الصاد - من كتاب مختار الأحاديث النبوية - البخت: النياق.

(2) موطأ مالك ص569 - الشعبية.

(3) رواه الطبرانى ص34 - من مختار الأحاديث النبوية.

صلى الله عليه وسلم أن يتمطى الرجل في الصلاة، أو عند النساء إلا عند امرأته " [1]. ومن هذا القبيل تحذير النبى صلى الله عليه وسلم لعامة المسلمين من الجلوس في الطرقات وتصويب النظر إلى الرائحات والغاديات في قوله صلى الله عليه وسلم :{إياكم والجلوس على الطرقات}، قالوا: ما لنا بد. إنما هى مجالسنا نتحدث فيها، قال:{فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها}، قالوا: وما حق الطريق؟ قال:{غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر} [2]..

وهذا البرنامج الإسلامى المتكامل للقرآن الكريم والسنة النبوية المباركة والذى تحدثنا عنه وأوردنا الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الالتزام به - يشكل حاجزا منيعا للمسلم والمسلمة عن الوقوع في الزنى نتيجة النظر والتعمق والتفكر فيما وراء جمال المرأة ومفاتنها. وهو في الوقت نفسه مساهمة إيجابية لإشاعة جو السعادة والاستقرار في الأسرة المسلمة، لو اتبعت التوجيهات السابقة ونفذتها كما أمر الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وبعد كل التوجيهات والتحذيرات الواردة في نطاق البرنامج الإسلامى في الكتاب والسنة لعدم التورط في الزنى، بالوقوع في مقدماته المحرمة مثله، نقول: إن اختيار المرأة الجميلة للزواج، لا بأس به، إذا اقترن جمال المرأة بالتزامها بمبادئ الدين الإسلامى وتوجيهاته السامية بالإضافة إلى أخلاقها الحميدة المقتبسة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وإذن فجمال المرأة وحده لا يكفى لتكوين أسرة سعيدة. لأنه سينتهى، شأنه شأن كل المتع في الحياة الدنيا. فلابد مع الجمال من التحلى بمبادئ الدين الإسلامى الحنيف وتوجيهاته في شتى الميادين، ولابد كذلك من التزين بالأخلاق الحميدة التي يدعو إليها الإسلام. وهذا هو ما يعرف بالجمال المعنوى، جمال الروح.

---

(1) ص154من مختار الأحاديث النبوية.

(2) رواه البخارى ص52، 53 - من مختار الأحاديث.

والنفس المسلمة تتأثر بجمال المبادئ الإسلامية فتأخذ بما فيها من توجيهات وإرشادات، تحد من الشهوة وتوجهها توجيها صحيحا ينفع ولا يضر. وبهذا يتم التفاعل بين الجمال الخِلْقى والجمال الخُلُقى. فالمرأة المتمسكة بمبادئ الإسلام وتوجيهاته - سيكون إسلامها وإيمانها وأخلاقها الحميدة والتزامها بما تدعو إليه هذه التوجيهات والمبادئ - حافزا لها على الاعتدال في أقوالها وأفعالها وأدائها لوظيفتها كزوجة مسلمة وربة بيت مسلم. فهى راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها. تؤدى حق زوجها وحقوق أولادها وبناتها خير الأداء. ولهذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيها سداد من عوز} [1]. أى أنه لا بأس بجمال المرأة الزوجة مع تمسكها بدينها الإسلامى الذي يوجه أقوالها وأفعالها وجهة إسلامية نافعة. كما يشير الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى أمر هام في هذا المجال، وهو ألا يفضل جمال المرأة على دينها لأن الزواج لو قام على ذلك كان تصرفا دنيويا لا نصيب فيه من العمل من أجل الدار الآخرة. حيث يكون تصرف الزوجة حينئذ غير مأمون، وذلك لاحتمال عدم التزامها بالدين الإسلامى وتوجيهاته وأخلاقياته. فالالتزام بمبادئ الدين الإسلامى يزن تصرفات الزوجة ويجعلها دائما نافعة غير ضارة. ولهذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{لا يُخْتَارُ حسن وجه المرأة على حسن دينها} [2]. أى يجب أن يتم اختيار الزوجة بحيث لا يتفوق على تدينها وأخلاقها الحميدة جمال ولا غنى ولا حسب ولا غير ذلك من الأمور المفضلة دنيويا.. وفى حسن الوجه والجمال المادى مع الالتزام بالدين والأخلاق الفاضلة يقول الشيخ أبو حامد الغزالى: " إذا كانت المرأة حسناء خيرة الأخلاق محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه، فهى على صورة الحور العين سوداء الحدقة

---

(1) أخرجه الشيرازى في الألقاب عن ابن عباس عن أبي سعيد الخدرى ص63، من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

(2) رواه الديلمى عن عباده بن الصامت. نفس الصفحة من المصدر السابق.

والشعر كبيرة العين بيضاء اللونَ. فإن الله وصف نساء أهل الجنة بهذه الصفة[1]، في قوله تعالى:{ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ } [الرحمن: ٧٠]، وفى قوله تعالى:{ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ } [الرحمن: ٥٦]، وفى قوله تعالى:{ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ } [الواقعة: ٣٧].. فالحور العين نساء صالحات كريمات الأخلاق، حسان الوجوه. وهن نساء قصرن النظر بأعينهن على أزواجهن فلا يرين غيرهم كما هو حال المخدرات العفائف. وهن متحببات لأزواجهن عاشقات لهم، يشتهينهم دائما. وهن كذلك مستويات في السن.. فإذا عثر زوج سعيد على زوجة تجتمع فيها هذه الصفات أو غالبيتها - فلا شك أنه سَيُكَوِّنُ أسرة سعيدة معها.. وإذا فضل المقبل على الزواج المال والحسب على الدين - فإن النتيجة ستكون فشلا وضياعا وتعاسة. وإذن فالنتيجة الحتمية للزواج من امرأة يزيد مالها وحسبها وجمالها على دينها - هى الفقر والذل والدناءة. لأن الدين قوام الحياة الزوجية وقوام سعادتها وبقائها حتى الأجل المحدود عند الله تبارك وتعالى.

ومن أجل ذلك يحذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه النتيجة العكسية غير المطلوبة، فيقول صلى الله عليه وسلم :{لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة سوداء ذات دين أفضل} [2]. ويقول صلى الله عليه وسلم أيضا:{من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا. ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقرا، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره، أويحصن

---

(1) انظر ص65 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - للشيخ أبي حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت - يونيو 1984م.

(2) رواه البيهقى في السنن ص362 - من منهج السنة في الزواج ابن حجر عن ابن ماجه في السنن.

فرجه، أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه} [1]. هذا ويجب أن يؤخذ في الاعتبار أن المرأة فضلت الرجل وفاقت عليه في اللذة والحياء. فاللذة عندها أكبر، والحياء عندها أكثر. وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{فضلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين جزءا من اللذة، ولكن الله ألقى عليهن الحياء} [2]. والمرأة المسلمة تستغل هذا الحياء وتستفيد منه في الحفاظ على زوجها وأولادها وبناتها والأسرة الإسلامية التي ترعاها. فهى تتخذ زوجها حائلا دون وقوعها في حبائل الشيطان الرجيم، كما يتخذها زوجها حائلا دون وقوعه فيما حرمه الله عز وجل نتيجة النظرة غير الشرعية وما يترتب عليها من آثام.. وهكذا يكون حياء الزوجين سببا من أسباب سعادتهما في حياتهما الزوجية وفى تكوين أسرة سعيدة تضم أبناء سعداء وبنات سعيدات. وتكون بذلك قدوة لغيرها من الأسر المسلمة...

* * *

(1) رواه ابن حبان من حديث أنس وله شاهد من رواية ابن ماجه. ص66، 67من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2) رواه البيهقى عن أبى هريرة ص103 - من كتاب مختار الأحاديث النبوية.

الفصل السابع:
مراعاة الكفاءة بين الزوجين

يقصد بالكفاءة من الناحية اللغوية المماثلة والمشابهة. وهى عند فقهاء المالكية - المذهب الذي نميل إليه - تتمثل في ثلاثة أمور: الحال، والدين، والحرية[1].. والمماثلة في الحال تعنى وتقتضى السلامة من العيوب التي من شأنها وجوب رد الزواج بعد اكتشافها. فلا يقصد بالحال إذن الحسب والنسب كما قد يتبادر إلى فهم البعض[2].. ويراد بالدين التدين أى التمسك بتعاليم الدين الإسلامى وإرشاداته. والمماثلة فيه تفيد منع المشهورين بالفسوق - كالزناة وشاربى الخمر - من الزواج بالمؤمنات الصالحات.. أما المماثلة في الحرية فهى تعنى أن تتزوج الحرة حرا لا عبدا[3]..

ففى ظل الكفاءة الإسلامية بين الزوجين في الحال يجب التأكد من سلامة الطرفين من العيوب الخلقية والخلقية الخطيرة وكذلك الأمراض الخطيرة التي قد يقصد أحد الطرفين إخفاءها إلى أن يتم الزواج. وقد تحدثنا سابقا عن هذه العيوب والأمراض وخصوصا في الزواج من الأقارب.

وفى ظل الكفاءة الإسلامية بين الزوجين في التدين، لا يجوز للأب أو الولى جبر البكر على الزواج من فاسق لاحتمال أن يجرها إلى الفسوق لقوة شخصيته وطريقته المقنعة في الحوار مثلا.. وقد ورد " من زوج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها " [4]. ولم ينسب كثير من العلماء هذا الأثر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتبروه موضوعا. ومع ذلك

---

(1) من ص399، ص400، من الجزء الثالث من كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك.

(2) ص400من المصدر السابق مع التصرف.

(3) ص400 من المصدر السابق بتصرف.

(4) رواه بن حبان في الضعفاء عن أنس ص324 0 من كتاب منهج السنة في الزواج.

نجده يصب في إطار الهدف الإسلامى الذي يبنى الزواج على أسس سليمة في الاختيار.. وقد أجاز البعض زواج المرأة من الفاسق على أمل أن تعيده إلى الاستقامة على طريق الإيمان لكن هذا الأمل قد يصطدم بقوة شخصية الرجل وإصراره على المضى في طريق الفسوق. بل ربما يجرها هو إلى طريق الفسوق.

وفى ظل الكفاءة بين الزوجين في الحرية دعا الإسلام إلى الزواج من الحرائر، كجزء من الدعوة إلى التخلص من العبودية وتجارة الرقيق التي كانت منتشرة في أوائل ظهور الإسلام، وإلى المساواة بين الناس جميعا، لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى والعمل الصالح. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{من أراد أن يلقى الله طاهرا فليتزوج الحرائر} [(1)]. ذلك لأن الزواج من الإماء يجعل الأولاد أرقاء.

والأولى أن يسلك المسلمون مسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم : فالأَمَةُ تُشترى وتُعتق ثم يتزوجها مُعتقها بعد أن تكون قد تحررت من الرق، واقتنعت بالإسلام ومبادئه النافعة فأسلمت. والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها: زواج النبى صلى الله عليه وسلم من جويرية بنت الحارث التي جاءت تسأله فكاكها من الأسر فأعانها على كتابتها وتزوجها بعد أن أسلمت وصارت حرة. ومنها أيضا بريرة التي اشترتها أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وأعتقتها فصارت حرة ورفضت استمرار زواجها من مغيث الذي كان عبدا لم يعتق بعد. وستذكر قصتها بعد قليل..

وكان نظام العبودية سائدا عندما بدأ الإسلام في الظهور في القرن الأول الهجرى. وكان برنامج الإسلام لإنهاء نظام العبودية والقصد إلى المساواة بين الناس جميعا - يمنع زواج الحرة بالعبد، إلا بموافقتها وموافقة وليها. فالعبد الذي يتزوج الحرة بغير علمها تكون عبوديته عيبا يجيز رد الزواج. وكان الناس يعاملون المولى معاملة العبد، مع وضوح

---

(1) رواه ابن ماجه بسنده عن أنس بن مالك 598/1 - 599 - ص363، من منهج السنة في الزواج.

الفارق بينهما، إذ المولى متبنى أما العبد فمسلوب الحرية.. وفى ظل النظام الإسلامى كان " للزوجة والولى ترك الحرية والرضا بعدمها والتزويج بفاسق أو معيوب شريطة أن يرضيا معا (أى الزوجة والولى) بذلك. فإن لم يرضيا معا فالقول لمن امتنع منهما، وعلى الحاكم منع من رضى " [1]. وكما سبق أن أوردنا: لا يجوز للأب جبر البكر على الزواج من فاسق أو ذى عيب وإن تزوجها أحد منهم بعلم الأب فللزوجة والولى رد الزواج وفسخه[2].. وكذلك الأمر بالنسبة للمرأة إذا لم ترض بالزواج من ذى عيب يوجب رد الزواج كما مر.

وكمثال واضح لرد الزواج لاختلاف الحال والحرية بين الزوجين، أى لعدم توافر السلامة من العيوب - التي توجب رد الزواج - ومنها عيب العبودية - إذا لم يتوافر الشرط السابق، وهو رضا الزوجة والولى - زواج بريرة جارية عتبة بن أبي لهب من أحد عبيد المغيرة. والجارية، في نظام الجوارى في ذلك الوقت، كانت تتبع سيدها وتأتمر بأمره. لذلك وافقت بريرة على رغبة سيدها عتبة وتزوجت من مغيث وهى كارهة لهذا الزواج؛ لأن مغيث عبد من عبيد المغيرة. لكن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أشفقت على بريرة التي أُكرهت على الزواج من مغيث، ولو كان أمرها بيدها ما رضيت به، فاشترتها وأعتقتها. وهنا قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ملكت نفسك فاختارى}. وانقلب الحال فأصبحت بريرة حرة متزوجة من عبد، مما يتيح لها قبول الزواج أو رفضه. وسار خلفها مغيث يحاول استعطافها في ذلة وهوان، حتى لا تتركه، وكانت لا تهتم به أوحتى تلتفت إليه. مما أثار عجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لأصحابه:{ألا تعجبون من شدة حبه لها وبغضها له}. ثم نصحها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله:{اتق الله فإنه زوجك وأبو ولدك}. فقالت عند ذلك: أتأمرنى؟

---

(1) ص400 من ج3 من كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك.

(2) نفس الصفحة من المرجع السابق.

قال:{لا وإنما أنا شافع}، قالت: إذن فلا حاجة لى إليه[1]..

ويعتقد البعض أن مبدأ الكفاءة بين الزوجين يكون في الدين والمال والحسب والنسب. والحقيقة أن ذلك يصح بالنسبة للدين. فلابد للزوجين من قاعدة دينية إسلامية صلبة يبنيان عليها بيت الزوجية الجديد. لكنه لا يصح بالنسبة للمال والحسب والنسب والمركز الاجتماعى. فمبادئ الإسلام وتعاليمه وتوجيهاته في الزواج تحصر الكفاءة في أمرين اثنين يجب توفرهما: أولهما التدين وينتج عنه: التعقل والرزانة وسلامة الفكر والتصرف. والثانى: حرية كل من الزوج والزوجة في اختيار رفيقه وهى حق لكل منهما. وتتيح تلك الحرية لأى منهما، التنازل عن مظهر أو آخر يكون معمولا به في عرف أو تقليد، ولا يترتب عليه إخلال بحق من حقوق الطرفين أو واجب يجب على أحد منهما. وفى هذه الحالة يجب أن يحظى ذلك التنازل برضا الطرفين. وبذلك تنحصر الكفاءة في الزواج الإسلامى في أمرين هامين: أحدهما الخبرة والكفاءة العلمية لدى الطرفين. وكل ذلك يتبع التدين مع الالتزام بالأخلاق الإسلامية الكريمة. والآخر القدرة على تحمل أعباء الزواج ومنها القدرة المالية بطبيعة الحال. مع مراعاة أن مسئولية الإنفاق على الزوجة وبيت الزوجية تقع أساسا على الزوج. فهو المطالب شرعا به مهما كبرت الذمة المالية للزوجة. وكذلك مع مراعاة أنه لا مانع في الإسلام من تعاون الزوجة مع زوجها في تذليل العقبات المالية للأسرة إذا رغب الزوج في مساهمتها فيها بناء على رغبتها في ذلك[2].

والإسلام يرفض أن يكون الحسب أو النسب أو الغنى أساسا للكفاءة بين الزوجين. لأن الإسلام لا ينظر إلى الدنيا فقط بل إلى الآخرة أيضا. فالحسب عند أهل الدنيا هو المال،

---

(1) المبسوط 99/5، ص407، من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور. مع كثير من التصرف في أسلوب سرد القصة.

(2) بتصرف من ص378إلى ص383 من المرجع السابق.

لكنه عند أهل الآخرة يعنى الأخلاق الكريمة. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{كرم المؤمن دينه، ومروءته عقله، وحسبه خلقه} [1]. وقال صلى الله عليه وسلم أيضا:{الحسب المال والكرم التقوى} [2]. ولا تعارض بين الحديثين الشريفين. فمال المؤمن هو حسبه أى أخلاقه الكريمة. فهو غَنىّ به. وكرم المؤمن يتمثل في تقواه وإقباله على خالقه ورازقه سبحانه.

وإذن فلن يقع ضرر على المرأة المسلمة إذا ارتبطت وتزوجت بمسلم فقير أو صاحب حرفة لا تجلب له شهرة، أو تزوجت من رجل متواضع نسبه غير مشهور. وأن كل ذلك لا يؤثر في الكفاءة بين الزوجين ولا ينقص منها ما دام التدين والتمسك بمبادئ الدين الإسلامى وأخلاقياته موجودا.. والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة. ومن ذلك أن " ضباعة " بنت الزبير بن عبد المطلب الهاشمية وبنت عم النبى صلى الله عليه وسلم تزوجت بالمقداد بن الأسود، ولو كان الإسلام يعتبر الكفاءة في النسب ضرورية لما وافقت ضباعة ولا وليها على الزواج من المقداد لأنها تفوقه في النسب[3] وهى بنت عم النبى صلى الله عليه وسلم كما سبق القول.. ومن ذلك أيضا ما ورد في شأن بنى بياضة أصحاب المركز الاجتماعى المرموق، الذين أمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يُنكحوا أبا هند ويَنْكحوا إليه مع أنه مولى متبنى منهم، ولما اعترضوا أنزل الله تعالى:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [الحجرات: ١٣].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك 163/2من حديث أبي هريرة ص383 - من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور الأحمدى أبو النور.

(2) من حديث سمره بن جندب. نفس الصفحة من المرجع السابق.

(3) ص380من المصدر السابق بتصرف.

قال الزهرى: نزلت في أبي هند خاصة[1].. فقد روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{يابنى بياضة.. أنكحوا أبا هند وأنكحوا إليه} قال: وكان حجاما[2].. فحرفة أبي هند المتواضعة وهى الحجامة ووضعه الاجتماعى وهو أنه من موالى بنى بياضة كل ذلك لم ينقص من كفاءته في الزواج من بنات بنى بياضة مع مكانتهم الرفيعة في المجتمع..

وتمشيا مع المبدأين اللذين اعتبرهما الإسلام لازمين للكفاءة بين الزوجين - وقد أشرنا إليهما سابقا - نقول: إن الاختلاف بين الزوجين في درجات السلم التعليمى اختلافا واضحا، كأن يحمل أحدهما مؤهلا عاليا أو متوسطا، ولا يحمل الآخر أى مؤهل بل هو أمى - يجب النظر إليه أو الاهتمام به لأنه من ركائز الإيمان الذي يفضل العلم على الجهل، وخصوصا عند تكوين أسرة مسلمة. فمما لا شك فيه، أن كلا الطرفين يجب أن يكون على علم بالقرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة، وعلى الأخص بالقدر اللازم منهما والذى يساعد الزوجين في إدارة شئون أسرتهما الناشئة بحكمة واقتدار.. فمن الملاحظ أن هناك مسائل فقهية تهم الزوجة مثلا في حالتى الحيض والنفاس. فإذا لم تكن الزوجة على علم بذلك وجب على الزوج أن يتعلم ذلك ويعلمها ما يلزم من هذه الأمور. والأفضل أن يكون كلاهما على علم به، فذلك أسلم وأوفق وأفضل وهناك أيضا مسائل خاصة بالإنفاق وغيره من إدارة شئون الأسرة.. ويحب الطرفان معالجتها بينهما دون تدخل من قريب أو بعيد. وذلك يستلزم العلم بهذه المسائل حتى لا يكون هناك لبس أو حرج في تعاملهما مع هذه الأمور. وإذا فالكفاءة في هذه الناحية التعليمية واجبة. وإذا حالت ظروف قاهرة بين الزوجين وبين تحقيق هذه الكفاءة فلا أقل من أن يتعلم الزوج باعتباره هو المسئول الأول عن هذا الكيان الأسرى الناشئ ثم يعلم

---

(1) نفس الصفحة 38 من المصر السابق

(2) أخرجه أبو داوود في السنن

زوجته ما يلزمها من هذه الأمور ويكون إرشاده لها عن دراية وعلم.. والأمر الهام هنا هو أنه لا يجوز التكافؤ بينهما في الجهل لأن الجهل بهذه الأمور التي تهم الحياة الزوجية يعرض الأسرة الناشئة لانتكاسة خطيرة، وقد يؤدى إلى تدميرها. وهى نتيجة لا يقبلها الإسلام ولا يرضاها..

وكمثال واضح للتكافؤ التام والناجح بين الزوجين المسلمين - نذكر زواج النبى صلى الله عليه وسلم من أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها. حيث توفر العنصران الأساسيان للتكافؤ في شخصية رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وفى شخصيتها رضى الله عنها. فقد توافر العلم النافع الذي ينهض بالحياة الزوجية وينميها ويجعلها مستقرة ثابتة سعيدة. وذلك بفضل الإيمان الكامل القوى الذي يحث على العلم والتعلم. وتواجدت أيضا الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة التي جمعت بين النبى محمد صلى الله عليه وسلم وبين أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها. كما توفرت القدرة على باءة الزواج. حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتغل بالتجارة ويربح منها. وقد أبدت السيدة خديجة رضى الله عنها استعدادها للتعاون في ظل زواجها بمحمد صلى الله عليه وسلم على إنشاء بيت مؤمن تقى سعيد.

وكمثال لعدم التكافؤ بين الزوجين نذكر زواج زيد بن حارثة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاه ومتبناه، من زينب بنت جحش رضى الله عنها. وقد تربى زيد بعد موت أبيه وهو صغير في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ينهل من علمه وثقافته كلما كان ذلك مباحا له، لكنه في نظر الناس مولى، والمولى عندهم قريب من العبد. وكان الآباء حينئذ لا يرحبون ولا يوافقون على زواج المولى من حرة، رغم أنه ليس عبدا. ولهذا لجأت الحرة زينب رضى الله عنها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم راغبة في إعفائها من الزواج من زيد بعد أن خطبها له رسول الله صلى الله عليه وسلم. لكن الرسول الكريم الذي لا ينطق عن الهوى أفهمها أن هذا الزواج بأمر من الله تبارك وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لحكمة ربانية سامية تستخلص منه. فأذعنت

زينب رضى الله عنها لأمر الله تعالى ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، الذي أيده وحى السماء بنزول قوله تعالى:{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا } [الأحزاب: ٣٦]. فقد ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة عن ابن عباس قال: " خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لمولاه زيد بن حارثة، فاستنكفت منه وكرهت وأبت فنزلت الآية: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ } الآية فأذعنت زينب حينئذ وتزوجته ".. وفى رواية " فامتنعت وامتنع أخوها عبد الله لنسبها من قريش. فلما نزلت الآية جاء أخوها فقال: يا رسول الله مرنى بما شئت. قال:{فزوجها من زيد}، فرضى وزوجها " [1]. وكان امتناع زينب في الرواية الأولى دالا على الأنفة والكبر وكراهية الارتباط بل رفضه لا لشيء إلا لأنه مولى. ويستدل من الرواية الثانية أن زينب امتنعت كما امتنع أخوها لمكانته ومكانة أخته الاجتماعية حيث لم يكن مألوفا ولا مرغوبا فيه أن تتزوج الحرة ذات المكانة العالية في قومها من مولى من موالى قومها. فالمولى عندهم شبيه بالعبد. ولذلك رأت زينب كما رأى أخوها أن زيدا ليس كفئا لها.. لكن الإسلام لا يعترف بالطبقية. فطبقات المجتمع الإسلامى كلها في كفة واحدة ولا مفاضلة بين فرد وآخر فيه إلا بالتقوى. وإذن لا فضل لزينب الحرة على زيد الذي كان من سبى الجاهلية فاشترته أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها ووهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان مملوكا عنده ثم أعتقه وتبناه[2]. وبذلك صار حرا مثلها. وكما قلنا رضيت زينب رضى الله عنها بتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وخصوصا بعد أن نزل القرآن الكريم مؤيدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن. واتضح أن الحكمة الإلهية التي من أجلها تم هذا الزواج هى إبطال ظاهرة التبنى..

(1) البحر المحيط 233/7، ص61من القسم12 من كتاب صفوة التفاسير.

(2) نفس الصفحة من كتاب صفوة التفاسير مع التصرف.

وكما سبق بيانه أذعنت زينب لأمر الله ورسوله لكنها في واقع الأمر وقفت من زيد موقفا متعنتا حيث لم تكن في قرارة نفسها مقتنعة بكفاءته لها. وجاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو زينب ويعرض على الرسول الكريم أن يطلقها. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يمسك عليه زوجته وأن يتقى الله فيها كزوجة له " [1]. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحيم بأُمته أخفى عن زيد رضى الله عنه أن الله تعالى أخبره صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون زوجة له بعد زيد. فقد خشى صلى الله عليه وسلم أن يقول الناس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج امرأة متبنيه. وكان الناس في هذا الوقت يعتبرون المتبنى ابنا. مما لا يتيح لمتبنيه أن يتزوج من امرأته بعد طلاقها منه. ومن أجل ذلك نزلت الآية التالية لتبيح زواج المتبنِّى من زوجة متبناه بعد طلاقها منه، حيث يقول ربنا العظيم:{ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا } [الأحزاب: ٣٧].. فقد بينت الآية الكريمة سبب إخفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد أن زينب ستكون زوجة له بعد طلاقها من زيد.. وقد أجازت الآية الكريمة بذلك للناس أن يتزوج المسلم بامرأة متبنيه بعد أن يطلقها؛ حتى تبطل ظاهرة التبنى التي كانوا بسببها يُوَرِّثُون الابن المتبنى ويلحقونه بأبناء مولاه الذي تبناه..

وقد قال المفسرون في مسألة تزويج زينب من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد طلاقها من زيد: " إن الذي تولى تزويجها هو الله جل في علاه، فلما انقضت عدتها دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا إذن ولا عقد ولا مهر ولا شهود. وكان ذلك

---

(1) ص59 بتصرف من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذعثمان السعيد الشرقاوى - 1986م.

خصوصية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ". أما بقية الناس فلابد من الإذن والعقد والمهر والشهود. وقد روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: " كانت زينب تفخر على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وتقول:{زوجكن أهاليكن، وزوجنى ربى من فوق سبع سماوات} [1]..

وهكذا كان زواج النبى صلى الله عليه وسلم من زينب بنت جحش رضى الله عنها بعد طلاقها من زيد بن حارثة وهو متبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لإبطال ظاهرة التبنى بعد أن كان المسلمون في ذلك الوقت يُلحقون المتبنى بأبناء متبنيه، ويجعلون له نصيبا من ميراث من تبناه كما سبق القول. وقد عمدت الشريعة الإسلامية إلى إبطال هذا التصرف غير الشرعى. ونبه القرآن الكريم إلى وجوب أن يدعو المسلمون هؤلاء المتبنين بأسماء آبائهم الحقيقيين.

ويقــول الله تعالى في ذلك:{ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (4) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا } [الأحزاب: ٤ - ٥]..

فاللجوء إلى الإسلام قرآنا وسنة يعفى المسلمين من الحرج في مثل هذه الأمور. وقد سوى الإسلام بين المسلمين جميعا لا فضل لأحد منهم على أحد، إلا بالتقوى والعمل الصالح. وقد سبق أن ذكرنا في ذلك قول الحق تبارك وتعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ } [الحجرات: ١٣]. وهذه التعاليم الإسلامية الموجودة في القرآن الكريم وفى

---

(1) ص63من القسم 12من كتاب صفوة التفاسير - الطبعة الأولى - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخاصة بالكفاءة بين الزوجين - تساعد المسلمين والمسلمات المتمسكين والمتمسكات بتعاليم الدين الإسلامى وآدابه وإرشاداته، على تحرى الكفاءة في الاختيار للأزواج والزوجات، بكل أبعادها في إطار شرعى مطلوب...

* * *

الباب الثالث: أسس أخرى لازمة لإتمام الزواج وإضفاء الشرعية والسعادة عليه

الباب الثالث

أسس أخرى لازمة لإتمام الزواج وإضفاء الشرعية والسعادة عليه

الباب الثالث:

أســـس أخـــرى لازمـــة لإتمـــام الـــزواج

وإضفاء الشرعية والسعادة عليه

وهناك ركائز أخرى وعناصر وأسس هامة تعتبر امتدادا لأسس الاختيار ومتممة لها، حتى يتم الزواج بطريقه شرعية تسعد الأسرة الناشئة عنه، وتسعد المرتبطين بها، والمتعاملين معها، بل تسعد المجتمع الإسلامى كله، وتعفيه من المشاكل التي ينغمس فيها من لا يلتزم بهذه الأسس والركائز.. ويلزم الحديث عن هذه الأسس وإلقاء الضوء عليها، باعتبارها مشاركة في تواجد السعادة الأبدية المنشودة للأفراد والأسر والمجتمعات الإسلامية، من خلال الزواج الشرعى.

* * *

الفصل الأول:
الخطبة

الخطبة من أهم الأسس التي يقوم عليها الزواج الشرعى. وهى تؤدى إلى السعادة في الزواج ومباركته أو يفترض أن تؤدى إليها. وهى الخطوة الثانية بعد الاختيار الصحيح الناجح..

تعريفها:

وهى باختصار ما يحدث من المتقدم للزواج من طلب له واستعطاف بالقول أو الفعل. ويقترن هذا الطلب عادة بحسن النية والاقتناع التام. ويمكن أن نعرفها تعريفا عاما فنقول: هي طلب النكاح. ويكون من المتقدم إلى والد البنت البكر أو الثيب أو وليهما مع منح الفرصة للوالد أو الولي، لكي يبحث أمر المتقدم وأحواله ومدى كفاءته، ثم يبدى الرأى للمتقدم بعد ذلك. فهى إذن تمهيد وتواعد متبادل بالارتباط بين رجل وامرأة أو من يمثلها على إتمام الزواج في المستقبل في حالة التوافق بين الطرفين[1]..

أحوالها وآدابها:

وتتم الخطبة بالتصريح في حالة التقدم للبكر وبطريق التلويح والتلميح والتعريض في حالة التقدم للثيب؛ وهى من فقدت زوجها بموت أو طلاق أو نحو ذلك. حيث تكون هناك موانع شرعية من التصريح بالخطبة؛ كإيذاء شعور المتوفى عنها زوجها وشعور أهلها. أولكونها في عدة لم تنته بعد. وتشترك معها المطلقة في ذلك. ففى مثل هذه المواقف يمتنع شرعا التصريح بالخطبة حفاظا على علاقات الود والتآلف بين الأفراد والأسر في المجتمعات الإسلامية، ويجوز التلويح والتعريض والتلميح بها تلافيًا للإحراج. وقد مثل ابن عباس للخطبة بالتعريض فقال: " كقول الرجل: وددت لو أن الله يسر لى امرأة

---

(1) بتصرف من صـ 401 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور - وزير الأوقاف السابق.

صالحة، وإن النساء لمن حاجتى " [1].

فهناك إذن آداب شرعية للخطبة ينبغى التمسك بها، حتى تؤدى الغرض المنشود منها، وهو المساهمة بقدر من السعادة والهناء للأسرتين المتواعدتين بالارتباط، للرجل والمرأة أو البنت المتواعدين به..

وقد ورد في القرآن الكريم آيات تبين أحوال الخطبة وأوقاتها وآدابها بالنسبة للمطلقات والمتوفى عنهن أزواجهن. أما الأبكار فليس هناك وقت معين لخطبتهن. فالتقدم لخطبتهن لا يخضع لوقت معين. فخطبتهن متاحة في أى وقت.

ومن الآيات المشار إليها سابقا، قوله تعالى:{ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } الآية [البقرة: ٢٢٨] وقوله جل شأنه:{ﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪ} الآية [البقرة: ٢٢٩] وقوله سبحانه{ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [البقرة: ٢٣٠]. وقول المولى جل شأنه:{ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [البقرة: ٢٣٢]. وقول أصدق القائلين سبحانه:{وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [البقرة: ٢٣٤].

---

(1) صـ137 من القسم الأول من كتاب صفوة التفاسير - الطبعة الأولى - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - في تفسير سورة البقرة - الآية 235.

وقول الحق جل وعلا{ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } [البقرة: ٢٣٥]..

وكما سبق أن عرفنا فالخطبة تكون بالتصريح في حالات الأبكار اللائي لم يسبق لهن الزواج. أما المطلقات فقد أشارت الآيات الكريمة السابقة إلى أن الخطبة لا تكون لهن بالتصريح إلا بعد انتهاء العدة. وعدة المطلقات الحرائر المدخول بهن ثلاثة أطهار على قول الشافعي ومالك أو ثلاث حيض على قول أبي حنيفة وأحمد[1].. حتى يمكن تبرئة الرحم من الحمل وحتي لا تتوالد الضغائن والأحقاد بين الخاطب بالتصريح وعائلته وبين المطلقة وعائلتها. وإن كان هناك حمل فيجب أن تعلن الحامل ذلك ولا تخفيه، فالشريعة الإسلامية تلزمُها بذلك. وتنتهي عدة الحامل بوضع حملها. وبعد الوضع من الممكن أن تكون خطبتها بالتصريح والإعلان، شأنها شأن المطلقة التي انتهت عدتها دون حمل. وأما المطلقة مرتان فإن طلقت الثالثة فلا تحل لمن طلقها إلا إذا تزوجت غيره ودخل بها هذا الغير ثم طلقها وانتهت عدتها منه. وهنا أيضاً تكون خطبتها تصريحية ومعلنة. وكان الناس يلجأون إلى تطويل زمن العدة حتى تلجأ المطلقات طلاقاً رجعياً إلى طلب الخلع وتتنازلن عن كل حقوقهن. وربما تدفع المطلقة لمطلقها قدراً من المال حتى يطلقها. ونهي الإسلام هؤلاء الناس عن هذا الفعل المشين في قوله تعالى:{ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعۡتَدُواْ } [البقرة: ٢٣١] الآية، فقد أمر الإسلام أزواجهن بمراجعتهن من غير إضرار ولا أذى. أو تركهن حتى تنقضي عدتهن بإحسان من غير تطويل العدة عليهن[2]. فإذا انقضت عدتهن على هذا النحو الشرعي فمن حق راغبي الزواج من المسلمين خطبتهن بالتصريح

---

(1) ص131 من القسم الأول من كتاب صفوة التفاسير - الطبعة الأولي - للأستاذ الشيخ المرحوم محمد على الصابوني.

(2) ص134 من المصدر السابق.

والإعلان. وإذا رغبت المطلقة طلاقاً رجعياً بعد انتهاء عدتها العودة إلى زوجها، فلا يمنعها الإسلام من ذلك. فقد تكون أحوالهما قد تعدلت في فترة الطلاق ورغبا رغبة حقيقية في استئناف حياتهما الزوجية بعد أن ندم كل منهما على المفارقة والطلاق. وأما المتوفي عنها زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام. فإذا انقضت هذه العدة، فمن حق راغب الزواج منها أن يتقدم لخطبتها بالتصريح والإعلان.

وتكون الخطبة بالتلميح والتعريض دون تصريح أو إعلان في حالة المطلقة طلاقاً رجعياً أو المتوفي عنها زوجها أوالحامل بعد الطلاق، في فترة العدة؛ لأن التصريح بطلبها حينئذ للزواج يولد العداوة والبغضاء بين المتقدم لخطبتها وأسرته من جانب وبينها وأسرتها من جانب آخر. وقد يتصالح الزوجان في حالة الطلاق الرجعي أو بعد الطلاق من الثاني وانتهاء العدة، فتتضخم المقاطعة والخصام والعداوة بين أسرتيهما وأسرة المتقدم لخطبتها صراحة أيام العدة. ولذلك أظهر الإسلام الرضى عن الخطبة بالتعريض والتلميح في فترة العدة منعاً لشيوع العداوة والبغضاء بين الأسر في المجتمع الإسلامي. فالأولى لراغب الزواج من المطلقة أن ينتظر حتى تنتهي عدتها. وإذا كان لابد أن يُعَرفَها رغبته في الزواج منها قبل انتهاء العدة فليكن ذلك بالإشارة والتلميح والتعريض. وقد وضح ذلك في قوله تعالي:{ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } الآية [البقرة: ٢٣٥]. فقد نهت الآية الكريمة عن مواعدة هؤلاء النساء في السر بالزواج، لأن ذلك قد يجر إلى ما لا تحمد عقباه، ويعرض النساء للقيل والقال شكاً في العرض والشرف. وهو شيء لايرضاه الإسلام لأبنائه وبناته ونسائه من المؤمنين والمؤمنات، وذلك حرصاً على عدم تعكير صفو الحياة بين الأفراد والأسر في المجتمع

الإسلامي والنأي عن الفرقة والخلاف بيت المسلمين بعضهم وبعض. وكل ذلك واضح من تفسيرالآيات السابقة التي أثبتناها في الصفحة السابقة[1]. ونضيف هنا إلى ما سبق حالة المرأة التي طلقها زوجها دون أن يمسها أي يجامعها ودون أن يفرض لها فريضة. فهي في هذه الحالة لا عدة لها. وذلك بموجب قوله تعالي: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا } الآية [الأحزاب: ٤٩]، وأيضاً بموجب قوله تعالي:{ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ } [البقرة: ٢٣٦].

وما يهمنا الآن هو أنه ما دامت المرأة طُلقت وليس لها عدة فمن الممكن أن يخطبها للزواج من يرغب فيها بالتصريح والإعلان كذلك.

وهكذا يفصل القرآن الكريم أحوال الخِطبة: متى تكون بالتصريح، ومتي تكون بالتلميح والتعريض. وذلك لرفع الحرج عن الأفراد والأسر في المجتمعات الإسلامية، حتى ينعم الجميع بالسعادة في ظل زواج شرعي إسلامي يؤدي إلى الترابط والتلاحم ويبتعد عن الفرقة والخلاف والتناحر.

في السنة النبوية:

وإذا كان القرآن الكريم قد تحدث عن آداب الخطبة في ظل الوفاة والطلاق والحمل - فإن السنة النبوية الكريمة لم تغفل عن ذلك وأكملت الحديث عن آداب أخرى للخطبة لابد أن نعرض لها بإيجاز واف مع ذكر أمثلة وأدلة. وفي مقدمة ما أشارت إليه السنة النبوية المباركة من آداب في مجال الخِطبة ألا يخطب الرجل على خِطبة أخيه. فإذا علم

---

(1) من ص 131 إلى ص 138 من القسم الأول من كتاب صفوة التفاسير - للأستاذ الشيخ المرحوم محمد على الصابوني - الطبعة الأولي.

المسلم أن البنت أو المرأة التي يرغب في نكاحها قد تقدم إلى أسرتها مسلم آخر لخطبتها فعليه أن ينتظر حتى يأخذ المتقدم الأول قراره، إما بالمضى في طريق الزواج منها أو تركها. فإذا تأكد أن أخاه المسلم المتقدم قد ترك، فله أن يتقدم حينئذ - ولو تقدم الثاني قبل أو بعد موافقة الأول على الارتباط بهذه الفتاة أو المرأة - فإن ذلك يوغر صدر المتقدم الأول وعائلته ويترتب على ذلك أن تتوتر العلاقات بين أفراد وأسر المجتمعات الإسلامية. ولهذا ينبه النبي المصطفي صلى الله عليه وسلم المسلمين والمسلمات إلى ذلك فيقول صلى الله عليه وسلم :{لا يحل لرجل مسلم أن يخطب على خطبة أخيه حتى يترك، ولا يبع على بيع أخيه حتى يترك} [1]. ويقول صلى الله عليه وسلم :{لا يخطب الرجل على خطبة الرجل حتى ينكح أو يترك} [2]. ويقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم :{إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك} [3].

فإذا لم يعلم المتقدم الثاني برأي المخطوبة في المتقدم الأول، ولم يخبره أحد بذلك ممن يعنيهم الأمر - فمن الممكن حينئذ أن يتقدم الثاني، ولا يعتبر في هذه الحالة خاطباً على خطبة أخيه. ومن أمثلة ذلك: " ما حدث لفاطمة بنت قيس، حيث خطبت لمعاوية بن أبي سفيان وأبي الجهم في وقت واحد. وقد جاءت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم تستشيره في الزواج بواحد منهما. ولم يعترض الرسول صلى الله عليه وسلم على تعدد خطبتها. وأشار عليها بالزواج من أسامة بن زيد وهو يقول: " أما معاوية فرجل ترب لا مال له، وأما أبو الجهم فرجل ضراب للنساء، ولكن أسامة " فقالت بيدها هكذا: أسامة

---

(1) أخرجة أحمد عن عقبة بن عامر ص 88 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبدالعزيز الشناوي.

(2) رواه أبو داود ص89من المصدر السابقق.

(3) رواة البخاري في كتاب النكاح عن أبي هريرة. ورواه مالك والشافعي وأحمد ص 404 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدي أبو النور.

أسامة - تشير إلى أنها غير راغبة فيه. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :{طاعة الله وطاعة رسوله خير لك}. فتزوجته فاغتبطت به " [1].. والواضح من نص هذا الحديث أن فاطمة بنت قيس لم تخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رضاها بواحد منهما وإلا ما أشار عليها بغير الذي أخبرته صلى الله عليه وسلم بالرضى عنه. وهذا رأى العلماء والفقهاء..

ومن الآداب الهامة التي أظهر الإسلام حرصه عليها في مجال الخطبة - وجوب احترام رأي المرأة أو البنت المخطوبة، في من تقدم إلى خطبتها فلا يحُجب رأيها ما دامت مميزة رشيدة صالحة. فليس معقولاً أو مقبولاً أن تهمل الأسرة رأى ابنتها فيمن تقدم لخطبتها وتضرب برأيها فيه عرض الحائط. وولى المرأة أو البنت مطالب بسماع رأيها فيمن تقدم إليها. فقد تكون متأكدة - بطريقة أو بأخرى - من عيب في الرجل المتقدم لها، لا يمكن السكوت عليه. أو من إصابته بمرض خطير لا يمكن تغافله. وحينئذ يكون من الظلم لها أن ترتبط بعلاقة أبدية مع إنسان تعرف له عيبا أو مرضا خطيرا لا يمكن تحمله أو التغاضى عنه. والإسلام يعطيها حق الرفض أو القبول لتكون العلاقة بين الزوجين حال الزواج علاقة قوية تؤدى إلى السعادة المنتظرة بين الطرفين.

ومن آداب الخطبة ما ذكر في كتب السنة بشأن خطبة الثيب والبكر، من الاستئذان، ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم :{الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تُستأذن في نفسها وإذنها صماتها} [2].. وفى رواية عنه صلى الله عليه وسلم :{الأيم أحق بنفسها من

---

(1) أخرجه مالك في الموطأ والشافعي في الرسالة، ومسلم في كتاب الطلاق والترمذي في السنن وابن ماجه والنسائي وأبو داود ص405، من كتاب منهج السنة في الزواج.

(2) رواه يحيى بن يحيى عن مالك صـ 127 من كتاب منهج السنة فى الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

وليها، والبكر تُستأذن في نفسها وإذنها صماتها} [1].. ويجب أن يكون معلوماً أن زواج البكر أو الثيب لا يصح إلا بوجود الولى. لكن الحديثين الشريفين بينا أن الثيب لها أن تختار بحرية وأن وليها لا يجبرها على أحد لا تريده. أما البكر فإن سكتت فإن سكوتها يعتبر إذناً لوليها أو أبيها بزواجها من المتقدم.. وقد تُقْدِمُ البكر على البكاء في هذا المقام. والبكاء الخفيف قد يعبر عن فرحتها ورضاها بالخاطب المتقدم وحزنها على قرب مفارقة أهلها. أما البكاء الشديد حال عرض الخاطب عليها أو عرضها عليه فهو شيء غامض ينبغى التثبت من سببه. فقد يكون هذا البكاء الشديد رفضا مُقَنعاً من البكر للمتقدم لخطبتها نتيجة إحساس منها بالضغط عليها من أبيها أو وليها. وربما لو شرح لها أبوها أو وليها سبب قبوله لهذا الخاطب - ينشرح صدرها وتكف عن البكاء. بل ربما تصارحه هى بسبب بكائها إن كان رفضا للمتقدم نتيجة خوف من عيب أو مرض عرفته عن هذا المتقدم لخطبتها، وهنا يمكن للأب أو الولى تدارك الأمر قبل الارتباط الرسمى. فاحترام رأى البنت أو المرأة فيمن يتقدم خطيباً لها وشريكا لحياتها في المستقبل، قبل الارتباط به، وعدم إهمال حقها في الاختيار - واجب شرعى ينبغى الحرص عليه.. ومن أشهر الأدلة على ذلك رَدِّ الرسول صلى الله عليه وسلم زواج الخنساء بنت خذام الأنصارية من ابن عمها، لأن أباها زوجها منه دون رضاها، وأهدر حقها في الاختيار. وقد روى هذه الواقعة صاحب المبسوط فقال: " قالت الخنساء: إن أبى زوجنى من ابن أخيه وأنا كارهة، فقال صلى الله عليه وسلم :{أجيزى ما صنع أبوك}، فقالت: مالى رغبة فيما صنع أبى.. فقال صلى الله عليه وسلم :{اذهبى فلا نكاح له، أنكحى من شئت}، فقالت: أجزت ما صنع أبى، ولكنى أردت أن يعلم الناس أن ليس للآباء من أمور بناتهم شيء. قال صاحب

---

(1) رواه مالك عن عبد الله بن الفضل عن نافع عن جبير بن مطعم عن عبد الله بن عباس

صـ325 من موطأ مالك - طبعة الشعب. والأيم: معناها الثيب أى التي سبق زواجها.

المبسوط: ولم ينكر عليه الصلاة والسلام مقالتها " [1].. ويستدل من ذلك على أنه ليس للأب أو الولى إجبار ابنته على الزواج ممن لا ترغب في الزواج منه. وعليه أن يقنعها برأيه أو يقتنع هو برأيها.

ولقد وصل الحد في هذا الأمر إلى انتزاع الزوجة ممن لا تحبه ولا تميل إليه بعد زواجها منه، وتزويجها ممن تميل إليه وخصوصا إذا كانت مميزة وأهلا للاختيار. وإلا لما اعتدُّ برأيها ولى أو حاكم لصغر سنها مثلا. وقد روت كتب السنة قصة زواج عبد الله بن عمر رضى الله عنه من ابنة عثمان بن مظعون وانتزاعها منه بعد الزواج ليتزوجها المغيرة بن شعبة. ويروى عبد الله بن عمر نفسه هذه القصة فيقول: " توفى عثمان ابن مظعون، وترك ابنة له من خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص. قال: وأوصى إلى أخيه قدامة بن مظعون، قال عبد الله: وهما خالاى. قال: فخطبتُ إلى قدامة بن مظعون فزوجنيها، ودخل المغيرة ابن شعبة إلى أمها فأرغبها في المال، فحطت إليه، وحطت الجارية إلى هوى أمها، فأبيا، حتى ارتفع أمرهما إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال قدامة بن مظعون: يا رسول الله.. ابنة أخى، أوصى بها إليَّ فزوجتها ابن عمتها عبد الله بن عمر، فلم أقصر بها في الصلاح ولا في الكفاءة، ولكنها امرأة، وإنما حطت إلى هوى أمها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{هى يتيمة ولا تنكح إلا بإذنها} قال فانتُزعت والله منى بعد أن ملكتها، فزوجوها المغيرة بن شعبة " [2].

ومن الآداب الهامة المتصلة بالخطبة، والتى يجب مراعاتها حتى تتجلى السعادة على الزوج والزوجة وأسرتيهما وعلى المجتمع الإسلامى - أدب النظر إلى المخطوبة. وهى

---

(1) المبسوط2/5 وانظر صـ407 من كتاب - منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(1) رواه أحمد في المسند والدار قطنى في السنن والحاكم في المستدرك والبيهقى في السنن الكبرى والهيثمى في مجمع الزوائد صـ137، من منهج السنة في الزواج.

مسألة في غاية الأهمية للمخطوبة والخاطب. فتجاوز الحد فيها قد يترتب عليه حزازات نفسية بل عداوات بين الأفراد والأسر المسلمة ذات الصلة. وإذا عرضنا الأحاديث المجيزة للنظر إلى المخطوبة، والتى وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجدنا أنها تحث الخاطب على النظر إلى مخطوبته، وتحث أهل المخطوبة على السماح والرضا بالنظر إليها، اتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. والمخطوبة - في الواقع وفى عرف الناس - هى من وقع عليها اختيار الخاطب لتكون زوجة له. فله حينئذ أن ينظر إليها حتى يطمئن إلى الزواج منها ويقبل عليه بنفس راضية.. فهذا صحابي جليل هو محمد ابن سلمة الأنصارى جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره أنه يريد أن يتزوج امرأة من الأنصار. فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :{أنظرت إليها؟} قال محمد بن سلمة: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها}[1]. وهذا المغيرة بن شعبة الثقفى رضى الله عنه يقول: أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فذكرت له امرأة أخطبها فقال:{اذهب فانظر إليها، فإنه أجدر أن يؤدم بينكما}.. قال: فأتيت امرأة من الأنصار فخطبتها إلى أبويها، وأخبرتهما بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما كرها ذلك، قال: فسمعتْ ذلك المرأة وهى في خدرها، فقالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تنظر فانظر، وإلا فإني أنشدك - كأنما عظمت ذلك عليه، قال: فنظرت إليها فتزوجتها فذكرت عن موافقتها " [2]. ومن هذا القبيل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن

---

(2) أخرجه ابن ماجه وأحمد وابن عساكر عن محمد بن سلمة صـ69، من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - عبد العزيز الشناوى.

(2) أخرجه أحمد وسعيد بن منصور والدارمى والترمذى وابن ماجة والبيهقى وابن حبان من حديث المغيرةبن شعبة - يؤدم: يصلح ويؤلف صـ 410 - من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

ينظر إليها، إذا كان إنما ينظر إليها لخطبته، وإن كانت لا تعلم ذلك} [1].. ومنه أيضا قول أبي هريرة رضى الله عنه فيما رواه قال: خطب رجل امرأة من الأنصار، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :{هل نظرت إليها؟} قال: لا. قال{فاذهب فانظر إليها، فإن في أعين الأنصار شيئا} [2].. قيل في عينيها صفر، وقيل كان في عينيها زرقة.. ومنه كذلك: قول جابر فيما رواه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر منها ما يدعو إلى نكاحها فليفعل} قال: فخطبت جارية من بنى سلمة، فكنت أختبئ لها تحت الكَرَب حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها " [3].

والملاحظ في كل الروايات السابقة في شأن النظر إلى المخطوبة - أنها جميعا تشير إلى أن النظر يكون دوره في الخطبة وبعد الخطبة. وذلك يعنى أن النظر يكون بعد اختيار الخاطب لخطيبته. فالمرأة التي يقع عليها اختياره ويسوقه قلبه إلى خطبتها هى التي يحق له رؤيتها..

ويخلط كثير من الناس بين الرؤية قبل وأثناء الاختيار، والرؤية للخطبة أو بعدها. فالرؤية بعد الخطبة ومن أجل تدعيمها، شرعية ومطلوبة. أما الرؤية للاختيار فهى شىء آخر يمكن تطبيقها عن طريق النساء المبعوثات من قِبَلِ من يختار إلى أهل البنت أو المرأة.. حيث يضع من يريد الاختيار ابنة فلان وابنة فلان وابنة فلان أمامه على طاولة البحث ليختار منهن من تناسبه. وتلك مرحلة سابقة لمرحلة الخطبة.

---

(1) أخرجه أحمد والبزار والطبرانى من حديث أبي حميد الساعدى صـ410من المرجع السابق.

(2) رواه أحمد ومسلم والنسائى. نفس الصفحة من المرجع السابق.

(3) أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم والبيهقى والبزار وعبد الرزاق - الكرب: أصول السعف صـ409 من المرجع السابق.

وفى إمكان من يريد الاختيار أن يفعل كما فعل جابر بن عبد الله رضى الله عنه، فيلتمس رؤيتها بأى طريقة غير محرجة له ولها ولأهله وأهلها - وإن كان جابر قد فعل ذلك من أجل تثبيت خطبته لا من أجل اختيارها ابتداءً. فالإسلام لا يعطى المسلم حق طلب الرؤية للبنت من أبيها أو وليها ولأكثر من واحدة لينظر إليهن ويختار منهن واحدة فيخطبها. ويمكن في هذه الحالة أن يبعث من قريباته من يثق في رأيها ورؤيتها إلى أم البنت أو المرأة التي يريد أن يتعرف عليها. أما أن يقوم هو نفسه بهذه المهمة بقصد اختيار واحدة منهن ويأتى إليها في صحبة أمه وأبيه - فالإسلام لا يعطيه هذا الحق لأنهن أجنبيات عنه. فلن يستطيع التأمل فيهن والكشف عن بعض نواحى الجمال فيهن إلا خلسة. لأن ذلك من حق الخاطب فقط.. وزيارة الشاب في وقت الاختيار لمن يريد أن يتثبت من اختيارها حتى يتثنى له خطبتها ثم الانصراف عنها واختيار غيرها يوقع في نفوس المسلمين وأسرهم التشاحن والخصام وهذا مخالف لتعاليم الإسلام ومبادئه الداعية إلى التآلف والتحاب ونبذ الخلاف والفرقة بين المسلمين. فليبحث من يريد الاختيارعن بديل عنه في الرؤية المبدئية. ويستحسن أن يكون هذا البديل من النساء حتى لا يسبب حرجا لأسرة البنت أو المرأة. فإذا وقع في قلبه اختيارها وخطبتها بعد البحث عن هويتها وأحوالها - فهنا تكون الرؤية مباحة وشرعية حيث يحق له أن يرى منها ما يدعوه إلى نكاحها.. وقد أيدنى في هذا الرأى كثير من العلماء[1]. وأيدنى الواقع الملموس وتعاليم الإسلام بشأن وجوب المحافظة على بنات المسلمين،

---

(1) ومنهم الأستاذ عثمان السعيد الشرقاوى في كتابه الإسلام والحياة الزوجية في معرض حديثه عن النظر إلى المخطوبة.

ومن أجل ذلك يجب التفريق بين من يريد الرؤية للاختيار ومن يريدها للخطبة. وقد أباح الإسلام بصفة عامة النظر إلى الوجه والكفين. والوجه مجمع المحاسن. ويستطيع الخاطب من خلال النظر إليه أن يكوّن فكرة عن نواحى الجمال في المخطوبة. والكفان وأسفل الساقين إلى القدمين مباح أن ينظر إليها الخاطب فهما ليسا من العورة المغلظة. وكذلك المظهر العام للمرأة أو البنت يمكن أن يتبين منه للخاطب ما يدعوه إلى نكاحها. وفى كل هذه الاحوال لا يلزم أن يذهب من يريد الاختيار إلى منزل من يتلمس أخبارها بنفسه وبصحبة أبيه وأمه.

ويمكن أن يتحين الباحث في هذا المجال فرصة خروج البنت إلى الشارع فيتعرف ويتثبت مما يريده عن بعد، دون إيذاء للبنت أو أهلها، إذا تراجع عن اختيارها. أويبعث إليها من يثق برأيها من قرابته من النساء دون إيذاء للبنت وأهلها كما سبق توضيحه. ولظروف معينة أباح عمر بن الخطاب رضى الله عنه رؤية منطقة أسفل الساق. وذلك إذا كانت البنت صغيرة ووافق أبوها على زواجها ورضى الخاطب وإن كانت المخطوبة لا تعلم ذلك. وكان يراها لأول مرة مثلا. ومن السياق السابق يتبين أن هذه الحالة أقرب إلى الزواج منها إلى الخطبة، ومن قبيل اختصار خطوتين في خطوة وهذا جائز بموافقة الطرفين. وإن كانت البنت نفسها لا تعلم ذلك لصغر سنها. ويتبين ذلك من قصة زواج أم كلثوم ابنة على بن أبى طالب وابنة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد خطب عمر بن الخطاب أم كلثوم إلى أبيها على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه. فقال له على: إنها صغيرة. فقال له عمر زوجنيها يا أبا الحسن، فإنى أرصد من كرامتها ما لا يرصده أحد.

فقال له على أنا أبعثها إليك، فإن رغبتها فقد زوجتكها، فبعثها إليه ببرد، وقال لها: قولى له: هذا البرد الذي قلت لك، فقالت ذلك لعمر، فقال قولى له: قد رضيت رضى الله عنك، وكشف عن ساقها، فقالت أتفعل هذا؟ لولا أنك أمير المؤمنين لكسرت أنفك. ثم خرجت حتى جاءت أباها، فأخبرته الخبر، وقالت: أرسلتنى إلى شيخ سوء، فقال: يابنية إنه زوجك " [1]. وتضيف لنا هذه الرواية فائدة مؤداها أن رؤية المخطوبة قد تتعدى الوجه والكفين، إذا كان هناك داع مقبول شرعا لرؤية غيرهما، عدا المحرمات، وذلك حتى تطمئن نفس الخاطب قبل الدخول على من يتزوجها وحتى يتوج هذا الزواج بالسعادة المرجوة. والدواعى في زواج عمر من أم كلثوم كانت موجودة وقد ذكرناها من قبل. وكما قلنا سابقا إن هذه الواقعة كانت أقرب إلى الزواج منها إلى الخطبة.

فقد تواجد الإيجاب من على رضى الله عنه والقبول من عمر رضى الله عنه. وسبق أن قلنا أيضا إن كشف عمر عن ساقها كان لصغر سنها حتى تطمئن نفسه إلى الزواج منها قبل الدخول عليها[2].

وهذا الحق الواضح الصريح للخاطب والمخطوبة في نظر كل منهما للآخر بعد اختياره زوجا وفى فترة الخطبة أى قبل الدخول - يجب أن يكون مصحوبا - من وجهة النظر الإسلامية بالصراحة والوضوح من الطرفين والابتعاد عن الغش والتدليس في هذا المجال. فالنظر والتأمل من كل منهما لصاحبه ما شُرِعَ إلا ليكون الزواج قائما على أساس سليم. فإذا كان هناك عيب في المخطوبة حُجب عن الخاطب أثناء النظر فينبغى التنبيه إليه. وكذلك العيب المحجوب عن المخطوبة والموجود في خطيبها. وإلا فإن الخطبة حينئذ قد يشوبها الغش والخداع.

---

(1) صـ411من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الاحمدى أبو النور.

(2) نفس الصفحة من المصدر السابق بتصرف.

وهذا شىء يرفضه الإسلام. فقد تجمل المرأة شعرها للخاطب حتى لا يرى عيوبه. وهنا ينبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاطب إلى أن يسأل عن شعرها كما يسأل عن جمالها، فيقول صلى الله عليه وسلم :{إذا خطب أحدكم المرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن جمالها، فإن الشعر أحد الجمالين} [1]، وكذلك الأمر بالنسبة للرجل. فقد يجمل شعره لخطيبته حتى لا ترى عيوبه. ولهذا ينبه النبى صلى الله عليه وسلم إلى وجوب صدق الخاطب في نقل جوانب صورته العامة إلى مخطوبته. والشعر من تلك الجوانب. ولهذا ينبه صلى الله عليه وسلم صراحة إلى هذا الجانب فيقول:{إذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب بالسواد فليعلمها أنه يخضب} [2].

وليس الأمر مقصورا على الشعر فهناك عيوب أخرى قد تخفى على الخاطب أو المخطوبة. ومن ذلك أن مسروح بن سندر الحمصى (أبا الأسود)، تزوج امرأة وهو خصى، وأخبر عمر بن الخطاب بذلك دون أن يخبر من تزوجها. فأمره عمر رضى الله عنه بأن يخبرها بذلك ويخيرها " [3]. ومن ذلك أيضا أن امرأة قصيرة من بنى إسرائيل كانت تمشى مع امرأتين طويلتين. فاتخذت رجلين من خشب وخاتما من ذهب مغلق مطبق وحشته بالمسك، ومرت بصاحبتيها فلم تعرفاها[4]. وقد تلبس العوراء عدسة تدارى بها عورها، أو تضع الصلعاء باروكة تدارى صلعتها. وقد يلجأ الرجال والنساء إلى غير ذلك من الحيل التي تخفى عيوبا خِلقية.

---

(1) أخرجه الديلمى عن على صـ71 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.. والسؤال هنا ناتج عن شك في أمر الشعر، إذ ربما يكون باروكة أو نحو ذلك مثلا.

(2) نفس الصفحة من المصدر السابق.

(3) صـ71 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

(4) صـ72 من نفس المرجع السابق.

وقد يخفى الرجل أو المرأة مرضا خطيرا عن المخطوبة أو الخاطب، وكل ذلك ممنوع شرعا. وعلى كل طرف أن يبذل طاقته في معرفة محاسن وعيوب صاحبه. وليعلم الطرفان ومن وراءهما أن الحديث صراحة عن العيوب والعلل غير الظاهرة والتنبيه إليها أثناء الخطبة وقبل الدخول أفضل بكثير من حجبها عن الطرف الآخر ليفاجأ بها بعد الزواج. حيث يُحدث ذلك رد فعل عكسى في غالب الأحوال. مما قد يعصف بالحياة الزوجية وهى في مهدها.

ومن الآداب الهامة التي يجب التنبيه إليها في هذا المجال ما نبه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من خطورة الانفراد بالمرأة الأجنبية والخلوة بها ومن المعروف أن المرأة أو البنت في حال خطبتها تكون أجنبية شرعا عن خطيبها. وهما - الخاطب والمخطوبة - معنيان بتحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم من خطورة الخلوة، ولو كانت بحجة الخطبة. يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{ما اختلى رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما}. ويقول صلى الله عليه وسلم :{لا يخلو رجل بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما} [(1)]..

---

(1) أخرجه الترمذى في كتاب الرضاع باب كراهية الدخول على المغيبات 474/3والمنذرى في الترغيب والترهيب 66/2 صـ417، من منهج السنة في الزواج.

وننبه هنا إلى خطورة رغبة الخاطب في أن ينفرد بمخطوبته في كثير من الأحيان حتى لو كان هذا الانفراد في الشارع. فهذه الرغبة بعيدة عن روح الإسلام وحرصه على المحافظة - إلى أقصى درجة - على كل من الطرفين، حتى يتم بينهما عقد الزواج..

وفى الشوارع العامة والمنتزهات نرى كل يوم، ما يبرأ منه كل إنسان مسلم حر، بحجة الخطوبة فهما مخطوبان، وهما في الشارع. يقول أحدهم إذا ضبط متلبسا بفعل غير لائق: إنها خطيبتى. والإسلام لم يبح للخاطب أن ينفرد بخطيبته ولو في الشارع العام، ولا أن يفعل معها فعلا خارجا عن حدود الأدب الإسلامى، كأن يقبلها أويضع يده على كتفها أو يحوط خاصرها بذراعه أو يشبك أصابعها في أصابعه إلى غير ذلك مما نراه يحدث في الشوارع العامة. بل إن الإسلام لم يبح ذلك حتى للمتزوجين - في الشوارع فكيف يبيحه للخاطبين والمخطوبات؟! ومن أجل وضع حد لهذا التسيب اللاأخلاقى واللاشرعى - نرى ألا تطول فترة الخطوبة أكثر من اللازم حتى لا تتولد المشاكل وينشأ وينتشر القيل والقال. وأن يلتزم كل من الخاطب والمخطوبة بآداب الإسلام وتعاليمه في الخطبة كما تحدثنا عنها، وأن يدرس كل منهما الآخر تحت سمع وبصر العائلتين. ولا مانع شرعا من الفحص الطبى، بل هو مطلوب، وحبذا لو اتفقا عليه قبل الدخول، ليتأكدا من سلامتهما الخِلقية ومن الأمراض الخطيرة الوراثية وغيرها، كما تأكدا من سلامتهما الأخلاقية.

وبهذا المنهج الإسلامى الواضح الذي تحدثنا عنه تفصيلا والمخصص لمرحلة الخطبة - يحرص الإسلام على بناء الحياة الزوجية على أسس شرعية سليمة، بدلا من الضياع الذي ينشأ عن عدم الالتزام بتلك الآداب التي فصلناها. ومما لاشك فيه، أن التزام الأسر والأفراد في المجتمع الإسلامى بتلك الآداب التي أشرنا إليها - يجعل الرجل يقدم على الزواج من مخطوبته التي اختارها وانشرح صدره لها بخطبتها وتأكد من سلامتها الخِلقية والخُلقية ومن كفاءتها له. فهو مطالب بتنفيذ زواجه منها فورا وبدون تباطؤ وكذلك

المرأة أو البنت التي ترضى بمخطوبها الذي وافقت عليه بعد تأكدها من سلامته الخِلقية والخُلقية ومن كفاءته لها. ولهذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير} [1]. وصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم. فلو تكرر الرفض في هذه الحالة حيث لا مبرر له، فلا شك أن ذلك يحدث في الأسر الإسلامية وفى المجتمع الإسلامى حالة من الفوضى وعدم الاستقرار. فتسوء العلاقة بين أفراد وأسر المجتمع الإسلامى، نتيجة لعدم الأخذ بتعاليم الإسلام الواضحة السمحة وتطبيقها حتى يعيش الأفراد والأسر في المجتمع الإسلامى في سعادة وبهجة دائمة واستقرار تام..

* * *

(1) أخرجه الترمذى عن أبي حاتم المذنى وعن أبي هريرة وأخرجه ابن ماجة عن أبي هريرة صـ413، من كتاب منهج السنة في الزواج.

الفصل الثانى:
عقد القران

تعريفه وأركانه وصحته:

جاء في التعريف الشرعى لعقد القران أنه: عقد لحل تمتع بأنثى غير محرمٍ، ومجوسيةٍ، وأَمَةٍ كتابيةٍ، بصيغةٍ لقادرٍ، محتاجٍ أو راجٍ نَسْلاً. وأركانه ثلاثة: ولى ومحل وصيغة.. وصحته بصداق وبشهادة عدلين غير الولى وإن بعد العقد. فيفسخ إن دخلا بلاه (أى بلا إشهاد)[1]. فهو عقد يحتوى على عهد مشدد مؤكد مأخوذ على الرجل لصالح المرأة في حالة ارتباطهما بالزواج حسب الشريعة الإسلامية. لكن المرأة في هذه الحالة مطالبة بالتعاون التام مع زوجها لتسيير دفة الحياة الزوجية عن طريق طاعتها الإيجابية لزوجها، أى في الأمور النافعة شرعا والتى لا إثم فيها عملا بقوله تعالى:{ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ } [المائدة: ٢] الآية.. ولهذا فهو ميثاق غليظ يوافق عليه الزوج كما توافق عليه الزوجة بإيجاب وقبول من الزوج وولى الزوجة. ففى ظل تعاليم الشريعة الإسلامية كلاهما مطالب بتنفيذ ما قطعه على نفسه تجاه الآخر. ولكل منهما حقوق وواجبات، يوجب الإسلام عليه مراعاتها والقيام بها خلال حياته مع الآخر، فهو التزام أبدى لا ينتهى إلا بانتهاء حياته.. ومن هنا وصفه القرآن الكريم بأنه ميثاق غليظ، في قول الله تبارك وتعالى:{ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا (20) وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا } [النساء: ٢٠ - ٢١]. وقد أشار القرآن الكريم إلى أخذ

---

(1) من صـ332 حتى صـ337من متن الجزء الثانى من كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك، تأليف العلامة أبى البركات أحمد الدردير، حاشية الصاوى.

هذا الميثاق من الزوج للزوجة، وذلك نظرا لما للزوج من قوامة شرعية على زوجته. ومن هنا كان هو المسؤول الأول عن تسيير هذه الحياة الزوجية تسييرا صحيحا..

الميثاق الغليظ:

وفى تفسير هذا الميثاق الغليظ وأهميته - أثبت ابن كثير رضى الله عنه آراءً كثيرة لعلماء المسلمين[1]؛ فقد روى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير أن المراد بذلك هو عقد النكاح.. وقال سفيان الثورى عن حبيب بن ثابت عن ابن عباس قال:{ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ } [البقرة: ٢٢٩] وقال ابن أبى حاتم: وروى عن عكرمة ومجاهد وأبى العالية وحسن وقتادة ويحيى بن كثير والضحاك والسدى نحو ذلك.. وقد روى عن قتادة ما يؤيد قول ابن عباس السابق: أن الميثاق هو ما أخذه الله للنساء على الرجال بقوله تعالى:{ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ }[البقرة: ٢٢٩] وكان ذلك يؤخذ عند عقد النكاح؛ فيقال: الله عليك لتمسكن بمعروف أولتسرحن بإحسان " [2]..

ونستأنف ما ذكره ابن كثير في تفسيره حول الميثاق الغليظ. ففى صحيح مسلم عن جابر في خطبة حجة الوداع أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيها:{واستوصوا بالنساء خيرا فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله}.

---

(1) تفسير القرآن العظيم - لابن كثير، الجزء الأول. تفسير سورة النساء، الآية 21 ص434.

(2) ص88من القسم الثانى من كتاب صفوة التفاسير - سورة النساء - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - الطبعة الأولى.

وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس هو قوله:{أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله}. فإن كلمة الله هى التشهد في الخُطبة (خُطبة النكاح). وقد روى البخارى بسنده عن عقبة بن عامر الجهنى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:{أحق ما أوفيتم من الشروط أن توفوا به: ما استحللتم به الفروج} [(1)]..

وفى ظل هذا الميثاق الغليظ تبدأ مباشرة الحياة الزوجية بين الزوج وزوجته بما فيها من متعة مشروعة. ويفى كل طرف بما اتفق عليه مع صاحبه في معية كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وينفذ كل طرف منهما واجبه نحو الآخر قبل أن يطالبه بحقوقه عليه. فهذا العقد المشدد مسئولية مشتركة. يؤدى كل طرف منهما نصيبه منها دون تعَدً، حتى في حالة الخلاف ووصوله إلى نقطة الفراق لا قدر الله. فلا يستولى الزوج مثلا على مؤخر الصداق الواجب عليه نحو زوجته؛ لأنه شرعا مطالب بسداده إذا طلبته الزوجة أو حدث طلاق - لاقدر الله. وذلك عملا بقوله تعالى:{ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖ } [البقرة: ٢٢٩]. فليس من الإحسان المطلوب من الزوج استيلاؤه على حقها أو بعض حقها في حالة الطلاق. أو حتى في حالة استمرارية الحياة الزوجية بينهما. وبمثل هذه الروح من التمسك بتعاليم الإسلام تحافظ الزوجة على حقوق زوجها وتساعده وتتعاون معه على تنفيذ ما ورد بميثاقها الغليظ، والالتزام بذلك طوال حياتها الزوجية معه. فالنساء شقائق الرجال كما قال الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم. والزوج والزوجة شقان لجسد الحياة الزوجية، التي لا يمكن أن تستقيم وتسعد بشق واحد من هذين الشقين..

---

(1) صـ37من الجزء الثالث من كتاب صحيح البخارى، عناية الدكتور محمد تامر - وصـ674من صحيح مسلم - باب الوفاء بالشروط في النكاح - طبعة حسب المعجم المفهرس.

ومن المميزات البارزة لهذا الميثاق الغليظ أنه يتمتع بشهادة واسعة النطاق. فكل من حضر عقد القران، واستمع إلى خُطبة النكاح، وحضر حفل الزفاف الشرعى، وكل من حضر وليمة العرس، وتزيين العروس، وتوصيلها إلى بيت الزوجية وإيناسها هناك، كل هؤلاء شهود على هذا العقد الشرعى المقدس.. ومن مميزاته كذلك أنه يبنى على التأبيد لا على التأقيت. " فإن ذُكِرَ وقتٌ للنكاح ينتهى بعده في العقد - فسخ العقد بلا طلاق لأنه مُجْمَعٌ على منعه " [1]. فهو عقد مؤبد إذا حُدّدَ بوقتٍ يصير باطلا غير شرعى. وهناك صور متعددة للزواج المؤقت الباطل غير الشرعى، نذكر منها:

زواج المتعة: وهو صورة من صور الزنى كما يقول العلماء.. فعن الزهرى عن سالم عن أبيه قال: سُئل ابن عمر عن متعة النساء فقال: " لا نعلمه إلا السَّفاح " [2].. وأخرج ابن أبى شيبة عن ابن أبى ذئب أن عبد الله بن الزبير خطب فقال: " ألا وإن المتعة هى الزنى " [3] وعن هشام ابن عروة: أن عروة كان يَنْهَى عن نكاح المتعة ويقول: " هى الزنى الصريح " [4]. وقد روى مسلم عن ابن أبى عمرة: أنها كانت رخصة في أول الإسلام لمن اضطر إليها: كالميتة والدم ولحم الخنزير،

---

(1) صـ387من متن الجزء الثانى من كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك - تأليف أبى البركات أحمد الدردير - حاشية الصاوى.

(2) أخرجه ابن أبى شيبة في المصنف (3 - 2 - 207أ،ب)والسفاح هو الزنى صـ187من منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(3) نفس الصفحة من المصدر السابق.

(4) نفس الصفحة من المصدر السابق.

ثم أحكم الله الدين ونهى عنها " [1].. ودليل تحريمها المؤبد، ماروى من حديث الربيع بن سبرة عن أبيه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما بين الركن والباب وهو يقول:{يأيها الناس إنى قد أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده شىء منهن فليُخْلِ سبيلَه، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا} [2].. ومنها أيضا: نكاح الأخدان: وقد نهى عنه القرآن الكريم، في قوله تعالى:{ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } الآية [النساء: ٢٥]. فقد أمر الله عز وجل غير ذوى السعة وغير ذوى الهوى -

---

(1) صحيح مسلم الطبعة المرقمة من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث صـ 668.

(2) رواه أبوبكر بن أبي شيبة 207/1/3، ومسلم في كتاب النكاح - باب نكاح المتعة صـ667.

على رأى ربيعة، وغير القادرين على الزواج من الحرائر العفائف - بأن يتزوجوا من الإماء المؤمنات اللاتى يملكهن المؤمنون. قال ابن عباس وغيره من المفسرين: فلينكح من إماء المؤمنين ثم نبه إلى أن السَّيِّدَ هو ولى أَمَتِهِ، لا تُزوج إلا بإذنه. ونبه سبحانه كذلك إلى وجوب دفع مهورهن بالمعروف، عن طيب خاطر دون بخس أو استهانة. فهن عفائف عن الزنى. وهن غيرمسافحات، يَمْنَعْنَ مَنْ أرادهن بالفاحشة من اقترافها معهن. ولا هن من ذوات الأخدان[1].. والأخدان هم الأصدقاء. وهم ما يصطفيه الإنسان لنفسه من الخليلات العشيقات. وما تصطفيه المرأة لنفسها من الأخلاء والعشاق[2]. وليس إماء المسلمين من تلك الطائفة..

ومنها كذلك: نكاح الاستبضاع: حيث يبحث الرجل والمرأة (الزوجان) عن بضع غير بضع الزوج لأنه لا ينتج نسلا. وذلك يؤدى إلى ضياع الأنساب، وحقوق النسل الناتج عن هذا الزواج غير الشرعى[3].

---

(1) ابن كثير مع التصرف من صـ451 الجزء الأول.

(2) قاله ابن عباس وأبو هريرة ومجاهد والشعبى والضحاك وعطاء الخراسانى وغيرهم صـ221 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(3) صـ42بتصرف من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد لعبد العزيز الشناوى.

ومنها أيضا نكاح الاستلحاق:: وهو صورة مزرية للنكاح غير الشرعى. حيث يدخل الرهط (من ثلاثة فأكثر) على المرأة وبعد أن تحمل وتنجب تجمع الرهط وتخبرهم بأنها حملت منهم وأنجبت. ثم تلحق نسلها بما شاءت من الرهط، دون إعطائه فرصة للمعارضة[1]..
ومنها كذلك: نكاح البغايا: وهن اللاتى يتصيدهن الرجال الحمق فيجامعوهن فيحملن. فإذا
حملت إحداهن من الجمع الذين دخلوا عليها، ووضعت حملها، جُمِعُوا لها، ودعوا لها القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذى يرون فالتاطته ودعى ابنه لا يمتنع عن ذلك " [2].. وهو شبيه بنكاح الاستلحاق.
ومن ذلك أيضا: نكاح اللقاح الصناعى: فتحقن المرأة بموافقتها وموافقة زوجها بماء رجل آخر معروف بالإنجاب للذكور ويتكرر الحقن إلى خمس مرات إلى أن تحمل. وقد يشترك أكثر من رجل فتحقن بمائهن إلى أن تحمل[3].. فكل الأنكحة التي ذكرنا صورا منها غير شرعية، وينتج عنها ضياع الأنساب وضياع حقوق النسل الناتج عن هذا العبث الشيطانى. علاوة على مايحسه فاعلوها وفاعلاتها من ندم وما يجنونه من شقاء في العيش جزاء ما اقترفوا من الإثم. والأولى بالجميع أن يسيروا في الطريق الصحيح طريق الميثاق الغليظ. طريق الشريعة اللإسلامية السمحاء..

---

(1) من صـ40 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى. وقد تحدث عنه تحت عنوان تعدد الأزواج.

(2) صـ223من كتاب منهج السنة في الزواج - القافة: الاتِّباع - التاطته: أى ادعته ولدا له.

(3) صـ223 من المصدر السابق مع التصرف.

ونظرا لتحريم المتعة وغيرها من صور النكاح غير الشرعية تحريما مؤبدا، ولاحترام عقد النكاح وتنفيذه تنفيذا دقيقا في إطار الشرعية الممنوحة له - لجأ حكام المسلمين بعد أبي بكر الصديق رضى الله عنه إلى تقصير مدة الغزو لأقل فترة ممكنة. مراعاة لظروف أفراد جيش الغزو وبعدهم عن زوجاتهم وعائلاتهم. وكان المسلمون الغازون يتركون أسرهم ويسافرون في الغزو لأزمان طويلة. وقد راعى عمر بن الخطاب رضى الله عنه طاقة الزوجة وقدرتها على تحمل فراق زوجها والحد الأقصى لهذا التحمل. وكان الإسلام قد تمكن من نفوس المؤمنين والمؤمنات، وكان تمسكهم ونساؤهم بتعاليم دينهم ومبادئه يعصمهم من الزلل، رجالا ونساءً. ولعمر بن الخطاب رضى الله عنه موقف رائع وحوار مشهور مع امرأة غاب عنها زوجها فترة من الزمن لتجنيده في الغزو.

وقد ذكر الفقهاء وغيرهم في مناسبة تأجيل المولى بأربعة أشهر الأثر الذي رواه الإمام مالك بن أنس في الموطأ عن عبد الله بن دينار قال: خرج عمر بن الخطاب من الليل فسمع امرأة تقول:

تطاول هذا الليل واسود جانبه ::: وأرقنى ألا ضجيع ألاعبه

فوالله لولا الله أنى أراقبه ::: لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عمر ابنته حفصه رضى الله عنها كم أكثر ما تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت ستة أشهر أو أربعة أشهر، فقال عمر: لا أحبس أحدا من الجيوش أكثر من ذلك[1].

وفى تفصيل لما قالته المرأة قال محمد بن إسحاق عن السائب بن جبير مولى ابن عباس وكان قد أدرك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قال: ما زلت أسمع حديث عمر أنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة وكان يفعل ذلك كثيرا إذ مر بامرأة من نساء العرب مغلقة بابها تقول:

---

(1) ص 254 من الجزء الأول من كتاب تفسير القرآن العظيم - لابن كثير.

تطاول هذا الليل وازور جانبه ::: وأرقنى ألا ضجيع ألاعبه

ألاعبه طورا وطورا كأنما ::: بدا قمرا في ظلمة الليل حاجبه

يسر به من كان يلهو بقربه ::: لطيف الحشا لا يحتويه أقاربه

فوالله لولا الله لا شيء غيره ::: لنقض من هذا السرير جوانبه

ولكننى أخشى رقيبا موكلا ::: بأنفاسنا لا يفتر الدهر كاتبه

مخافة ربي والحياء يصدنى ::: وإكرام بعلى أن تنال مراكبه[1]

فسأل عمر عنها فقيل له هى فلانة فقال لها أمير المؤمنين عمر: مالك؟ فقالت: أغْزَيْتَ زوجى

منذ أشهر، وقد اشتقت إليه فقال لها الفاروق رضى الله عنه: أردت سوءًا؟ فقالت معاذ الله. فقال عمر: فأمسكى عليك نفسك فإنما هو البريد إليه وبعث عمر إلى زوجها فأقفله (أى أعاده) من الغزو.. ودخل عمر إلى ابنته أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها، فقال لها: يا بنية: كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت حفصة: سبحان الله. مثلك يسأل مثلى عن هذا؟ فقال عمر: لولا أنى أريد النظر إلى المسلمين ما سألتك. فخفضت حفصة رأسها واستحيت. فقال لها عمر: فإن الله لا يستحى من الحق. فأشارت أم المؤمنين حفصة بيدها.. خمسة أشهر ستة أشهر.. فَوَقَّتَ الفاروق للناس في مغازيهم ستة أشهر. يسيرون شهرا، ويقيمون أربعة، ويسيرون راجعين شهرا " [2].

---

(1) نفس الصفحة من المرجع السابق

(2) رواه عبد الرزاق في الجامع صـ114،صـ115 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

وبذلك أسهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه في إسعاد الزوجين، ومساعدتهما في الإبقاء على روح وهيبة الميثاق الغليظ. وتنفيذ ما شرع الله به من اتصال جنسى بين الزوجين. وفى هذا تدعيم وإسعاد لبيت الزوجية الذي أُسِّسَ بناءً على هذا الميثاق الشرعى الغليظ...

* * *

الفصل الثالث:
ما يصاحب العقد

وتستمر الشريعة الإسلامية في بيان ما يُسعد الزوجين وأسرتيهما والمجتمع الإسلامى كله. فليس عقد الزواج وحده هو الذي يسعد الزوجين، بل هناك ما يصاحب هذا العقد الشرعى المغلظ ويدعمه ويبرز مواطن الفرحة والسعادة به. فهناك خُطبة النكاح، والولاية في الزواج، والإشهاد عليه، والصَّداق، والدف والغناء المباح. وكل هذه الأمور تشيع البهجة والفرح والسعادة، وتبارك هذا الميثاق الغليظ الذي تم بين الزوجين. ولابد أن نشير هنا بإيجاز إلى كل من هذه الأمور التي تصاحب العقد وتُوجد معه جوا من السعادة والهناء والاستقرار والاطمئنان

أولا: خُطبة النكاح:

تسبق خُطبة النكاح خُطبة الخِطبة. وصفتهما واحدة وفيهما يبين الغرض من الخُطبة. وكلاهما مندوب. وفى ذلك يقول الإمام مالك رضى الله عنه: " ونُدِبَ خُطْبةٌ بخِطبةٍ وعقدٍ "[1].

وخُطبة النكاح هى كلمة موجزة تصاحب العقد وتكون مقدمة له. وهى في الإسلام مندوبة لم ترق إلى مرتبة الوجوب.. ودليل ندبها وعدم وجوبها: مارواه أبو داود من حديث رجل من بنى سليم: " خَطبتُ إلى النبى صلى الله عليه وسلم أمامة بنت عبد المطلب فأنكحنى من غير أن يتشهد "[2]. والمقصود بالتشهد هنا ما يقال في مقدمة خُطبة النكاح: من شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فلو كانت كلمة التشهد واجبة في هذا الموضع

---

(1) صـ338 من الجزء الثانى من كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك - تأليف أبى البركات أحمد الدردير - حاشية الصاوى.

(2) رواه أبو داود في سننه 322/2.

لتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم... وصفتها: أولا: التشهد: ويشتمل على حمد الله واستغفاره. وطلب الهداية منه سبحانه، وشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.. ثانيا: ذكر ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل تدل على وجوب تقوى الله تعالى وطاعته وصلة الأرحام والصدق في القول. وقد أشار العلامة الشيخ أحمد الصاوى في حاشيته على كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك[1] - إلى الآيات التي تقال في هذه المناسبة، من مثل قوله تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } [آل عمران: ١٠٢].. وقوله تعالى:{ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } [النساء: ١] الآية.. وقوله تعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ } [الأحزاب: ٧٠].. ثالثا: ذكر الحاجة وهى هنا بناء الزواج على من خطبها مع ذكر اسمها واسم أبيها، ويشمل ذلك الإيجاب والقبول من ولى الزوجة والزوج أو من ينوب عنه. رابعاً: كلمة تتعلق بكل من الزوج والزوجة ومميزاتهما وصفاتهما الحميدة. ومن الأفضل أن يذكر ذلك ولى الزوجة حتى لا يكون الزوج مزكيا لنفسه حسب رأى من يقول ذلك. وإن لم يتيسر فليقلها من ينوب عن الزوج في حالة غيابه. أو يلقها حينئذ الزوج إن كان حاضرا. فيبدأ بذكر محاسن الزوجة ثم يعبر عن ترحيبه ورضاه بهذا الارتباط الشرعى ويعبر عن تمنيه أن يكون ارتباطا سعيدا موفقا.. خامساً: يعبر كل من ولى الزوجة وولى الزوج أو من ينوب عنه في حالة غيابه عن مشاعرهما الطيبة لهذا الارتباط بين طرفين متكافئين في الدين والأخلاق الكريمة.. هذا ويندب أيضا تقليل الخُطبة لأكبر قدر ممكن حتى لا يسأم الحاضرون في حالة تكثيرها[2]، وخصوصا إذا لم يكن هناك داع للتكثير..

---

(1) هامش صـ338 من كتاب الشرح الصغير السابق ذكره - الجزء الثانى.

(2) نفس الصفحة من المصدر السابق ذكره.

وكمثال واضح ومشهور لخُطبة النكاح - نذكر ما ورد في زواج أم المؤمنين أم حبيبة بنت أبي سفيان. فقد قال الزبير بن بكار، حدثنى محمد بن الحسن، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو بن زهير عن إسماعيل بن عمر أن أم حبيبة بنت أبي سفيان قالت: " ما شعرت وأنا بأرض الحبشة إلا برسول النجاشى - جارية يقال لها أبرهة - كانت تقوم على ثيابه ودهنه، فاستأذنت عليّ فأذنت لها، فقالت: إن الملك يقول لك: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إليّ أن أُزَوِّجَكِهُ، فقلت: بشركِ الله بالخير، وقالت الجارية: يقول لك الملك: وكِّلى مَنْ يزوِّجُك، قالت فأرسلتُ إلى خالد بن سعيد بن العاص فَوَكّلَتْهُ.. فلما أن كان من العشى - أمر النجاشى جعفر بن أبي طالب ومن كان هناك من المسلمين أن يحضروا، وخطب النجاشى، وقال: " الحمد لله الملك القُدُّوس المؤمن العزيز الجبار. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأنه الذي بشر به عيسى ابن مريم.. أما بعد فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب إليّ أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان. فأجبت إلى مادعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أصدقها أربعمائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدى القوم. فتكلم خالد بن سعيد فقال: الحمد لله.. أحمده وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.. أما بعد.. فقد أجبت ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان، فبارك الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم " ودفع النجاشى الدنانير إلى خالد بن سعيد فقبضها " [1].. وكان ذلك سنة ست من الهجرة وقيل سنة سبع منها..

---

(1) البداية والنهاية 1043/4 - 144. وانظر صـ121،صـ122 من كتاب منهج السنةفى الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

والملاحظ والمعلوم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحتج إلى تعريف في هذه الخطبة. فجميع المسلمين يعرفونه ويطمئنون إليه ويصدقونه في كل ما يقوله ويباركون له كل ما يفعله. وكذلك أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب لم تكن أيضا في حاجة إلى من يعرفها. ومن أجل ذلك جاءت خُطبة النكاح في هذا المقام قليلة في ألفاظها كثيرة في معانيها. فزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من إحدى نساء المسلمين شرف كبير لها ولأسرتها، تسعى إليه كل نساء المسلمين في ذاك الزمن وتتمناه...

ونسوق للقارئ الكريم مثالا آخر تتضح فيه قلة خُطبة النكاح إلى درجة أكثر من سابقه. وقد حدث هذا في زواج محمد صلى الله عليه وسلم من خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضى الله عنها. حيث قام أبو طالب في مجلس العقد، فخطب خُطبة النكاح وكان فيها: " أما بعد فإن محمدا مما لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا. وإن كان المال قل، فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة. له في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك. فقال عمرو بن أسد - عم خديجة -: هذا الفحل لا يقرع أنفه " [1].

ومن الملاحظ أن كلمات أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت قليلة في هذا المقام الذي لا يحتاج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تعريف. وكانت كلمات عمها ووليها في هذا الزواج المبارك، أقل، لأن خديجة رضى الله عنها كانت لها مكانة معروفة مرموقة في قومها وكانت أشهر من أن تعرف.

---

(1) صـ45 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى - لا يقرع أنفه أى لا يرفض له طلب.

وهكذا نجد خُطبة النكاح على هذا النحو الذي ذكرناه ومثلنا له - ذات أثر كبير في تثبيت دعائم النكاح، وصبغه بصبغة الشرعية. من خلال إعلانه والإشهاد عليه بحضور وليّ الزوجة، وولى الزوج أو من ينوب عنه إن كان غائبا لم يحضر مجلس العقد. فهى إذن بشر وفرح ونور وسعادة وسرور، ينطبع على هذا الزواج، فيسعد به طرفاه (الزوج والزوجة) وأسرتاهما سعادة غامرة....

ثانيا: الولاية في الزواج:

لقد أحل الله الفروج في إطار الميثاق الغليظ وهو عقد النكاح الشرعى. وحتى يصطبغ هذا العقد بالصّبغة الشرعية، كان لابد أن يحضر ولى الزوجة مجلس عقد النكاح ويعلن موافقته عليه، فنجد قوله تعالى:{ وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ } [النور: ٣٢].. ونجد أيضا قوله عز وجل:{ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } [البقرة: ٢٢١].. ففى آية سورة النور، نجد الرجال هم المأمورون بتزويج الأيامى من الأحرار، والأيم هى من فقدت زوجها من النساء، ومن فقد زوجته من الرجال، والرجال مأمورون أيضا بتزويج الصالحين من عبيدهم وإمائهم.. وفى آية سورة البقرة، نجد كذلك أن الرجال المؤمنين منهيون عن تزويج أنفسهم من النساء المشركات إلا إذا آمّن وأعلَنّ إيمانهُنَّ. فالأمة المؤمنة خير من المشركة الحرة

ولو أُعجب بها من أُعجب. والرجال المؤمنون أيضا منهيون عن أن يُنكحوا بناتهم للمشركين، إلا أن يؤمنوا ويعلنوا إيمانهم. فالعبد المؤمن خير من الحر المشرك ولو أُعجب به من أعجب، فالمؤمن يدعو إلى الجنة، والمشرك يدعو إلى النار. والإنسان العاقل لا يعمل إلا ما فيه مصلحته ومصلحة أولاده وبناته في الدنيا والآخرة وفى إطار الشريعة الإسلامية..

وإذن فلا بد من تواجد الرجل كولى للمرأة أو البنت في مجلس عقد زواجها وموافقته وإذنه فيه على الزواج. وليس للمرأة أو البنت أن تزوج نفسها ولا أن تزوج غيرها من بنات جنسها مستغنية عن تواجد وليها أو ولى غيرها في مجلس العقد وإذنه وموافقته على هذا الزواج.. ولا يظن أحد أن الثيب معفاة من تواجد وليها وموافقته على زواجها في مجلس العقد عليها، لأن الثيب والبكر في هذا الحكم سواء. وقول النبى صلى الله عليه وسلم :{الأيم أحق بنفسها من وليها} الحديث - يثبت للثيب حقها في اختيار من تريد الزواج منه، دون موافقة الولى على اختيارها. أما بعد الاختيار. فلابد من وجود وليها في مجلس العقد ليعلن موافقته على زواجها ممن اختارته. وقد ورد ذلك في صحيح ابن حيان. وعَقَّبَ عليه بقوله: قوله صلى الله عليه وسلم :{الأيم أحق بنفسها} أراد أحق بنفسها من وليها بأن تختار من الأزواج ما شاءت فتقول: أرضى فلانا ولا أرضى فلانا. لا أَنَّ عقدَ النكاح جائزٌ دون الأولياء[1]. وقد ورد في شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك لحديث ابن عباس " الأيم أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها وإذنها صماتها ". أنه لما صح قوله صلى الله عليه وسلم :{لا نكاح إلا بولى} مع غيره من الأحاديث الدالة على اشتراط الولى، تعين أنَّ المراد: أن الأيم أحق بالرضا دون العقد وأن حق الولى في العقد. ودل أفعل التفضيل المقتضى المشاركة على أن لوليها حقا آكد، وحقها أن لا يتم ذلك إلا برضاها " [2]..

---

(1) صحيح ابن حبان (280/2/6) - هامش ص130 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2) ص126 من الجزء الثالث من شرح الزرقانى على موطأ مالك.

ولم ينفرد القرآن الكريم بتوضيح ذلك. فقد جاء في السنة النبوية المباركة بالإضافة إلى الحديث الذي سبق نقاشه الآن " الأيم أحق بنفسها " الحديث - ما يؤيد ذلك. ومنه قول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{أيما امرأةٍ نُكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل. فنكاحها باطل. فنكاحها باطل، فإن اشتجروا فالسلطان ولَيٌّ من لا ولى له، فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها} [1]. فهذا الحديث النبوى الشريف، يؤكد أن زواج المرأة سواء كانت ثيبا أم بكرا بدون إذن وليها - يكون باطلا. وإن جامعها في هذه الحالة فيكون من حقها المهر، بسبب استمتاعه بها على هذا النحو، وإن اختلفوا فالسلطان وليهم، يحكم بينهم بحكم الله عز وجل.. ومن هذا القبيل أيضا ما ثبت عن أم المؤمنين عائشة، رضى الله عنها، أنها حضرت زواج رجل من بنى أخيها. فضربت بين الرجال والنساء بستر، وتكلمت عن الزواج ومشروعيته ومكانته في الإسلام، فيما يعرف بخطبة النكاح، حتى إذا لم يبق إلا أن تعقد، فأمرت رجلا فأنكح.. وفى ذلك أخرج عبد الرازق في المصنف عن عائشة رضى الله عنها: أنها أنكحت رجلا من بنى أخيها. فضربت بينهم بستر ثم تكلمت حتى إذا لم يبق إلا العقد. ثم أمرت رجلا فأنكح،

(1) أخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجة والدارسى والحاكم وأبو عوانة وابن خزيمة وابن حبان من حديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم ص101 - من منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور..

ثم قالت: " ليس إلى النساء نكاح " [1]. فهذا تأكيد من أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، بأن المرأة ليس من حقها أن تزوج نفسها أو غيرها.. ومن ذلك أيضا، قول النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم :{لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها} [2]. فهذه الرواية أيضا توضح أن المرأة لا تستقل بعقد زواجها أو زواج غيرها.. وأنه لابد من حضور الولى إلى مجلس العقد وإعلان موافقته.. بل إن الشريعة الإسلامية تعتبر تزويج المرأة أو البنت لنفسها بغير حضور وليها مجلس العقد وإذنه لها بالزواج يعتبر نوعا من الزنى.

فالمسألة هامة وتداعياتها خطيرة تمس شرف المرأة أو البنت وشرف عائلتها وأثر ذلك على علاقتها بسائر المسلمين والمسلمات، وعلى عائلتها وعائلة من اعتدى عليها بهذا الشكل وأثر ذلك أيضا على المجتمع الإسلامى. ولكل ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم محذرا المرأة أو البنت وعائلتها والعائلة التي تريد الارتباط بها بهذا الشكل غير الشرعى:{أيما امرأةٍ زوجت نفسها من غير إذن ولىّ فهى زانية} [3]. ولما كانت مسألة حضور ولى المرأة أو البنت مجلس عقد نكاحها وإعلان موافقته على الزواج في هذا المجلس - قد تتعذر لظروف

---

(1) التعليق المغنى على الدار قطنى 226/3. صـ 101 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2) أخرجه الدارقطنى في السنن 227/3 - 228 عن أبي هريرة.

(3) أخرجه الخطيب عن معاذ بن جبل صـ92 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى..

ما. فهنا يجوز لولى الأمر الحاكم أو من ينوب عنه. أن يكون هو الولى في هذه الحالة عن زواج البنت أو المرأة يَحْضُر العقد أو يُنِيب من يحضر عنه حتى يتم الزواج بطريقة شرعية لا عدوان فيها على شرف البنت وعائلتها والعائلة التي تريد الارتباط معها. ومن هنا يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{لا نكاح إلا بإذن ولى مرشد أو سلطان} [1].

ولذا يعتبر حضور ولى المرأة أو البنت مجلس العقد عليها وموافقته على زواجها - عند الفقهاء - أحد أركان عقد الزواج الذي لا يتم إلا به[2].

وقد سار على هذا النهج النبوى الشريف في وجوب حضور ولى المرأة مجلس عقد زواجها - صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتابعون، والمسلمون من بعدهم. ومن أقوال الصحابة في ذلك: " لا تنكح المرأة إلا بإذنن وليها أو ذى الرأى من أهلها أو السلطان " [3]. ومن أقوال التابعين في ذلك: ما جاء عن إبراهيم النخعى: " لا نكاح إلا بولى أو سلطان " [4].

وما استحدث في هذا الزمن من جعل المرأة مأذونة شرعية يجب ألا يُخيف أحدا، لأنها تفعل ما يفعله المأذون الشرعى. حيث تكون مهمتها توثيق الزواج الذي لا يتم شرعا إلا بحضور ولى المرأة أو البنت مجلس العقد وإعلان موافقته على الزواج كما قدمنا. فكوْنُ المأذون رجلا أو امرأة لا يغير شيئا من الشرعية التي يتمتع بها الولى في هذه الحالة..

---

(1) صـ101 من كتاب منهج السنة في الزواج للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2) صـ335 من الجزء الثالث من كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك - تأليف أبي البركات أحمد الدردير - حاشية الصاوى..

(3) رواه سعد بن المسيب عن عمر بن الخطاب. ورواه مالك في الموطأ صـ 325. طبعة الشعب.

(4) أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة ص 112 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

وليكن معلوما أن وجوب تواجد الولى عن الزوجة في مجلس العقد وإذنه وموافقته وإضفاء روح الشرعية على الزواج - ليس معناه أن ولى المرأة أو البنت يملك أن يكرهها على الزواج من رجل تكرهه أو لا تريده لعلة شرعية تعلنها، أيا كانت اجتماعية أو نفسية. فمبادئ الإسلام وتعاليمه تلزم الولى بالتشاور مع من يتولى أمر زواجها في علة رفضها. فإما أن تقنعه بصحة ماتبديه من علة للرفض، أو يقنعها هو بأن العلة التي تبديها لا أساس لها من الصحة وعليه فليس لها أن تعترض.. وقد سبق أن عرضنا سبب رفض الخنساء بنت خزام الأنصارية لابن عمها بسبب أن أباها وهو وليها يريد أن يزوجها من ابن أخيه ليرفع بها خسيسته. ويبدو أنها كانت تراه فقيرا لا يناسبها. ولما طلب منها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجيز ما صنع أبوها، رفضت في أول الأمر، فأعطاها الرسول صلى الله عليه وسلم الحق والحرية في اختيار من يناسبها. فعادت وأعلنت أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها أجازت ما صنع أبوها بعد أن عرفت منه صلى الله عليه وسلم أن لها الحق في اختيار من تشاء دون إكراه..

ومن جهة أخرى يجب ألا يكون للولى هدف شخصى يسعى إلى تحقيقه من وراء هذا الزواج، أو طمع في كسب مادى يريد الوصول إليه من خلال إتمام هذا الزواج.

كما يجب ألا تكون المرأه أو البنت معوقة التفكير أو جامدته. لا تستطيع تحقيق الأفضل لها. فإذا رأت أنها كذلك أو رأى وليها فيها ذلك - فليتصرف بما فيه مصلحتها. فقد يكون اعتراضها محاولة لفرض رأيها وليس لمصلحة لها في الرفض أو الاعتراض. وربما يكون رأيها خطأ يؤدى إلى الإضرار بها. وهنا أيضا يتصرف وليها بفعل ما فيه مصلحتها وعليه أن يقنعها برأيه، وبأن ما يقوله وما يفعله من أجل مصلحتها التي هو أدرى بها منها. ولا شك أنه ذو خبرة في هذا الأمر،

ويعلم التصرف المؤدى إلى مافيه مصلحتها بقوة إيمانه بالله عز وجل، وبحكم مسئوليته عمن يتولى أمرها. ونلمس ذلك أيضا في قصة زواج الخنساء التي اختار لها أبوها - وهو وليها - ابن عمها لعلمه أنه الأصلح لها. ومسألة قلة المال تدرك مع الاستعانة بالله تعالى والاستقامة على طريقه عز وجل، والسعى الحثيث من الزوج في تحسين دخله الذي ينبغى أن يمكنه من باءة الزواج. وقد سارعت الخنساء إلى الاستجابة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتنعت بابن عمها وباختيار أبيها لها من يناسبها، فهو وليها وأقرب الناس إليها وأعرفهم بمصلحتها..

ولهذا نجد الولى الشرعى في الزواج عند جمهور الفقهاء هو الأب أو الأقرب ذو العصبة كالأخ أو الإبن، أو السلطان، أو من ينوب عنه[1].

والعقد لا يمضى بالأبعد مع وجود الأقرب إلا برضاه (أى رضا الأقرب)[2].. وبعض الناس يرون في تقديم الأبعد في الولاية مع وجود الأقرب - فخرا أمام الناس. فقد ينيب الأب وهو الأقرب أخاه (عم العروس) مع أنه أبعد منه، على سبيل الفخر، لمنزلة أخيه الكبيرة بين الناس. والمهم في هذه الحالة الرضا من الأقرب عن تقديم الأبعد. فالإسلام لا يمنع هذا، مادام الولى الشرعى قد رضى بهذا التقديم.

---

(1) هذه الفقرة والتى قبلها مأخوذة بتصرف واختصار من الجزء الثالث من كتاب الفقه المالكى الشرح الصغيرلأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك - تأليف أبى البركات أحمد الدردير - حاشية الصاوى من ص 351 إلى ص 366.

(2) ص 367 من نفس المرجع السابق.

وإذا تباعد الأولياء فلا بأس أن يلى النكاح منهم - ذو الحال أو السن. ويقصد بذى الحال هنا ذو الصلاح وإن كان غيره أقرب منه.. والواجب عند ذلك أن تراعى أمور ثلاثة هى: الصلاح والدين والرأى[1]. وذو الرأى هو الأكثر خبرة بهذه الأمور عادة بالإضافة إلى صلاحه وتمسكه بمبادئ الدين الإسلامى. كما يجوز أن ينيب الولى من هؤلاء الذين تتوفر فيهم الأمور الثلاثة السابقة - من يحضر عنه حال العقد إذا كان عنده عذر شرعى يمنعه من الحضور.

وهكذا نجد الولاية في الزواج بكل ما يقترن بها من نواح إنسانية وشرعية ونفسية - من شأنها أن تجعل الزواج سعيدا يرفرف عليه التوفيق الدائم، فيسعد به من يرتبط به من الأفراد والأسر. وهذا مقصد إسلامى رفيع، يجعل المجتمع الإسلامى أكثر سعادة واستقراراً من خلال الزواج الشرعى...

ثالثا: الإشهاد على العقد:

يعتبر الإشهاد على عقد الزواج دعامة هامة للعقد تكون في مجلسه، وتساهم في إسعاد بيت الزوجية والأسرة المسلمة الوليدة، وبه يحس الزوج والزوجة بالسعادة الحقيقية. حيث يبعدان بهذا الإشهاد الشرعى عن العبث في المجال الجنسى، الذي يضيع الطاقة الجنسية، ويصرفها في غير المفيد وغير الشرعى، حيث لا ولاية ولا إشهاد في العقد السرى أو العرفى كما يسميه البعض.. وبهذا الإشهاد أيضا يعترف المجتمع الإسلامى بهذه العلاقة اعترافا كاملا، من الناحية الشرعية والناحية القانونية. وكذلك يعترف المجتمع الإسلامى في ظله بما ينتج عن هذه العلاقة من ذرية ووراثة وحقوق وواجبات والتزامات، تنتج عن هذا الزواج الشرعى.

---

(1) ص 368 من نفس المرجع.

فلن تكون هناك اعتراضات ولا منازعات من أى طرف مرتبط بهذه العلاقة الشرعية.. فالإشهاد على الزواج في حدود الشرعية الإسلامية يعتبر شرط صحة لعقد الزواج..

ولا يكون هذا الإشهاد شرعيا ولا صحيحا إلا بشهادة عدلين غير الولى.. فلا يصح بلا شهود ولا يصح بشهادة رجل وامرأتين على الأغلب: وقال أحمد وإسحاق: إنه يصح بشهادة رجل وامرأتين ويكون عند من قال به في حالة عدم وجود شاهدين عدلين من الرجال.. وكذلك لا يصح بشهادة عدلين أحدهما ولى المرأة، وإن كان البعض قد أجاز ذلك في حالة الضرورة.

ولا يصح الزواج أيضا بشهادة امرأتين.. ومن باب أولى لا يصح بشهادة امرأة واحدة.. ولا يصح كذلك بشهادة فاسقين، ولا مستورى الحال.. ويفسخ الزواج بطلقة واحدة بائنة، إن دخلا بلاه. أى بلا إشهاد[1]..

ويقع المقبلان على الزواج (الزوج والزوجة) في خطأ كبير وخطير - إذا بنيا عش زواجهما على غير إشهاد شرعى. فتلك وسيلة عدوانية شيطانية يلجأ إليها عادة ذئاب البشر الذين لا يهمهم في دنياهم إلا إشباع غرائزهم الجنسية فقط. فلا يهمهم ولاية ولا إشهاد. ولو كان ذلك

---

(1) بتصرف واختصار من ص335 إلى ص337 من الجزء الثالث من كتاب الفقه الإسلامى: الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك تأليف العلامة الدرديرى - حاشية الصاوى.

التصرف المشين على حساب الفتيات الجاهلات الغافلات عن أحكام الشريعة الإسلامية التي تُؤَمِّنُ الراغبة والراغبات في الزواج. ولو كان ذلك أيضا على حساب أهالى هؤلاء الفتيات الذين يَدَّعُون أنهم يتمتعون بقسط وافر من الحرية، وأنهم يمنحون هذه الحرية لأولادهم وبناتهم. ويقع هؤلاء الفتيات الجاهلات وأهاليهن في مأزق خطير ومروع نتيجة هذه الحرية المزعومة وخصوصا عندما يتنصل الذئب البشرى من عمله الفاضح المفضوح، وينكر علاقته بمن دنس شرفها وشوه كرامتها واعتدى على عِرضها، وينكر زواجه منها بعد أن يتحايل على ضحيته وينتزع منها الورقة التي تدل على ارتباطه بها بلا ولاية ولا إشهاد، فيجردها من سلاحها الوحيد التي به تستطيع الدفاع عن نفسها عند افتضاح أمرها.. وينتج عن هذا الالتقاء الذي لا شرعية فيه ولا أخلاق - طفل بريء أو طفلة بريئة. تكون ضحية هذا العبث غير المسئول حيث يتنكر الأب لولده أو ابنته هاربا من العار وذل الفضيحة، ومن العدالة الشرعية التي ستواجهه عند انكشاف أمره.. ولا يخفى على أحد أن إصرار الزوج الجاهل على إخفاء زواجه من ضحيته وعدم الإشهاد على هذا الزواج بحجة واهية هى أنه لم يكمل استعداداته بعد لهذا الموقف - يجعل هذا الزواج قائما على غير أساس شرعى. وإذا مالت البنت البريئة إلى رأيه وصدقته ووافقته على سرية زواجهما وعدم الإشهاد عليه - فإن العلاقة السرية التي تقوم بينهما حينئذ

تكون أقرب إلى الزنى منها إلى الزواج الشرعى.. والدليل على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{البغايا: اللاتى يُنكحن أنفسهن بغير بينة} [1]. فالبينة تشمل الإشهاد كما تشمل الولاية.. والعلاقة السرية تفتح الباب دائما أمام القيل والقال، وسوء الظن والخوض في

(1) أخرجه الترمذى عن ابن عباس ص101 من كتاب منهج السنة في الزواج. والبغايا جمع بغى وهى الزانية. والبينة هى حضور الشهود والولى.

الأعراض أمام الناس. فهى تشوه صورة طرفى الزواج. وبذلك تتعرض سلامة وأمن وسعادة هذه الأسرة الإسلامية الناشئة للخطر، مما يؤثر بالسلب على المجتمع الإسلامى كله، إذا تكرر ذلك الفعل في كثير من الأسر الإسلامية الناشئة..

ومن أجل ذلك نهت الشريعة الإسلامية بحسم عن الزواج السرى، الذي يحلو للبعض أن يسميه بالزواج العرفى، مع أن الفارق كبير بينهما: فالزواج السرى لا وجود فيه للولى والشهود على نحو شرعى في مجلس العقد. وهذا بخلاف الزواج العرفى الصحيح، حيث يتواجد في مجلسه الولى والشهود لكن إعلانه يُؤخر لسبب أو لآخر، يكون عادة سببا مقبولا عقلا وشرعا.. كما أن الزواج السرى الخالى من الولى والشهود في مجلس العقد - يكون خاليا من السكن والمودة والرحمة بين الزوجين تلك التي تتواجد في الزواج الشرعى المحصن شرعا وقانونا بحضور الولى مجلسه وبشهادة الرجلين العدلين. فالولاية والإشهاد يضيفان إلى الجو الأسرى السعيد الناتج عن هذا الارتباط الشرعى - سعادة دائمة، ملازمة للزوجين ولأسرتيهما طوال حياتهما. وبذلك يشعر الزوجان في بيتهما الناشئ الجديد - بالاطمئنان والاستقرار، اللذيْن يتولد عنهما في ظل الشريعة الإسلامية ومبادئها، السكن والمودة والرحمة. وينعم بذلك أيضا من ينشأ عن هذا الارتباط الشرعى من ذرية تملأ بيت الزوجية سعادة وبهجة وألفا واستقرارا ومحبة..

وإذن فالسرية في الزواج على عكس الزواج الشرعى - تجعله في متناول أعين أهل الشر وألسنتهم. فيكون طرفا الزواج عرضة وهدفا دائما للقذف. والقذف في هذا الزواج لا تحميه الشريعة الإسلامية. فهى لا تدافع عن المقذوف في هذه الحالة ولا تحاكم القاذف.. فالقاذف لأحد الزوجين المحصنين بالزواج الشرعى - يتعرض لإقامة الحد عليه إذا ثبت القذف عليه شرعا. لكن القاذف لأحد طرفى الزواج السرى - لا يقام عليه الحد شرعا. نظرا لمخالفته مبادئ وتعاليم الشريعة الإسلامية، في وجوب إعلان الزواج وبينته بحضور الولى مجلسه والإشهاد عليه.. وفى هذا المجال روى عن الحسن رضى الله عنه أن رجلا تزوج سرا. فقال له

رجل: أراك تدخل على فلانة. إنك لتزنى بها. قال: فرفع ذلك إلى عمر رضى الله عنه، فقال: هى امرأتى، فلم يجلد عمر القاذف[1].. وروى أيضا عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل وما كان من نكاح على غير هذا فهو باطل، فإن اشتجروا فالسلطان ولى من لا ولى له}[2]. وفى المقابل جلد عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عبدا في فرية ثمانين جلدة. فقد حدث مالك عن أبي الزناد أنه قال: " أدركت عمر ابن الخطاب وعثمان بن عفان والخلفاء هلم جرا، فما رأيت أحدا جلد عبدا في فرية أكثر من أربعين " [3]. وهكذا كان الخلفاء الراشدون ومَنْ بَعْدَهم يقتفون أثر النبى صلى الله عليه وسلم، فينفذون شريعة الله عز وجل حتى في قذف العبيد لغيرهم، على خلاف في عدد مرات الجَلد. فهناك من خصص آية الجلد{ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ } [النور: ٤]، على الأحرار ومنهم من طبقها على العبيد، على خلاف في عدد مرات الجلد كما سبق. ومنهم من جلد العبد أربعين، ومنهم من تمسك بالآية الكريمة فجلد العبد ثمانين. وعن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال:{البغايا اللائى ينكحن أنفسهن بغير بينة} وقد سبقت الإشارة إلى هذا الحديث النبوى الشريف.. فالزواج في

(1) أخرجه سعيد بن منصور في السنن ص 159 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2) أخرجه ابن حبان والدارقطنى عن طريق حفص بن غياث عن ابن جريج عن سليمان بن موسى،عن الزهرى،عن عروة عن عائشة رضى الله عنها. ص160من المصدر السابق.

(3) ص 151 من الجزء الرابع من شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك.

السر وهو ما يعرف الآن خطأ بالزواج العرفى، زواج غير شرعى، ولا يؤدى إلى مايجب أن يتمتع به الزوجان من السكن والمودة والرحمة الموجودة في الزواج الشرعى. بل على العكس قد يجلب هذا الزواج السرى على طرفيه والمتصلين بهما قدرا كبيرا من الذل والعار. وينغص

عليهما حياتهما الزوجية وكانا يستطيعان تلافى العار والخزى بالتزامهما بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. بحضور ولى الزوجة مجلس العقد والإشهاد على زواجهما حتى يكون شرعيا يتمتعان فيه بكل مزايا الزواج الشرعى، ويجنيان معا ثمرته سكنا ومودة ورحمة، وذرية صالحة..

وفى كيفية وقوع الإشهاد على الزواج - يقول كثير من العلماء ومنهم أكثر أهل الكوفة: إنه لا يجوز النكاح حتى يشهد الشاهدان معا عقدة النكاح.. ورأى بعض أهل المدينة أنه إذا شهد واحد بعد واحد فإنه جائز إذا أعلنوا ذلك[1]..

---

(1) ص 366 بتصرف من من الجزء الثالث من كتاب الفقه المالكى: الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك تأليف العلامة الدرديرى - حاشية الصاوى.

رابعا: الصداق:

الصداق هو المهر الذي يعطى للمرأة في مقابل الارتباط بها كزوجة، تنفيذا لأمر الله عز وجل حيث يقول:{ وَآَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا } [النساء: ٤]. وقد تعددت آراء المفسرين في النحلة: فقد قال ابن عباس: النحلة: المهر. وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: إنها فريضة. ومثلها قال: مقاتل وقتادة وابن جريج. وزاد الأخير: أنها فريضة مسماة. وقال ابن يزيد: النحلة في كلام العرب: الواجب[1]..

فالصداق فريضة يجب على الرجل أداؤها للمرأة إذا تزوجها، ويكون طيب النفس بذلك، فإذا تنازلت عنه المرأة أو عن جزء منه بطيب نفس أو عن طيب خاطر منها لزوجها أو وليها أو غيرهما - فليأخذه حلالا طيبا.. وفى القديم: " كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها (أى لم يمكنها منه) فنهاهم الله عن ذلك. ونزل{ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةً }[2]..

وماصرح به بعض الفقهاء من أن الصداق يعطى للمرأة نظير الاستمتاع بها - ليس دقيقا. لأن ذلك ينطبق فقط على زواج المتعة، المحرم تحريما أبديا، وقد كان مباحا فترة من الزمن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستمرار فترات الغزو وطولها أحيانا بسبب أسفار الغزو والإقامة في أماكنه فترة قد تطول وقد تقصر فيبعد الأزواج عن زوجاتهم فيحرمن من التمتع بهم. لكن الله عز وجل حرم زواج المتعة بعد ذلك تحريما أبديا كما حرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم..

---

(1) ص 427 من الجزء الأول من تفسير القرآن العظيم - لابن كثير.

(2) قاله هيثم عن سيار عن أبي صالح - رواه ابن أبي حاتم وابن جرير. نفس الصفحة من المصدر السابق.

فالصداق إذن بالتعبير الأدق والأصح هو - كما ذكرنا سابقا - ما يعطيه الزوج للزوجة نظير ارتباطه بها كزوجة. وقد أشار الإمام محمد عبده - رحمه الله - إلى التجاوز من بعض الفقهاء في جعل الصداق نظير الاستمتاع بالزوجة فقال: " وينبغى أن يلاحظ في هذا العطاء معنى أعلى من المعنى الذي لاحظه الذين يسمون أنفسهم بالفقهاء، من أن الصداق والمهر بمعنى العوض عن البضع والثمن لها. كلا.. إن الصلة بين الزوجين أعلى وأشرف من الصلة بين الإنسان وفرسه أو جاريته. ولذلك قال: " نحلة: فالذى ينبغى أن يلاحظ هوأن هذا العطاء آية من آيات المحبة وصلة القربى، وتوثيق عرى المودة والرحمة. وأنه واجب حتمٍ لا تخيير " [(1)].

وبذلك يضيف الشيخ محمد عبده - رحمه الله - معنى آخر من معانى النحلة. فهى علامة للمحبة وصلة القربى الجديدة، وهى توثيق لصلات المودة والرحمة التي تكون بين الزوجين. فالصداق بهذا المعنى عوض عما يصيب المرأة المتزوجة حديثا في بيتها الجديد، وفى مستهل حياتها الزوجية، من وحشة تنشأ من تركها لأهلها وأسرتها التي تعودت العيش في أحضانها، لتعيش مع أليفها الجديد في بيتها الجديد، فيسعد بها وتسعد به. وكذلك هو عوض عن التعامل مع جيران جدد لا تعرف شيئا عنهم، حتى تتعود عليهم، فتكون بذلك أساسا جديدا بينها وبين زوجها وأسرتيهما من المودة والرحمة.

---

(1) تفسير المنار 376/4 وأيضا من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور ص475، ص476.

ولا خلاف في أن الصداق ملك للزوجة فقط. بدليل أن الله جل ثناؤه نسبه إليهن في قوله تعالى " صدقاتهن ". فليس لوالد الزوجة ولا وليها ولا حتى زوجها حق فيه، ولا في جزء منه، إلا أن يكون عن طيب خاطر منها. فإذا طابت نفسها ورضيت بهبته أو هبة شيء منه لزوج أو ولى أو والد أو غيرهم - فهذا حق شرعى لها..

وفى هذا الإطار يحق للزوجة أن تجهز به أو ببعضه أثاث بيت الزوجية أو جزء منه، إذا طابت نفسها بذلك ورضيت به. وليس ذلك مفروضا عليها أو واجبا. ويكون ما تجهزه الزوجة بصداقها أو بشيء منه - ملكا خالصا لها، يستعمله معها زوجها بطيب نفس منها. ومن أجل ذلك نجد الأزواج يزيدون في الصداق قدر استطاعتهم - دون مبالغة أو مغالاة - مشاركة منهم في تأسيس بيت الزوجية. وقد جرى العرف على أن يكون قدر كبير من هذا الصداق أمانة عند الزوج يستخدمه بالإضافة إلى ما يساهم به من مال في تجهيز بيت الزوجية وإعداده بما يلزمه، بموافقة الزوجة. وقد جرى العرف كذلك على اعتبار الشبكة جزءا من الصداق يدفع مقدما على هيئة ذهب أو فضة أو نحوهما ويكون في قبضتها ولا يعطى للزوج. ويعتبر من مقدم الصداق..

وقد عَدَّ كثير من الفقهاء - الصداق من أركان الزواج. فلا يصح اشتراط إسقاطه، ولا يشترط تسميته عند العقد[1]. ويكتفى بالاشارة إلى هذه التسمية. ولذلك يقال في العقد عند الحنفية " على الصداق المسمى بيننا "، دون تسمية له بذكر مقداره. وعادة ما يهتم الطرفان بذكر المؤخر من الصداق. تكملة لحق الزوجة فيه وتأكيده وثبوته إذا حدث خلاف - لا قدر الله بين الزوجين.

---

(1) ص428 من الجزذ الثانى من كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك - تأليف العلامة الدرديرى - حاشية الصاوى.

أما الجزء الحال من الصداق أو المقدم فيجوز تسميته في العقد لغرض شرعى كالتآلف والتحابب بين طبقات المجتمع. وقد فعل ذلك النجاشى رضى الله عنه بتكليف من رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أرسل صلى الله عليه وسلم إليه ليزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان. حيث قال النجاشى في مجلس العقد: " وقد أصدقها أربعمائة دينار " ثم سكب الدنانير بين يدى القوم[1]..

وقد ترك الإسلام تحديد الصداق للزوج والأسرة، حيث تختلف ظروف الحياة بين الأفراد والأسر، حتى لا يكون هذا التحديد عائقا دون إتمام الزواج لمن لا يملك حده، ولا سيما إذا توافرت الكفاءة والثقة بين الزوجين وأسرتيهما. وذلك دون مبالغة وغلو. وأقل الصداق كما قال الإمام مالك رضى الله عنه - ربع دينار ذهبا شرعيا أو ثلاثة دراهم فضة خالصة أو مقوم بهما من كل متحول شرعا من عرَض أو حيوان أو عقار طاهر منتفع به مقدور على تسليمه معلوم قدرا وصنفا وأجلا، على تفصيل في كل ما مر. ولا حد لأكثره.

وقال بعض العلماء: لا حد لأكثره ولا حد لأقله[2] وذلك تمشيا مع تعاليم الإسلام. أما مذهب جمهور العلماء من السلف والخلف فهو جوازه بما قل أو كثر.. وعامة المحدثين على ما عليه الجمهور[3]. وهناك حديث نبوى شريف يفيد هذا المعنى سنعرض له في ختام الحديث عن الصداق - إن شاء الله.. وقد ورد في كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك أن الدرهم سبعة أعشار الدينار وأن وزن الدينار الذي كان سائدا في عهد رسول

---

(1) قاله الزبير بن بكار: حدثه به محمد بن الحسن عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن زهير عن إسماعيل بن عمرو عن أم حبيبة بنت أبي سفيان - ص122 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2) ص 428، ص 429 من الجزء الثانى من كتاب الشرح الصغير.

(3) انظر النووى على مسلم 212/9 وانظر منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور هامش ص 479.

الله صلى الله عليه وسلم أربعة جرامات وربع من الذهب، وأن وزن الجنيه المصرى ذهبا جرامان وخمسة آلاف وخمسمائة وسبعة وثمانون من عشرة آلاف من الجرام[1].. وهكذا نرى ونلمس عظمة الإسلام في تخفيف عبء الصداق عن كاهل شباب المسلمين ورجالهم ونسائهم وبناتهم حتى لا يمثل عقبة في طريق الزواج والاستقرار العائلى والفردى للمسلمين والمسلمات..

ومن الأمثلة الشهيرة للصداق بمنفعة - ما ورد في البخارى من حديث سهل بن سعد الساعدى: أن امرأة جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله! جئت لأهب لك نفسى. فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فصعد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه؛ فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست. ثم قام رجل من أصحابه، فقال: يا رسول الله! إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها. فقال:{هل عندك من شيء؟} قال: لا، والله يا رسول الله. قال:{اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئا} فذهب ثم رجع؛ فقال: لا، والله يا رسول الله، ما وجدت شيئا. قال:{انظر ولو خاتما من حديد} فذهب ثم رجع؛ فقال: لا، والله يا رسول الله، ولا خاتما من حديد، ولكن هذا إزارى - قال سهل: ما له رداء - فلها نصفه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ما تصنع بإزارك إن لبِسْتَه لم يكن عليها منه شيء ، وإن لبستْهُ لم يكن عليك شيء}. فجلس الرجل حتى طال مجلسه. ثم قام، فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا فأمر به فَدُعِيَ، قال:{ما معك من القرآن؟} قال: معى سورة كذا وسورة كذا، عدها، فقال:{أتقرأهن عن ظهر قلب؟} قال: نعم!

(1) هامش ص 620 من الجزء الأول من كتاب الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك - تأليف العلامة الدرديرى - حاشية الصاوى.

قال:{اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن} [1] وهكذا نجد نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم يقبل من الرجل أن يكون صداقه لهذه المرأة تعليمها ما يحفظ من سور القرآن الكريم لتنتفع بها في دنياها وآخرتها..

ومن الأمثلة المشهورة للصداق بمنفعة كعمل يقوم به الزوج لأبيها مثلا ويعود عليها هذا العمل بنفع مباشر - ما ورد في قصة زواج موسى عليه السلام من ابنة شعيب عليه السلام. وهى التي جاءت لتبلغه دعوة أبيها له لمكافأته على ما صنع معها ومع أختها من سقيه لهما رغم الزحام.

وقد ورد ذلك في قوله تعالى: {فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ} [القصص: ٢٥ - ٢٨].

وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إن موسى عليه السلام آجر نفسه بعفة فرجه وطعمة بطنه} [2]. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان موسى عليه السلام فقيرا لا مال له..

---

(1) أخرجه البخارى فى66من كتاب فضائل القرآن - باب القراءة عن ظهر قلب. الجزء الثالث ص13، 14 - من البخارى - عناية الدكتور محمد تامر.

(2) رواه ابن أبي حاتم عن أبي زرعة عن صفوان عن الوليد عن عبد الله بن لهيعة عن الحارث ابن يزيد الحضرمى عن على بن رباح اللخمى الذي سمعه من عتبة بن المنذر السلمى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم هامش ص 365 من الجزء الثالث من تفسير القرآن العظيم - لابن كثير - في تفسير الآيتين 27و28 من سورة القصص.

ومن الأمثلة المشهورة كذلك للصداق بمنفعة - ما روى من قصة زواج أبي طلحة رضى الله عنه من أم سليم رضى الله عنها. وكانت مسلمة وهو كافر. حيث قالت له حين خطبها: " والله ما مثلك يا أبا طلحة يرد. ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة، ولا يحل لى أن أتزوجك. فإن تسلم فذاك مهرى، وما أسالك غيره، فأسلم فكان ذلك مهرها، قال ثابت: فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرا من أم سليم (الإسلام). فدخل بها فولدت له " [1].

وهكذا كان الدخول في الإسلام وممارسة أعمال المسلمين صداقا لما فيه من منفعة كبرى للزوج حيث خرج من دائرة الكفر وللزوجة التي اشترطت عليه أن يترك الكفر ويدخل في الإسلام حتى تتزوجه بأكرم منفعة وأعز صداق، فيكوّنان بذلك أسرة كريمة تتمتع بالسكن والمودة والرحمة في ظل تعاليم الإسلام.

وقد يكون الصداق القائم على المنفعة - إعتاقُ المرأة وتزوُّجُها. وكان ذلك يحدث كثيرا في أوائل عهد الناس بالإسلام ضمن تشجيعه لتحرير الإماء والعبيد.

وقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع صفية بنت حييّ بعد انتصار المسلمين في غزوة حنين: حين جاءه دحية الكلبى وقال: يا رسول الله! أعطنى جارية من السبى.

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :{اذهب فخد جارية}. فأخذ صفية بنت حييّ. فجاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبى الله! أعطيت دحية صفية بنت حييّ سيدة قريظة والنضير؟ لا تصلح إلا لك. قال:{ادعوه بها} فلما نظر إليها صلى الله عليه وسلم قال:{خذ جارية من السبى غيرها}. قال: فأعتقها النبى صلى الله عليه وسلم وتزوجها. فقال له ثابت: يا أبا حمزة! ما صداقها؟ قال: " نَفْسُهَا " أعتقها وتزوجها[2]..

---

(1) رواه النسائى في كتاب النكاح - باب التزويج على الإسلام 86/2 - 87. وانظر ص 479 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2) عن حديث أنس. أخرجه البخارى في 8 - كتاب الصلاة 12 - باب ما يذكر في الغزو ص 89 من الجزء الأول من صحيح البخارى - عناية الدكتور محمد تامر.

ويجب عدم المغالاة في المهور؛ حتى لا ينفر الشباب والرجال من الزواج فيكون ذلك خطرا على الإسلام والمسلمين. حيث تقع الفتن ويكثر الفساد. وفى هذا الإطار روى عن عمر رضى الله عنه قوله: " ألا لا تغالوا صَدُقَةَ النساء. فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبى الله صلى الله عليه وسلم، وما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئا من نسائه ولا أنكح شيئا من بناته على أكثر من ثنتى عشر أوقية " [1].. وقد روى البيهقى أنه صلى الله عليه وسلم جعل صداق ابنته فاطمة درعا كان أعطاها لعلى رضى الله عنه[2].

وروى ابن قتيبة أن هذا الدرع كان ثمنه ثلاثمائة درهم. وأنها بيعت بأربعمائة وثمانين درهما[3].. وقد سبق أن ذكرنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :{من أعطى ملء كفيه طعاما أو سويقا فقد استحل} [4]..

وهكذا يُهَوِّنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الشباب والرجال من مريدى الزواج - أمر الصداق. حتى يصلح أمر المجتمع الإسلامى بصلاح شبابه وفتيانه ورجاله ونسائه ودرءا للفتنة الناتجة عن عدم إتمام هذا الأمر. فجزى الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عن المسلمين والمسلمات وشبابهم وفتياتهم ونسائهم، خير الجزاء...

خامسا: الدف والغناء المباح في العرس:

سبق أن عرفنا أن الزواج الشرعى لابد من الإعلان عنه، وأن من وسائل إعلانه تواجد الولى

---

(1) أخرجه الترمذى في كتاب النكاح باب ما جاء في مهور النساء. ص 477 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2) رواه البيهقى في سننه 234/7.

(3) 70/4 وانظر ص 479 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(4) رواه أبو داود في سننه 236/2 والدار قطنى في سننه 234/3 والبيهقى في سننه 238/7.

والشهود في مجلس العقد، وكذلك الميثاق الغليظ وتوثيقه يعتبران من وسائل إعلانه. ويصاحبُ العقدَ ويكون في معيته حتى يتم البناء بالزفاف - الدُّفُّ والغِناَءُ المباحُ. وهما أيضا من وسائل إعلان الزواج حتى يكون شرعيا مقبولا في المجتمع الإسلامى.

والدف آلة طرب ينقر عليها باليد، أو بأصابع اليد، أو بعصا أوبما يشبه العصا مما خصص للضرب عليه[1].. ويعتبر من اللهو المباح شرعا إذا ابتعد عن الأنغام الخليعة الداعية إلى الفجور. وقد أباحه النبى صلى الله عليه وسلم في العرس وأقره، ونبه إليه وشجعه. ما دامت أنغامه لا تتعارض مع نص شرعى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وما كانت إباحته من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لأثره الفعال في إدخال البهجة والسعادة على العروسين وعلى بيتهما الجديد، وعلى أسرتيهما. حيث ينتج عن الضرب عليه أنغام تُدخل الفرحة والسعادة في نفوس الحاضرين، وخصوصا العروسين. فتستبشر وجوه الحاضرين، ويسعد بيت الزوجية، وما يرتبط به من بيوت.. ولذلك يقول نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم :{أعلنوا هذا النكاح، واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف} [2]..

وإذا كان عقد النكاح يستحب أن يكون في المسجد - فإن الضرب عليه بالدفوف يكون خارج المسجد، في موضع حفل الزفاف. وما يحدث الآن في داخل المساجد من زغاريد نسائية وجلبة وصياح وعلو لأصوات النساء والرجال والصبية والفتيات - كل هذا مخالف لتعاليم الإسلام. ولا تقره مبادئ وتوجيهات الشريعة الإسلامية.. وقد أعجبنى ما رأيته في أحد المساجد من تخصيص جزء من المسجد منعزل بعيد عن مكان الصلاة، لهذه المناسبة. وحبذا لو نفذ هذا في كافة المساجد المستعدة للاشتراك في هذه المناسبة.

---

(1) المعجم الوجيز للغة العربية عام 1993 حرف الدال.

(2) رواه الترمذى عن عائشة - مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ أحمد الهاشمى - حرف الألف

أما الغناء المباح في هذه المناسبة، فيجب أن يكون خاليا من الأقوال والأفعال المنكرة، كالرقص

المحرم الخارج عن حدود اللياقة والأدب وخصوصا الرقص النسائى الفاضح المفضوح. ويجب كذلك أن يخلو من الأغانى الخليعة التي تخلق جوا مناسبا لوساوس الشيطان، وتحريكه للشهوات الكامنة في النفوس. ويجب أيضا أن يخلو مجلس الزفاف والغناء المباح من شرب المسكرات التي تذهب العقل، وتزين الأفعال الفاحشة.

وعلى الرغم من أنه غناء مباح شرعا مصاحبا للدف، فيجب ألا يُعَطَّلَ فيه ذكرُ الله عز وجل بأى طريقة كانت. ومن الجدير بالذكر ألا يتسع نطاق الدف والغناء عما ورد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد عد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من الغناء المباح والدف حدا فاصلا بين الحلال والحرام؛ فلابد في العرس الإسلامى من الضرب على الدف ومن الغناء المباح بالطريقة الشرعية التي وردت في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وما ذلك إلا لدورهما وأثرهما الواضح والفعال في إعلان الزواج وصبغه بالصفة الشرعية المنافية تماما للسرية التي تجعل الزواج باطلا غير شرعى.. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{فصل ما بين الحلال والحرام الصوت بالدف} [1]..

---

(1) رواه الحاكم من حديث أبي بلج يحيى بن سليم عن محمد بن حاطب ص 174 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: " لقد ضُرب بالدف وغُنِّيَ على رأس عبد الرحمن بن عوف ليلة الملاك " [1] أى الزفاف. وفى رواية عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها في مسألة زفاف قريبتها إلى الأنصارى، قال لها النبى صلى الله عليه وسلم :{أهديتم إلى الفتاة؟} قالت: نعم، قال:{أرسلتم معها من يغنى؟} قالت: تقول ماذا في غنائها؟ قال: " تقول:

---

(1) رواه سعيد بن منصور في السنن ص 90 من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السيد الشرقاوى - الطبعة الثانية 1986 م.

" أتيناكم أتيناكم ::: فحيونا نحييكم
ولولا الحبة السمرا ::: ء لم نحلل بواديكم "[1]

وفى رواية شريك لهذا الحديث الشريف للسيدة عائشة رضى الله عنها: فقال:{هل بعثتم معها بجارية تضرب بالدف وتغنى؟} قالت: تقول ماذا؟: قال: تقول:

أتيناكم أتيناكم ::: فحيانا وحياكم
ولولا الذهب الأحمر ::: ما حُلت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء ::: ماسمنت عذاريكم[2]

فأين هذا القول من الأقوال التي تقال في عصرنا الحديث والتى يندى لها جبين الإنسان المسلم. مثل قول القائل:

لاهسلم بالمكتوب ::: ولا هرضى أبات مغلوب

---

(1) رواه سعيد بن منصور في السنن ص 90 من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السيد الشرقاوى - الطبعة الثانية 1986 م.

(2) ذكره الهيثمى في مجمع الزوائد ص 171 من كتاب منهج السنة في الزواج.

إنه يتمرد على قضاء الله سبحانه وقدره. فاللهم إنا نبرأ إليك مما يقول هؤلاء المحدثون، ومما تمارسه الراقصات من رقصات منافية لتعاليم الإسلام.. وفى هذا المقام يجب أن نشير إلى شئ هام ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لنقتدى به في القول والعمل فقد كان الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ينبه إلى الأصلح إذا رأى أو سمع شيئا من الغناء يخالف مبادئ الإسلام وتعاليمه.

ومن ذلك ما روى عن الربيع بنت معوذ قالت: " جاء النبى صلى الله عليه وسلم يدخلُ حين بُنِيَ علىّ. فجلس على فراشى كمجلسك منى[1]. فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف، ويندُبن من قُتِل من آبائى يوم بدر. إذ قالت؟ إحداهن: وفينا نبى يعلم ما في غد، فقال صلى الله عليه وسلم :{دعى هذه وقولى بالذى كنت تقولين} [2].. فالنبى ينبه الجارية بل يأمرها بأن تترك ما تقوله مما يخالف الكتاب والسنة من علم النبى صلى الله عليه وسلم بما في الغد؛ لأن العلم بما في الغد يعتبر من علم الغيب الذي يختص به الله سبحانه وتعالى وحده. وقد جاءت رواية حماد بن سلمة لتؤكد عنه صلى الله عليه وسلم ذلك.

حيث أورد حماد في رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجارية قوله:{لا يعلم ما في غد إلا الله} [3]. وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم في هذا القول إلى علة المنع الشرعى لقول الجارية، لأن فيه تجاوزا لحق الله عز وجل في إخلاص العبادة له وعدم الإشراك به سبحانه..

وهكذا يجب أن نقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن فلا نسمح في حفل

---

(1) تخاطب خالد بن زكوان الذي روى عنها الحديث.

(2) نفس الصفحة171 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(3) نفس الصفحة من المصدر السابق.

العرس بالرقص الفاضح للنسوة ولا بالأغانى النسائية الخليعة التي تحرك العواطف الكامنة في النفوس، وتساعد على الفحش والفجور. ولا بشرب مسكر يحول العرس إلى مجلس شراب محرم. ولا بلهو لا يرضى عنه الإسلام، كما يحدث في عصرنا الحديث من اللهو غير الشرعى في الأفراح: من رقص نسائى خليع، وغناء نسائى فاجر يتنافى مع أبسط قواعد اللياقة والأدب، فضلا عن منافاته للأخلاق الإسلامية الكريمة ومبادئ الدين الإسلامى الحنيف، واختلاط الرجال بالنساء في حفلات الزواج مما ينذر بخطر كبير على الرجال والنساء والصبية والبنات. فالواجب شرعا أن تخصص أماكن للرجال وأماكن أخرى بعيدة عنها للنساء حتى لا يختلط الحابل بالنابل.

ومما لا شك فيه أن الدف والغناء المباحين شرعا، يعتبران وسيلة هامة من وسائل إدخال البهجة والسعادة على الأسرة الوليدة، وعلى أسرتى العروسين. كما أن فيهما إعلانا شرعيا للزواج. وهذا مما يوفر الجو الشرعى الخالص والدافئ الذي يتولد فيه بين الزوجين، السكن والمودة والرحمة. وهى كما عرفنا سابقا من غايات الزواج الإسلامى الأساسية، والتى ينبغى إدراكها والوصول إليها بالطرق الشرعية....

* * *

الفصل الرابع:
ما يكون بعد العقد

أولا: وليمة العرس:

تعريف الوليمة [1]: قال صاحب المحكم: هى طعام العرس والإملاك (أى التزوج). وعنده أنها قد تكون لغير العرس. وقال عياض في المشارق: هى طعام النكاح وقيل (الإملاك). وقيل أنها مخصصة لطعام العرس. وقال الشافعى رضى الله عنه وأصحابه: إنها تقع لكل دعوة سرور.. والمشهور أن استعمالها المطلق يكون في النكاح. أما في غيره فتتقيد كأن نقول وليمة الختان أو نحو ذلك.

ويؤخذ مما سبق أن وليمة العرس هى التي يقيمها الزوج احتفالا بزواجه وإعلانا له وإشهادا عليه. وأنه لابد منها في العرس. وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ذلك، لمَّا خطب علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه ابنته فاطمة رضى الله عنها إذ قال صلى الله عليه وسلم :{إنه لابد للعرس من وليمة}[2]. والحال في ذلك أن يكون كلٌّ حسب طاقته. لا يكلف الله نفسا إلا ما أتاها..

ففى إقامة وليمة العرس اتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبذلك يشيع الزوج روح البهجة والفرحة والسعادة التي يشاركه فيها كل من يحضر الوليمة. ففى هذه المناسبة، يجتمع الكثيرون من أقارب بيتى العرس وجيرانهما من الفقراء والأغنياء على مائدة الطعام، ملبين دعوة الزوج إليها، احتفالا ببيت عرسه الجديد. ويتحدث جميع الحاضرين عن محاسن الزوجين ومحاسن أسرتيهما. فيتم بذلك إعلان الزواج على نطاق

---

(1) ص 175 مع بعض التصرف من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2) أخرجه أحمد والنسائى وأبو داود وابن ماجة والترمذى ص116 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى..

أوسع مما في بقية مراسم الزواج. فكل من حضر الوليمة يعتبر شاهدا على الزواج المبارك. ويدعو الحاضرون كلهم للزوجين بالبركة ويتمنون لهما التوفيق، ويستجيب الله عز وجل من الداعين المتقين. فتزداد الأسرتين ويزداد المجتمع الإسلامى بذلك ألفة ومودة وسعادة، ويؤكد نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم ذلك مرارا. ومن ذلك ما روى عن أنس رضى الله عنه: أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة فقال:{ما هذا؟} قال: إنى تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب. قال:{بارك الله لك. أَوْلِمْ بشاة}، وفى رواية:{أولم ولو بشاة} [1]..

حكمها: وهذا الأمر من النبى صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف لا يعنى الوجوب، بل هو للاستحباب على الغالب. فهى سنة فضيلة[2]. وقد قال غالبية العلماء والفقهاء بذلك[3]. وقد ورد عن الإمام مالك: أن الوليمة هى طعام العرس مندوبة ككونها بعد البناء[4]. فهى عند المالكية من المندوبات، وقد قال بوجوبها بعض المالكية وبعض الشافعية وبعض الحنابلة ولكن يرى الأكثرون كما سبق: أنها سنة فضيلة..

والمشهور والغالب أنها تكون مرة واحدة. وتكرر إذا كان فاعلها (الزوج) في سعة من العيش، ويغلب عليه الإيمان، فلا يتعمد فخرا أو مباهاة، ودعاه إلى تكرارها داع شرعى[5]. فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أولم مرة في يوم، كما حدث في وليمة زينب

---

(1) أخرجه البخارى في كتاب البيوع. باب ما جاء في قوله تعالى: [فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ الجمعة: ١٠]، الجزء الأول من البخارى عناية الدكتور محمد تامر.

(2) ص177، ص178 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(3) نفس الصفحتين المشار إليهما في المرجع السابق.

(4) صـ499من الجزء الثانى من كتاب الشرح الصغير - تأليف الدرديرى - حاشية الصاوى.

(5) رواه مسلم 1048/2. ص 179 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

بنت جحش[1]. وروى أنه أولم مرة في ثلاثة أيام كما حدث في وليمة صفية بنت حُيَىّ[2]..

أهمية الوليمة: أما وقد عرفنا بعضا من أهمية وليمة العرس، فيجب أن نقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم في الحرص على إقامتها. فقد نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم جذورين يوم زفاف خديجة رضى الله عنها إليه. وأطعم منها الأهل والأقارب والفقراء.. ولكى يرغب صلى الله عليه وسلم في إقامة وليمة العرس قال صلى الله عليه وسلم :{في طعام العرس مثقال من ريح الجنة} [3]..

ومن السنة أن تكون الوليمة للأقارب والجيران والأصدقاء، الأغنياء منهم والفقراء، دون تمييز أو تفضيل لمدعوين مخصصين. إذ أن حضور الجميع يشهر أمر الزواج. والتمييز أيضا يجعل النية أكثر ميلا إلى السمعة والرياء. فإذا دعى الأغنياء دون الفقراء فإن في ذلك كسرا لقلوب الفقراء وتخلفهم عن الشهادة للعرس. وهو مخالف للغرض من وراء الوليمة شرعا. يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{شر الطعام الوليمة، يدعى لها الأغنياء، ويترك الفقراء، ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله} [4]. ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{بئس الطعام طعام الوليمة، يدعى إليها الأغنياء، ويترك الفقراء، ومن ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله} [5] وذلك لأن الحضور في هذه المناسبة يدخل السرور

---

(1) البخارى 387/7 بنفس الصفحة من كتاب منهج السنة في الزواج.

(2) أخرجه أحمد والنسائى وأبو داود والترمذى وابن ماجة ص116 - من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى..

(3) رواه الحارث عن عمر رضى الله عنهما ص 117 من المرجع السابق.

(4) أخرجه البخارى في كتاب النكاح - باب من ترك الدعوة فقد عصى الله ورسوله: ص 41 من الجزء الثالث من صحيح البخارى - عناية الدكتور محمد تامر.

(5) رواه الشيخان: مختار الأحاديث النبوية - للشيخ سيد أحمد الهاشمى - حرف الباءص 58.

والأمل على الزوجين، ويجعلهما وأسرتيهما يأملون السعادة في هذا الزواج. ومن هنا يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إذا دعى أحدكم إلى وليمة عرس فليُجب} [1].

ومن جهة أخرى يجب ألا يقلل مسلم من أهمية وليمة العرس حتى لو كانت من رجل متوسط الحال أو فقير، يقيم الوليمة من أوسط الطعام حسب استطاعته. وربما لم يساعده أحد في الإعداد لها، مع أن المساعدة في هذا المجال واجبة، فهو يبذل جهده في إعدادها. ولكى يهون الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين هذا الأمر أجاز أن يهدى الغنى إلى الفقير حتى يقيم وليمة العرس. وقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه. فقد دعا الناس إلى الإهداء لوليمة العرس لما أصبح ليلة بنائه على صفية بنت حيىّ، حيث كان راجعا والمسلمين من غزوة خيبر. فقد روى أنس ابن مالك رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال حينئذ:{من كان عنده فضل زاد فليأتنا به} قال: فجعل الرجل يجيء بفضل التمر، وفضل السويق حتى جعلوامن ذلك سوادا حيا (كوما شاخصا من التمر والسويق) فجعلوا يأكلون من ذلك الحيس ويشربون من حياض إلى جنبهم من ماء السماء. فكانت تلك وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم.. [2].

ومن هنا نعلم أنه يجب عدم الاستخفاف بالدعوة إلى وليمة العرس والتقليل من شأنها. بل يجب مساعدة الداعى إليها على القيام بها إذا لم يستطع وحده القيام بها. ولا يشترط أن يكون ذلك من طعام فاخر بدليل أن وليمة عرس أم المؤمنين صفية بنت حُيىّ رضى الله عنها كانت فضل تمر وسويق. وقد ساعد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم النبى

---

(1) أخرجه مسلم وابن ماجه ص 12 من المرجع السابق.

(2) أخرجه مسلم في كتاب النكاح - باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها ص 679 - الطبعة المرقمة بترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث من صحيح مسلم - السويق: طعام يتخذ من مدقوق الحنطة (القمح) والشعير الحيس: خليط التمر والسمن والأقط(لبن رايب أو زبادى مجمد) يسوى كالثريد ويأكل.

الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم في إقامتها من هذه الفضول. فلنقتد إذن برسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر. ولقد ثبت عن مالك عن يحيى بن سعيد أنه قال: " لقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يولم بالوليمة ما فيها خبز ولا لحم " [1]. فلنسلك إذن مسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستطيع كل مسلم أن يقيم وليمة عرسه دون حرج حسب استطاعته. فما أتانا الرسول صلى الله عليه وسلم من الأعمال الخيرة مهما قلت نأتيها وما نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأعمال التي لا تتمشى مع روح الشريعة الإسلامية ومبادئها - ننتهى عنه...

ثانيا: التهنئة والدعاء للعروسين:

من السنة المتوارثة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام، رضى الله عنهم - أن يهنئ الأقارب والجيران والأصدقاء الزوج والزوجة، بمناسبة إتمام زواجهما، ويدعون لهما بالتوفيق والبركة. ويتمنون لهما ذرية طيبة صالحة مباركة. ويشمل ذلك أسرتى الزوجين. ويكون ذلك الدعاء بعد عقد القران الذي يعنى بداية الحياة الزوجية بين الزوجين.. وسنعرض بعد قليل لمناذج من المباركة والدعاء للعروسين وردت في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم..

ومن الجدير بالذكر أن الناس كانوا في الجاهلية - ما قبل الإسلام - يتشاءمون من المرض ويسمون الملدوغ والمريض سليما. وكذلك كانوا يتشاءمون من بعض الأزمان، كشهر صفر، ومن اتجاهات بعض الطيور، وينسبون المطر إلى منازل القمر فيقولون " مطرنا بنوء كذا " ويعتقدون في تأثير الشياطين والجن على بنى آدم. وفى ذلك يقول الله عز وجل:{ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا } [الجن: ٦]. وكانوا يتأثرون كذلك بالسوانح والبوارح من الطير والظباء.. والسوانح هى التي توليك ميامنها،

---

(1) ص 161 من الجزء الثالث من شرح الزرقانى على موطأ مالك.

والبوارح هى التي توليك مياسرها.. كما كانوا يتأثرون بالناطح والنطيح، والقاعد والقعيد من الطير.. والناطح والنطيح ما جاء من أمامك، والقاعد والقعيد ما جاء من خلفك.. فكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فلا يسافرون إذا كانوا عازمين على السفر، إذا اعترضهم ناطح ونطيح، أو اعترضتهم البوارح.. وهكذا. وكان ذلك تطيراً منهم وتشاؤما، بهذه الطيور والظباء.

فلما جاء الإسلام نبذ هذا المسلك. وأبطل هذا التطير، الذي كان يُمضى الإنسانَ منهم فينفذ ما أراد أو يرده فيمنعه مما عزم على فعله[1].. وقد عبر القرآن الكريم عن تطير أهل الجاهلية وتشاؤمهم بقوله تعالى:{ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [الأعراف: ١٣١].

فالآية الكريمة توضح مسلكهم غير الشرعى في التطير والتشاؤم وتوقع الشر أو الخير من حركات الطيور والظباء، وتوجههم الوجهة الإسلامية الصحيحة، وهى أن كل هذه الأمور تسير بمشيئة الله سبحانه وتعالى. وذلك حتى يتوجهوا إليه جل شأنه بالدعاء، ويطلبوا منه التوفيق، ويتركوا ما يتعلقون به من التطير والتشاؤم، الذي يتنافى مع توجيهات الإسلام وتعاليمه السمحة.. وكذلك كانت السنة النبوية الكريمة توجههم إلى ترك هذا المنهج التشاؤمى، والاتجاه إلى الله عز وجل ودعائه، وطلب المنفعة منه سبحانه. فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشدهم إلى السلوك الحسن في هذا المجال: ففى صحيح مسلم عن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " ومنا أناس يتطيرون "،

---

(1) بتصرف وإيجاز من ص319إلى ص322من كتاب فتح المجيد - شرح كتاب التوحيد - للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

قال:{ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم} [1]. فالأعرابي يتأذى ويتشاءم ويأخذ بالطيرة، وهذا شيء يكون في نفسه. فما يصيبه من وهم وخوف وشرك هو الذي يصده، لما

يراه وما يسمعه من التطير.. وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر} زاد مسلم:{ولا نوء ولا غول} [2]. فكل هذا الذي أشار إليه الحديث النبوى الشريف لا وجود له في حياة المسلم الذي يتمكن منه الإسلام والإيمان. فلا يعتقد في تأثير عدوى ولا طيرة، ولا يخاف من تأثير هامة[3]، ولا يتأثر بالنوء في حياته، فالمطر من الغيبيات، ينزله الله تعالى حيث شاء وأنى شاء. ولا تسيطر عليه أوهام تعلقت بأهل الجاهلية لا وجود لها في حياته كالغول ونحوه.. وبقدر ما كان أهل الجاهلية يتشاءمون ويتطيرون كانوا يتفاءلون. والفأل من التطير لكنه أفضل منه. ففى التطير بغض وتوقع للشر أما الفأل ففيه أيضا توقع للشر إلى جانب أن فيه توقعا للخير بكلمة طيبة.

ومن هنا أعجب الفأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، من هذا الجانب الخيّر. فللبخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{لا عدوى ولا طيرة ويعجبنى الفأل} قالوا:

---

(1) هامش ص 320 من المرجع السابق - فتح المجيد.

(2) أخرجه البخارى ومسلم ص 319 من المرجع السابق.

(3) الهامة شيء كالبومة.

وما الفأل؟ قال:{الكلمة الطيبة} [1].. فالفأل إذن تطير يحمل في معناه توقع الشر وتوقع الخير. فإذا توقع منه الشر فهو تطير محرم. وإذا توقع منه الخير فهو فأل برجاء الخير من الله العلى القدير. ومن هنا أعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم به.. ولأبى داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: ذُكرت الطيرة عند رسول

الله صلى الله عليه وسلم فقال:{أحسنها الفأل، ولا تَرُدُّ مسلما، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك} [2].

ومن الفأل الدال على التطير ما كانوا يقولونه في مناسبة الزواج. فقد كانو يتبادلون التهنئة

(1) ص323 من فتح المجيد - شرح كتاب التوحيد.

(2) ص324 من فتح المجيد - شرح كتاب التوحيد.

في مناسبته بقولهم " بالرفاء والبنين ". ومعنى قولهم: نريد زواجا مصحوبا بالوفاق لا خلاف فيه، وبالبنين لا بنات فيه. وكانوا يقولون ذلك من باب الفأل. وقد علمنا جانبى الفأل. ولو قالوا ذلك على سبيل الدعاء والتوجه به لله عز وجل لكان مقبولا من وجهة النظر الإسلامية، لكنهم كانوا يقولونه على سبيل الفأل كما ذكرنا. فيعترضون على الخلاف بين الزوجين، كما يعترضون على إنجاب البنات. وهذا المسلك منهم يدخل في باب التطير، ويعتبر تمردا على قضاء الله وقدره الذي هو جزء لا يتجزأ من الإيمان.

فلما جاء الإسلام أبدلهم تهنئة خيرا من تهنئتهم. لا اعتراض فيها على قضاء الله وقدره. فالمسلم يتوقع الخلاف بينه وبين زوجته لكنه يأخذ بأسباب منعه، باتباع تعاليم الإسلام في مجال حقوق وواجبات الزوجين. والمسلم يرضى بقضاء الله وقدره عليه بإنجاب البنات لكنه لا يتبرأ من ذلك ولا يتبرم منه، ويطلب من الله الولد. فربه عز وجل يهب لمن يشاء الإناث، ويهب لمن يشاء الذكور، ويهب لمن يشاء الذكران والإناث معا، ويقضى على من يشاء بالعقم وعدم الإنجاب فلا يعترض على قضاء الله تعالى. فهو العليم بأحوال خلقه، وما يناسبهم. وهو القدير على تسيير أحوالهم بما فيه صلاحهم حسب مشيئته سبحانه وتعالى.

ومن النهج الإسلامى الجديد في تهنئة العروسين والدعاء لهما، عن الحسن رضى الله عنه عن رجل من بنى تميم قال: كنا نقول في الجاهلية: " بالرفاء والبنين، فلما جاء الإسلام علمنا نبينا صلى الله عليه وسلم قال:{قولوا بارك الله لكم، وبارك فيكم، وبارك عليكم} [1].

---

(1) رواه بقى بن مخلد من طريق غالب عن الحسن عن رجل من بنى تميم ص165 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

فالبركة من الله عز وجل للعروسين وفيهما وعليهما وكذلك على أسرتيهما وفيهما وعليهما.. وعن أنس رضى الله عنه: أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صفرة قال:{ما هذا؟} قال: إنى تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب. قال:{بارك الله لك، أولم ولو

بشاة} [1] فقد دعا له ولزوجته رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة وأمره أن يولم ولو بشاة حتى تتم البركة وتعم أسرتيهما وأقاربهما وأصدقائهما وجيرانهما. وعن أبى هريرة رضى الله عنه: أن النبى صلى الله عليه وسلم كان إذا رفأ الإنسان إذا تزوج قال:{بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما على خير} [2] أى دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزوجته بالبركة واللقاء معها على خير وبلا شر أو خلاف.. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: " تزوجنى النبى صلى الله عليه وسلم، فأتتنى أمى، فأدخلتنى الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر " [3] الرواية. ويفهم من الرواية أن نساء الأنصار اللاتى حضرن عرس السيدة عائشة رضى الله عنها - باركن لها الزواج وتمنين لها رضى الله عنها أن يكون زواجا على الخير والبركة والحظ السعيد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(1) أخرجه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه ص164 من كتاب منهج السنة في الزواج.

(2) أخرجه أحمد والدارمى والترمذى وأبوداود وابن ماجة والحاكم وابن حبان والبيهقى عن أبى هريرة ص من كتاب منهج السنة في الزواج 165 - رفأ: هنأ.

(3) ص167 من كتاب منهج السنة في الزواج للدكتور محمد الأحمدى أبو النور. - على خير طائر: أى على خير حظ.

وورد في حديث حسن البصرى أن عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه تزوج امرأة من بنى جشم، فدخل عليه القوم فقالوا: " بالرفاء والبنين ". فقال: " لا تفعلوا ذلك " قالوا: فما نقول يا أبا زيد؟ قال: " قولوا بارك الله لكم وبارك عليكم، إنا كذلك نؤمر " [1] وهكذا يوجه عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه من هنأه من المسلمين بتهنئة أهل الجاهلية إلى التهنئة الشرعية الإسلامية لكى يهنئوه بها، ويحذرهم من تهنئة أهل الجاهلية التي نُهِىَ عنها المسلمون. ويلفت نظرهم؟ إلى أن المسلمين أُمروا أن يتبعوا النهج الإسلامى في التهنئة بالزواج وهو الدعاء بالخير والبركة للعروسين وأن يجمع الله بينهما على خير..

ومما لاشك فيه أن تهنئة العروسين في مناسبة زواجهما بتهنئة الإسلام وهى الدعاء بالبركة لهما وعليهما، وأن يجمع الله بينهما على خير - تدخل البهجة والسرور والسعادة على العروسين وعلى بيت الزوجية الجديد. ومن ناحية أخرى فهى شهادة على الزواج من كل مهنئ ومهنئة. وكل هذا من مقاصد الشريعة الإسلامية السمحاء، يعود على الأسر الناشئة وعلى المجتمع الإسلامى كله بالخير والبركة والسعادة...

ثالثا: تزيين العروس ومرافقتها إلى بيت الزوجية وإيناسها [2]:

ومن الركائز الهامة التي تُدخل البهجة والاطمئنان والسعادة على بيت الزوجية الوليد وعلى ركنيه الأساسيين - الزوج والزوجة - وأسرتيهما، تزيين العروس ومرافقتها إلى بيت الزوجية وإيناسها. وفيهما أيضا شهادة أوسع من الشهادة المطلوبة شرعا في الزواج. ونتناولها بشيء من التفصيل.

---

(1) رواه أحمد في المسند صـ179 - المعارف.

(2) هذا العنوان مقتبس من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور الأحمدى أبو النور.

1- تزيين العروس:

ومما يدخل البهجة والاطمئنان والسعادة على العروسين وأسرتيهما، تزيين العروس وتجميلها في بيتها قبل أن تذهب إلى بيت زوجها. ويتضمن ذلك غسل شعرها وجسدها. وتنقية وتنظيف مواقع تجمع العرق من جسدها، وإزالة الشعر الزائد تحت الإبط وفيما بين الأرجل وقص الأظافر، ونحو ذلك مما يجمل المرأة. فتزداد جمالا في عين زوجها، وأعين الناظرين إليها من أهلها وأهل زوجها. وللعروس أن تستعين في تحقيق هذه الأمور بمن لها خبرة من النساء فيها.. ومن الطبيعى أن تكون المرأة أعرف من غيرها بهذه الأمور اللازمة. ونعتقد أن النساء ذوات الخبرة في هذا المجال تستطعن تحقيق كل هذه الأمور الجمالية السابقة. وقد لا تحتجن إلى قص الزائد من شعر الرأس فتلففنه وتصنعن منه شكلا جميلا دون قص أو صبغ أو كى أو نحو ذلك. وسوف نذكر إنشاء الله نموذجا اسلاميا لإتمام هذه الامور الجمالية بعد قليل..

أما الذهاب إلى ما يعرف الآن باسم الكوافير - فإنه يحمل من المخاطر والمخالفات الشرعية ما يجعل العروس في غنى عن الذهاب إليه. وخصوصا إذا كان العاملون فيه من الرجال وليسوا من النساء.. والعروس المؤمنة تدفع عن نفسها كثيرا من المخالفات التي تقع فيها الأخريات من بنات جنسها. ويجب أن يضع العروسان نصب أعينهما دائما - ما تفعله بعض النساء غير الملتزمات بتعاليم الشريعة الإسلامية. ولتحذر كل عروس مسلمة أن تقلد هؤلاء النسوة في شئ مما يفعلنه من أمور خارجة عن الإسلام وتعاليمه السمحة النافعة. وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أفعال تقع من بعض النساء، كانت تفعلها نساء الجاهلية، وعندما جاء الإسلام أبطلها ومنعها؛ لما فيها من تجاوز هؤلاء النسوة الحد في الحفاظ على كرامة المرأة وعرضها وشرفها ويفعل هذه الأمور الآن كثير من المترددات على الكوافير سواء في الأفراح أو في الحياة اليومية العامة.

فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نتف الحواجب وشعر الوجه ووصل الشعر. وفى وصل الشعر يقول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم :{لعن الله الواصلة والمستوصلة} [1] فالواصلة هى التي ترغب في توصيل شعرها والإضافة إليه. والمستوصلة هى التي تفعل لها ذلك. فكل من الواصلة وهى من ترغب في زيادة شعرها بباروكة أو نحوها من وسائل الوصل والمستوصلة التي تعينها على فعل هذا الأمر، ملعونة من الله عز وجل ومن رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ومن المؤمنين كما أن نتف شعر الوجه قد يزيده كثافة إذا أزيل بطريقة خاطئة. وفى صنع الوشم ونتف الحاجب يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{لعن الله الواشمات والمستوشمات، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله} [2] فهؤلاء النسوة يحاولن تغيير الخلقة التي خلقهن الله تعالى عليها. فتصنع إحداهن

الوشم أو تنتف حاجبها فتجعله رفيعا أو توسع بين أسنانها اعتقادا منها بأن ذلك يضفى عليها لونا من الجمال. وتعجز هذه المرأة وأمثالها عن إدراك قيمة الجمال الربانى الذي خلق الله عليه النساء، فتحاول تغيير خلقتها إلى ماهو أقبح مما خلقها الله عليه.

---

(1) رواه ابن ماجة ص 80 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

(2) رواه أبو داود في الصفحة ذاتها من المصدر السابق: الواشمة هى التي تريد أن تصنع الوشم بغرز إبرة أو مسلة في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو نحو ذلك حتى يسيل منه الدم ثم تحشوه بالكحل أو النورة أى الحناء فيكون كالنقش في خدها أومعصمها أو كفها أو شفتها معتقدة أنه نوع من الجمال. والنامصة هى التي تبحث عن متنمصة تنتف لها حاجبها فترفعه. والمتفلجة هى التي تفلج أى تباعد ما بين أسنانها بمبرد ونحوه لتحدث فواصل بينها معتقدة أنه نوع من الجمال.

لذلك لعنها الله عز وجل، ورسوله صلى الله عليه وسلم وأوضح لجنس البنات أن هذه ملعونة من الله ورسوله والمؤمنين حتى لا تحذو غيرها من النسوة حذوها. وكل هذه البدع التي أشرنا إليها تتم غالبا بفعل الكوافير حتى لو كان العامل فيه امرأة، أو بفعل بعض النسوة الجاهلات بالتوجيهات الإسلامية للمرأة في هذا الشأن..

وهناك أيضا أمور منعتها الشريعة الإسلامية وحذرت المرأة من فعلها. كأن تخرج إلى الشارع واضعة المساحيق على خدها وعينها ورمشها وشفتها، فتبدو كأنها عروسة المولد. فقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تفعل ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم :{لعن الله القاشرة والمقشورة} [(1)].. ويقول النبى صلى الله عليه وسلم :{مثل الرافلة في الزينة في غير أهلها كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها} [(2)]..

وبعد أن تأخذ العروس قسطا وافرا من النظافة بالطريقة التي أشرنا إليها في بداية الحديث - تلبس ملابسها الجديدة المخصصة لهذه المناسبة حسب العادات والتقاليد الشرعية المتبعة في الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم الذي تنتمى إليه.. ونتيجة للأمية الدينية في هذا الشأن

---

(1) رواه الإمام أحمد عن عائشة رضى الله عنها ص133 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى. والقاشرة هى التي تضع على وجهها أو وجه غيرها المساحيق ليصفو لونها كما تعتقد. والمقشورة هى التي يفعل لها ذلك. فكأنها تقشر وجهها وتغير جلدها.

(2) أخرجه الترمذى عن ميمونة بنت سعد ص133،ص134 من المرجع السابق. الرافلة: المبالغة.

- تلبس بعض البنات والنساء في مناسبة عرسهن ملابس خارجة عن الحدود الشرعية الإسلامية؛ لتبين أجزاء من جسدها. كأن تلبس ملابس شفافة أو ضيقة أكثر من اللازم لتبين مفاتن جسدها، لكل من ينظر إليها. أو تلبس ملابس فضفاضة تظهر أجزاء من جسمها أو ملابس قصيرة تبين بعض عوراتها.. ويتفنن صناع ملابس النساء الآن فيربحون في دنياهم ويخسرون في أخراهم. وقد أشار إلى هؤلاء النسوة النبى صلى الله عليه وسلم وأخبر أصحابه المؤمنين من بعدهم أن هذا الصنف من النساء لم يظهر بعد في حياته صلى الله عليه وسلم لكنه سيظهر في الأزمنة اللاحقة. وهاهو ذا قد ظهر ونراه كل يوم في الشوارع والطرقات. يقول النبى صلى الله عليه وسلم في شأن هؤلاء النسوة:{ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا
يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها. وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا}[1]. وفى رواية أخرى يحدد الرسول صلى الله عليه وسلم مدة هذه المسيرة فيقول صلى الله عليه وسلم :{وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة}[2]..

وهكذا يشير النبى صلى الله عليه وسلم إلى هذا الصنف من النساء الذي تَظْهَرُ فيه إحداهن كأنها تلبس ملابس وهى في الحقيقة عارية تظهر أجزاء من عورتها لمن يريد أن ينظر ويأثم معها. فهى شريكة للناظر في الإثم. لأن النظر عادة يؤدى إلى أفعال شيطانية يفعلها الناظر المسرف على نفسه والذى لا يأخذ بتعاليم الإسلام في غض البصر. فهى في الحقيقة تجذب إليها مَنٍ في قلبه مرض وتجعله يتطلع لفعل الفاحشة معها إذا هُيئت له الظروف المناسبة

---

(1) رواه أحمد عن أبي هريرة ص90من مختار الأحاديث. مائلات: عن الطاعة. مميلات: للقلوب. رؤوسهن كأسنمة البخت: مغطاة بالخرق تشبه أسنمة الإبل. وأسنمة جمع سنام وهو الجزء المرتفع من ظهر الناقة.

(2) ص271 من شرح الزرقاني على موطأ مالك الجزء الرابع.

لذلك. فليتخذ العروسان مسلكا نافعا لهما ولكل عروسين. وليقتد كل منهما بما كان يفعله سلفنا الصالح رضى الله عنهم أجمعين. وليستعن العروسان بأهل الخبرة من النساء المؤمنات الصالحات. فأهل الخبرة منهن أفضل ألف مرة من الذهاب للكوافير، بكل ما فيه من محظورات ومساوئ.

ولنا في أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها مثلا أعلى يصلح تطبيقه في كل زمان ومكان في بيت العروس. بعيدا عن البدع المنتشرة عن طريق الكوافير الذي هو أصلا فكرة أجنبية دخلت بيوت المسلمين في غفلة من أهلها عن طريق التقليد الأعمى للغرب وللأجانب.. وتروى لنا أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كيف استعانت أمها - أم رومان - بذوات الخبرة من النساء في مجال تزيين العروس. فجمعتهن في بيتها وأسلمت إليهن عائشة رضى الله عنها فأصلحن من شأنها وأعددنها لاستقبال زوجها في بيت الزوجية، بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. تقول أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها في هذا الشأن: " تزوجنى النبى صلى الله عليه وسلم، وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة، فنزلنا في بنى الحارث بن خزرج، فوعكت فتمرق شعرى، فوفى جميمة، فأتتنى أمى، أم رومان، وإنى لفى أرجوحة، ومعى صواحب لى، فصرخت بى فأتيتها لا أدرى ماتريد منى؛ فأخذت بيدى حتى أوقفتنى على باب الدار، وإنى لأنهج حتى سكن بعض نفسى، ثم أخذت شيئا من ماء فمسحت به وجهى ورأسى، ثم أدخلتنى الدار فإذا بنسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة وعلى خير طائر، فأسلمتنى إليهن، فأصلحن من شأنى، فلم يرعنى إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى، فأسلمتنى إليه، وأنا يومئذ بنت تسع سنين " [1].

---

(1) ص 227 من الجزء الثانى من صحيح البخارى - عناية الدكتور محمد تامر. كتاب مناقب الأنصار - باب تزويج النبى صلى الله عليه وسلم تزوجنى: أى عقد علىّ - وعكت: أصابتنى الحمى. تمرق: انتتف - وَفَى: كثر - جميمة موضع الشعر مما يلى الأذن أى كثر حتى وصل إلى الأذن أنهج: أتنفس عاليا. على خير طائر: على خير حظ. لم يرعنى: لم يفاجئنى.

ويدل هذا الحديث الكريم لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها على مدى حرص الصحابة وأمهات المؤمنين واهتمامهن بالعروس وإعدادها إعدادا تاما لزوجها وبيتها الجديد.. ولعل القارئ الكريم يلاحظ معى ما يجمعه تعبير السيدة عائشة رضى الله عنها من العناصر الجمالية التي تحدثنا عنها في البداية مما هو مطلوب لتزيين العروس حيث تقول السيدة عائشة رضى الله عنها: " فأصلحن من شأنى ". وهو تعبير يشمل كل ما يفعله النساء الصالحات لإصلاح شأن العروس قبل أن تزف إلى زوجها: من غسل وتنظيف وإزالة للشعر الزائد في أماكن تجمعه وقص الأظافر ونحو ذلك مما يلزم العروس في هذا اليوم قبل زفافها إلى زوجها بما في ذلك لبس الملابس المناسبة. وأن ذلك يحدث في بيت العروس فلا تخرج إلى كوافير أو غيره. وإنما يأتى إليها في بيتها ذوات الخبرة من النساء في
هذا المجال ويعملن ما يلزمها مما لا يستطيع الكوافير أن يعمله لها خصوصا إذا كان رجلا.. وتزيين العروس على هذا النحو، من الاستعانة بذوات الخبرة من النساء في مجال تزيين العروس - يحيى الأمل عند الزوجة الصالحة في بداية مرحلة الزواج، في حياة زوجية مليئة بالفرحة والسعادة والسرور، بعيدة عن بدع الأزمنة الحديثة التي ابتدعت ما يسمى بالكوافير الذي يهرع إليه كثير من الجهلة والأميين في أمور الدين عامة وأمور إعداد العروس لزوجها وتزيينها له بصفة خاصة. ويعتبرون ذلك تقدما وتطورا للأحسن. وهم لا يدرون أن الأحسن هو ما كانت تفعله أمهات المؤمنين لِيُزَيِّن بنات المسلمين قبل زفافهن إلى بيوت أزواجهن لبدء مرحلة جديدة من السعادة الزوجية المنشودة. وفى ظل هذا الإعلان الزائد حتى على ما يطلبه الشارع من إشهاد على الزواج في مرحلة التزيين ومِنْ قبلها عقد القران والوليمة. كل هذا إشهاد على الزواج على نحو أوسع مما هو مطلوب شرعا. ومن شأن كل ذلك أن يضفى على هذا الزواج سعادة ما بعدها سعادة...

2 - مرافقة العروس إلى بيت الزوجية وإيناسها[1]:

وانتقال العروس من بيتها إلى بيت زوجها أمر صعب وخصوصا في الأيام الأولى لبدء الحياة الزوجية الجديدة. وعلى الأخص في الليلة الأولى من وصولها إلى بيتها الجديد. فليس من السهل على العروس أن تترك بيت أبيها وأمها، الذي نشأت فيه، وتربت في أحضانه سنوات طويلة، في أمن واستقرار؛ تتركه عشية لتعيش في جنبات بيت جديد في وجوهه، وفى عاداته وفى معتقداته، وفى سلوكياته. إنه أمر صعب على نفس كل عروس.. وحتى تطمئن نفسها وتستقر، وتأنس كما كانت تأنس في بيت أبيها، وترضى بالعيش الجديد في عش الزوجية - أوصى الإسلام بأن يصاحبها أهلها وصاحباتها المقربات إلى

نفسها إلى بيت الزوجية، في الليلة الأولى لعرسها. وأن يفعل أهلها وصاحباتها المقربات إليها - كل ما من شأنه أن يزيل عنها هذا القدر الهائل من الاستحياء والاضطراب والقلق الذي يصاحبها ويصاحب مثيلاتها في الانتقال إلى بيت الزوجية التي لم تألفه بعد.

وقد حرص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين وتابعيهم بإحسان. ويجب أن يستمر هذا الحرص من التابعين وتابعيهم على مرافقة العروس إلى بيت زوجها لإيناسها، حتى يزول عنها الشعور بالغربة، وتتشجع على التعود على العيش في بيتها الجديد. وأول من طبق ومارس هذا الأمر الواجب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوجيه من ربه عز وجل. فقد أنزل سبحانه وتعالى من آياته الكريمة ما يثبِّتُ به بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم حتى تقر أعينهن بعيشهن الجديد في رحاب بيت النبوة، ويرضين جميعا بما آتاهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من متاع وحسن معاملة وتوجيه إلى الأفضل وحتى يبتعد عنهن الحزن والقلق. فتسير أمورهن على ما يرام. وفى ذلك يقول ربنا الكريم سبحانه: { تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ

---

(1) هذا العنوان كسابقه مقتبس من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور الأحمدى أبو النور.

ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آَتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا } [الأحزاب: ٥١].

فمرافقة العروس إذن إلى بيت زوجها فيه كثير من الفوائد: أولها أن تقر عين العروس وتطمئن إلى عشها الجديد، وأن يبتعد عنها الخوف والقلق من هذه النقلة الشرعية التي ارتضاها ربنا عز وجل والمؤمنون، والتي ترضى فيها العروس، وتثق في كل ما قدمه لها زوجها في عشها الجديد، من مال وأمتعة تلزم هذا العش المبارك، وسهولة في التعامل مع أفراد بيت زوجها، واحترام متبادل بينها وبين زوجها، ومن يهمه أمرهما في هذا البيت الجديد، ومن أمن وأمان في رحابه، وبهذه المرافقة تتأكد الألفة والأنس بالزوج وأهله، وبين الزوجية في ليلة العرس، فيتبادل أهلها وأهل الزوج التهاني والألفة ويزول القلق والاضطراب شيئا فشيئا، فيبتعدان عن كل ما يعكر الصفو، فتسمع زوجها وتطيعه، ويغادر أهلها بين زوجها قبل أن تسأل عن حقوقها، وبذلك يتحقق الغرض من الزواج

الشرعى وهو تمتع الزوجين بالسكن والمودة والرحمة، وتسير الأمور على ما يرام، كما في قوله تعالى:{ وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الروم: ٢١]..

أما في رحاب السنة النبوية المباركة فنجد أكثر من دليل على وجوب مرافقة أهل العروس لها عند خروجها إلى بيت الزوجية وتطييب نفسها ونفس زوجها، وخلق جسور من التفاهم والود والحب والتقدير بينهما في الليلة الأولى لعرسهما، مما يؤدى إلى تقبل كل من العروسين للآخر، وبدء حياة زوجية جديدة مليئة بالفرحة والسعادة. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة.

وقد سجل التاريخ الإسلامى مواقف هامة في ليلة بنائه صلى الله عليه وسلم بأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، تشهد بالود والتآلف وتطبيع الزوجة على طاعة زوجها وإرضائه بكافة الوسائل الممكنة.. وقد شهدت أسماء بنت يزيد بن السكن - مرافقة وإيناس أم المؤمنين عائشة ليلة بناء رسول الله صلى الله عليه وسلم بها.. وتقص أسماء رضى الله عنها ما حدث

من إيناس الزوجة وتوجيهها في هذه الليلة المباركة فتقول رضى الله عنها: " إنى قَيَنْتُ عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جئته، فدعوته لجلوتها. فجاء فجلس إلى جنبها، فأُتِيَ بِعُسٍّ لبن، فشرب، ثم ناولها النبى صلى الله عليه وسلم، فخفضت رأسها واستحيت، قالت أسماء: فانتهرتها، وقلت لها: خذى من يد النبى صلى الله عليه وسلم. قالت: فأخذَتْ فشربت شيئا، ثم قال لها النبى صلى الله عليه وسلم :{أعطى تربك}. قالت أسماء: فقلت يا رسول الله.. بل خذه واشرب منه ثم ناولنيه من يدك، فأخذه، فشرب منه، ثم ناولنيه، قالت: فجلست ثم وضعته على ركبتى ثم طفقت أديره وأتبعه بشفتى لأصيب منه شرب النبى صلى الله عليه وسلم. ثم قال لنسوة عندى:{ناولنيهن} فقلن: لا نشتهيه. فقال صلى الله عليه وسلم :{لا تجمعن جوعا وكذبا} (1)..

وقد وضح لنا من حديث أسماء بنت يزيد رضى الله عنها - أن مرافقة العروس ليلة العرس إلى بيت زوجها وإيناسها ومشاركة الحاضرين من أقارب العروسين وأهلهما في ذلك كله - له تأثير كبير في تطويع العروس لزوجها ولبيتها الجديد، وفى تذليل العقبات التي تقف أمام هذا الإيناس في عاجله وآجله؛ كحياء العروس من زوجها في ليلة عرسها، وتنقية الجو المحيط بها من الحاسدات اللاتى قد تحضرن خصيصا لتخويف العروس من بيتها الجديد، وإرشاد العروس ومساعدتها على أن تطيع زوجها، وغير ذلك من الأمور اللازمة في هذا المجال، للحفاظ على بيت الزوجية، وخصوصا في بداية الحياة الزوجية الجديدة. وقد اشتمل حديث أسماء بنت يزيد على إشارات جديرة بالتسجيل والاعتبار في مرافقة العروس وإيناسها ليلة زفافها.

---

(1) أخرجه أحمد وابن أبي الدنيا والمنذرى والطبرانى من حديث أسماء بنت يزيد بن السكن ص167، ص168 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

قينت: زيَّنت ومشَّطت - لجلوتها: أى للنظر إليها مجلوة ومكشوفة. عُسٍّ لبن: قدح كبير مملوء باللبن - فانتهرتها: عاتبتها بشدة. تربك: صديقتك. طفقْت: أخذتُ.

ومن ذلك: أن أسماء رضى الله عنها انتهرت أم المؤمنين عائشة عندما استحيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وترددت في أخذ عس اللبن من يده الشريفة وهو زوجها لِتُعَلِّمَ عائشة رضى الله عنها أن الحياء من الزوج ينبغى ألا يصل إلى هذه الدرجة.. ومن ذلك أن أسماء رضى الله عنها توجه أم المؤمنين عائشة في بداية حياتها الزوجية إلى وجوب طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم كرسول وكزوج.. وثمة توجيه آخر من أسماء لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنهما ولكل عروس وزوجة. فقد طلبت أسماء من رسول الله صلى الله عليه وسلم - على سبيل البركة والشرف - أن يأخذ العس ويشرب منه ثم يناولها إياه. وذلك لتحظى أولا بشرف الشرب من موضع فم رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولتضرب مثلا أعلى لكل عروس وزوجة. فلا غضاضة أبدا من أن تشرب الزوجة من موضع فم زوجها على إناء الشرب. فهذا أمر يعبر عن تقدير ومحبة الزوجة لزوجها، وعن ميلها
النفسى إليه واعتزازها به، وولائها ورضاها عنه.. ولا مانع أبدا من أن يشرب الزوج من موضع فم عروسه أو زوجته على إناء الشرب لنفس الأسباب التي ذكرناها، وكذلك الأمر في الأكل.

وبهذا نجد في مرافقة أهل العروس لها في ليلة عرسها إلى بيت الزوجية وإيناس الحاضرين لها هناك، أهمية كبرى. حتى تتعود على الحياة مع الزوج وفى البيت الجديد. ونجد في ذلك كله سعادة للعروس ولزوجها ولعش الزوجية الجديد. حيث يأنس الزوج بعروسه وتأنس به. وتحس معه بالأمن والاستقرار والسعادة..

على أن الملاحظ والشائع بين المسلمين والمسلمات في المجتمع الإسلامى أن يحرص كثير من الآباء والأمهات على توجيه العروس قبل أن تخرج إلى بيت زوجها، ونصحها بما يلزمها من أمور معنوية، تزيل عنها كل ما يعتريها من استحياء أو خوف أو تردد، في طاعة زوجها وإرضائه بكافة الطرق والوسائل الممكنة شرعا في التعامل معه

. فالأم العاقلة المؤمنة تنصح ابنتها العروس قبل أن تخرج إلى بيت زوجها بكل ما يلزمها من نصائح تقربها من زوجها وتزيد من إيناسها به وببيتها الجديد. وذلك لتكون أكثر تمسكا وسعادة بزوجها وببيتهما الجديد.. ومن هذا القبيل وصية أسماء بنت خارجة امرأة عوف بن مسلم الشيبانى لابنتها

قبل زفافها. إذ قالت: " أى بنية إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت، وعشك الذي فيه درجت، إلى أليف لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكونى له أرضا يكن لك سماء، وكونى له مهادا يكن لك عمادا، وكونى له أَمَةً يكن لك عبدا، واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا: أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة وحسن الطاعة.. وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لموضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح.. وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه وطعامه، فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة.. وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرعاء على حشمه وعياله، فملاك الأمرفى المال حسن التقدير، وفى العيال حسن التدبير.. وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرا، ولا تفشين له سرا، فإنك إن خالفت أمره أوْغَرتِ

صدره، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره.. ثم إياك والفرح بين يديه إن كان ترحا، أو الترح بين يديه إن كان فرحا، فإن الخصلة الأولى من التقصير والأخرى من التكدير.. وكونى أشد ما تكونين له إعظاما يكن أشد ما يكون لك إكراما، وأشد ما تكونين له موافقة يكون أطول ما يكون لك مرافقة.. واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت أو كرهت، والله يُخَيِّرُ لك " [1]..

---

(1) من كتاب الإسلام والحياة الزوجية للأستاذ عثمان السيد الشرقاوى - الطبعة الثانية 1986م، التفقد: أى المراعاة - الاحتراس بماله: أى حراسته - الإرعاء: الرعاية. حشمه: القريبين منه المقربين إليه. أوغرت صدره: أثرت فيه تأثيرا سيئا. يخير لك: يختار لك الأصلح ويوفقك إلى اختياره. الترح: الغضب.

وبهذه الكلمات القليلة في عددها، الشاملة في معانيها، نصحت أسماء رضى الله عنها ابنتها ونبهتها إلى كل ما تحتاجه في حياتها الزوجية، مما يحفظ عليها زوجها وبيتها الجديد. حتى يحالفها التوفيق والسداد دائما في عش الزوجية، فيبادلها زوجها إحسانا بإحسان، وتقديرا بتقدير، واهتماما باهتمام، ووفاء بوفاء وحبا بحب...

وكذلك الأب العاقل المؤمن، ينصح ابنته قبل أن تفارقه إلى بيت زوجها. ويدعو لها بالتوفيق والسداد في حياتها مع زوجها، فيسعدان معا في عشهما الهادئ الجديد.. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لابنته فاطمة الزهراء، لما زفت إلى علىّ بن أبي طالب رضى الله عنهما ليلة البناء بقوله صلى الله عليه وسلم :{اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما} [(1)].. وها هو عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، يوصى ابنته عند زواجها فيقول: " إياك والغيرة فإنها مفتاح الطلاق. وإياك وكثرة العتب، فإنه يورث البغضاء. وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء " [(2)].. وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: " كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زفوا امرأة إلى زوجها، يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقه " [(3)]...

وهكذا نرى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين الأوائل، لا يبخلون بنصح بناتهم عند خروجهن إلى بيوت أزواجهن ليلة العرس، بما يجعلهن أقرب إلى التوفيق والسعادة في حياتهن الجديدة مع أزواجهن..

---

(1) أخرجه ابن سعد عن بريدة ص 103 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

(2) نفس الصفحة من المرجع السابق.

(3) ص 104 من المصدر نفسه.

وهكذا يجب أن يحذوَ المسلمون والمسلمات في مشارق الأرض الإسلامية ومغاربها، حذو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحابته، والمسلمين والمسلمات الأوائل في نصح بناتهم في ليلة عرسهن، والدعاء لهن بالتوفيق والفلاح، حتى يكون طريق العروس وزوجها إلى السعادة والاستقرار ممهدا أمامها وأمام زوجها. كله أمان واستقرار ورضا ومحبة...

* * *

الباب الرابع: الحياة الزوجية الإسلامية ومتطلباتها

الباب الرابع

الحياة الزوجية الإسلامية ومتطلباتها

الباب الرابع:

الحياة الزوجية الإسلامية ومتطلباتها

إن البداية الأولى للأسرة تتكون من زوج وزوجة، جمعهما ميثاق غليظ، أوجب الإسلام الوفاء به. وفى ظله يَعْرِفُ كل منهما ما له وما عليه مسترشدا بتعاليم الشريعة الإسلامية بشقيها: القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة. فمن خلال هذه التعاليم يتعامل كل من الزوج والزوجة، ملتزما بما له من حقوق، وما عليه من واجبات. فيصلان معا إلى الاستقرار والسكن والمودة والرحمة، وكلها توصل إلى السعادة المنشودة.

* * *

الفصل الأول:

دور الزوج في توفير السعادة لزوجته في بيت الزوجية

يتضح دور الزوج المسلم في تحقيق كل ما من شأنه إسعاد زوجته في بيت الزوجية، في حدود ما نصت عليه شريعة الإسلام. وفى مقدمة هذا الدور القيام بالإنفاق على بيت الزوجية، وتوفير احتياجاته والإنفاق على الزوجة، وتحقيق كل ما يجعلها تؤدى دورها بنجاح كزوجة مسلمة وراعية لبيت الزوجية..

في القرآن الكريم:

وفى القرآن الكريم وبيانه لدور الزوج في إسعاد زوجته وبيتهما، يقول ربنا العظيم سبحانه:{ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ } [النساء: ٣٤] الآية. قال أبو السعود: " والتفضيل للرجال لكمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرأى ومزيد القوة. ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية والشهادة والجهاد وغير ذلك "[1] من الوظائف الهامة والحيوية في الحياة الدنيا.. وقال ابن عباس وغير واحد:{ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ } يعنى مطيعات لأزواجهن.. وقال السُّدّى وغيره:{ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ } أى تحفظ زوجها في غيبته في نفسها وماله[2].. فالزوجة مطالبة بطاعة زوجها فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه بحكم قوامته وإمارته عليها..

ومن ناحية أخرى يتأكد هذا الدور للرجل في إسعاد زوجته وبيت الزوجية في قوله تعالى:{ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾} [طه: ١١٧] وبيان ذلك أن أول أسرة في الوجود الإنسانى تكونت من الزوجين آدم وحواء عليهما

---

(1) إرشاد العقل السليم 399/1. وانظر ص 95 من القسم الثانى من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

(2) ص 466 من الجزء الأول - من تفسير ابن كثير للقرآن العظيم.

السلام. وقد سكنت الجنة. ووفر الله عز وجل لهما فيها كل وسائل العيش الرغد والراحة والسعادة. لكنه سبحانه حذرهما من طاعة عدوهما الشيطان الرجيم، الذي طرد من الجنة لرفضه السجود تكريما لآدم، ولا شك أنه سيحاول الوقيعة بهما ليهبطا معه إلى الأرض، وإذا حدث ذلك فسيشقى آدم وحده في سبيل تهيئة وسائل العيش والسعادة له ولزوجته حواء. فهو المسئول وحده عن توفير ما يلزمه ويلزم زوجته من طعام وشراب وملبس ومسكن. وإذن فسيشقى آدم كما سيشقى كل رجل في الحصول على مقومات الحياة السعيدة على وجه الأرض. فالرجل إذن راع وهو مسئول عن رعيته..

والدين الإسلامى يحث الرجل على العمل والكد في سبيل تحقيق الرزق في الأرض ومن الأرض. يقول أصدق القائلين سبحانه:{هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } [الملك: ١٥]. فقد ذَلَّل الله سبحانه الأرض ليمشى عليها الرجال ويجوبون جنباتها وأقاليمها وجبالها بحثا عن الرزق الحلال فسعى الزوج في الأخذ بأسباب الرزق له ولزوجته لا ينافى التوكل على الله بل يلازمه. ويقول ربنا الكريم:{ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } الآية [العنكبوت: ١٧]. فقد أُمِرَ المؤمنون بأن يطلبوا الرزق من الله عز وجل، لأن غيره لا يملك شيئا، وأن يشكروا الله تعالى على تفضله عليهم بالنعم والأرزاق التي يأخذون بأسبابها ويتوكلون فيها على الخالق الرازق سبحانه... والملاحظ أن الخطاب في الآيتين السابقتين موجه إلى الرجال للبحث عن الرزق والأخذ بأسبابه. فالرجل هو الجدير بذلك لما سبق ذكره من أسباب..

في السنة النبوية

فإذا انتقلنا إلى مجال السنة النبوية الكريمة - وجدنا الكثير من الأدلة التي توجب الكد والشقاء والتنقل في جنبات الأرض وفجاجها، على الرجل، من أجل الحصول على العيش الكريم والرزق الحلال بالأخذ بالأسباب والتوكل على الله.. فقد سمع عمرُ بن الخطاب

رضى الله عنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:{لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا وتورح بطانا}[1].. فالطير تغدو وتروح لطلب الرزق مع توكلها على خالقها ورازقها الكريم فهى تغدو جائعة وتروح شبعانة البطون، وكذلك الرجال.. ومن هذا القبيل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده. وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده}[2]. فهذا نبى الله داود عليه السلام الذي سخر له ربه الجبال والطير وألان له الحديد وشد ملكه - علمه ربه جل وعلا صنع الدروع ليتاجر فيها ويأكل من عمل يده. وعنه يقول سبحانه:{ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ **} [الأنبياء: ٧٩ - ٨٠]. ويقول عز وجل:{** وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ **} [سبأ: ١٠ - ١١].**

ويقول المولى سبحانه:{ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ **} [ص: ١٧ - ٢٠]. ورغم كل هذه النعم كان داود يأكل من عمل يده، شكرا لنعم ربه التي أنعم بها سبحانه عليه...**

وينبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين جميعا إلى أن الجد والاجتهاد والهم في طلب المعيشة يكون سببا في مغفرة ذنوب لا يغفرها صوم ولا صلاة ولا حج ولا عمرة،

---

(1) رواه الترمذى والنسائى وابن ماجة من حديث ابن هبيرة ص 384 من الجزء الرابع من تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

(2) رواه البخارى عن المقدام ص 128 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ سيد أحمد الهاشمى..

فيقول صلى الله عليه وسلم :{إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصلاة، ولا الصيام، ولا الحج، ولا العمرة، ولكن يكفرها الهموم في طلب المعيشة}[1]. وينبه صلى الله عليه وسلم كذلك إلى أن ما ينفقه الزوج على الأهل وبيت الزوجية أعظم أجرا مما ينفقه في سبيل الله، أو في فك رقبة، أو في التصدق على مسكين. ويقول النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك:{دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في فك رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي انقفته على أهلك} [2]..

وينبغى ألا يتبرم المسلم أبدا ولا ييأس إذا ضاق رزقه. بل عليه أن يتنقل في جنبات الأرض ويحاول التقاط رزقه من هنا وهناك بالطريق الحلال. فإذا غيّر مكان إقامته من أجل البحث عن الرزق الحلال وظل رزقه قليلا - فلا ييأس من رحمة الله. فلعل الله سبحانه قد قدر له أن يكون من هذه الفئة المؤمنة الصادقة في إيمانها. يبذل الرجل منها جهده في الحصول على الرزق الحلال فيرزق قليلا فيرضى به، فيرضى الله عنه بالقليل من العمل. فيكون سعيدا برزقه القليل ويثاب على صبره ورضاه بقضاء الله وقدره، فيكتب عند الله ممن بات حاجا وأصبح غازيا. يقول النبى صلى الله عليه وسلم في هؤلاء:{طوبى لمن بات حاجا وأصبح غازيا: رجل مستور ذو عيال، متعفف قانع باليسير من الدنيا، يدخل إليهم ضاحكا، ويخرج منهم ضاحكا، فوالذى نفسى بيده، إنهم الحاجون الغازون في سبيل الله عز وجل} [3]..

وفى تشجيع الزوج المؤمن وحثه على الإنفاق على زوجته وبيته - يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :{إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها كانت له صدقة}

---

(1) رواه ابن عساكر ص 42 من المرجع السابق.

(2) رواه الديلمى عن أبي هريرة 188 من المصدر السابق.

(3) رواه الديلمى ص 93 من المرجع السابق.

[1]. فنفقة الزوج على زوجته وبيت الزوجية واجبة. ويجب أن تكون معتدلة لا ظلم فيها لأحد الطرفين. حيث يقول الله جل جلاله:{ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ } [الطلاق: ٧].. وإذا كان ذلك الإنفاق مطلوبًا منه في حالة الطلاق - فهو أشد طلبا ووجوبا في حالة الاستقرار في الزواج. فالزوج المسلم من مهامه الأساسية تقديم كل خير وواجب لزوجته وبيت الزوجية التي يعيش معها فيه. وتشمل هذه النفقة: الطعام والشراب والكسوة والمسكن، وكل ما يلزم للحياة الزوجية الطبيعية اللائقة بهما معا. وكل ذلك بغير إسراف أو تقتير. يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :{خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى. ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم} [2].

وفى هذا الإطار الهام يذكِّر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بحقوق الزوجة على زوجها. إذ أن حصولها على هذه الحقوق الشرعية يجعلها تحس بالارتياح والسعادة والاستقرار، فتخلص لبيتها ولزوجها. وفى ذلك يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم :{حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهجرها إلا في البيت} [3]. فالرسول صلى الله عليه وسلم يُذكِّر المسلمين الأزواج بطائفة من أهم حقوق الزوجة على زوجها، ومنها الإطعام والكسوة وحسن المعاملة لها حتى لو أخطأت أو نشزت. فله حينئذ أن يتبع معها السلوك الشرعى في معاملة الناشز. فلا يضرب وجهها ولا يقبحه إذا لم تُجْدِ معها العظة. بل يهجرها في بيت الزوجية وخصوصا عند النوم، فلا ينام معها تحت غطاء واحد. وله أن يضربها إذا لم يُجْدِ معها الهجر، ضربا غير مبرح ولا مؤذ، وسيأتى الحديث عن ذلك في حينه...

---

(1) رواه مسلم والبخارى عن ابن مسعود. ص 152 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

(2) رواه ابن عساكر عن عليّ ص 75 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ سيد أحمد الهاشمى.

(3) رواه الحاكم ص 67 من المرجع السابق.

ومن حقوق الزوجة التي اهتم بها الإسلام - تعليم المرأة. فالواجب أن يعلمها الزوج، إذا لم يُعلِّمْها أبواها، كل ما ينفعها في حياتها الزوجية، من الناحية الدينية والاجتماعية، والعلمية، والثقافية. حيث يقول الله تبارك وتعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ } الآية [التحريم: ٦]. وقد قال الضحاك في تفسير هذه الآية وكذلك مقاتل: " حق المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده، ما فرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه " [1].. ويقول ربنا العظيم سبحانه مخاطبا أمهات المؤمنين زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينسحب قوله تعالى على بقية نساء المسلمين:{ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا } [الأحزاب: ٣٤]. ففى هذه الآية الكريمة من سورة الأحزاب دليل في غاية القوة على وجوب تعلم المرأة أحكام الكتاب والسنة وسائر العلوم الشرعية، وخصوصا ما يتصل منها بالجماع والطهارة والحيض والنفاس وحقوق الزوج، وغير ذلك من الأحكام والتعاليم اللازمة لنجاح الحياة الزوجية وسعادتها.. فالذين يعلمون البنين ويتركون البنات بغير تعليم، والذين يفرطون من الأزواج - بعد تفريط الآباء والأمهات - في تعليم زوجاتهم، مخطئون، ومسئولون أمام الله عز وجل، عن تفريطهم في أمانة تعليم المرأة.. " فالعلم الشرعى النافع يكسب البنت والمرأة، كما يكسب الرجل والإبن، أخلاقا كريمة، وآدابا رفيعة، يرتفع بها المتعلم والمتعلمة، درجات عالية من الكمال والشرف والسعادة. يقول ربنا الكريم سبحانه:{ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ } الآية [المجادلة: ١١].

والمرأة كالرجل أيضا في تعلم القراءة والكتابة، ومطالعة كتب الدين الإسلامى وكتب

(1) ص 377 من الجزء الرابع من تفسير القرآن العظيم لابن كثير - المكتبة القيمة.

الأخلاق وقوانين الصحة وتدبير المنزل وتربية العيال ومبادئ الفنون والعلوم: من العقائد الصحيحة والتفاسير والسير وكتب الحديث والفقه " [1].. وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - يسألون أم المؤمنين عائشة من وراء حجاب عما يشكل عليهم أمره من الأحاديث وتفسير آيات القرأن الكريم، وعن الأحكام، وأمور الحلال والحرام.. وكانت عائشة رضى الله عنها تستدرك[2] على الصحابة كثيرا من القضايا وتخبرهم فيها بالأخبار الصحيحة شرعا.. وقد عدها العلماء من حفاظ الصحابة المكثرين من الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانوا سبعة هم: ابن عباس، وابن عمر، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدرى، وعائشة، رضى الله عن الجميع. وكان المحدث لا يعتبر حافظا إلا إذا حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الألف حديث " [3]...

وكذلك يعتبر التعليم الأكاديمى - وهو التدرج في سلم التعليم من المرحلة الابتدائية فالإعدادية فالثانوية فالجامعية فالدراسات العليا - يعتبر من حق المرأة كما هو من حق الرجل فهو يصلح النشء من الجنسين فيغذيهم بالأخلاق الحميدة والآداب الدينية والاجتماعية. وكذلك الإسلام بما يبث من مبادئ وقيم وتعاليم نافعة - يعلم النشء ذكورا وإناثا الكثير من الفضائل: كالعفاف والستر والتواضع في المأكل والمشرب والملبس والمسكن. ويحذرهم من المغالاة في الكماليات والمهور، ومن الإسراف والتبذير. ويحثهم على الاقتصاد في النكاح وأموره كالنفقة وحسن التدبير والحرص على ود الأرحام والجيران

---

(1) بتصرف من ص 28 من كتاب الاختلاط وما ينتج عنه من مساوئ الأخلاق - للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود - رئيس المحاكم الشرعية والشئون الدينية - بدولة قطر.

(2) تستدرك: تحسم الأمر فبها.

(3) بتصرف من نفس الصفحة من المرجع السابق.

وحسن معاشرة الزوج والإنسان بصفة عامة. وكلها أمور مطلوبة منهم قبل الزواج وبعده[1]..

لكن البنت المسلمة عليها أن تتمسك بالعلم النافع وهو الذي يؤدى إلى ما ذكرناه سابقا من فوائد لتعليم البنت. وعليها أيضا أن تترك العلم غير النافع كالرقص والغناء والتمثيل وغير ذلك مما لا ينفعها قبل الزواج ولا بعده. ففيه مضيعة للوقت، وسير في طريق الشر، طريق الشيطان، وهو طريق غير مأمون وربما تستحسنه البنت ضعيفة الإيمان، فيجعلها عرضة للافتتان والعصيان، وذلك عكس ما هو مطلوب من العلم والتعلم..

ومن حقوق الزوجة المسلمة على زوجها المسلم - أن يحسن عشرتها. وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم الأزواج على أداء هذا الحق. وكتب الحديث والسيرة تذكر لنا كثيرا من الأمثلة الدالة على حسن عشرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجاته، أمهات المؤمنين. ومن ذلك ما ورد عن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة رضى الله عنها: ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصنع في البيت؟ قالت: " كان يكون في مهنة أهله، فإذا سمع بالآذان خرج "[2]. وكان صلى الله عليه وسلم يلاطف أهله ويلاطفونه ويداعبهم ويداعبونه " فإذا جاءت الصلاة انصرف عنا وكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه " [3].. وقد روى عنه قوله صلى الله عليه وسلم :{إن مِنْ أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خُلُقاً، وألطفهم بأهله} [4]..

---

(1) بتصرف من ص29 من كتاب الاختلاط وما ينتج عنه من مساوئ الأخلاق - للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود بدولة قطر.

(2) ص483 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور، وقد رواه البخارى وأبو داود الطياليسى.

(3) من رواية أخرى عن عائشة رضى الله عنها.

(4) أخرجه الترمزى في كتاب الإيمان وزيادته ونقصانه 9/5 ص465 من كتاب منهج السنة في الزواج، للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

ومن إحسان عشرة الزوج لزوجته أن ينزهها ولو مرة في الأسبوع لتشعر بالسرور وتستريح من عناء العمل بالبيت. وأن يقدم إليها بعض الهدايا الرمزية في المناسبات العديدة التي تمر بها. وأن يبتعد عن أسباب الشقاق معها، والخطأ في حقها، بقصد السيطرة لمجرد السيطرة وليس لسبب شرعى. وعليه أن يحترم شخصيتها، وأن يستمع إلى رأيها، وأن يستشيرها في إدارة شئون المنزل الخاصة به، وأن يأخذ برأيها إن كان صوابا وواقعيا أكثر من غيره، وعليه أن يوزع اختصاصات بيت الزوجية بينه وبينها بالعدل وبحسب قدرة كل منهما وطاقته. وليعلم الزوج أن قوامته على زوجته حق له لا يتنافى مع كل هذه الحقوق التي ذكرناها للزوجة، والتى تحس فيها بأن زوجها يحافظ على آدميتها.

وليعلم كل من الزوج والزوجة المسلمين أن الزواج القائم على الاستبداد من جانب أحدهما يكثر فيه الشقاق والخلاف أما الزواج القائم على التعاون والشورى وتوزيع الاختصاصات توزيعا عادلا على الأساس الذي ذكرناه يقل فيه الشقاق والخلاف وبالتالى يقل فيه الشقاء وتحيط به السعادة من كل الجوانب[1]. لأن ربنا عز وجل يقول:{ﮘﮙﮚﮛ ﮜﮝﮞﮟ} [البقرة: ٢٢٨].. وهذه الدرجة درجة تكليف لا تشريف[2]. وهو تكليف للزوج في مجال قوامته على الزوجة والإنفاق والإمرة عليها ووجوب الطاعة عليها له..

ومن إحسان عشرة الزوج لزوجته في الأمور الهامة، الأخذ برأيها الصحيح الذي يتمشى مع الشرع والعقل لإشعارها بأهميتها ودورها في حياة زوجها. ولقد ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا رائعا في هذا المجال. فقد استشار زوجته أم المؤمنين أم سلمة رضى الله عنها بعد صلح الحديبية. فقد ظن المسلمون بعد هذا الصلح أن شروطه فيها

---

(1) ص 457 بتصرف - من كتاب منهج السنة في الزواج.

(2) صفوة التفاسير - الطبعة الأولى - القسم الأول ص 132.

ظلم لهم. وعندما أراد المصطفى صلى الله عليه وسلم أن ينفذ أحد بنود هذا الصلح، وهو العودة دون عمرة في هذا العام وقضائها في العام المقبل - أمر النبى صلى الله عليه وسلم من معه من المسلمين أن ينحروا ما ساقوا من الهدى، وأن يحلقوا، فلم يمتثل أحد منهم فدخل صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضى الله عنها يستشيرها في هذا الأمر الخطير. حيث لم يبادر المسلمون كعادتهم إلى طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت أم سلمة للرسول صلى الله عليه وسلم : " يانبى الله.. أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا كلمة، حتى تنحر بدنتك، وتدعو حالقك فيحلقك " فلما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أشارت به عليه أم سلمة - ثاب المسلمون إلى بُدُنهم، فنحروها، وانخرطوا في امتثال أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعل بعضهم يحلق بعضا، بل كاد بعضهم يقتل بعضا ندما، على ما فرط منهم، وكانت أم سلمة عاصما من فتنة " [1]..

ومن إحسان العشرة أن يتعامل الزوج بحكمة مع زوجته إذا غارت عليه. وقد تغار الزوجة على زوجها ولكن الغيرة لها جانبان، يوضحهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الشريف:{من الغيرة ما يحب الله، ومنها ما يكره. فأما ما يحب الله فالغيرة في الريبة، وأما ما يكره الله فالغيرة في غير ريبة} [2].. فالغيرة في الريبة يوجد معها أمر مريب في موقف أحد الزوجين. والواجب كشف هذا الريب وتوضيحه، حتى يتبين موقف الزوجين تماما، وتعود الحياة الزوجية إلى طبيعتها شفافة واضحة، لا تدخل فيها للشيطان. أما الغيرة في غير ريبة، فهى من الشيطان، يصور لأحد الزوجين فعلا خياليا، ليزيل الصفاء بين

---

(1) البداية والنهاية 176/4 لابن كثير.

(2) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة وأبو داود والنسائى وابن حبان عن جابر بن عتيك. ورواه أحمد والطبرانى عن عقبة بن عامر. ص79من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - للشيخ أبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت 1984م. وص474من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

الزوجين ويضخم الخلاف بينهما، حتى يوصل الحياة بينهما إلى باب المستحيل، أو قريبا منه، بغير سند واضح، ودليل بين. مع أن الواقع يقول: إنه لا ريبة ولا محل لها بين الزوجين. وهنا يكون دور الزوج المؤمن في إزالة هذا الغموض وإزاحة هذا العمل الشيطانى إلى خارج إطار الحياة الزوجية..

وعلى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن، حتى يتمكنوا من درء خطر هذا النوع من الغيرة في غير ريبة لكى لا يعصف بالهدوء السائد في عش الزوجية. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين زوجاته أمهات المؤمنين في المبيت. وفى ليلة من ليالى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ارتدى صلى الله عليه وسلم ثوبيه بعد أن خلعهما، وخرج من عند عائشة، فدخلت الغيرة إلى قلبها وظنت أنه ذاهب إلى زوجة أخرى من زوجاته، فخرجت وراءه، فإذا هو قد ذهب إلى البقيع. وعرفت منه صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أن ربه أمره أن يستغفر لأهل البقيع والشهداء من المؤمنين والمؤمنات وهنا أدركت عائشة رضى الله عنها أنها أخطأت في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادت مسرعة إلى البيت حتى لا يراها النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية لها رضى الله عنها عن ذلك تقول: " فغرت عليه أن يكون أتى بعض نسائه، فجاء فرأى ما أصنع - وكانت تغير ملابسها وقلبها ينتفض من سرعتها في المشى حتى لا يدركها رسول الله صلى الله عليه وسلم - فقال:{أغرت؟} [1] فقلت: وهل مثلى لا يغار على مثلك؟ فقال:{لقد جاءك شيطانك} قلت: أومعى شيطان؟ قال:{نعم} قلت: " ومعك؟{قال:{نعم ولكن الله أعاننى عليه فأَسْلَمُ} [2] الحديث وهكذا نجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد على عائشة ردا جميلا ويفهمها أن غيرتها هذه من عمل الشيطان،

---

(1) ما بين الشرطتين عبارة توضيحية مقتبسة من رواية أخرى لعائشة ص443من صحيح مسلم - الطبعة المميزة والمرقمة برقم المعجم المفهرس.

(2) ص 458، ص459من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

حيث لا ريبة في أمره صلى الله عليه وسلم معها. وكان الواجب على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن تترك هذه الهواجس الشيطانية ولا تفكر فيها على نحو يعكر صفو حياتها مع حبيب الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فلتأخذ نساء المسلمين عبرة وعظة من موقف عائشة رضى الله عنها وغيرتها بهذه الطريقة على زوجها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - بحيث لا يتطرفن في غيرتهن على أزواجهن..

وكذلك الأزواج يجب عليهم أن يكونوا معتدلين في غيرتهم على زوجاتهم. فلا يغالون في إساءة الظنون بهن وخصوصا إذا كن طائعات لهم مؤديات لكل حقوقهم عليهن، ومنها طاعة أوامرهم واجتناب نواهيهم. ما دام الجميع على حق ملتزمين بتعاليم وتوجيهات شريعة الإسلام..

وقد تحاول الزوجة المسلمة المفاخرةَ بحسبها. والواجب على زوجها المسلم أن يحذرها من السير في هذا الاتجاه لأنه يبعدها عن الطريق الصحيح الذي يتمشى مع تعاليم الإسلام. فالأفضلية في الإسلام تكون بالتقوى لا بالحسب والنسب ولا بالجاه ولا بغير ذلك من أساليب التفاضل الغير متمشية مع المبادئ الإسلامية الفاضلة.. وحدث أن تفاخرت حفصة وعائشة رضى الله عنهما على صفية بنت حُيَىّ رضى الله عنها. وهن من أمهات المؤمنين. فقالت حفصة وعائشة لصفية إن لهما الفخر عليها فهما قرشيتان قريبتان أما صفية فأجنبية دخيلة. فوجه النبى صلى الله عليه وسلم صفية إلى جواب يُسْكِتُ حفصة وعائشة ويجعلهما لا تقدمان على مفاخرتها مرة أخرى. قال المصطفى صلى الله عليه وسلم لصفية رضى الله عنها:{ألا قلت: وكيف تكونان خيرا منى وزوجى محمد وأبى هارون، وعمى موسى}؟[1]..

ولو تتبعنا كتب الحديث والسيرة لوجدنا أن هناك مجالات كثيرة لأخطاء الزوجات يمكن للأزواج علاجها بالصبر وحسن التصرف.. فقد تتعرض الزوجة في صغرها قبل الزواج

---

(1) رواه ابن ماجة عن أبي هريرة 1/ 643 ص 643 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

للإصابة بعقدة نفسية نتيجة لواقعة حدثت أمامها واختُزِنَتْ في عقلها الباطن. فإذا صادفها ما يشبهها في مرحلة النضوج وبعد الزواج فإنها تتذكرها فتضطرب في أقوالها وأفعالها مما ينعكس على بيت الزوجية واستقراره وسعادته. كما يحدث أحيانا في حوادث الاحتراق والغرق ونحو ذلك، مما يصادف بعض الزوجات، ويجعلها تتصرف بطريقة غير سوية.. ويمكن للأزواج معالجة هذه الأمور وأمثالها التي تنعكس بالسلب على تصرفات الزوجات - بالصبر وحسن التصرف واللجوء إلى الطب النفسى إذا اقتضى الأمر[1].

وقد تلجأ بعض الزوجات إلى تقليد أمهاتهن في التصرف في بعض أمور الحياة الزوجية الجديدة بطريقة قديمة قد لا تتناسب مع الحياة الزوجية الجديدة. فلكل وقت أذان كما يقول المثل الشعبى. وما كان مناسبا في الماضى من تصريف النساء لبعض الأمور قد لا يتناسب الآن مع الحياة الزوجية الحالية. كطريقة طهى الطعام مثلا. فقد لا تتناسب الطرق القديمة مع الحياة العصرية الجديدة. وعلى الزوج في هذه الحالة أن يوجه زوجته إلى الطريقة الأفضل دون أن يشعرها بأنها تتمسك بتقليد أمها مثلا في طريقة الطهى. وهو بهذا التصرف يضرب عصفورين بحجر واحد. ففى الوقت الذي يوجه زوجته إلى فعل ما يحب من الطرق، فهو لا يشعرها بأنها تحرص على تقليد أمها في طريقتها القديمة في طهى الطعام حتى لا تصاب بالحرج والضيق، وتتحسر على الأيام التي قضتها في بيت أمها وأبيها. ومن الأهمية بمكان أن ننبه إلى أنه لا مفر من أن تقف أسرة الزوجة موقفا حياديا في هذه المسألة فلا تشجع ابنتها على موقفها، ولا تحاول التدخل بينها وبين زوجها لحمله على الموافقة على رأيها. بل يجب أن تحث ابنتها على طاعة زوجها واتباع الطريقة التي يحبها. ولتترك الخلاف للزوج وزوجته ينهيانه بطريقتهما الخاصة دون تدخل منها، في

---

(1) ص 465 من نفس المرجع السابق.

ساعة من ساعات الرضا. والملاحظ أن تدخل الأسرة بين ابنتهم وزوجها يلقى بظلال اليأس على مستقبل الحياة الزوجية لابنتهم، على عكس ما يشعرون ويقدرون..

وبالمثل يجب أن تأخذ أسرة الزوج موقفا حياديا فلا تشجع ولدها على معاملة زوجته بقسوة لمجرد خلافها معه في مسألة بسيطة، تحدث عادة في أسر كثيرة، ولا تحتاج منها أو من أسرة الزوجة إلى تصعيد الخلاف.. وهذا الحياد من أسرة كل من الطرفين يهون الأمر على الزوج وزوجته فيسعيان جاهدين إلى تصفية الخلاف وعودة حياتهما الأسرية إلى طبيعتها دافئة كما كانت قبل الخلاف، في أسرع وقت ممكن..

ولكل زوجين صالحين وأسرتيهما قدوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المجال. حيث لم يتدخل النبى الكريم بين ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها وبين زوجها عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه. فقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت فاطمة. فلم يجد عليا في البيت فقال: أين ابن عمك؟} قالت: كان بينى وبينه شئ فغاضبنى فخرج فلم يقل عندى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان:{انظر أين هو؟} فجاء فقال: يارسول الله، هو في المسجد راقد، فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول:{قم أبا تراب، قم أبا تراب} [1]. وهكذا حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدم التدخل بين على وبين زوجته فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم. مما جعل عليا يتغاضى عن خلافه معها بعد أن رأى لطف أبيها صلى الله عليه وسلم معه، وحرصه على استمرار الحياة الزوجية الطبيعية بينهما دون تدخل منه. ولم يلبث أن عاد عليّ إلى بيته وكأن شيئا لم يكن بينه وبين زوجته فاطمة رضى الله عنها..

---

(1) البخارى، عناية الدكتور محمد تامر الجزء الأول ص 101 فى كتاب الصلاة باب نوم الرجال في المسجد عن سهل بن سعد.

ولكن قد تحدث ظروف خطيرة، تفرض على والد الزوجة أو من يحل محله، أن يتدخل بينها وبين زوجها تدخلا شرعيا لإبعاد خطر أو دفع فتنة تكاد تصيب الزوجة في دينها أو عرضها، وتعصف ببيت الزوجية، بسبب تصرف طائش من زوجها. وأوضح مثال لذلك، هو ما حدث من تدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنها وبين زوجها علىّ رضى الله عنه وكرم الله وجهه. وذلك عندما سيطرت فتنة الدنيا على علىّ في لحظة من لحظات طيش أصابه، فخطب ابنة - عدو الله ورسوله والمؤمنين - أبي جهل على ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خاف على ابنته فاطمة رضى الله عنها من أن تفتن في دينها، فأعلن أنه صلى الله عليه وسلم استؤذن في هذه الخطبة ولم يأذن. وإزاء هذا الموقف الحازم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ترك علىّ خطبة ابنة أبي جهل. فعن المسور بن مخرمة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول:{إن بنى هاشم بن المغيرة استأذنونى أن يُنكِحوا ابنتهم، على بن أبي طالب. فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن. إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم. فإنما ابنتى بضعة منى. يريبنى ما رابها. ويؤذينى ما آذاها}. قال: فترك على الخطبة[1]..

وعلى الزوج حتى يسعد زوجته وتسعد به - أن يعلمها الصبر على الشدائد والصعاب التي تقابلها في حياتها الزوجية، ومحاولة التغلب عليها، دون اللجوء إلى أبويها كلما لاحت لها مشكلة أو صعوبة. وإذا أردنا القدوة الحسنة في هذا الأمر - فلنا أن نستفيد من موقف فاطمة رضى الله عنها وزوجها علىّ، ومن تصرف النبى صلى الله عليه وسلم معهما في شكوى فاطمة من أثر الرحى وطلبها خادما يخفف عنها من هذا الأثر ويقضى حوائجهما.. فقد أثر استعمال فاطمة للرحى فيها أثرا كبيرا لدرجة جعلها تعرض شكواها على أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها. واتفقت فاطمة مع علىّ رضى الله عنهما على عرض

---

(1) صحيح مسلم. الطبعة المميزة والمرقمة بترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ص 1224.

هذا الأمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنهما لم يجرآ على إثارة هذه الشكوى أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سنحت الفرصة بذلك، عندما جاء سبى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهبت فاطمة رضى الله عنها إلى أبيها ولكنها لم تجده فأخبرت عائشة رضى الله عنها. وعندما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلبهما، صرفهماعنه صرفا حسنا ودلهما على ما هو خير لهما منه. حيث ذهب إليهما وقال لهما:{ألا أعلمكما خيرا مما سألتمانى؟ إذا أخذتما مضجعكما تكبرا أربعا وثلاثين، وتسبحا ثلاثا وثلاثين، وتحمدا ثلاثا وثلاثين. فهو خير لكما من خادم} [1]. وقد استفاد كل من علىّ وفاطمة رضى الله عنهما من تصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم معهما في هذا الأمر. واتضح لهما أن مشاكل بيت الزوجية يجب ألا تخرج منه إلا إذا عجز الزوجان عن حلها. وأن عليهما وعلى الزوجة خاصة أن تتحلى بالصبر وأن تبحث مع زوجها عن حل مناسب لمشاكلهما الخاصة ببيت الزوجية.

وليعلم كل زوج أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى بالنساء وهو على فراش الموت. فقد أوصى الأزواج بزوجاتهم في قوله صلى الله عليه وسلم :{أيها الناس: إن للنساء عليكم حقا، وإن لكم عليهن حقا. فعليهن ألا يوطئن فراشكم أحدا، ولا يدخلن بيوتكم أحدا تكرهونه إلا بإذنكم، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجرونهن في المضاجع وأن تضربوهن ضربا غير مبرح. فإن انتهين وأطعنكم فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوانٍ لا يملكن لأنفسهن شيئا، وإنما أخذتموهن بأمانة الله.. واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا} [2]..

---

(1) رواه البخارى من حديث على بن أبي طالب في 12 كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم - باب مناقب علىّ بن أبي طالب ص194من الجزء الثانى من صحيح البخارى - عناية الدكتور محمد تامر.

(2) ص106، ص107 من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السيد الشرقاوى - الطبعة الثانية - عوان: أسرى.

فإذا حفظت الزوجة فراش زوجها من أن يطأها أحد غيره، ولم تُدخِل بيته أحدا يكرهه إلا بإذنه، وأطاعته فيما أمرها به؛ فلها منه رزقها وكسوتها بالمعروف. فهي في بيت زوجها كالأسيرة بحكم ما بينهما من ميثاق غليظ. فإذا لم تطعه، وفعلت ما يغضبه فله أن يهجرها في بيت الزوجية وأن يضربها ضرباً غير مبرح، لايترك أثراً ولا يكسر عضواً ولا يسيل دماً حتى تنتهي عن عصيانها.

وفي وجوب معاملة الزوج لزوجته باللين والحسن. يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد كان معروفاً بالشدة والخشونة: " ينبغي للرجل أن يكون في أهل بيته مثل الصبي، فإذا التمسوا ما عنده وُجِدَ رجلاً " [1]. ومن حسن معاملة الزوج لزوجته أن يجعلها تنجذب إليه وتميل نحوه. وأن يحرص دائماً على أن يكون شعورها نحوه حسناً. فيتزين لها كما تتزين له. وفي ذلك يقول الحبيب المصطفي صلى الله عليه وسلم : {اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا، فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم} [2]. ويُروي عن بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: " إني لأحب أن أتزين لامرأتي كما تتزين لي. لأن الله تعالي يقول:{وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ } الآية [البقرة: ٢٢٨][3]..

والخطأ من جانب الزوجة وارد فإذا تكرر عمداً أو بدون مبرر، فإنها تكون ناشزا ترفض طاعة زوجها والائتمار بأمره واجتناب نواهيه. وقد رسم الإسلام طريقاً شرعياً لعلاج نشوز الزوجة يتلخص في ثلاث نقاط سنذكرها تفصيلاً.. وعلينا في البداية أن نتذكر أن المرأة مخلوق ضعيف، مكن الله منها زوجها فجعله قيما عليها. فعليه أن يعاملها دائما بلطف

---

(1) ص107 من المرجع السابق.

(2) رواه ابن عساكر عن على ص25 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمي.

(3) ص133 من القسم الأول من الطبعة الأولي - من كتاب صفوة التفاسير - للدكتور محمد على الصابوني.

ولين ما دامت تؤدى واجبها نحوه، بكل ما تستطيع من الطرق الشرعية. وعليه أيضا أن يؤدى لها كل حقوقها ما دامت تجتهد في طاعته وتحسن معاملته.. فإذا نشزت فإنه لا يقبح وجهها ولا يسبها أو يشتمها كما يفعل كثير من الناس، وإنما عليه أن يتبع الطريق الشرعى في إعادتها إلى طريق الاستقامة على شرع الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.. وقد شرع الإسلام للزوج ثلاثة طرق لتأديب زوجته في حالة نشوزها.

وقد وردت هذه الطرق في قوله تعالى:{ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا } [النساء: ٣٤].

فليبدأ الزوج مع زوجته الناشز بالعظة فيوجهها ويعرفها أن من الخير لها ولزوجها ولبيتهما أن تطيعه وتلتزم بتوجيهاته التي لا تخرج عن نطاق الشريعة الإسلامية. وعليه أن يقنعها بذلك بكل طرق الإقناع الممكنة لديه والتى يتميز بها. فإن كان يغلب عليها الإيمان والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فستستجيب لعظة زوجها وتطيعه وتلتزم بتعاليمه في حدود الشريعة الإسلامية. على أنه في حالة عظة الناشز يجب ابتعاد الواعظ سواء كان زوجا أو غيره، عن الألفاظ البذيئة والفاحشة التي تنفر الزوجة وأهلها من سماع النصيحة. بل يجب أن تكون العظة بأسلوب مؤدب، يأخذ بالقلوب النافرة، فيشجعها على ترك العناد والعودة إلى طاعة الزوج. فإن لم ينفع معها أسلوب العظة فعليه أن يستعمل معها أسلوب الهجر استعمالا شرعيا إسلاميا. فالهجر لا يكون إلا في بيت الزوجية. وأهم الهجر هجر الفراش. ولا يشترط للزوج أن يبحث عن مكان آخر أو بيت غير بيت الزوجية، لينام فيه، كما يفعل البعض. ومن الأهمية بمكان ألا يفعل ذلك في حضور الأولاد - إن وجدوا - حتى لا يحسوا بوجود خلاف بين أبيهم وأمهم، وهجر الفراش يتحقق بالانفراد بغطاء مستقل على نفس الفراش ويتحقق كذلك بإدارة الزوج ظهره لزوجته مع تمكنه من التحكم في نفسه. وعن هجر المرأة في مضجعها قال

ابن عباس: " الهجر ألا يجامعها ولا يضاجعها على فراشها، ويوليها ظهره ".. وزاد آخرون منهم السدى والضحاك وابن عباس أيضا في رواية " ولا يكلمها " [1]. والزوجة المسلمة التي تتمتع بالحياء يؤثر فيها هذا الأسلوب أكثر مما يؤثر فيها السب والشتم والضرب، وتقبيح الوجه، وتوجيه كل الألفاظ الجارحة الخارجة عن نطاق الأخلاق الإسلامية لها..

وحتى يثمر أسلوب الهجر كما شرعه الإسلام يجب أن يتحكم الزوج في عاطفته الجنسية وأن يتجنب جماع زوجته في فترة الهجر، وألا يضعف أمام إغراءاتها له لأن جماع الزوج لزوجته في هذه الحالة يعنى أنه راض عن تصرفاتها. فلا معنى ولا شرعية للهجر إذن.. فإن استجابت الزوجة للعلاج بالهجر، فبها ونعمت، وإلا فعليه أن ينتقل للأسلوب الثالث من أساليب العلاج الإسلامى للزوجة الناشز، ألا وهو الضرب غير المبرح، وهو " الذي لا يترك أثرا ولا يكسر عظما ولا يسيل دما " [2]. إذ المقصود من الضرب هنا أن تشعر الزوجة بخطئها فتعترف به وتتجنبه. أما الأسلوب الوحشى في الضرب والذى يلجأ إليه البعض لعلاج الزوجة الناشز - فغير وارد في الشريعة الإسلامية وهو مناف لتوجيهاتها وتعاليمها المقتبسة من القرآن الكريم ومن السنة النبوية المباركة. حيث يتنافى مع السكن والمودة والرحمة التي من المفترض أن تسود بيت الزوجية. حيث يقول المولى عز وجل:{ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ } [الروم: ٢١]. وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أن يضرب الرجل زوجته ضربا مبرحا ثم يجامعها آخر اليوم. وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{أيضرب أحدكم امرأته كما يضرب العبد ثم

---

(1) تفسير سورة النساء في كتاب صفوة التفاسير - للشيخ محمد على الصابونى - الطبعة الأولى.

(2) ص39 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت 1984م.

يجامعها في آخر اليوم}[1] ويقول صلى الله عليه وسلم :{لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها في آخر اليوم} [2]. وحتى يثمر أسلوب الضرب على الزوج أيضا أن يتجنب جماع زوجته في فترة الأخذ بهذا الأسلوب. وقد رأينا تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك.

فجماع الزوج لزوجته في فترة الهجر أو الضرب يضيع الأثر المرجو منهما. فهجر الزوج لزوجته أو لجوؤه إلى ضربها يعنى أنها أخطأت ولم تتراجع، بل أصرت على خطئها، وعلى مخالفة زوجها بغير وجه حق، وجماعه لها يعنى أنه راض عن تصرفاتها الخاطئة. وهذا التناقض بين الأمرين يعنى أن الزوج غير موفق في سلوكه مع امرأته الناشز، وأنه لا يريد إصلاح نشوزها حسب ما أمرته به الشريعة الإسلامية.. ولا يعنى ذلك أننا نشجع أسلوب الهجر أو الضرب، فلا شك أن كلا الأمرين يترك أثرا سلبيا عميقا في نفس كل من الزوج والزوجة يُخْشَى معه على بيت الزوجية، لكن إيمانهما الكامل بمبادئ الإسلام وتوجيهاته في هذا الشأن يمنع هذا الخطر عن بيت الزوجية الناشئ مادام الغرض هو الإصلاح وما دامت النوايا حسنة. وليت العظة تكفى في هذا المجال حتى لا يلجأ الزوج إلى الهجر أو الضرب.. وليعلم المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمل الأسلوبين الأول والثانى من سبل علاج النشوز مع زوجاته أمهات المؤمنين رضى الله عنهن.. وقد مر بنا كيف عالج النبى صلى الله عليه وسلم بالعظة ظاهرة الغيرة عند أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، وعرفها بأن غيرتها عمل شيطانى ينبغى الابتعاد عنه وتجنبه حيث كانت هذه الغيرة غيرة من غير ريبة.. وقد استجابت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لنصائح رسول الله صلى الله عليه وسلم لها بترك الغيرة من غير ريبة لأنها من عمل الشيطان. وكان الرسول

---

(1) البخارى 192/20.

(2) صحيح البخارى - عناية د. محمد تامر - الجزء الثالث ص 47.

صلى الله عليه وسلم يلحظ تأثرها بذلك من تغير لهجتها معه في الحديث. وكان من علامات قبولها نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن، أنها قالت له عندما عرفها بذلك: " أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك " [1]. وقد عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم نشوز زوجاته أيضا بالهجر. " إذ أرسل صلى الله عليه وسلم إلى أم المؤمنين زينب رضى الله عنها هدية فردتها عليه. فقالت له التي هو في بيتها: لقد أقمأتك إذ ردت عليك هديتك. فقال صلى الله عليه وسلم :{أنتن أهون على الله من أن تقمئننى} ثم غضب عليهن كلهن شهرا إلى أن عاد إليهن " [2]. وفى الصحيحين من حديث عمر رضى الله عنه: " أقسم ألا يدخل عليهن شهرا من شدة موجدته عليهن " [3]. وفى رواية من حديث جابر: " ثم اعتزلهن شهرا " [4]..

وقد بدأ نشوز أمهات المؤمنين زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم بطلب زيادة النفقة وسعة العيش بعدما رأوا ترف الفرنجة وتنعمهم.. على أنه يلاحظ في الضرب أن يتجنب الزوج ضرب الوجه؛ لأنه محل كرامة الإنسان سواء كان رجلا أو امرأة. حيث يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إذا ضرب أحدكم فليتجنب الوجه} [5]. فتجنب ضرب الوجه مطلوب أيا كان المضروب. هذا وقد أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه لم يضرب أحدا

---

(1) من حديث للسيدة عائشة - أخرجه البخارى في كتاب النكاح - باب غيرة النساء ص141من الجزء الثالث من كتاب اللؤلؤ والمرجان تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.

(2) ذكره ابن الجوزى في الوفاء - أقمأتك أى أذلتك وأصغرتك.

(3) ص90 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت - موجدته: غضبه.

(4) ص91 من المرجع السابق.

(5) رواه البخارى ص14 من كتاب مختار الأحاديث النبوية.

من زوجاته قط[1]. ويقول النبى صلى الله عليه وسلم في علاج نشوز الزوجة باللين:{إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة. فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج. وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها} [2]..

وإذا لم تُفِدْ هذه الوسائل الثلاث في معالجة الخلاف القائم بين الزوجين. وكان للزوج دور في تضخيمه واستفحاله - فهناك وسيلة أخرى وأخيرة وهى التحكيم. فيختار أقارب الزوج وجيرانهما من أهل الخير حكما من أهل الزوج يرضى به، وحكما من أهل الزوجة ترضى به. فيحاول الحكمان التوفيق بين الزوجين. وسينجحان في هذه المهمة ما دام هدفهما الإصلاح بينهما. وفى هذا يقول أصدق القائلين سبحانه: { وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ } [النساء: ٣٥]. وقد يتطلب الأمر حكما واحدا وإرساله إلى الزوج إذا كان النشوز منه. وفى هذا المجال بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه حكما إلى زوجين فعاد ولم يُصلح أمرهما فعلاه بالدرة وقال: إن الله تعالى يقول:{إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا } فعاد الرجل، وأحسن النية، وتلطف بهما فأصلح بينهما[3]...

ومن قبيل محافظة الزوج على زوجته وحسن معاملته لها - أن يكف بصره عن النظر إلى غيرها، عملا بقوله تعالى:{ } [النور: ٣٠] فذلك يجعلها تقصر طرفها عليه، عملا بقوله تعالى:{ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } الآية [النور: ٣١]. فيتبادلان الصفاء والإخلاص في الدنيا، وتكون زوجة له في الجنة بإيمانهما وإخلاصهما معا في الدنيا وموتهما على الصلاح والإيمان. فتقصر

---

(1) ص90 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى.

(2) رواه أبو هريرة ص709 من صحيح مسلم - الطبعة المميزة والمرقمة بترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

(3) ص90 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى - الدرة: الآلة الذي يضرب بها - علاه: ضربه -.

طرفها عليه أيضا في الآخرة. يقول الله عز وجل فيها وفى أمثالها من الزوجات الصالحات:{ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ﴿٥٦﴾} [الرحمن: ٥٦]. وعلى الزوج في سبيل الحفاظ على زوجته - أن يأوى إليها إذا أعجبته امرأة في الطريق. فبهذا أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجال أمته وكان صلى الله عليه وسل قدوتهم في هذا المجال. فقد روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى امرأة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال:{إن المرأة إذا أقبلت أقبلت بصورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن معها مثل الذي معها} [1] وفى رواية عن جابر أيضا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى امرأة. فأتى امرأته زينب، وهى تمعس منيئة لها. فقضى حاجته. ثم خرج إلى أصحابه فقال:{إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه} [2].

وفى رواية:{فإن البضع واحد ومعها مثل الذي معها}[3]..

وكخطوة أساسية في محافظة الزوج على زوجته وإسعادها - يجب عليه أن يدعم علاقته الجنسية معها، ولا يتركها للظروف لتحل ما ينشأ بينهما من مشاكل جنسية. فقد يحرج الطرفان في مواجهة هذه المشاكل للبحث عن حل لها، فتبقى معلقة وتحدث شرخا قابلا للاتساع في العلاقة بينهما. ولا يفوتنا في هذا المقام أن ننبه إلى عدة أمور هامة لها علاقة بهذه المسألة الهامة: وأول هذه الأمور أن يتنبه الزوج دائما إلى مداعبة زوجته قبل أن

---

(1) رواه مسلم والترمذى واللفظ له.

(2) ص664من صحيح مسلم الطبعة المميزة والمرقمة بترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث. تمعس منيئة: تمص قطعة من المنئ وهو مادة صمغية حلوة تفرزها بعض الأشجار.

(3) رواه الخطيب عن عمر ص13 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم سيد أحمد الهاشمى.

يواقعها. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، ليكن بينهما رسول}. قيل: وما الرسول؟ قال:{القبلة والكلام} [1] فالقُبلة تعبر عن الرغبة في الجماع والكلام يعبر عن الميل العاطفى والقلبى، وكلاهما يصب في تيسير عملية الجماع.

ويرى بعض الباحثين في هذا الأمر أن تعادل الميل بين الجانبين أى الزوج والزوجة، وتوفر الاستقرار الطبيعى والنفسى المعبر بهما عن الرغبة في العملية الجنسية. كل هذا يؤدى إلى التوافق العام والشامل بين الزوجين في كل نواحى الحياة الزوجية[2]..

فاقتران البدن بالبدن، بعيدا عن العاطفة وتبادل الانسجام والوحدة الروحية والذهنية بين الزوجين، ليس هو المطلوب الوحيد للحياة الجنسية السعيدة. ومن أجل ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{ثلاث من العجز عند الرجل، أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعلم اسمه ونسبه، والثانى أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته، والثالث أن يقارب الرجل زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه} [3].. وثانى هذه الأمور الهامة في المجال الجنسى: أن يمارس الرجل الجنس مع زوجته بلا إفراط أو تفريط. فالإفراط معناه الإكثار من الجماع والتفريط معناه التقليل منه. وكلا الأمرين منفر، ويؤدى إلى تناقص الجاذبية، وبرودة الحياة الزوجية بين الزوجين وهى التي من المفروض أن تكون دائمة الدفء والحيوية.

---

(1) رواه أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث أنس بن مالك، وص93من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السعيد الشرقاوى - الطبعة الثانية 1986م، ص135 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى، طبعة أولى 1966، وطبعة ثانية1977م.

(2) بتصرف من ص134من كتاب الاسلام والحياة الزوجية - عثمان السعيد الشرقاوى.

(3) ص135من المرجع السابق.

وثالثها: أنه ينبغى أن يتصل الرجل بزوجته اتصالا جنسيا مرة واحدة في الأسبوع على الأقل ومرتان على الأكثر. ففى المرة يقول نبينا صلى الله عليه وسلم :{أيعجز أحدكم أن يجامع امرأته كل جمعة فإن له أجرين، أجر غسله، وأجر غسل امرأته} [1] وفى المرتين: جاء في كتاب النصيحة الكافية للشيخ زروق ما نصه: " وحقها أن الذي يقضى لها به في كل جمعة مرتان " [2]..

ورابعها: أن على الزوج أن يزيد أو ينقص بحسب حاجتها في التحصين، لأن تحصينها من الفحشاء واجب عليه. فلا ينبغى أن يقلل عليها حتى تضرر ولا يكثر عليها حتى تمل[3]..

وخامسها: أن على الزوج أن يعلم أن من المكروه أن يأتى امرأته دون أن تطيب نفسها بذلك. إذ أن ذلك قد يفسد عليها دينها وعقلها، وقد يجعلها تتشوق إلى غيره محدثة نفسها بالتغيير. كما يكره للزوج أيضا أن يأتى امرأته على غفلة، حيث يؤدى ذلك إلى نفس النتائج التي أشرنا إليها. وقد نهت الشريعة الإسلامية عن الطروق وكَرَّهته وهو أن يدخل الرجل على أهله عند قدومه من سفر. فعن مالك بن أنس رضى الله عنه أنه قال: " كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يطرق أهله، كان لا يدخل إلا غدوة أو عشية " [4].

---

(1) ص113م كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

(2) ص140من كتاب الزواج الإسلامى - لطارق إسماعيل كاخيا.

(3) ببعض التصرف من ص141 من المرجع السابق.

(4) أخرجه البخارى في كتاب العمرة - باب الدخول بالعشى ص355 من الجزء الأول من صحيح البخارى - عناية الدكتور محمد تامر.

وقد ورد في ذلك أيضا حديث جابر ابن عبد الله قال: قفلنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة، فلما ذهبنا لندخل قال:{أمهلوا حتى لا تدخلوا البلاد (أى عشاءً) لكى تمتشط الشعثة، وتستحد المُغِيبة} [1]..

وسادسها: أنه معلوم جواز الجماع في كل الأوقات إلا المحرم منها وهو: وقت الصوم والحج والحيض والنفاس. يقول الله جل جلاله: {نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡ } الآية [البقرة: ٢٢٣]. لكن السنة النبوية الكريمة أشارت إلى أفضلية الجماع يوم الجمعة وليلتها. تحقيقا لأحد التأويلين في قوله صلى الله عليه وسلم :{رحم الله من غسل واغتسل} [2] والتأويل الثانى تغسيل الميت ثم الاغتسال بعده.

وقد يعتقد بعض الأزواج أن من الخير لهم مباعدتهم لزوجاتهم عن فراشهم والانشغال بالعبادة عن جماعهن. وهذا تضييع منهم لحق الزوجات في التمتع بأزواجهن. وللزوجة في هذه الحالة أن ترفع أمرزوجها هذا للحاكم إذا عجزت عن حل خلافها الجنسى مع زوجها المباعد لها عن الفراش، وعن إقناعه بأنه مقصر معها في هذا الأمر." فقد أتت امرأة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل. وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل. فقال عمر رضى الله عنه: نعم الرجل زوجك. فأعادت المرأة قولها، وأمير المؤمنين يكرر عليها الجواب. فقال علىّ بن أبى طالب وكان حاضرا: يا أمير المؤمنين هذه تشكو زوجها من مباعدته إياها عن فراشه. فنظر عمر إلى المرأة، فنكست رأسها.

---

(1) أخرجه البخارى في كتاب النكاح - باب تزويج الثيبات ص22 من الجزء الأول من صحيح البخارى - عناية الدكتور محمد تامر قفلنا: رجعنا - الشعثة: ذات الشعر المتناثر - تستحد المغيبة: تأخذ من شعر عانتها بعد طول غياب زوجها.

(2) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى ص143من كتاب الزواج الإسلامى - للأستاذ طارق إسماعيل كاخيا - طبعة أولى 1966م.

فبعث إلى زوجها فجاء، فقال له على بن أبي طالب: إن الله عز وجل قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع. فلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهم ربك. فقال أمير المؤمنين: يا أبا الحسن والله ما أدرى مِنْ أىّ أمْرَيْكَ أعجبُ؟ أَمِنْ فهمك أمرهُما؟ أم مِنْ حُكمِكَ بينهما؟ " [1].. وكثير من

النساء ممن يتمتعن بالحياء يحجمن عن ذكر ذلك التباعد بينهن وبين أزواجهن والذى يأتى من جانب الأزواج بحجة انشغالهم بعبادة الله عز وجل، ولا يعلمون أن عبادة الله لاتتعارض مع الوفاء بحق الزوجة في متعة الجماع كبقية حقوقها. فكانت الزوجات عادة لا تشتكين أزواجهن للحاكم من مباعدتهم إياهن عن فراشهم. لكن عمر بن الخطاب كان لا ينتظر حتى تأتى إليه الشاكيات من تباعد أزواجهن عن جماعهن. فقد اكتشف هو نفسه إحدى هذه الشكايات، عندما كان يعس ذات ليلة فسمع صوت امرأة تعبر عن شكايتها من مباعدة الحاكم لزوجها عنها. وكانت هذه الشكاية أبياتا من الشعر قالتها الشاكية في عقر دارها فسمعها عمر واستدعاها وعرف قصتها. وكان ذلك سببا في تنظيم عمر رضى الله عنه مدة السفر للغزو وتقصيرها حتى لا يطول غياب الأزواج في الغزو عن زوجاتهم[2]..

ومن قبيل محافظة الزوج على زوجته - أن يصبر على أذاها إذا أحس منها بذلك. وليجعَل الأزواج من رسول صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى لهم في هذا الأمر. فهو صلى الله عليه وسلم أحسن من صبر على أذية أزواجه أمهات المؤمنين. وقد مرت بنا أمثلة للصبر على هذا الأذى.

---

(1) رواه عبد الرزاق في الجامع ص113، ص114 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

(2) ص75، 76 من كتاب الزواج الإسلامى السعيد - للشيخ أبي حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت - يونيو 1984م، وقد مرت قصة عمر مع المرأة التي اشتاقت إلى زوجها وهو في الغزو في الصفحتين 152، 153 فارجع إليها.

ونذكر للقارئ الكريم مثلا واضحا لصبره صلى الله عليه وسلم على أذى وقع عليه من عائشة رضى الله عنها. فقد جرى بينه صلى الله عليه وسلم وبين عائشة أم المؤمنين كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما وشاهدا. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :{تكلمين أو أتكلم؟}. فقالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا؛ فلطمها أبوبكر حتى دمى فوها، وقال: يا عُدَيَّةَ نفسٍها أَوَ يقول غير الحق؟!. فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره، فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

{لم ندعك لهذا، ولا أردنا منك هذا} [(1)].

بل إن الرسول زاد على احتمال الأذى منها بمداعبتها والمزاح معها، وملاعبتها وقد ذكرنا سابقا أنه صلى الله عليه وسلم كان يسابقها وهذا نوع من الملاعبة والمزاح.

وعلى الزوج أن يكون معتدلا في التعامل مع زوجته. فلا يوافقها ويتبع هواها إلى حد يفسد أخلاقها، ويسقط هيبته عندها. ولا يعارضها في كل شيء حتى يغلق باب التفاهم والمناقشة بينه وبينها.. وعلى الزوج كذلك ألا يفتح بابا أو ثغرة تدخل منها الزوجة إلى قول أو فعل المنكرات. بل عليه أن يتنمر إذا رأى أو سمع منها ما يخالف الشرع الإسلامى، وأن يظهر الاستياء وعدم الرضا عن ذلك. وفى هذا المجال قال الحسن رضى الله عنه: " والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار " [(2)] ومما لا شك فيه أنه رضى الله عنه يقصد من ذلك طاعتها في قول أو فعل منكر.. وقال عمر رضى الله عنه في ذلك: " خالفوا النساء فإن في مخالفتهن البركة " [(3)].. فهما (الحسن وعمر) رضى الله عنهما يريان - وهما على حق - أن من حق الرجل أن يكون تابعا لا متبوعا.

---

(1) ص75، 76من كتاب الزواج الإسلامى السعيد للشيخ أبي حامد الغزالى. استجارت: احتمت.

(2) ص79 من نفس المرجع السابق.

(3) ص79 من نفس المرجع السابق.

وألا يتبع زوجته أو يجاريها ويوافق على قولها أو فعلها إذا ابتعد عن مبادئ وتعاليم الشريعة الإسلامية. وليعلم الزوج أن النساء بصفة عامة فيهن الميل إلى الشر، وفيهن الضعف. والرجل الزوج الكيس يتغلب على ناحية الشر في المرأة بالسياسة مرة وبالخشونة مرة أخرى حسب مقتضى الحال، كما أنه يتغلب على ضعفها بمعاملتها معاملة طيبة فيرحمها ولا يقسو عليها..

ومن محافظة الزوج على زوجته أن يعتدل في الغيرة عليها. وقد سبق أن أشرنا إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إن من الغيرة غيرة يبغضها الله عز وجل، وهى غيرة الرجل على

أهله من غير ريبة} الحديث. وأشرنا كذلك إلى الغيرة المحمودة وغير المحمودة.. على أنه يجب أن يعلم كل زوج مسلم أن الإكثار من الغيرة على الزوجة يلقى حولها ظلالا من الشك فتلوكها ألسنة الناس. ومن أسوأ ما يمر بالزوج المسلم أن تُرمى زوجته بالسوء بسبب غيرته عليها. فيجعلها ذلك في متناول ألسنة ضعاف الإيمان من الناس. بل وألسنة السوء. وقد نَبَّهَنَا إلى أهمية هذه المسألة الإمام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه فقال: " لا تكثر الغيرة على أهلك فترُمى بالسوء من أجلك " [1]...

---

(1) ص85 من المصدر السابق.

ومن محافظة الرجل على زوجته أن يعتدل في الإنفاق عليها. فلا يشح في ذلك ولا يسرف. فالشح إفراط والإسراف تفريط. وأفضل تطبيق للاعتدال في الإنفاق هو الالتزام بقول الله عز وجل:{ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا } [الإسراء: ٢٩]. وقد ورد أنه " كان لعليّ رضى الله عنه أربع نسوة، فكان يشترى لكل واحدة في كل أربعة أيام لحما بدرهم " [1]..

ومن الأهمية بمكان أن يطعم الزوج زوجته ويكسوها وينفق عليها ويمدها وبيت الزوجية بكل ما يلزمهما من مال حلال. وعليه أن يبتعد عن المداخل المالية السيئة وألا يستسهلها من أجل إرضاء زوجته إن كانت دائما تشعره بالتقصير في الإنفاق. فاستسهال هذه المداخل المالية السيئة المحرمة جناية على زوجته يرتكبها في حقها وليس مراعاة لها وتحقيقا لمطالبها. وكانت النساء في عصر النبوة والخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين - توصين أزواجهن بذلك. وفى هذا الإطار " هم رجل من السلف الصالحين بالسفر فكره جيرانه سفره، فقالوا لزوجته: لِمَ ترضين بسفره ولم يدعْ لك نفقة؟ فقالت الزوجة: زوجى منذ عرفته أكالا وما عرفته رزاقا ولى رب رزاق. يذهب الأكال ويبقى الرزاق " [2]. وهذا مثال للمفرط في حق زوجته وبيت الزوجية

(1) ص86 من المصدر السابق.

(2) ص150من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - عبد العزيز الشناوى.

. فليس هذا التصرف من الزوج كما وصفته زوجته - من المروءة ولا من الرجولة ولا من الإسلام. فقد جعل الإسلام الزوج قيما على زوجته وبيته كما سبق القول. وليس من الإسلام في شيء أن يتوسع الرجل في الإنفاق على نفسه، وأن يمسك في الإنفاق على زوجته وأولاده وبناته وبيت الزوجية وكل من لهم حقوق عليه.

وما أروع توجيهه صلى الله عليه وسلم للمسلمين في هذا الشأن. فقد روى عبد الله ابن عمر رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت} [(1)]..

فالزوج مأمور من الله عز وجل ومن رسوله صلى الله عليه وسلم بأن يعاشر زوجته بالمعروف حتى لو كان يكرهها، وعليه أن يحاول جاهدا أن يجعلها طوع بنانه ورهن إشارته وتحت إمرته. وكلما أحاطها بالعناية والرعاية كلما تخلصت من أنانيتها وتعاونت معه على إسعاده وإسعادها وإسعاد عش الزوجية. يقول ربنا العظيم سبحانه:{ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا } الآية [النساء: ١٩]. كما نهى الإسلام المؤمن عن أن يفرك زوجته؛ أى يكرهها بالكلية ويعاملها على هذا الأساس. فلا شك أنه سوف يجد فيها صفات حسنة كما يجد فيها صفات سيئة. وعلى الزوج المؤمن أن يتحمل ما يجده عند زوجته من صفات سيئة. وأن يحوِّل انتباهها دائما إلى الصفات الحسنة والزوجة المؤمنة تتفاعل إيجابيا مع زوجها المؤمن فتحاول أن تتجه إلى الصفات الحسنة حتى يتعدل سلوكها

---

(1) مسند أحمد 81/11 واقرأ ص184 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

فترفض الصفات السيئة بالتدريج حتى تتصف بالحسن دائما وتبتعد عن القبيح من الأقوال والأفعال والصفات. وصدق الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم إذ يقول:{لا يَفْرُك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضى منها خلقا آخر}[1]..

ومن ناحية أخرى على المؤمن أن يعلم أن البيت الإسلامى يقوم على الرعاية والتكافل كما يقوم على الحب. فليرْعَ المؤمن زوجته ويكفلها بعنايته، ولْيُحقق لها رغباتها التي لا تتعارض مع مبادئ الإسلام وتعاليمه؛ فربما يقوده ذلك إلى تبادل الحب بينهما، وخصوصا وأن الإسلام ربط بينهما بميثاق غليظ تجب مراعاته من الطرفين. وإذا كان بعض الأزواج المؤمنين يتسلط عليهم الشيطان في لحظات غضب عارمة فيطلقون نساءهم المؤمنات بحجة أنهم يكرهونهن ويحرمون بناتهم من الميراث ويوزعونه على أبنائهم الذكور ويميزون بعض أبنائهم على بعض في قسمة الأموال والعروض - فإن الإسلام قد نهاهم عن فعل هذه الأمور التي تحرم الزوجين من السكن والمودة والرحمة التي يتمتع بها البيت الإسلامى[2].

وقد حدث في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن طلق غيلان ابن سلمة الثقفى نساءه وقسم ماله بين بنيه فبلغ ذلك عمر فقال: " إنى لأظن الشيطان فيما يسترق من السمع سمع بموتك، فقذفه في نفسك، ولعلك ألا تمكث إلا قليلا. وأيم الله، لتُراجِعَنَّ نساءك ولترْجِعَنَّ مالك أو لأُوَرِّثَهُنَّ مِنْك، ولآمُرَنَّ بقبرك فيرجم كما يرجم قبر أبي رغال " [3].

---

(1) رواه مسلم عن أبي هريرة 58/10 من النووى والبيهقى ص 499 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور. يفرك: يكره.

(2) بتصرف من ص499من منهج السنة في الزواج - للأحمدى أبو النور.

(3) رواه أحمد في المسند 277/6 - 380. واقرأ نفس الصفحة499 من منهج السنة في الزواج. أبو رغال هو دليل أبرهة الحبشى إلى مكة المكرمة في حادث محاولة هدم الكعبة - مسند أحمد 13644.

وهكذا يمارس عمر بن الخطاب تشدده من أجل إحقاق الحق والعمل به وإبطال ما تبقَّى من أعمال الجاهلية من هضم حقوق المرأة وحرمان البنات من الميراث وعدم العدل في القسمة بين الأولاد وكل ذلك يزعزع أمن الأسرة الإسلامية ويهدد سعادتها على نحو لا يرضاه الإسلام. فالله سبحانه ولي التوفيق للزوج المسلم وزوجته المسلمة يهديهما إلى الاستقرار والسعادة المنشودة في ظل كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم...

* * *

الفصل الثانى:

دور الزوجة المسلمة في إسعاد زوجها المسلم

لقد تبين لنا فيما سبق - أن للزوج المسلم دورا على جانب كبير من الأهمية، في إسعاد زوجته المسلمة. وأن أساس هذا الدور وقِوامَه، تقوى الله وطاعته وطاعةُ رسوله صلى الله عليه وسلم. وأن ذلك ينعكس على بيت الزوجية فيحس الطرفان معه بالاستقرار في حياتهما الزوجية، كما يحسان بطعم جديد لها..

وكذلك الأمر بالنسبة للزوجة المسلمة. فإن دورها في إسعاد زوجها وبيتها الذي هو بيت الزوجية - في غاية الأهمية أيضا. وبصفة خاصة إذا أدته الزوجة كما ينبغى أن يكون. وحينئذ تزداد السعادة حلاوة. وربما يمتد شهر العسل ويستمر مع ذلك طوال حياتهما. فيجعلها كلَّها سعادة ربانية حلوة الطعم واضحة الأثر..

وأول بنود هذه السعادة المنشودة للزوج المسلم من قِبَلِ زوجته المسلمة - أن تتقى الله سبحانه وتعالى، وتسعى إلى إرضاء زوجها وطاعته.. فتقواها لله جل جلاله تسلط لها الأضواء الكاشفة على طريق السعادة، فيظهر أمامها واضحا، ويجعلها تتصرف في كل أمور حياتها مع زوجها بما يوجبه عليها الشرع الإسلامى والعقل الإنسانى المتأثر بهذا الشرع الربانى. وبهذا التوجه المتزن، تكون الزوجة المسلمة بعيدةً عن أخطاءَ كثيرة تقع فيها الكثيرات من بنات جنسها، وبه تتطلع إلى الخير والصحة في كل تصرفاتها وسلوكياتها بعزيمة وإصرار. وكل ذلك يجعلها تحس مع زوجها بسعادة حقيقية مصدرها تقوى الله العلى القدير...

كما أن طاعتها لزوجها وحرصها على إرضائه تدخلها في دائرة الأمان والاستقرار - ما دامت ملتزمة بتقوى الله سبحانه وتعالى. فتحس بالمزيد من السعادة والهناء في حياتها الزوجية.

في القرآن الكريم

وفى القرآن الكريم منهج متكامل للزوجة المسلمة، يحتوى على الخطوط العريضة للتصرفات الصالحة والمقبولة في كل أمور حياتها مع زوجها، وفى بيتها الإسلامى الناشئ.. وتتضح بعض خطوط هذا البرنامج السماوى في الآيات الكريمة التالية يقول الحق تبارك وتعالى مخاطبا زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمهات المؤمنين والقدوة الحسنة لبنات ونساء المسلمين جميعا:{ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾} [الأحزاب: ٣١ - ٣٤]. ويقول عز وجل:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ } [الأحزاب: ٥٩] ويقول أصدق القائلين سبحانه:{ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾} [النور: ٣١]. ويقول المولى العظيم:{لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ }

[الأحزاب: ٥٥] ويقول الحكيم العليم جل شأنه:{إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٣٥]..

ومن خلال هذا البرنامج القرآنى الذي احتوته الآيات الكريمة السابقة - نجد الله عز وجل يحدد طريق السعادة لزوجات رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ويرسمه بدقة حتى يَسِرْنَ فيه ولا يَحِدْنَ عنه؛ فيصلن إلى الاستقرار والسعادة المنشودة في حياتهن الزوجية مع زوجهن الأمين محمد صلى الله عليه وسلم. ومن الواجب أن تقتدى بهن في ذلك سائر نساء المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها.. فعلى الزوجة المسلمة في هذا الإطار الشرعى الإسلامى - أن تطيع الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فأول ملامح طريق إسعاد الزوجة المسلمة لزوجها المسلم - هو تقوى الله تعالى وطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم.. وعليها أيضا أن تلتزم دائما بالعمل الصالح.. وعليها أن تقتدى في ذلك بأمهات المؤمنين رضى الله عنهن جميعا؛ " حتى تأخذ أجرها مرتين مثلهن؛ مرة على الطاعة والتقوى، وأخرى على طلب رضاء زوجها بالقناعة وحسن المعاشرة "[1]، فيعد الله لها رزقا كريما في الجنة كزوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم. " فهن في أعلى عليين ومنازلهن فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هى أقرب

---

(1) ص58 من الجزء الثانى عشر من كتاب صفوة التفاسير - للشيخ المرحوم محمد على الصابونى - الطبعة الأولى سورة الأحزاب آية31.

منازل الجنة إلى العرش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [1].

وعلى الزوجة المسلمة إذا أرادت أن تتقى الله تعالى في زوجها، أن تتجنب الرقة في الكلام مع الرجال، حتى لا يطمع فيها من كان في قلبه مرض كالفجور والريبة وحب محادثة النساء.

فإذا كلمت رجلا فليكن كلامها قولا حسنا لا ريبة فيه ولا تكسر. وقد قال ابن كثير رحمه الله في ذلك: " أى لا تخاطب الأجنبى كما تخاطب زوجها " [2]..

وعلى الزوجة المسلمة إذا أرادت إسعاد زوجها أن تستقر في بيته فلا تخرج إلا لضرورة.. وعليها كذلك ألا تظهر زينتها ومحاسنها للأجانب كما كانت تفعل نساء الجاهلية. حيث كانت المرأة منهن تخرج إلى الأسواق لقضاء مصالحها، مظهرة محاسنها، كاشفة أجزاء من جسمها لا يليق بها كشفها. ومما كانت تظهره من ذلك، التكسر والتغنج في المشية أى الدلال فيها. قال قتادة: " كانت لهن مشية فيها تكسر وتَغَنُّج " [3].. وبهذا التصرف المشين من هؤلاء النسوة الجاهلات كان يتبع من تمشى هذه المشية نفوس وضيعة من الرجال الأشقياء والتعساء ليمارسوا معها الفاحشة. ولهذا نهى القرآن الكريم نساء المؤمنين من تقليد هؤلاء التعيسات في مشيتهن وسلوكهن.

وعلى الزوجة المسلمة كذلك إذا أرادت إسعاد زوجها المسلم - أن تقيم الصلوات الخمس وتحافظ عليها. وأن تخرج زكاة أموالها، وأن تطيع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم في كل ما أمرا به وتنتهي عن كل ما نهيا عنه؛ لتتطهر من رجس وهواجس الشيطان الرجيم..

---

(1) ص452 من الجزء الثالث من تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

(2) ص59 من القسم الثانى عشر من كتاب صفوة التفاسير الطبعة الأولى.

(3) تفسير الآية 59 من سورة الأحزاب من القسم الثانى عشر من المرجع السابق - والتغنج في المشية هو الدلال وبلهجتنا الدارجة الدلع والميوعة في المشى.

وإذا كانت الشريعة الإسلامية تطلب من الزوجة المسلمة أن تحافظ على نفسها وعرضها وكرامتها خارج البيت - فإن كل ذلك مطلوب منها أيضا داخله. وذلك إذا دخل بيتها أجنبى فإذا خلت الدار من الأجانب، فلا مانع حينئذ من ترك الحجاب أمام محارمها من الرجال، وهم: أبوها، وأبناؤها، وإخوانها، وأبناءإخوانها، وأبناءأخواتها، ونساء المؤمنين دون نساء الكفار؛ لأن النساء الكوافر لا يجدن غضاضة أوحرجا في أن يكشفن ويُذعن أسرار المؤمنات اللاتى يدخلن بيوتهن، وكذلك تكشف الزوجة المسلمة في بيتها الحجاب عن ملك يمينها من العبيد لأنهم يخدمونها ويأتمرون بأوامرها. وقد قال القرطبى رحمه الله في سبب نزول آية الحجاب وهى قوله تعالى:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَـٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَـٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ } [الأحزاب: ٥٣]. قال القرطبى رحمه الله: " لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ونحن أيضا نكلمهن من وراء حجاب؟ فنزلت الآية " [1]. ويقصد القرطبى رحمه الله فنزل قوله تعالى:{ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ } الآية [الأحزاب: ٥٥].. وقد استثنت آية المحارم نساء المؤمنين دون نساء الكفار لما سبق أن بيناه من كشف نساء الكفار لعورات وأسرار المؤمنات اللائى يدخلن بيوتهن فيصفنهن لأزواجهن. وقد قال بن عباس في بيان ذلك: " لأن نساء اليهود والنصارى يصفن لأزواجهن النساء المسلمات. فلا يحل للمسلمة أن تبدى شيئا منها لئلا تصفها لزوجها الكافر " [2]..

---

(1) القرطبى231/14. وانظر أيضا تفسيرها في ص71 من القسم الثانى عشر من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للشيخ محمد على الصابونى.

(2) انظر حاشية الصاوى 287/3وانظر ص71من القسم الثانى عشر من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للشيخ محمد على الصابونى.

وعلى الزوجة المسلمة كذلك بعد تقوى الله في السر والعلن - أن تقرأ وتفهم آيات القرآن الكريم وسوره، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كانت تفعل أمهات المؤمنين رضى الله عنهن أجمعين؛ لتزداد علما بما هو مطلوب منها داخل بيت الزوجية وخارجه. وقد مر الحديث عن وجوب تعلم المرأة لتهيئة المناخ المناسب لسعادتها وسعادة زوجها في بيت الزوجية..

واستكمالا للبرنامج القرآني في حفاظ الزوجة المسلمة على زوجها المسلم - يوضح القرآن الكريم العديد من الصفات الكريمة التي يجب أن تتصف بها الزوجة المسلمة لتكون جديرة بزوجها وببيت زوجها المسلم. وهى صفات يشترك فيها الزوج المسلم مع زوجته المسلمة ليكون شريكا لها في الأجر بقدر شراكتهما في بيت الزوجية..

فالزوجة في الإطار الإسلامى مثل زوجها في الالتزام بمبادئ الإيمان والإسلام، وفى الطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وفى الصدق في القول والفعل، مع النفس ومع الله ورسوله ومع الأقارب والجيران ومع الناس جميعا، وفى الصبر على الطاعة والعبادة، والصبر على قضاء الله وقدره، وفى الخشوع لله عز وجل وحسن عبادته وطاعته، وفى إخراج زكاة المال وصدقة التطوع، وفى صوم رمضان وغيره من الأيام التي حبب الإسلام الصيام فيها، مع استئذان زوجها فيما تصومه من غير الفريضة، وفى الامتناع عن فعل المعاصى والآثام وعن ممارسة الكبائر وبصفة خاصة الزنى ومقدماته، يقول تعالى:{ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا } الآية [النور: ٣١]. وفى الإكثار من ذكر الله عز وجل والتمتع بفوائده. وهى بكل ذلك تشاركه في التمتع بالمغفرة والأجر العظيم من الله جل جلاله في الآخرة. علاوة على تمتعها في الدنيا بالعيش الكريم والسعادة في بيت الزوجية وإسعاد زوجها فيه وخارجه...

في السنة النبوية:

وفى السنة النبوية الكريمة أيضا برنامج لاستكمال مظاهر التقوى عند الزوجة واهتمامها بزوجها وطاعتها له..

ومما ورد في إطار منهج السنة النبوية المباركة بشأن تقوى الزوجة المسلمة ومحافظتها على زوجها وبيتها - ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن:{يا معشر[1] النساء اتقين الله والتمسن مرضاة أزواجكن، فإن المرأة لو تعلم حق زوجها لم تزل قائمة ماحضر غذاؤه وعشاؤه} [2] ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم في طاعة المرأة لزوجها، وعدم خروجها من البيت إلا بإذنه:{أيما اِمْرَأةٍ خرجت من بيتها بغير إذن زوجها كانت في سخط الله حتى ترجع أويرضى عنها زوجها} [3]..

ويدخل في هذا الإطار ما روته كتب السنة في محافظة الزوجة المسلمة على حقوق زوجها المسلم. فمن هذه الحقوق الواجبة للزوج على زوجته والتى يسعد بأدائها له ووفائها بها من أجل إسعاده - ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم في إنفاق المرأة من مال زوجها:{إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما اكتسب وللخازن مثل ذلك. لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئا} [4]..

والزوجة المسلمة المطيعة لزوجها المسلم والمؤدية لحقوقه، والذاكرة لفضله عليها، والتى لا تخونه في نفسها وماله - تكون مقربة عند الله في الجنة من منزلة الشهداء ويجعلها الله تعالى قرينة لزوجها في الجنة إذا كان صالح الدين والخلق في الدنيا. وفى ذلك يقول

---

(1) كتبت هكذا في كتب الحديث خلافا للقاعدة اللغوية.

(2) رواه أبو نعيم في الحلية عن عليّ. وانظر ص 140، ص 141من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

(3) رواه الخطيب ص 50 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.

(4) رواه الشيخان عن عائشة ص11 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.

المصطفى صلى الله عليه وسلم :{إنه ليس من امرأة أطاعت زوجها وأدت حق زوجها وتذكرت حسنته ولا تخونه في نفسها وماله إلا كان بينها وبين الشهداء درجة واحدة في الجنة. فإن كان زوجها مؤمنا حسن الخُلق فهى زوجته في الجنة وإلا زوجها الله من الشهداء} [1]..

والزوجة المسلمة الحريصة على إسعاد زوجها وطاعته تسلم نفسها إليه إذا أرادها حتى لو كانت راكبة على ظهر جمل يسير في الصحراء. فتسعده وتسعد بسعادته. ولا تصوم يوما من غير الفريضة إلا بعد أن تستأذنه. فإن لم يأذن لها لم يصح صومها وكانت آثمة غير مطيعة له. ولا تهجر فراشه لأن الله عز وجل أثبت حق الهجر للزوج حال نشوز زوجته ولم يثبته لها وقد رأينا سابقا أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها نفت أن تكون قد مارست هجرا لزوجها محمد صلى الله عليه وسلم وقالت له: " أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا اسمك ".. وعليها أن تبر بقسمه إذا أقسم عليها أن تفعل شيئا، إلا أن يأمرها بشئ مخالف للشريعة الإسلامية فعندئذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جل وعلا. فطاعة الزوجة لزوجها واجبة في إطار تعاليم الشريعة الإسلامية وتوجيهاتها، حتى لو أمرها بفعل فيه ظلم لها. فعليها طاعته والتفاهم معه في رفع الظلم عنها. وسيتراجع عن ظلمه لها إن كان قوى الإيمان.

وعليها في إطار الشرع الإسلامى ألا توطئ فراشه من يكره. بل عليها ألا تُدْخِل بيته هذا الذي يكرهه، لأن ذلك يعتبر خيانة لا يرضى عنها الله ورسوله والمؤمنون. وهناك من الأحاديث النبوية ما يدل على كل هذه الأمور المعبرة عن حقوق الزوج المسلم لدى زوجته المسلمة. ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم :{حق الزوج على زوجته ألا تمنعه نفسهاوإن كانت على ظهر قتب، وألا تصوم يوما واحدا إلا بإذنه إلا الفريضة، فإن

---

(1) رواه الطبرانى في الكبير عن ميمونة ص149 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

فعلت أثمت ولم يقبل منها، وألا تعطى من بيته شيئا إلا بإذنه، فإن فعلت لعنها الله وملائكة الغضب حتى تتوب أو تراجع وإن كان ظالما} [1].. وقوله صلى الله عليه وسلم :{حق الزوج على المرأة ألا تهجر فراشه، وأن تبر بقسمه، وأن تطيع أمره، وألا تخرج إلا بإذنه، وألا تُدخل عليه من يكره} [2]..

ومن الواجبات الهامة على الزوجة المسلمة نحو زوجها المسلم، ألا تكلم أجنبيا إلا بإذنه. وكان شائعا في الجاهلية أن تُحَدِّث الزوجة أجنبيا عنها بغير إذن زوجها. فلما جاء الإسلام نهى عن ذلك الفعل إلا إذا كان بإذن من الزوج؛ لأن حديث الزوجة إلى الأجنبى عنها بغير إذن زوجها يثير مشاعره ضد زوجته وبالتالى يوغر صدره عليها حيث يترجم هذا الفعل عن قلة حياء المرأة المتزوجة التي تفعل ذلك دون موجب له ودون إذن زوجها أيضا. ومن هنا نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا الفعل. فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم : " نهى أن تكلم النساء إلا بإذن أزواجهن " [3].. حتى لو كان المتكلم في هذه الحالة هو شقيق الزوج. فكم من جريمة للزنى وقعت تحت شعار الحمو، وقد وصف النبى صلى الله عليه وسلم حمو الزوجة بأنه الموت. فقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من دخول الرجال على النساء فقال صلى الله عليه وسلم : {إياكم والدخول على النساء} فقال رجل من الأنصار: يارسول الله: أفرأيت الحمو؟ فقال صلى الله عليه وسلم :{الحمو الموت} [4] فعلى الرغم من أن الحمو قريب للزوج قرابة مباشرة وقوية إلا

---

(1) رواه الطياليسى - القتب سرج يوضع على سنام الجمل يجلس فوقه الراكب. ص67 من مختار الأحاديث النبوية عن ابن عمر.

(2) رواه الطبرانى عن نعيم الدارى ص67 من المرجع السابق.

(3)رواه الطبرانى ص154 من كتاب مختار الأحاديث النبوية للسيد أحمد الهاشمى.

(4) رواه البخارى ومسلم والترمذى ص 142 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

أنه يعتبر أجنبيا عن زوجة شقيقه فيجب عليه إذا ألا يدخل عليها أو تدخل عليه إلا بمصاحبة زوجها، وألا يكلمها إلا بإذنه. ومن ناحية أخرى فقد يكون هذا الداخل إلى بيت الزوجية سواء أكان حموا أم غيره، أو كان رجلا أو امرأة ممن يكره الزوج دخولهم - ناقلا لأسرار بيت الزوجية، فيفشى سر الزوجة مع زوجها. وقد تكون الداخلة امرأة ممن يحلو لهن أن يفسدن الزوجة على زوجها، حقدا على الزوجين وبيتهما السعيد. وإذن فيجب على الزوجة المسلمة أن تأخذ حذرها وتحترس من هذا النوع من النسوة اللاتى يخربن بيوت الزوجات المسلمات المستقيمات. وعلى الزوجة أن تطيع زوجها في أمر من يدخل بيتهما ومن لا يدخل؛ حفاظا على رباط الزوجية الذي يحترمه الإسلام، ويدعو دائما إلى الحفاظ عليه من الطرفين. وهى بذلك تساهم في إسعاد زوجها واستقرار بيتها وسعادته بقسط وافر، وذلك مما يعود عليها هى أيضا بالنفع والسعادة..

وفى كتب السنة النبوية الكريمة بشريات من رسول الله صلى الله عليه وسلم للزوجات المسلمات المطيعات لأزواجهن، بالأجر العظيم من الله تبارك وتعالى عند الحمل والولادة والرضاعة. وقد خص الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأجر بالزوجات المسلمات اللاتى لا تعصين أزواجهن ولا تكفرن بعشرتهم وتتنكرن لهم. ويقول النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك مخاطبا سلامة مرضعة ولده إبراهيم حينما سألته رضى الله عنها - بعد أن دستها صاحباتها من النساء لذلك - عما يعود على النساء من فوائد الحمل والرضاعة والمعاناة من ذلك دون الرجال:{أما ترضى إحداكن إذا كانت حاملا من زوجها وهو عنها راض أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله؟ وإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفى لها من قرة أعين. فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة ولم يمص من ثديها مصة إلا كان لها

بكل جرعة حسنة وبكل مصة حسنة. فإن أسهرها ليلة كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهم في سبيل الله.. سلامة.. أتدرين من أعنى بهذا؟ المتنعمات الصالحات المطيعات لأزواجهن اللائى لا يكفرن العشير} [1]..

وكانت أول المبشرات بالجنة من النساء جزاء ما قدمت لزوجها من دعم وطاعة وإيمان والتزام بكل واجبات الزوجة على زوجها - أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها، التي كانت أيضا أولى زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد ساعدته ماديا ومعنويا حتى شرع في تبليغ رسالته الخالدة وكانت سببا في صموده أمام أعداء رسالة الإسلام وكانت أول من آمن به من النساء. ومن أجل ذلك أُمِرَ المصطفى صلى الله عليه وسلم أن يبشرها ببيت في الجنة من الذهب. وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{أُمِرتُ أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب} [2]..

وليس هذا فحسب فكثيرا ما كان صلى الله عليه وسلم يوصى النساء بطاعة ربهن وأزواجهن، وبأداء حقوق الزوج على زوجته بكل رضا وطواعية.. ومن وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء بالتزامهن بطاعة أزواجهن وأدائهن لحقوقهم كاملة - ما قاله صلى الله عليه وسلم في لقائه ببعض نساء المسلمين، حيث قال صلى الله عليه وسلم :{يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهن جزلة: وما لنا يارسول الله أكثر أهل النار!! قال:} تكثرن اللعن وتكفرن العشير. وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن}. قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال صلى الله عليه وسلم :{أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، فهذا من نقصان العقل،

---

(1) رواه الطبراني في الأوسط وابن عساكر ص 142، ص143 من المرجع السابق.

(2) أخرجه الخطيب والطبراني ص50 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى. قصد: ذهب.

وتمكث الليالى ما تصلى وتفطر في رمضان، فهذا من نقصان الدين} [1] **ومن ذلك أيضا ما روى في حديث ابن عباس رضى الله عنه عن النبى**
صلى الله عليه وسلم :{ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط، أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء} قالوا: لِمَ يا رسول الله؟ قال:{لكفرهن}. قيل: أيكفرن بالله؟ قال:{يكفرن العشير ويكفرن الإحسان. لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط} [2]**..**

وهذا الصنف من النسوة الذي تحدث عنه النبى صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الشريف - هو الذي حذر منه الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم سلامة مرضعة ولده إبراهيم. فهن يظلمن أزواجهن ولا يقمن بحقهن عليهم.. فالرسول صلى الله عليه وسلم يحذر المسلمين والمسلمات من مخالتطهن والسماح لهن بزيارة النساء العفيفات المؤمنات الطائعات اللائى يقمن بحق أزواجهن، وقد شُرع الاستئذان قبل الدخول مراعاة لمثل هذه الأحوال حتى تحفظ زوجات المسلمين أسرارهن وأسرار بيوتهن فلا تتمكن ضعيفات الإيمان والناقلات لأسرار المسلمات من نساء اليهود والنصارى من نقلها إلى أزواجهن الكفار. وإذن فطاعة الزوجة لزوجها في مثل هذه الأحوال واجبة لما ذكرناه من أسباب.

---

(1) رواه البخارى وابن ماجة ص137 من كتاب من كنوز السنة - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - جزلة: أى ذات رأى وشجاعة قاله ابن الأثير والمقصود أنها قوية شديدة في كلامها. وارجع إلى الهامش في الصفحة السابقة بشأن يا معشر النساء.

(2) أخرجه البخارى عن مالك عن زيد بن اسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عباس. ص132، ص133 من موطأ مالك - طبعة الشعب.

وعلى الزوجة المسلمة إذا أرادت إسعاد زوجها المسلم وبيتها المسلم - طاعة زوجها طاعة مطلقة في كل ما يطلبه منها، مما لا معصية فيه لله ورسوله. فقد جعلها الإسلام عنده كالرقيقة من حيث وجوب طاعته في كل ما يأمرها به. والزوجة المسلمة تثاب على هذه الطاعة ثوابا

عظيما من رب العزة سبحانه وتعالى. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة} [1]..

وقد يكون من ثواب المرأة في طاعتها لزوجها أن يغفر الله لأبيها إذاكان مذنبا. فقد " خرج رجل إلى سفر وعهد إلى امرأته ألا تنزل من العلو إلى أسفل. وكان أبوها في الأسفل فمرض. فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن في النزول إلى أبيها، فقال لها صلى الله عليه وسلم :{أطيعى زوجك} فمات - الوالد - فاستأمرته، فقال:{أطيعى زوجك}. فدفن أبوها فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها يخبرها " أن الله قد غفر لأبيها بطاعتها لزوجها " [2].

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: " أتت فتاة إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إنى فتاة أخطب فأكره التزويج، فما حق الزوج على المرأة؟ قال:{لو كان من فرقه إلى قدمه صديد فلحسته ما أدت شكره}. قالت: أفلا أتزوج؟. قال:{بلى تزوجى فإنه خير} [3]..

---

(1) رواه الترمذى وابن ماجة من حديث أم سلمة ص 50 من كتاب مختار الأحاديث النبوية للسيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه الطبرانى في الأوسط من حديث أنس إلا أنه قال: غفر لأبيها. وفى ص 145، ص146 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى رواية مشابهة.

(3) رواه الحاكم وصحح إسناده من حديث أبي هريرة دون قوله " بلى تزوجى فإنه خير " - الفرق: فاصل بين صفين من الشعر في الرأس.

ولقد صور رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الزوج على الزوجة تصويرا واقعيا في غاية الروعة فقال:{لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق}[1]. وإيضاحا لتلك الصورة ولحقيقتها يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{لو أمرت شيئا أن يسجد لشيء لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذى نفسى بيده لا تؤدى المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها} [2]..

ومن حق الزوج على زوجته ألا تؤذيه بأى نوع من الإيذاء. والزوجة المؤمنة الصالحة تحرص على ذلك كل الحرص حتى لا تفقده في الآخرة. فقد روى معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{لا تؤذى امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا} [3]..

ويدخل في هذا الإطار ماتفعله بعض النساء مع أزواجهن من التمنع إذا أرادوهن، تمنعا بغير مانع شرعى عندهن. وقد حذرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك ونَفَّرَ منه قول النبى صلى الله عليه وسلم :{لعن الله المغسلة إذا أرادها زوجها قالت: أنا حائض} [4]..

---

(1) رواه أبو داود ص122 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه ابن ماجة عن معاذ ص487 من منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور

(3) رواه الترمذى وابن ماجة وأحمد ص 235 من الزوجة المسلمة والبيت السعيد للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

(4) رواه البخارى في التاريخ عن أبي هريرة ص141 من المرجع السابق.

وهى بالطبع ليست كما قالت. إذ لو كانت حائضا ما أرادها زوجها المسلم؛ لأن الله عز وجل خاطب الأزواج المسلمين ونهاهم عن إتيان زوجاتهم إذا كن في فترة الحيض، فقال جل شأنه:{ فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَ } [البقرة: ٢٢٢]. فقد نهى الله الأزواج المسلمين عن مجامعة نسائهن في أثناء حيضهن وإلى أن يتطهرن منه.. ومن هذا القبيل كذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر النساء المتزوجات من التسويف إذا أرادهن أزواجهن. فبعض النساء يتظاهرن بالقبول إذا أرادهن أزواجهن ويراوغنهم إلى أن يغلبهم النوم. وقد حذر صلى الله عليه وسلم المتزوجات من ذلك فقال:{لعن الله المسوفات التي يدعوها زوجها إلى فراشه فتقول: سوف حتى تغلبه عيناه}[1]..

كما أن الزوجة المسلمة التي تعمل على راحة زوجها المسلم وإسعاده - عليها أن تقوم بكل خدمة تقدر عليها في بيت زوجها. وهذا يؤدى بالفعل إلى رضا الزوج وسعادته فتمتد هذه السعادة وتستمر وتؤثر فيه خير تأثير.. وقد ضربت أسماء بنت أبي بكر الصديق - ذات النطاقين - رضى الله عنها مثلا أعلى في هذا الشأن يجب أن تقتدى به كل زوجة مسلمة. فقد روى عن أسماء رضى الله عنها أنها قالت:" تزوجنى الزبير، وماله في الأرض من مال، ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه وناضحه. فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته، وأسوسه، وأدق النوى لناضحه وأعلفه، وأستقى الماء، وأخرز غربه وأعجن. وكنت أنقل النوى على رأسى من ثلثى فرسخ حتى أرسل إلىّ أبو بكر جارية فكفتنى سياسة الفرس، فكأنما أعتقنى. ولقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ومعه أصحابه، والنوى على رأسى،

(1) أخرجه الطبرانى عن عبد الله بن عمر ص 141 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - عبد العزيز الشناوى.

فقال صلى الله عليه وسلم آخ آخ، لينيخ ناقته ويحملنى خلفه؛ فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته، وكان أغير الناس؛ فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى استحييت فمضى. فجئت الزبير، فحكيت له ما جرى، فقال: والله لحملك النوى على رأسك أشد عليّ من ركوبك معه " [1] وبهذا قدر الزوج تعب زوجته.. فقد قدر الزوج تعب زوجته من أجله ومن أجل سير

بيت الزوجية على أحسن حال.. وكانت النساء في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهن قدوة حسنة لغيرهن من النساء في عصور الإسلام المتلاحقة - تحرص كل الحرص على إرضاء أزواجهن وطاعتهم وخدمتهم، لينلن الأجر العظيم من الله جل جلاله يوم القيامة. فعن أسماء بنت يزيد الأنصارية، أنها أتت النبى صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمى يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله عز وجل بعثك للرجال وللنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، إنا معشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالحج والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وأن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا - حفظنا لكم أولادكم وغزلنا أثوابكم وربينا لكم أولادكم، أفنشارككم في الأجر والخير؟. فالتفت النبى صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال:{هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها مِنْ هذه؟}.

---

(1) روته أسماء بنت أبي بكر - متفق عليه. ص102 من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السيد الشرقاوى - الطبعة الثانية عام 1986 وانظر كتاب الزواج الإسلامى السعيد - لأبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت - يونيو 1984ص115. ناضحه: بعيره الذي ينضح له الماء - أخرز عزبه أخيط دلوه وأزينه.

فقالوا: يارسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا.. فالتفت النبى إليها فقال:{افهمى أيتها المرأة، وأَعْلِمى مَنْ خلفك من النساء، أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله}. فانصرفت المرأة وهى تهلل، حتى وصلت إلى نساء قومها من العرب، وعرضت عليهن ما قاله لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرحن وآمَنَّ جميعهن " [1]..

ويصور الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم مدى أحقية الزوج المسلم بطاعة زوجته المسلمة له وحسن معاملتها له وتحملها لما يحدث منه من إيذاء لها غير متعمد، أومتعمد لا يمثل خطورة على الحياة الزوجية، ولا يؤثر في أدائه لحقوقهاعليه كزوجة، فيقول نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم لامرأة جاءت تسأله عن حق ابن عمها عليها كزوجة له:{من حقه أن لو سال منخراه دما وقيحا فلحسته بلسانها ما أدت حقه، ولو كان ينبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها إذا دخل عليها لما فضله الله عليها} فما كان من المرأة السائلة إلا أن قالت: والذى بعثك بالحق لا أتزوج ما بقيت الدنيا " [2]..

وعلى الرغم من أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يقصد بحديثه للمرأة السائلة أن يصرف نظرها عن الزواج، فإن المرأة خافت من أن تقصر في حق من حقوق زوجها فتحاسب على ذلك فآثرت عدم الزواج من وجهة نظرها كما فهم من النص..

(1) رواه مسلم - المرأة العربية 36/3 من كتاب المرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر - للمرحوم الدكتور عبد الله شحاته ص73، ص74. تهلل أى تقول لا إله إلا الله.

(2) رواه البزار والحاكم عن أبي هريرة ص139 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

وحتى تتمكن الزوجة المسلمة من أداء رسالتها في بيت الزوجية وترعى زوجها وأولادها وبناتها، وتعطى كل ذى حق حقه - أوجب عليها الإسلام التعلم، منذ صغرها وحتى تصل إلى بيت الزوجية، تماما كما أوجبه على الرجل. ولكل مرحلة قسطها من التعلم.. فالبنت تتعلم وتزود نفسها من العلوم المختلفة حتى تزداد معارفها وتصل إلى ما ينفعها من العلم في حياتها العملية قبل دخولها معترك هذه الحياة. وقد ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما يفيد وجوب هذا التعلم ويحث عليه؛ ففى القرآن الكريم يقول الحق تبارك وتعالى:{ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ } [الأحزاب: ٣٤]..

فطلب العلم واجب على أمهات المؤمنين بنص الآية الكريمة. ومن ثم فهو واجب على كل المسلمات ممن تعيش منهن وممن تأتى بعدهن إلى يوم القيامة، أن يطلبن العلم النافع في جميع مجالات الحياة الدنيا والآخرة.. ويقول المولى الكريم سبحانه:{ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ } [آل عمران: ١٨].

فأولو العلم من الرجال والنساء شهدوا مع الله عز وجل وملائكته أنه سبحانه واحد لا إله غيره في الكون، عادل في قسمته للآجال والأرزاق. فلا معبود بحق إلا هو جل جلاله. وكثير من آيات القرآن الكريم الكريم تفيد بأن أهل العلم من الرجال والنساء هم أهل الإيمان والتقوى الذين يتصفون بكل الصفات الحميدة التي وردت في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأجمع آية لهذه الصفات هى قوله تعالى: { إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ } [الأحزاب: ٣٥].

فكل الصفات التي وردت في الآية الكريمة لا يتصف بها عادة إلا أهل العلم من الرجال والنساء. فالله جل جلاله قد سوى بينهم في التكليف كما سوى بينهم في الأجر والثواب..

أما في السنة النبوية المباركة فهناك الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة التي تدل على أن طلب العلم مفروض على الرجال والنساء على حد سواء. وفى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يدل بصفة عامة على أن طلب العلم واجب على كل مسلم ومسلمة.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :{طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة، والصيام، والحج، والجهاد في سبيل الله عز وجل} [1] ومنه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : {من يرد الله به خيرا يفقه في الدين} [2]. فلفظ (من) يدل على الرجال والنساء جميعا. ومن هذه الأحاديث الشريفة كذلك، قوله صلى الله عليه وسلم :{طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر} [3]. وقد ورد هذا الحديث لابن عبد البر برواية أخرى فيها: " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة " [4]..

---

(1) رواه الديلمى ص93 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ سيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه الشيخان عن معاوية ص166من المرجع السابق.

(3) رواه ابن عبد البرعن أنس ص93 من المرجع السابق.

(4) صحح في الجامع الصغير بعض طرقه. ص73 من كتاب المرحوم الدكتور عبد الله شحاته: المرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر - الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984م.

وكذلك أوجب الإسلام على المرأة والبنت أن تحيط علما بعلوم عصرها النافعة لها ولبيتها وأسرتها ومجتمعها الإسلامى. وأن تحيط بالفنون النافعة لها في حياتها الأسرية كالطهى والغزل والنسج. كما أمر الإسلام أن تتجنب المرأة والبنت الفنون الهابطة غير النافعة فهى تضر ولا تنفع كالرقص والتمثيل الهابط، وكذلك الغناء بالنسبة للنساء فهو من الفنون غير الشرعية..

ومن الأهمية بمكان أن يعلم القائمون على الأمر في مختلف أقطار العالم الإسلامى - أن ما تتعلمه الفتاة من علوم وفنون مشروط بإنشاء مدارس ومعاهد وكليات خاصة بالبنات والنساء، وذلك لتجنب حدوث المشاكل العديدة التي تنتج عن اختلاط النساء بالرجال والفتيات بالشباب. وخصوصا في المجتمعات التي لم تنضج فكريا ولم تتهيأ لهذا الاختلاط بالأخذ الحاسم والدقيق بتعاليم الإسلام ومبادئه فيحدث نتيجة لذلك ما لا تحمد عقباه. وليس هذا فحسب بل الواجب الأهم هو إعداد جيل من المدرسات الخبيرات المتخصصات في مختلف فروع العلم النافع تزود به هذه المدارس والمعاهد والكليات النسائية.

وهذا مما يساعد النساء والفتيات على الإحاطة بالعلوم النافعة دون حرج، وبحرية تامة بعيدا عن الخزى والحرج التي تصاب به الفتيات والنساء في دور العلم المختلطة مما يترتب عليه غياب النفع التام من العلوم المدروسة على اختلاف أنواعها[1]..

---

(1) بتصرف واختصار من كتاب الاختلاط وما ينتج عنه من مساوئ الأخلاق - للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود - رئيس المحاكم الشرعية والشئون الدينية - بدولة قطر ص28 وما بعدها.

ويؤيد هذا المسلك الإسلامى ما ورد في كتب السنة النبوية الكريمة من أن النبى صلى الله عليه وسلم طلب من الشفاء بنت عبد الله العدوية وكانت كاتبة في الجاهلية والإسلام - أن تعلم أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها تجويد الكتابة وتحسينها. ولم يطلب الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك من رجل أو شاب، وذلك على الرغم من قوة إيمان هذا الجيل من الشباب والرجال الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتزامه بتعاليم كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وقد ورد عن البلاذرى قوله: قال النبى صلى الله عليه وسلم للشفاء بنت عبد الله العدوية من رهط عمر بن الخطاب: " ألا تعلمين حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة " [1].. ففى هذا الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم يحث المرأة على أن تعلم المرأة. وفيه تشجيع للأخذ بهذا الاتجاه.

وفى رسالته التي كتبها عن التعليم وتحدث فيها عن وجوب تعلم المرأة والبنت القرآن الكريم والعلم النافع - حث أبو الحسن القابسى المتوفى عام أربعمائة وثلاثة من الهجرة - على عدم اختلاط الرجال والشبان بالنساء والفتيات بحجة التعلم. وقد استدل على ذلك بقول سحنون

- وهو عالم وفقيه مالكى: " أكره للمعلم أن يعلم الجوارى ويخلطهن مع الغلمان لأن ذلك فساد لهن " [2] وأقل درجات هذا الفساد هو أن يعطلهن عن التعلم المفيد..

---

(1) من فتوح البلدان للبلاذرى ص458. واقرأ ص77من كتاب المرحوم الدكتور عبد الله شحاته: المرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر - رقية النملة: تحسين الكتابة بالأنامل أى الأصابع.

(2) ص78 من المرجع السابق.

ورغم كراهية علماء المسلمين لاختلاط الرجال بالنساء والشباب بالفتيات من أجل التعلم فقد يصبح هذا الاختلاط مباحا للضرورة على حذر إذا حدث نضوج فكرى في أقطار المجتمع الإسلامى بين الشباب والفتيات والرجال والنساء وتمسك الجميع بتعاليم ومبادئ الكتاب والسنة وعضوا عليها بالنواجذ وتمسكوا بها خير تمسك لتعصمهم من فتنة الاختلاط ومفاسده..

وفى ظل التحفظ وعدم الاختلاط بين الرجال والنساء سجل التاريخ الإسلامى جيلا من النساء العالمات الفقيهات المشتغلات بالعلوم المختلفة وفى مقدمتها علم القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة[1] كالحديث النبوى الشريف والفقه الإسلامى وغيرها من العلوم الإسلامية.. وكانت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها على رأس هؤلاء النسوة. " فقد كانت عالمة جليلة تحدث الناس وتصحح للصحابة وتفتيهم وتستدرك على فتاويهم وأقوالهم، حتى ألف الإمام الزركشى كتابا أسماه: الإجابة لإيراد ما تستدركه عائشة على الصحابة " [2]

وقد رأينا العديد من نساء هذا الجيل المبارك الذي ترأسه بعض أمهات المؤمنين زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم كن يشتغلن بمختلف الفنون اللازمة للمرأة في السلم والحرب... وقد ورد ذكر بعض هذه الفنون في القرآن الكريم، وأكثرها في كتب السنة النبوية المباركة..

ففى القرآن الكريم: ورد في سورة القصص ما يشير إلى اشتغال ابنتى نبى الله شعيب عليه

---

(1) المرجعين السابقين بتصرف واختصار من فتوح البلدان للبلاذرى ص458 وما بعدها، والمرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر ص77 وما بعدها.

(2) ص81 من كتا ب الدكتور عبد الله شحاته: المرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر.

السلام - على اختلاف الروايات في نسبة البنتين إلى شعيب عليه السلام أو أخيه - بالرعى. قال تعالى على لسان موسى عليه السلام:{ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ } [القصص: ٢٣]. حيث وجدهما موسى عليه السلام تبعدان غنمهما عن مكان السقى حتى يخف الزحام فسقى لهما موسى لما علم بعدم وجود أحد معهما يقوى على السقى في الزحام وعلى رفع الحجر الذي يغطى البئر والذى لا يطيق رفعه إلا عشرة رجال فرفعه موسى منفردا وأعاده بعد سقى غنم البنتين[1].

وفى سورة النحل ما يشير إلى اشتغال بعض النساء بحرفة الغزل. وذلك في قوله تعالى:{ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا } [النحل: ٩٢] الآية. والآية الكريمة تشير إلى امرأة خرقاء كانت مكة كلما غزلت شيئا نقضته بعد انبرامه[2]..

وفى سورة النمل يخبر الهدهد سليمان عليه السلام بأن مملكة سبأ تملكها امرأة كانت تشتغل بالملك ورئاسة الدولة. وقد ورد ذلك في قوله تعالى:{ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾} [النمل: ٢٢ - ٢٣]. وفى سورة البقرة تشير آية كريمة إلى اشتغال بعض النساء بالإرضاع بأجر لمن تحتاج إليه. فيقول الله عز وجل:{ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ } [البقرة: ٢٣٣] وفى سورة الطلاق:{فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ } [الطلاق: ٦].. فكل هذه الحرف والفنون تعلمتها بعض

(1) ص363 من الجزء الثالث من تفسير القرآن العظيم - لابن كثير.

(2) نسب هذا القول إلى عبد الله بن كثير السدى ص566 من الجزء الثانى من تفسير بن كثير

النسوة وبرعن فيها وأتقنَّها واشتغلن بها بعد ذلك..

أما في مجال السنة النبوية المباركة، فتشير بعض الأحاديث النبوية الشريفة إلى بعض هذه الحرف التي تعلمتها بعض نساء المسلمين وبرعن فيها واشتغلن بها. فبالإضافة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق والذى يحث فيه الشفاء على تعليم حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها كيف تحسن الكتابة - ورد من الأحاديث الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يشير إلى أنه علم فاطمة الزهراء رضى الله عنها كيف تعالج الجروح حتى تندمل في إحدى الغزوات. وأن أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها وبعض الصحابيات كن يضمدن الجرحى ويسقين العطاش[1]. وأن أم حرام رضى الله عنها ركبت أول أسطول عربي مقاتل في البحر المتوسط فسبقت بذلك المرأة العربية المسلمة نظيرتها في كل أنحاء العالم في ركوب البحر للجهاد في سبيل الله منذ أربعة عشر قرنا من الزمان وهو مالم يحدث حتى الآن بطريقة منظمة في العالم كله شرقه وغربه. فعن أنس بن مالك رضى الله عنه: " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت مِلحان فتطعمه. وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمته وجعلت تَفْلِي رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استيقظ وهو يضحك: قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ فقال:{ناس من أمتى عُرضوا عليّ غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكا على الأسِرَّة - أو مثل الملوك على الأسرة} شك إسحاق - فقالت: قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك. فقلت: وما يضحكك يا رسول الله؟ قال:{ناس من أمتى عرضوا عليّ غزاة في سبيل الله} - كما قال في الأول - قالت: فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلنى منهم، قال:{أنت من الأولين}

---

(1) ص95 من كتاب الدكتور عبد الله شحاته في المرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر، وحديث أنس في سقى عائشة وأم سليم الجرحى ص 237 من الجزء الثانى من كتاب اللؤلؤ والمرجان.

فركبت البحر في زمن معاوية بن أبي سفيان فصُرعت على دابتها حين خرجت من البحر فهلكت " [1]..

ومن ناحية أخرى اشتهرت زينب طبيبة بنى عواد بطب الأبدان والعيون[2].. وقد مر بنا اشتغال بعض النساء بالغزل كما ورد في الحديث السابق لأسماء بنت يزيد الأنصارية وبغيره من الحرف النافعة للمرأة في حياتها العملية.

وهكذا نرى حرص الإسلام على تعليم البنت والمرأة ما يصلح من شأنها وشأن زوجها وبيتها وأولادها وبناتها في صغرها وكبرها. وخصوصا في هذا العصر الحديث الذي اشتدت فيه العداوة للإسلام والمسلمين وشنت فيه حروب كثيرة من دول قوية على شعوب ضعيفة لم ترتكب جرما إلا أنها تمسكت بديانة الإسلام وطبقت تعاليمه، وحدث هذا تحت ستار محاربة الإرهاب وتحرير المرأة. وتسلطت فيه الأضواء على المرأة والبنت المسلمة في محاولة مكشوفة لدفعها إلى ترك الحجاب والتحرر من أحكام الدين الإسلامى وتعاليمه، التي تحفظهما من الذل والهوان وارتكاب المعاصى والآثام، وتقليد الدول غير الملتزمة بهذه الأحكام[3] حتى يكون الجميع سواسية في المذلة والامتهان، ولا حول ولا قوة إلا بالله الملك العلام.

وما أشبه الليلة بالبارحة حيث يحارب الحجاب الآن في العديد من الدول الإسلامية فضلا عن الدول غير الإسلامية وأقرب الأمثلة إلى الأذهان ما حدث في الدولة الألمانية حيث قتل متعصب ألمانى امرأة مسلمة واتهمها بممارسة الإرهاب لا لشيء إلا لأنها منقبة. وهذا

---

(1) رواه عبد الله بن يوسف عن مالك عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك ص 17 من الجزء الثانى من صحيح البخارى، عناية الدكتور محمد تامر.

(2) تطور النظرية التربوية - صالح عبد العزيز ص 67 طبعة عام 1947م.

(3) ص12 من كتاب المرأة والسياسة في صدر الإسلام - للدكتور أحمد الكبيسى. مكتبة 14 المكتبة بالعين أبو ظبى.

هو الدافع الأساسى وراء قتلها.. كما يدنس القرآن الكريم ويداس بالأقدام في العديد من بلدان العالم ويستهزأ برسالة الإسلام وبرسول الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم كجزء من محاربة البعض للإسلام والمسلمين تحت ستار محاربة الإرهاب لا لشيء إلا للغل والحسد والعداوة غير المبررة للإسلام والمسلمين وآخر ما تم في هذا المجال تهديد قس أمريكى بحرق المصحف إذا أنشئ مركز إسلامى في مكان أحداث الحادى عشر من سبتمبر. وقد استنكر هذا التهديد المسلمون جميعا في مشارق الأرض ومغاربها. واستنكر ذلك أيضا غير المسلمين من بعض الدول الأجنبية.

فإذا كانت الزوجة عالمة بما يجب عليها نحو زوجها وأولادها وبناتها وبيتها ومجتمعها الإسلامى، ومؤدية كل حقوق زوجها الشرعية - فإن كل ذلك من شأنه أن يجعلها تنجح في الصمود أمام أعدائها فيسعد الزوج بزوجته وبحياته الزوجية، مما يجعله يضحى من أجلها ومن أجل سعادتها في هذا البيت الإسلامى بكل ما يملك، ويؤدى حقوقها على أحسن وجه. فينتج عن ذلك الوصول للغاية الإسلامية النبيلة من الزواج وهى السكن والمودة والرحمة بين الزوجين، مما يجعلهما دائمى الحفاظ عليها. بفضل إيمانهما واخلاصهما وتقواهما. يقول الحق تبارك وتعالى:{ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } **[الروم: ٢١].**

* * *

الفصل الثالث:

اهتمام الإسلام بالإنجاب والحمل والمولود

يهتم الإسلام بهذه المسائل الثلاثة اهتماماً ملحوظاً. إذ أن حب الإنجاب، والرغبة فيه من كل المسلمين والمسلمات، والشروع في تحقيقه، بتحقيق الحمل ورعايته في كل مراحله، وتتويجه بالولادة الطبيعية والإشراف الدقيق عليها - كل هذا يعتبر من أهم العوامل التي توصل إلى الهدف المنشود من تواجد الإنسان على وجه الأرض، وتعميرها. بمخلوقات الله تبارك وتعالى، وأهمها الإنسان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وهو هدف يؤدي حتماً إلى سعادة البشرية، وعلي وجه الخصوص سعادة المسلمين، أفراد وأسر ومجتمعات...

أولاً اهتمام الإسلام بالإنجاب:

واهتمام الإسلام بالإنجاب واضح وبين. إذ يعتبر ركيزة هامة ودعامة أساسية من الدعامات التي تبني عليها سعادة الأسر المسلمة في الدارين. فالبنسبة للدنيا يبين ربنا عز وجل أن زينتها المال والبنون. فيقول سبحانه:{ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ } [الكهف: ٤٦]. ويقول الخالق الرازق الكريم سبحانه:{ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ } [النحل: ٧٢] ويقول الحكيم العليم جل شأنه:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ } [آل عمران: ١٤]. وقد علم الإسلام الزوجين المسلمين الإيمان بالله عز وجل، والرضا بما قسم به سبحانه. ولايَشُكُّ مسلم أو مسلمة في أنه جل في علاه عليم بما يصلح عباده المؤمنين. فقد يكون إنجاب البنين فيه السعادة المنتظرة. وقد يكون إنجاب البنات هو مصدر هذه السعادة. وقد تكون السعادة في إنجابهما معاُ. وقد تكون

في عدم الإنجاب مطلقاً، لعلة يعلمها علام الغيوب عز وجل. وربنا العظيم، عليم خبير، قادر على تهيئة الخير وإعداده وتسهيله لمن يطلبه منه وحده دون شريك. وإذن فالواجب على الأزواج والزوجات المسلمين والمسلمات، تسليم الأمر لله تعالي وحده والرضا بقضائه وقدره. حيث يقول في محكم تنزيله:{ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ } [الشورى: ٤٩ - ٥٠].

وقد ينزعج الزوج ويحزن ويجزع، إذا لم ينجب الولد، خوفاً من أن ينقطع ذِكْره إذا مات على ذلك. حيث يقول صلى الله عليه وسلم :{لا يدع أحدكم طلب الولد فإن الرجل إذا مات وليس له ولد انقطع اسمه} [1]. لكن ينبغي على الإنسان المسلم ألا يقنط من رحمة الله تعالي. وعليه أن يطلب منه عز وجل الولد، وأن يأخذ بأسباب ذلك. وقد أشار القرآن الكريم إلى أهم هذه الأسباب في قوله سبحانه{ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ } [نوح: ١٠ - ١٢]. وقد أشار إلى ذلك الإمام زين العابدين محمد بن على بن أبي طالب رضي الله عنهم كما سبق بيانه[2]. وليس على الزوج وزوجته في هذ الشأن إلا أن يتوجها إلى الله جل جلاله بقلبين خاشعين مؤمنين، ويقولا ما يقوله عباد الرحمن { رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } [الفرقان: ٧٤]، أو يقولا ما قاله زكريا عليه السلام في هذا المقام:{ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ } [آل عمران: ٣٨].

---

(1) رواه الطبراني في الكبير عن أبي حفصة ص 16 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبدالعزيز الشناوي

(2) تحت عنوان اختيار الزوجة الولود.

وتبيانا للمزيد من الاهتمام بالإنجاب الإنساني - يخبرنا أصدق القائلين سبحانه في محكم كتابه أنه خلق الإنسان منذ بدايته في صورة أحسن من صورة غيره من المخلوقات. فيقول ربنا العظيم:{ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣ } [التغابن: ٣]. ويقول تعالي ذكره:{ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ٤ } [التين: ٤]. حيث خلقه سبحانه حسن الصورة، منتصب القامة لا يمشي على أربع كماتمشي الحيوانات والوحوش، ولا يمشي على بطنه كالثعابين وبقية الزواحف، وخلقه متناسب الأعضاء يتناسب كل عضو فيه مع بقية أجزاء جسمه، وزينه بالعلم والفهم والعقل والتميز والنطق والأدب. فهو بالجملة وباختصار كما قال مجاهد: في أحسن صورة وأبدع خلق[1].

وللدلالة على اهتمام الله عز وجل بالإنجاب الإنساني بين القرآن الكريم أن كل أنثي ومنها أنثى الإنسان تحمل بعلمه سبحانه وتقديره. وأنه جلت قدرته يعلم ما تطرده الأرحام من نطف لا يريد سبحانه لها النمو والازدياد والاكتمال، ويعلم ما يريد لها ذلك من النطف التي تبقي في الأرحام وتنمو وتزداد وتكتمل. وأن كل ذلك يسير في الأرحام بتقديره جل شأنه. وذلك في قوله تعالي:{ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ٨ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ٩ } [الرعد: ٨ - ٩]. فمن حُسْن الخَلق وبديع الاهتمام من الله الخالق البارئ المصور سبحانه بالإنجاب - أن مراحل خلق الإنسان تسير بعنايته عز وجل وتقديره الحكيم، الذي يزود الإنسان المخلوق منذ بداية تكوينه بما يجعله إنسانا سويا فيجعل له سمعا وبصرا وقلبا تتم كلها بإرادة الخالق العليم الحكيم. ويتوج هذا كله بنفخ الروح في هذا الجسد الإنساني، ليبدأ رحلة الحياة الدنيا كما قدرها له خالقه العظيم. وسنتكلم عن ذلك كله في الحديث عن الحمل إن شاء الله. ويكفي هنا

---

(1) تفسير الطبراني 30، 156. وانظر ص 77 من القسم العشرين من الطبعة الاولي من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابوني.

أن نشير إلى قوله تعالي:{أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ } [المرسلات: ٢٠ - ٢٣]. فقد خلق القادر سبحانه النطفة، التي تقذف في رحم المرأة، وحفظها هناك، وأقرها في مكان أمين، لتسير دورتها كما قدر لها خالقها العظيم..

ونشير إلى قوله تعالي:{ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ } [البلد: ٨ - ١٠]. فهو دليل واضح من أدلة اهتمام الخالق عز وجل بالإنجاب الإنساني وتحسينه وتمييزه على غيره من المخلوقات. فقد جعل له عينين ولسانا وشفتين وهى من أدوات المعرفة والعلم، وزوده بأداة للتمييز بين الخير والشر، وبين ما يسعده وما يشقيه. فقال جل في علاه:{ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ } [الملك: ٢٣]. وهذا يوضح أنه سبحانه كرم نسل الإنسان على سائر النسل بعقل يميز به بين الحسن والقبيح والخير والشر بصفة عامه. ونشير أيضاً إلى قوله تعالي:{ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ } [طه: ٥٤] فقد خلق ربنا العظيم الإنسان مزودا بقلب محب للخير كاره للشر وعقل يميز به بين هذا وذاك. وفوق هذا كله أحكم الله تعالي خلق الإنسان بالأسر وهو رباط محكم يصل بين كل أعضاء جسمه، لا يفك إلا بحضور أجله. وصدق ربنا الكريم حيث يقول:{ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ } [الإنسان: ٢٨]. وهكذا يوضح القرآن الكريم أهمية إنجاب الإنسان، وحسن خلقه والارتقاء به، وإحكام نسجه، بما يتناسب مع جعله خليفة لله تعالي في أرضه إلى أن تقوم الساعة.

في السنة النبوية:

فإذا انتقلنا إلى السنة النبوية المباركة وجدناها كذلك، تسلط الأضواء الكاشفة على إنجاب الإنسان. وإذا كان الغالبية من الناس يحبون الولد ويودون إنجابه - فإن السنة النبوية

الكريمة معهم. حيث يقول المصطفي صلى الله عليه وسلم :{الولد ثمرة القلب، وإنه من ريحان الجنة} [1]. ويقول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم :{ما ولد في أهل بيت غلام إلا أصبح فيهم عز لم يكن} [2]. لكن السنة النبوية المباركة لا تنفر المسلمين والمسلمات من إنجاب البنات. بل تدعو إلى حبهن، لأنهن مؤنسات لآبائهن وأمهاتهن، غاليات عندهم. وعلى هذا نجد التوجيه النبوى الكريم للأباء والأمهات يشير إلى حبهن والأنس بهن، في قوله صلى الله عليه وسلم :{لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات} [3].. وكان أهل الجاهلية على عكس ذلك، يكرهون إنجاب البنات ويئدونهن عقب ولادتهن، فيدفنونهن أحياء في التراب خشية العار والفقر. وقد عبر عن هذا المسلك الذميم القرآن الكريم في قول الله سبحانه وتعالى:{ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓۚ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٥٩﴾ } [النحل: ٥٨ - ٥٩][4] وحذرهم الله عز وجل من عاقبة هذا التصرف المشين، وتوعدهم بالسؤال والمحاسبة عليه، في قوله تعالى:{ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ } [التكوير: ٨ - ٩]. وفى مقابل هذا السلوك الجاهلى المذموم نبذت السنة النبوية الكريمة، هذا التصرف الممقوت؛ بمبادئها السمحة وتوجيهاتها الرشيدة. ورفضت هذه المعاملة اللاإنسانية للبنات. وأشادت بفضلهن على آبائهن وأمهاتهن. ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم :{من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن

---

(1) رواه الترمذي ص156 من مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ سيد أحمد الهاشمي.

(2) أخرجة الطبراني في الأوسط ورواه البيهقي عن بن عمر ص17 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوي.

(3) رواه عقبة بن عامر ص 157 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

(4) كظيم: مملوء غيظا.

كن له سترا من النار} [1].

وقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم : {من كانت له ابنة فهو مُتْعَب ومن كانت له ابنتان فهو مُثْقَل. ومن كانت له خمس بنات فهو معى في الجنة هكذا - وجمع بين أصبعيه السبابة والوسطى - ومن كانت له ست بنات لم يحجب من أى باب من أبواب الجنة الثمانية شاء} [2]. ومنه أيضا قول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{من وُلِدَت له ابنة فلم يؤذها ولم يُهِنْها ولم يُؤْثِر عليها ولده - يعنى الذكور - أدخله الله بها الجنة} [3]. ومنه كذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم :{من كانت له ثلاث بنات ينفق عليهن حتى يَبِنَّ أو يَمُتْن كن له حجابا من النار} [4] ومن ذلك أيضا قول حبيب الحق صلى الله عليه وسلم :{من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن فأطعمهن وسقاهن وكساهن من جدته، كن له حجابا من النار} [5].

فكل ما سبق من الأحاديث النبوية الشريفة يبرز لنا ما يناله منجبوا البنات ومنجباتهن من الأجر والثواب في الآخرة، والعون من الله لهم ولهن في الدنيا إلى يوم القيامة جزاء صبرهم وصبرهن على تربيتهن، وإكرامهن في حياتهن، حتى ينتقلن إلى بيت الزوجية أو إلى القبر. فضلا عن الأجر والثواب من الله تعالى يوم القيامة. وهذا يحبب إلى نفوس المؤمنين والمؤمنات إنجاب البنات والإحسان إليهن. والبنات ضعاف يحتجن إلى الاهتمام

---

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن المبارك عن معمر عن الزهرى عن عبد الله بن أبي بكر ابن حزم بن عروة ص16 من كتاب تحفة المودود لأحكام المولود - لابن قيم الجوزية.

(2) رواه أبو الشيخ عن أنس ص183 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

(3) رواه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه عن ابن عباس. نفس الصفحة من المرجع السابق.

(4) عن عوف بن مالك ص17 من كتاب تحفة المودود. يبن: أى يبعدن إلى بيت الزوجيه.

(5) رواه أحمد في مسنده عن عقبة بن عامرص18من المرجع السابق. جدته: ثيابه الجديدة.

والرعاية. فالأطفال الرضع - بنين وبنات، والشيوخ الركع، والبهائم الرتع في أرض الله تعالى - كلها مخلوقات ضعيفة يرحم الله بها عامة الناس من نزول العذاب بهم إذا ظهر الفساد في الأرض؛ ولذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم} [(1)] فإنجاب الأطفال - بنين وبنات - وإرضاعهم والعناية بهم من أسباب السعادة الأسرية التي يبحث عنها المسلمون والمسلمات للتمتع بها في دنياهم آخرتهم..

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالإنجاب والذرية - اهتمامه باختيار الأم والأب قبل الوزاج وقبل الإنجاب. فاختيار الأم والأب مبكرا، وقبل أن يتم الزواج، اختيارا سليما - دليل واضح على الاهتمام بالإنجاب. فالأم مصدر حياة الطفل وتربيته الأساسية في السنين الأولى بعد ولادته، وهى أيضا مصدرعلمه بالأشياء والمفاهيم الهامة في حياته. ومن ثم فإنها تعتبر المدرسة الأولى للطفل. وفيها يقول الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعددتها ::: أعددت شعبا طيب الأعراق

كما أن اختيار الزووجة والزوج اختيارا صحيحا شرعيا هو الدعامة الكبرى للزواج الناجح السعيد. وقد تحدثنا عن أسس اختيارهما بالتفصيل فيما سبق، وقد وعى الصحابة رضوان الله عليهم - هذه الحقيقة، وعملوا على تنفيذها، وأرشدوا غيرهم من المسلمين والمسلمات إلى العمل بها واختيار الزوجين بناءً عليها. وقد سُئِل عمر ابن الخطاب رضى الله عنه عن حق الولد على أبيه فقال: " أن ينتقى أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن " [(2)]. وبتحقيق اختيار الأم اختيارا صحيحا شرعيا وكذلك الأب، بالإضافة إلى أسس الاختيار الأخرى التي يجب مراعاتها شرعا - تصل الأسرة المسلمة إلى السعادة من أوسع أبوابها، وبسعادتها يسعد المجتمع الإسلامى...

---

(1) رواه سعد بن أبي وقاص ص155 من مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.

(2) ص 174 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

ثانيا اهتمام الإسلام بالحمل:

أما اهتمام الإسلام بالحمل فقد كان كبيرا. ولا يخفى على كل ذى عقل أن حُب الحمل والتعلق به مطبوع في قلوب البشر، وحتى في قلوب الحيوانات غير الناطقة.. وعندما يعلم الزوج المسلم بحمل زوجته المسلمة - فإن أول ما يفعلانه هو أن يتجها إلى الله عز وجل بقلبين خاشعين خالصين، ويدعوانه أن يرزقهما ذرية طيبة. بل إنهما يطلبان ذلك منه سبحانه عند كل جماع يحدث بينهما. وفى ذلك يقول الله تبارك وتعالى على لسان عباد الرحمن: {رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ} [الفرقان: ٧٤] ويقول عز وجل في شأن زكريا عليه السلام: {هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)} [آل عمران: ٣٨]. وذلك عندما أدرك أن مريم ابنة عمران يرزقها ربها رزقا حسنا بغير حساب لأنها من ذرية طيبة.. وكان بعض الصالحات في الماضى ينذرن ما في بطونهن من الحمل لخدمة الدين في دور العبادة إن وُلِدوا ذكورا. وعندما نذرت امرأة عمران عليها السلام ما في بطنها من الحمل لله جل جلاله، فولدت أنثى - لم تتراجع عن نذرها، واتجهت إلى الله سبحانه، وأعاذت به وليدتها وذريتها من الشيطان الرجيم. فتقبل الله سبحانه منها نذرها. وأنبت ابنتها مريم عليها السلام نباتا حسنا، وأنشأها نشأة صالحة وجعل زكريا عليه السلام كافلا لها، فباشر الكفالة وأشرف على تنشئة مريم الوليدة، وإعدادها لتحقيق النذر. حتى وصلت إلى سن خدمة الدين، فأدخلها المحراب. وفى ذلك دلالة واضحة على اهتمام الصالحين والصالحات من عباد الله وإمائه بالحمل. ونذره لخدمة الدين تقربا إلى الله جل شأنه.

ويقول ربنا العظيم في ذلك: { إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [آل عمران: ٣٥ - ٣٧].

وقد أوجب الإسلام على الحامل أن تهتم بحملها؛ فإذا خافت عليه أثناء صيامها في رمضان أفطرت حتى لا يتأثر حملها بصيامها؛ فإذا أشار عليها طبيب مسلم بذلك - فقد وجب عليها الإفطار حماية لحملها.

ويمتد هذا الاهتمام بالحمل فيشمل جميع أطواره من النطفة حتى نفخ الروح. كما أوجب عليها الإسلام أن تحيطه بالرعاية الكاملة حتى يحين وضعه. ولذلك وجدنا مريم ابنة عمران تخاف على نفسها من ألسنة الناس الذين اتهموها بالحمل سِفَاحا. فعمدت إلى مكان بعيد عن أعينهم؛ حتى لا يؤثر اتهامهم لها على الجنين الذي كان بأمر من الله وتحت رعايته وعنايته سبحانه، والذى تم بغير زوج خلافا للعادة، وآية من الله تعالى للناس، حتى يعتبروا ويتقوا الله عز وجل..

وقد وضح اهتمام الإسلام بالحمل في مواضع عديدة من القرآن الكريم غير تلك المواضع التي قدمناها؛ ففى الإيلاء، وهو حلف الزوج على ألا يطأ زوجته - يقول أصدق القائلين سبحانه: { لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ } [البقرة: ٢٢٦ - ٢٢٧][1]..

(1) فاءوا: رجعوا عن ظنهم السيئ.

ومراد الله تعالى من الآيتين في هذا الشأن: أن الزوج إذا حلف ألا يجامع زوجته، تنتظره الزوجة مدة أربعة أشهر. فإن عاشرها في المدة المشار إليها، فقد فعل خيرا. ويكون حانثا في يمينه وعليه الكفارة عنه. وإن لم يعاشرها وقعت الفرقة بينه وبين زوجته، ووقع الطلاق بمضى مدة الأربعة أشهر، عند الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه. وقال الشافعى: ترفع أمره إلى الحاكم فيأمره إما بالفيئة أى الرجوع عما حلف عليه، أو الطلاق. فإن امتنع عن الأمرين طلق عليه الحاكم(1). ومن الواضح أن مدة الأربعة أشهر شرعت هنا للتأكد من خلو رحم

الزوجة من الحمل. حتى لا تختلط الأنساب في حالة زواجها قبل انتهاء عدتها.. وفى حالة الطلاق يوضح القرآن الكريم أن الواجب على المطلقات الحرائر المدخول بهن أن ينتظرن مدة ثلاثة أطهار على رأى الشافعى ومالك، أو ثلاثة حيض على رأى أبي حنيفة وأحمد. (2). ثم تتزوج المطلقة الحرة إن شاءت بعد انتهاء عدتها. أما غير المدخول بها فلا عدة عليها إن طلقت لأن زوجها لم يمسها ولذلك يقول ربنا عز وجل: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا} [الأحزاب: ٤٩].

---

(1) ص131 من القسم الأول من الطبعة الأولى - من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

(2) نفس الصفحة من المرجع السابق.

فهذه يعطيها زوجها مبلغا من المال أو شيئا مقوما به جزاء ارتباطها به وارتباطه بها مدة ما قبل الطلاق ثم يطلقها ولا حرج عليه. ولا حرج عليها هى أيضا إن تزوجت غيره على الفور.. ولا يبيح الإسلام للمطلقة أن تخفى ما في رحمها من حَبَلٍ أو حيض لتتعجل في إنهاء عدتها ولتبطل حق زوجها في رجعتها. هذا إن كانت مؤمنة حقا بالله سبحانه وتعالى وتخشى عقابه. فالتهديد والإنذار واضح في أمر مَنْ تفعل ذلك من المطلقات حتى تخبر بالحق دون زيادة أو نقصان في هذا الأمر الذي لا يُعلمُ إلا من جهتها. فهى وحدها التي تدلى فيه بقولها، ويؤخذ به شرعا. وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: { وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا } [البقرة: ٢٢٨] .

الآية والملاحظ أيضا أن الأطهار الثلاثة والانتظار حتى نهايتها، تكون للتأكد من خلو رحم الزوجة من الحمل حفاظا على الأنساب وعلى حق المولود الشرعى في النفقة والإرث وغيرهما.. وكذلك الأمر في المتوفى عنها زوجها، فعليها أن تنتظر أربعة أشهر وعشرة أيام، للتأكد من خلو رحمها من الحمل أَوّلا حفاظا على حقوق الحمل وعلى الأنساب، ثم لاحترام رباط الزوجية وعظم حق الزوج على زوجته ثانيا، والعشرة أيام احتياطا لما قد ينقص بعض

الشهور ثم لظهور حركة الجنين بعد نفخ الروح فيه فيتأكد ظهوره[1].

وقد عبر القرآن الكريم عن كل ذلك في قوله تعالى: {وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾} [البقرة: ٢٣٤] فالمتوفى عنها زوجها لا تحاسب إذا ارتبطت بعد انتهاء عدتها بإنسان رغب فيها ورغبت فيه في حدود ما نصت عليه الشريعة الإسلامية في هذا الارتباط.. وكذلك الأمر في الزوجات اليائسات من الحيض أى اللاتى بلغن سن اليأس من الحيض، وتقطع حيضهن ثم كاد أن ينعدم. فإذا طلقهن أزواجهن فعدتهن أيضا ثلاثة أشهر، وكذلك اللائى لم يحضن لصغر سنهن إذا حدث ارتياب في شأنهن لزواجهن في سن صغيرة أو المرضى من النساء المتزوجات إذا لم يحضن، تكون عدتهن ثلاثة أشهر كذلك، وهذه المدة أيضا انتظارا لتبرئة الرحم من الحمل منعا للمشاكل وحفظا للأنساب. ويقول ربنا العظيم في ذلك: {وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ} الآية [الطلاق: ٤]. أما الحامل إذا طلقت اضطرارا فعدتها أن تضع حملها. فلو طلقت ووضعت حملها بعد فترة قصيرة من طلاقها. فلا مانع يمنعها من الزواج بعد انتهاء فترة نفاسها، وهذه المدة تجعلها مطمئنة بعض الاطمئنان على وليدها. ويقول الحق

المبين سبحانه في ذلك: {وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا} [الطلاق: ٤] الآية. وفى ذلك اطمئنان من الأم بعد وضعها على وليدها. وانتهاء فترة حملها بسلام. واطمئنان من الأهل على الأم أيضا بعد أن وضعت حملها، مما يضفى لونا من السعادة على الأسرة وأفرادها..

---

(1) ص269من الجزء الأول من تفسير ابن كثير - تفسير القرآن العظيم.

ومن الأدلة الظاهرة على اهتمام الإسلام بالحمل، أن الحامل إذا طلقت يلتزم زوجها بالإنفاق عليها وهى حامل حتى تضع حملها. فيوافيها بكل ما تحتاجه من طعام وشراب وكساء

وسكن. فإذا وضعت حملها وأرادت أن تُرضع وليدها فهى أولى به من غيرها. وفى هذه الحالة يلتزم زوجها بأن يعطيها نفقة إرضاع المولود حسب استطاعته دون ظلم له أو لمطلقته أو لوليده. فإذا تعذر الإتفاق بينهما على إرضاعها للمولود، اتفق مع غيرها على إرضاعه وأعطاها نفقة الإرضاع بالحسنى، وبحسن النوايا ستتيسر هذه الأمور الصعبة التي تمر بالزوجين في حالة الطلاق ولذا يقول عز وجل:{وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾} [الطلاق: ٦ - ٧] الآية. وفى مقدمة هذه الآية الكريمة يقول سبحانه: {أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ} الآية [الطلاق: ٦]. ومعنى ذلك أنها إذا احتاجت إلى مسكن يمكنها من رضاعة الطفل فمن حقها ذلك. فإذا تعذر ولم يتفقا فإنه يبحث عن مرضعة أخرى بالأجر أيضا..

وليس هذا فحسب بل إننا نجد أن اهتمام الإسلام بالحمل يبدأمن بداية الحمل كما أشرنا سابقا. فالحمل منذ بدايته يحظى باهتمام إسلامى كبير. فالإسلام يتابع تكوينه وتطوره ونموه في جميع أطواره. ويتبين ذلك من

خلال قوله جل وعلا:{ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾} [الرعد: ٨ - ٩]. فربنا سبحانه يعلم ما في رحم كل أنثى من الحمل ذكرا كان أم أنثى. ويعلم ما يتناقص في الرحم ولا ينمو ولا يستمر حمله. ويعلم ما يزيد في الرحم عن واحد أو واحدة. فكل حالة من هذه الحالات تتم حسب علمه جل جلاله، وتقديره لما في تلك الأرحام من أجنة يسير كل منها حسب ما قَدَّرَهُ الله الخالق له..

ومن عظيم اهتمام الإسلام بالحمل أن الخالق الجليل سبحانه يهتم به في كل أطواره حسب حكمته وتقديره. فيقول جل شأنه:{يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ} الآية [الزمر: ٦].

والظلمات الثلاث هى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة. والمشيمة كيس من الجلد الرقيق ينشأ فيه الجنين ويتم فيه تطوره. ويحميه مما قد ينشأ في بطن الأم من أخطار أو متاعب على مدى أطواره حتى ولادته، فسبحان من حفظ الأجنة في بطون أمهاتها حتى تولد.

وإشارة إلى أطوار الحمل واهتمام الخالق عز وجل بها بكل دقة، يقول جلت قدرته:{ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾} [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

ففى هذه الآيات الكريمة تتجلى عناية الخالق سبحانه بحمل الإنسان في بطن أمه. حيث تُخلط نطفتُه ببعض من تراب الأرض التي يدفن فيها بعد انتهاء حياته وموته. كما سيأتي بيانه. ثم تتحول النطفة من مرحلة إلى مرحلة، بعناية الخالق جل وعلا. فتكون النطفة علقة، وتكون العلقة مضغة وتكون المضغة عظاما، ثم تكسى العظام لحما، ثم تتكون أجزاءه وتكتمل تحت عناية ربه الجليل، ثم ينفخ فيه الروح، فيصير إنسانا مصورا في أحسن صورة. ألا وخالقه أحسن

الخالقين سبحانه؟! وسنعرض إن شاء الله لهذه المراحل وتكوينها بشئ من التفصيل.. وهكذا يهتم القرآن الكريم بالحمل الإنسانى ومراحله المختلفة ويحفظه الله الخالق العظيم في كل مراحله وأطواره إلى أن يأذن الله له بعد أن يكتمل نموه، بالخروج إلى الدنيا والعيش فيها المدة التي قدرها له عز وجل، حسب مشيئته وعلمه وتقديره... وولادة الجنين تكون أيضا بعلم الله تعالى وتقديره. حيث يقول سبحانه:{وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ} [فاطر: ١١]. حيث يعيش أجله الذي قدر له في دنياه...

أما في السنة النبوية الكريمة فقد سبق أن بينا أدلة متعددة لاهتمام الإسلام بالحمل ومراحله. ويكفينا حتى لا نكرر ما نقول، أن نُذكِّر بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا

المقام. حيث يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إن أحدكم يُجمع خَلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله إليه ملكا ويُؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقى أو سعيد، ثم يُنفخ فيه الروح}[1] الحديث. فقد جمع هذا الحديث النبوى الشريف مراحل تكوين الجنين في بطن أمه تحت عناية الله تبارك وتعالى ورعايته لكل مرحلة حتى يكتمل نموه. فيسجل الملك الموكل به، ويسمى ملك الأرحام، عمله ورزقه وأجله، وما أراد الله له من السعادة أو الشقاء، فيكتب في بطن أمه، ثم ينفخ فيه الروح، كخلق جديد يُستدل به على قدرة الله عز وجل ورعايته للإنسان والكون وما فيه.

وقد ورد أن هذه الكتابة تكتب بين عينى الجنين. ففى مسند البزار عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:{إذا خلق الله النسمة قال ملك الأرحام: أى رب أذكر أم أنثى؟ قال: فيقضى الله

أمره. ثم يقول: أى رب أشقى أم سعيد؟ فيقضى الله إليه أمره. ثم يكتب بين عينيه ما هو لاقٍ حتى النكبة يُنكَبَها} [2].. وحديث حذيفة بن أسيد صريح في أن الملك يكتب ذلك في صحيفة، فقد ورد في صحيح مسلم عن حذيفة بن أسيد عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:{إذا مر بالنطفة اثنان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها، ثم قال: يارب ذكر أم أنثى؟ فيقضى ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول: يارب رزقه فيقضى ربك ما

---

(1) رواه البخارى ومسـلم ص 38 حرف الألف من كتاب مختار الأحاديث النبوية ـ للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه ابن عمر في مسـند البزار 4/2037. ص 212 من الجزء الأول من كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب ـ تحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور 1407هـــ ـ 1986م النكبة: الشوكة أو الأمر الموجع..

شاء ويكتب الملك، ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أُمِرَ ولا يُنقِص} [1]..

ولعل ذلك يكتب في صحيفة الملك ويكتب بين عينى الجنين[2].

وسواء كان هذا أم ذاك فهذه الكتابة غير كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق، والتى عبر عنها آدم عليه السلام في حجاجه مع موسى عليه السلام. فقد ورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:{إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة} [3].. وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على مدى اهتمام السنة النبوية الكريمة في تتبعها لمراحل تكوين الجنين واهتمام الإسلام بالحمل الإنسانى...

وهكذا نلمس في آيات وسور القرآن الكريم وفى الأحاديث الواردة في كتب السنة عن النبى صلى الله عليه وسلم - مدى اهتمام الإسلام بالحمل الإنسانى ورعايته في بطن أمه. وتكليف الزوج والزوجة، والمجتمع إذا لزم الأمر - برعاية هذا الحمل حتى يكتمل وتضعه حاملته في أمن وسلام. وعندئذ تكون بداية مرحلة جديدة من الاهتمام الإسلامى، وهى اهتمام الإسلام بالمولود....

ثالثا اهتمام الإسلام بالمولود:

أما مظاهر اهتمام الإسلام بالمولود - فهى واضحة بينة في كثير من المواضع، بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة. فالقرأن الكريم يحمل في آياته وسوره الكثير من هذه المظاهر، ففى سورة البلد يقسم ربنا عز وجل بما ولدته أنثى الإنسان وتسبب فيه الرجل، فيقول أصدق القائلين سبحانه:{وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾} [البلد: ٣]. وعندما يقسم ربنا العظيم بشيء، فإن هذا القسم يدل على أهمية هذا الشيء والاهتمام الإلهى به ومن السماء تنزل أولى البشائر

---

(1) صحيح مسلم في كتاب القدر باب كيفية خلق الآدمى. وانظرص 212من الجزء الأول من كتاب جامع العلوم والحكم لابن رجب - تحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2)الصفحة نفسها من المصدر السابق.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب القدر - باب حجاج آدم وموسى.

للمولود وأبويه فَيُطَمْئِنُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ويبشر المولود وأبويه بشارة سماوية في اللّحظات الأولى من ولادته فيقول صلى الله عليه وسلم :{إذا ولدت الجارية بعث الله عز وجل إليها ملكا يزف البركة زفا يقول: ضعيفة خرجت من ضعيفة القيم عليها معان إلى يوم القيامة وإذا ولد الغلام بعث الله إليه ملكا من السماء فقبل بين عينيه وقال: الله يُقرئك السلام} (1). وتنزل ملائكة الرحمة بإذن ربها من السماء بعد ولادة البنت مباشرة فيسلمون على أهل بيتها ويباركونها وفى هذا يقول صلى الله عليه وسلم : {إذا وجد للرجل ابنة بعث الله ملائكة يقولون: السلام

عليكم أهل البيت فيكسونها بأجنحتهم ويمسحون بأيديهم على رأسها ويقولون: ضعيفة والقيم عليها يعان إلى يوم القيامة} [2].. وحتى قبل الولادة يتمنى الزوج وزوجته - كما سبق أن بينا - أن يرزقهما الله تعالى ولدا صالحا. فيقول الحق سبحانه:{فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ } [الأعراف: ١٨٩]..

ويتوالى الاهتمام الإلهى بالولدان. ويتجلى ذلك في موضعين من سورة النساء. فيوصى ربنا سبحانه بالاهتمام بشأنهم ورعايتهم، والعفو عن غير القادرين منهم على طلب الرزق والعيش الكريم في مختلف جنبات الأرض. فيقول جل شأنه:{ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾} [النساء: ٩٨ - ٩٩].. وكان الناس في الجاهلية يحرمون الولدان من الميراث كما يحرمون منه البنات[3]. فنهاهم ربهم جل وعلا عن ذلك في قوله تعالى:

---

(1) رواه الطبرانى في الأوسط عن أنس ص181 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد لعبد العزيز الشناوى.
(2) رواه الطبرانى في الأوسط. نفس الصفحة والمرجع السابق.
(3) ص533 من الجزء الأول من تفسير ابن كثير - تفسير القرآن العظيم.

{ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ }

[النساء: ١٢٧]الآية. بل إن الله جلت قدرته أمر المسلمين بأن يدافعوا عن الولدان من الذكور والإناث إذا تعرضوا للقتل أو تعرضوا للظلم، وأن يحاربوا أعداءهم من أجل نصرة هؤلاء الضعفاء من الولدان، في قوله تعالى: {وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥} [النساء: ٧٥].

فهؤلاء الولدان

الذين تعب آباؤهم وأمهاتهم حتى كانوا سببا في إنجابهم ووجودهم وعيشهم في الحياة الدنيا - يجب ألا يتخلى عنهم الآباء والأمهات بل والمجتمع الإسلامى كله، في الأوقات العصيبة، أوقات الحرب وأوقات الظلم..

وقد يموت المولود وهو صغير، فيجعله خالقه جل جلاله من الولدان المخلدين، الذين يطوفون على أهل الجنة بخيرات من الجنة جزاءًا لهم وتكريما بسبب موتهم في هذه السن المبكرة، وتكريما لآبائهم وأمهاتهم الذين كانوا سببا في تواجدهم في الحياة الدنيا. ويقول الله تعالى في ذلك: {وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩} [الإنسان: ١٩]. وليس هذا فحسب؛ بل إن تكريم هؤلاء الولدان الذين ماتوا صغارا وتكريم آبائهم وأمهاتهم يمتد إلى ما قبل دخولهم الجنة، وخصوصا آباءهم الذين كانوا سببا مباشرا في تواجدهم في الدنيا. فعندما يقف الناس في أرض المحشر، ويبلغ العطش منهم كل مبلغ، تمتد رحمة الله تعالى الواسعة إلى هؤلاء الصغار، فيتفضل عليهم بالشراب، فيمتنعون عنه ويقولون: ياربنا لا نشرب وآباؤنا عطاش. فيأمرهم ربهم عز وجل بالطواف بين صفوف أهل المحشر ليسقوا آباءهم..

" فقد حُكِيَ عن أحدِ الصالحين أنه كان يُعرضُ عليه التزويج فيأبى بُرْهَةً من دهره، قال: فانتبه ذات يوم من نومه وقال: زوجونى فزوجوه. فسُئِل عن ذلك، فقال: رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأنى في جملة من الخلائق في الموقف، وبى من العطش ما كاد يقطع عنقى، وكذا الخلائق في شدة العطش والكرب، فنحن كذلك إذ وُلدان يتخللون الجمع، عليهم مناديل من نور، وبأيديهم أباريق من فضة، وأكواب من ذهب، وهم يسقون الواحد بعد الواحد، يتخللون، ويتجاوزون أكثر الناس، فمددت يدى إلى أحدهم، وقلت: اسقنى فقد أجهدنى العطش، فقال: ليس لك فينا ولد، إنما نسقى آباءنا، فقلت: ومن أنتم؟ فقالوا: نحن من مات من أطفال المسلمين " (1). وهكذا ينفع الأطفال الذين يموتون صغارا آباءهم كما ينفعون أمهاتهم..

ويتجلى أهتمام الإسلام بالمولود في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ففى القرآن الكريم نجد منهجا قرآنيا للإهتمام بالمولود، يتمثل في إرضاعه بعد ولادته، والعناية به، والسهر على تربيته تربية إسلامية. فيقول عز وجل:{ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾} [البقرة: ٢٣٣]..

وسوف نتناول ذلك وغيره من ألوان العناية والإهتمام بالمولود بعد قليل، إن شاء الله.

---

(1) ص27، ص28من كتاب الزواج الإسلامى السعيد للشيخ أبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت - 1984م - 1404هـ.

وقد يموت والد الطفل فيترك ولده صغيرا، لا سند له، ولا مرشد، ولا وصى. لكن الله جل جلاله يوصى أقاربه المحتضنين له، بمعاملته معاملة حسنة، ويحذرهم من معاملته بسوء. فلا يأخذوا أمواله التي تركها له أبوه ويصرفوها بغير وجه حق أو يضموها إلى أموالهم. ولا يضموا ممتلكاته التي ورثها عن أبيه إلى ممتلكاتهم. فعلى العكس من ذلك. يأمرهم الإسلام

بحفظ أمواله وتنميتها له وكذلك تنمية ممتلكاته إذا كانت قابلة للنماء حتى يكبر ويحسن التصرف في أمواله وممتلكاته. وفى هذا الإطار يرسم الإسلام منهجا قائما على أسس شرعية لمعاملة اليتيم في المجتمع الإسلامى. وتتضح أسس هذا المنهج في آيات وسور القرآن الكريم، وفى سنة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم...

ففى القرآن الكريم نجد قوله تعالى:{وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾} [النساء: ٢][1] ففى الآية الكريمة تحذير لكافلى اليتامى من تبديل أموالهم الخبيثة بأموال اليتامى الطيبة، أو الاستيلاء عليها بغير وجه حق.. ونجد أيضا

قوله سبحانه:{وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾} [النساء: ٥ - ٦][2]..

---

(1) حوبا: ظلما وتعديا كبيرا.
(2) بدارا: مبادرين قبل كِبَرهم.

وتوجه الآيتان الكريمتان كافلى اليتامى الذين عينوا لكفالتهم ألا يسلموا أموالهم لهم إلا بعد أن يميزوا النافع من الضار، وبعد أن يختبروهم بمنحهم قليلا من مالهم ليروا كيف يتصرفوا فيه. فإن نجحوا في الاختبار، ولم يضيعوا هذا القدر البسيط من المال سَلَّموهم أموالهم وأَشْهَدوا على ذلك شهادة شرعية، وإلا فلتبق أموال اليتامى معهم حتى يصلوا إلى مرحلة التمييز بين النافع والضار والحلال والحرام، ولينفقوا منها عليهم لتلبية مطالبهم في الطعام والشراب والكساء وغيرها من متطلبات الحياة. وليطمئنوهم على أموالهم وأملاكهم ويبينوا لهم أنها في أيد أمينة حتى يكبروا..

ونجد كذلك في قوله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠} [النساء: ١٠] تحذيرا لكافلى اليتامى من أكل أموالهم ظلما بغير وجه حق. فإذا فعلوا ذلك فإنهم في حقيقة الأمر

يأكلون سحتا ونارا تدمر عليهم حياتهم في الدنيا، ثم يردون في الآخرة إلى أشد العذاب في نار جهنم خالدين فيها، إذا ماتوا على هذه الحالة.

ولكى يستوعب الكافلون لليتامى الدرس جيدا يوصيهم ربهم جل وعلا ألا يقربوا مال اليتيم إلا بالطريقة الشرعية التي أباحت لهم الأخذ من هذا المال بطريقة حسنة، وتتمثل هذه الطريقة في حصولهم منه، جزاء جهدهم في الحفاظ عليه وعلى تنميته على قدر قليل منه. إذ أن مهمتهم تقتضى بعض المصاريف المالية، وخصوصا إذا كانوا فقراء؛ حتى لا يزدادوا فقرا يغرمهم لليتيم مصاريف المحافظة على ماله وتنميته بالطرق الشرعية. ولذلك يقول ربنا عز وجل:{وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥ} [الأنعام: ١٥٢]. وهذا بالإضافة إلى حث الكافلين لليتامى على تنمية أموالهم وإخراج زكاتها، حتى يبارك لهم الله تعالى فيها. كما سيأتى في الأحاديث النبوية الشريفة.

وهكذا يتبين للقارئ الكريم خطوط المنهج القرآني في المحافظة على مال اليتيم وحياته. ومدى مسئولية كافله في متابعة مراحل حياته حتى يكبر ويصير رجلا يستطيع أن يدبر كافة أمور حياته بنفسه. وفى سبيل وصول الكفيل إلى هذه المرحلة الحاسمة في حياة اليتيم - عليه أن يقف بحزم أمام كل العقبات التي تعترض طريق اليتيم، وعليه أن يقاتل من أجل ذلك إذا لزم الأمر حفاظا على حياته وماله وكافة حقوقه الشرعية....

وفى السنة النبوية الكريمة ما يقابل هذا الاهتمام المنهجى القرآنى بحياة اليتيم ورعايته والاهتمام بأحواله وأمواله حتى يكبر ويملك زمام التصرف بحكمة في كل ما يهم حياته الدنيا..

ومنذ اللحظات الأولى لتيتم المولود نجد اهتماما من السنة بإرضاعه حتى يعيش؛ بقدر اهتمام القرآن الكريم بذلك والمثال الواضح في هذا المقام هو اهتمام كافل محمد صلى الله

عليه وسلم اليتيم وهوعبد المطلب بن هاشم وتوجهه به إلى حيث تتواجد المرضعات؛ ليختار له مرضعة مناسبة. وقد اختارته حليمة السعدية بعد تردد. فقد رأته يتيما ويُحتمل أن يكون مع ذلك فقيرا لا يوجد مَنْ يهتم به من أهله. وقد ذهبت به إلى دارها

في بنى سعد. وسرعان ما توالت عليها بشائر سعة الحال وكثرة الغداء والمال. بعد أن أظهر الله عز وجل كرامات عديدة وبركات متوالية على يد اليتيم محمد صلى الله عليه وسلم ومن يرعاه اجتماعيا واقتصاديا. مما جعل حليمة السعدية وزوجها رضى الله عنهما يطمئِنَّان إلى تواجده معهما وفى أحضانهما فترة الرضاعة وما بعدها

حتى ترعرع وكبر. ولم تحاول حليمة السعدية ولا زوجها إبعاده عنهما إلا بعد حادثة شق صدره صلى الله عليه وسلم الأولى. حيث خافت عليه آنذاك حليمة رضى الله عنها فسلمته إلى أهله ليكملوا رعايته ويتابعوها، حتى لا يصيبه أذى وهو في أحضانها.. فسلمته إلى أمه آمنة بنت وهب.. ومن هنا كان اهتمام رسول الله صلى الله عليه وسلم الشديد باليتامى. وتوجيه صحابته رضوان الله عليهم جميعا إلى الاهتمام بهم وبأحوالهم وممتلكاتهم وأموالهم.. فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه المسلمين جميعا إلى وجوب إخراج زكاة أموالهم، ولم يفرق في ذلك بين صغير وكبير. امتثالا لقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :{خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا} الآية [التوبة: ١٠٣]. وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القدر من الآية بقوله لأصحابه:{أُمِرْتُ أن آخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم} [1]. فالزكاة إذن توسعة على الفقراء. ومتى وُجد الغِنَى وجبت الزكاة. وبه قال الجمهور. لحديثه صلى الله عليه وسلم : {تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم} [2].

ومما سبق يتضح لنا أن الصغير الذي له مال تجب فيه الزكاة يخرجها وليه عنه وجوبا. وينسحب هذا القول بطبيعة الحال على اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير، وترك له ما لاً تجب فيه الزكاة. فالواجب على كافله أن يخرجها عنه. فعن مالك بن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه، أنه قال: " كانت عائشة تلينى، وأخاً لى، يتيمين في حجرها. فكانت تخرج من أموالنا الزكاة " [3]..

---

(1) ص 104 من الجزء الثاني من كتاب شرح الزرقانى على موطأ مالك.
(2) نفس الصفحة 104 من الجزء الثانى من شرح الزرقانى على موطأ مالك.
(3) نفس الصفحة من المصدر السابق.

ومن هنا أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله:{اتجروا في أموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة} [1]. فالمصطفى صلى الله عليه وسلم يوجه صحابته والمسلمين جميعا من بعدهم إلى الاتجار في أموال اليتامى حتى لا تنهيها الزكاة بأخذ جزء منها سنويا. ففى الاتجار فيها حفاظ عليها وتنمية لها وزيادة فيها.. وإعْمَالاً لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابته الكرام، التَزموا بهذا التوجيه المحمدى فاتجروا في أموال اليتامى. فكان الصحابي يلى يتيما - أو يتيمين أو أكثر - في حجره، ويخرج زكاة ماله، فاتَجروا فيها حتى لا تتناقص وتنتهى. " فعن مالك أنه بلغه أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت تعطى أموال اليتامى الذين في حجرها مَنْ يتجر لهم فيها " (2). وعن مالك عن يحيى بن سعيد أنه اشترى لبنى أخيه - يتامى في حجره - مَالاً، فبيع ذلك المال بَعْدُ بمال كثير. وقال مالك رضى الله عنه: " لا بأس بالتجارة في أموال اليتامى لهم إذا كان الولى مأذونا، ولا أرى عليه ضمانا " (3).. وقد حَدَّث يحيى عن مالك أنه بلغه أن عمر بن الخطاب قال: " اتجروا في أموال اليتامى لا تأكلها الزكاة " (4).. وهكذا نلمس حرص الصحابة رضوان الله عليهم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومِنْ بعده - على الاتجار في أموال اليتامى كجزء من الاهتمام بأحوالهم وتتبع مراحل نموهم حتى يكبروا ويصبحوا قادرين على رعاية كافة مصالحهم بأنفسهم. وهذا العمل الكريم يعتبر نصرة كبيرة لرعاية مصالح اليتيم، وفق منهج السنة النبوية المباركة في تتبع أحواله ورعايته كما اتضح من الأحاديث الشريفة التي عرضناها...

---

(1) رواه الطبرانى في الأوسط عن أنس بن مالك. وقال الهيثمى: أخبرنى شيخى الحافظ زين الدين العراقى أن إسناده صحيح. نفس الصفحة من المصدر السابق.
(2) نفس الصفحة من المصدر السابق.
(3) نفس الصفحة من المصدر السابق.
(4) ص 103 من نفس المصدر

وهكذا وجدنا في القرآن الكريم وفى السنة النبوية الكريمة ما يعكس ويوضح اهتمام الإسلام بالمولود اليتيم ونشأته وتطور أحواله في جميع المجالات...

وبالإضافة إلى اهتمام الإسلام بالمولود اليتيم - نجد اهتمامات أخرى بالمولود بصفة عامة ومن هذه الاهتمامات أنه عندما يوضع من بطن أمه ويخرج إلى الدنيا، يبدأ حياته بالصراخ. فيتلقفه أبوه أو من يقوم مقامه ويقرأ الأذان في أذنه اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى. حتى يكون أول شيء تلقاه في دنياه واستمع إليه هو ذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم. وفى ذلك يقول نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم :{من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، رفعت عنه أم الصبيان} [1] فالشيطان الرجيم، هذا الوسواس الخناس - وذريته - يهرب من كلمات الآذان التي تضعفه وتغيظه. وعلى هذا، إذا أراد المسلم أن يبعد عن نفسه الشيطان وحزبه وخطره، فيجب أن يكون على اتصال دائم بالله تعالى. يذكره في كل وقت فلا يجد الشيطان سبيلا إليه للتأثير في حياته..

ومن هذه المظاهر والاهتمامات من جانب السنة المباركة بالمولود - تحنيكه أى مضغ التمر ووضعه في فمه وتحريكه في سقف الفم والدعاء له بالبركة. فقد ورد في الصحيحين من حديث أبي بردة عن أبي موسى قال: " ولد لى غلام فأتيت به النبى صلى الله عليه وسلم، فسماه إبراهيم، وحنكه بتمرة. زاد البخارى: ودعا له بالبركة ودفعه إليّ " [2].. وروى أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أسماء، أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة،

---

(1) رواه البيهقى في الشعب من حديث الحسن بن علىّ عن النبى صلى الله عليه وسلم. ص21 من كتاب تحفة المولود - لابن قيم الجوزية. أم الصبيان أم الجنى.

(2) ص23 من كتاب تحفة المولود بأحكام المولود - لابن قيم الجوزية.

قال: قالت: فخرجتُ وأنا مُتِمّ، فأتيت المدينة، فنزلت بقباء، فولدته بقباء، ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوضعتُه في حجره، فدعا بتمرة، فمضغها، ثم تفل في فيه: فكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: ثم حنكه بالتمرة، ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام للمهاجرين في المدينة، قالت: ففرحوا به فرحا شديدا، وذلك أنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم " [(1)]...

ومن مظاهر الاهتمام بالمولود التي وردت في السنة النبوية المباركة حلق شعر المولود يوم سابعه والتصدق بوزن هذا الشعر ذهبا أو فضة. فقد حدث يحيي عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه؛ أنه قال: " وزنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شعر حسن وحسين، وزينب وأم كلثوم، فتصدقت بزنة ذلك فضة " [(2)] وعن مالك بن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن محمد بن على بن الحسين، أنه قال: " وزنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شعر حسن وحسين، فتصدقت بزنته فضة " [(3)]..

ومن هذه المظاهر الدالة على اهتمام السنة النبوية المباركة بالمولود وجود آثار متعددة تحبب في العقيقة عن المولود. فعن سمرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ويسمى فيه ويحلق رأسه " [(4)] أما عن الوقت الذي تُستحب فيه العقيقة - فقد قال أبو داود في كتاب " المسائل ": سمعت أبا عبد الله يقول: العقيقة تذبح يوم السابع. وقال صالح بن أحمد: قال أبي في العقيقة: تذبح يوم السابع، فإن لم يفعل ففى أربعة عشرة، فإن لم يفعل ففى أحد وعشرين وهذا

---

(1) ص23 من كتاب تحفة المودود بأحكام المولود - لابن قيم الجوزية.
(2) ص69 من المرجع السابق.
(3) ص310 من موطأ مالك طبعة الشعب.
(4) رواه أهل السنة كلهم. وقال الترمذى حديث حسن صحيح. ص28 من تحفة المودود بأحكام المولود - لابن القيم.

قول عائشة رضى الله عنها[1].. والعقيقة كما قال مالك رضى الله عنه بمنزلة النسك والضحايا. لا يجوز فيها عوراء ولا عجفاء (ضعيفة هزيلة) ولا مكسسورة ولا مريضة، ولا يباع من لحمها شيء، ولا جلدها، ولا يكسر عظامها، ويأكل أهلها من لحمها، ويتصدقون منها، ولا يُمَسُّ الصبى بشئ من دمها[2]..

ومن مظاهر اهتمام السنة بالمولود تسميته واختيار الاسم الحسن له، وقد سبق أن ذكرنا أن ذلك يكون في اليوم السابع من ولادته. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحث على حق المولود على والده في أن يسميه أبوه اسما حسنا. فيقول صلى الله عليه وسلم :{حق المولود على والده أن يحسن اسمه ويحسن أدبه}[3] ويقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :{حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن موضعه ويحسن أدبه} [4] والمقصود بإحسان موضع الولد ألا يضعه أبوه موضع تهلكة أو ضياع أو ضعف بأى وجه من الوجوه. وتلك مسئولية الوالد تجاه ولده، أن يهيئ له مكانه اللائق به والذى

لا يضره ولا يخذله ولا يحرمه من حق شرعى له.

ولا شك في أن كل مامر من مظاهر الاهتمام بالمولود: من الآذان والإقامة في أذنيه عند ولادته وتحنيكه والدعاء له بالبركة وقص شعره في السابع من ولادته وذبح العقيقة له؛ كل ذلك يسعد المولود ويسعد أسرته ويسعد المجتمع الإسلامى كله مما يؤدى إلى الاجتهاد في عبادة الله وحده وطاعته، ومن ثم اختيار الاسم الحسن له والاجتهاد في ذلك. فالأقسط عند الله تبارك وتعالى هو تحسين الآباء لأسماء أبنائهم. والسنة النبوية الكريمة

---

(1) ص43 من المصدر السابق.
(2) ص311من موطأ مالك - طبعة الشعب.
(3) أخرجه البيهقى في السنن عن عباس رضى الله عنه ص164 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - عبد العزيز الشناوى.
(4) أخرجه البيهقى في السنن عن عائشة ص 164 من المصدر السابق.

تدعوهم إلى ذلك؛ فيقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم :{إنكم تُدعَوْن يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فأحسنوا أسماءكم} [1] وكما قلنا ففى ذلك سعادة للفرد والأسرة والمجتمع الإسلامى. وأستأذن القارئ الكريم في أن أقف وقفة عند اختيار الآباء لأسماء أبنائهم. فالأسماء منها الحسن ومنها الأحسن ومنها الأحب عند الله وعند رسوله وعند المسلمين الصالحين، ومنها ما نُهى عنه نهى كراهة ومنها مانهى عنه نهى تحريم. وكل ذلك يحتاج إلى إيضاح حتى ينهج الآباء في المستقبل نهجا إسلاميا بعيدا عن الشرك الأصغر الذي قد يؤدى التمسك به إلى الشرك الأكبروالعياذ بالله جل جلاله..

وأحب الأسماء إلى الله عز وجل ما تُعُبِّد لَهُ. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إن أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن} [2] وقد أجاز النبى التسمى بأسماء الأنبياء بالإضافة إلى ما سبق من الأسماء المعبدة لله تعالى؛ فقال صلى الله عليه وسلم :{تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأصدقها: حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة} [3] أما التسمى بأسماء الملائكة فقد وقع فيه خلاف بين العلماء. فأجازه البعض وكرهه الآخرون. وقد أفاد أشهب والحارث بن مسكين أن الإمام مالك رضى الله عنه كره التسمى بأسماء الملائكة. وقال عبد الرزاق في الجامع عن معمر أنه سأل حماد بن أبى سليمان عن التسمى بها فقال: لا بأس به(4). وقد ورد عن النبى

---

(1) رواه أبوداود وابن حبان ص165 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - عبد العزيز الشناوى.
(2) رواه أبووهب الجشمى ص80 من كتاب تحفة المودود بأحكام المولود - لابن القيم.
(3) ص83 من كتاب تحفة المودود لابن القيم
(4) نفس الصفحة من المرجع السابق.

صلى الله عليه وسلم ما يؤيد الفريق الذي كره ذلك. فقد قال البخارى في تاريخه: قال أحمد بن الحارث، قال أبو قتادة الشامى، قال عبد الله بن جرار: صحبنى رجل من مزينة، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وأنا معه، فقال: يا رسول الله! وُلِدَ لى مولود فما خير الأسماء؟

قال:{إن خير الأسماء: الحارث وهمام، ونعم الاسم عبد الله وعبد الرحمن، وتسموا بأسماء الأنبياء ولا تسموا بأسماء الملائكة} قال: وبإسمك؟ قال:{وباسمى ولا تكتنوا بكنيتى} (1).. وكان هذا النهى عن التكنى بكنيته صلى الله عليه وسلم في حياته فقط. وقد أجازه النبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته؛ فقد روى أبو داود في سننه عن أبي بكر وعثمان ابنى شيبة عن أبي أسامة عن قُطر عن منذر عن محمد الحنفية قال: قال علىّ رضى الله عنه: يا رسول الله: إن ولد لى بعدك ولد، أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك؟ قال:{نعم} [2]..

---

(1) نفس الصفحة من المرجع السابق.
(2) أخرجه ابن أبى عاصم وأبو نعيم عن ابن خشيب عن أبيه. ص165 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

ومن الأسماء التي نهى عن التسمى بها للكراهة - تسمية الإبن بيسار أو رباح أو نجاح أو أفلح. فقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله:{لا تسمين غلامك يسارا ولا رباحا ولا نجيحا ولا أفلح، فإنك تقول أَثَمَّ هو؟ فلا يكون} (1).. وفى سنن ابن ماجة تأكيد للنهى عن هذه الأسماء وأمثالها في حديث أبي الزبير عن جابر عن عمر ابن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إن عشت إن شاء الله لأنهين أمتى أن يسموا: رباحا ونجيحا وأفلح ويسار} (2)..

وفى معنى هذا: مبارك ومفلح وخير وسرور ونعمة وما أشبه ذلك. فإن المعنى الذي كره له النبى صلى الله عليه وسلم التسمية بتلك الأربعة موجود فيها(3).

ومن هذه الأسماء المنهى عن التسمى بها ما فيه تزكية للنفس كَبَرَّة. ففى سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن تُسموا برة. وقال:{لا تزكوا أنفسكم، الله أعلم بأهل البر منكم} (4). وفى سنن ابن ماجة، عن أبي هريرة " أن زينب كان اسمها برة، فقيل: تزكي نفسها، فسماها النبى صلى الله عليه وسلم زينب " (5)..

---

(1) ص1085 من صـــحيح مســـلم الطبعة المميزة والمرقمـةبترقيم المعجم المفهرس لألفـاظ الحديث - مكتبة الإيمان بالمنصــورة وص81 من تحفة المودود، وقد ورد فيها نجاحا بدلا من نجيحا

(2) ص82 من تحفة المودود.

(3) الصفحة نفسها من المرجع ذاته.

(4) نفس الصفحة من نفس المرجع.

(5) نفس الصفحة ونفس المرجع.

ومن هذا القبيل أيضا التسمية بأسماء الشياطين كخنزب، والولهان، والأعور، والأجدع، والحباب؛ فقد قال الشعبى عن مسروق: لقيت عمر بن الخطاب فقال: من أنت؟ قلت: مسروق بن الأجدع. فقال عمر رضى الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{الأجدع شيطان} (1). وهكذا طلب عمر من مسروق أن يغير اسم أبيه لأن التسمية بأسماء الشياطين مكروهة، وإن كان طلبا غير مباشر. ويروى أبيّ بن كعب عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله:{إن للوضوء شيطانا يقال له الولهان، فاتقوا وساوس الماء} [(2)].

وفى هذا القول الشريف تحذير ونهى عن التسمى باسم " ولهان ". وقد ورد أن عثمان ابن أبى العاصى شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من وساوس تصيبه في الصلاة، فقال صلى الله عليه وسلم :{ذلك شيطان يقال له خنزب} (3) وذلك للتنفير من التسمى باسمه.. وذكر

أبو بكر بن أبى شيبة عن حميد عن عبد الرحمن عن هشام عن أبيه: أن رجلا كان اسمه الحباب، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم " عبد الله وقال:{الحباب شيطان} [(4)].

وهكذا نرى النبى صلى الله عليه وسلم يدعو إلى تغيير الأسماء المكروهة بل ويغير بعضها بنفسه صلى الله عليه وسلم أحيانا. ومن الأسماء المنهى عن التسمى بها كذلك أسماء الفراعنة والجبابرة. كفرعون وقارون وهامان والوليد، وعن التسمى بالوليد نهى النبى صلى الله عليه وسلم.

---

(1) ص 82 من كتاب تحفة المودود لابن القيم.

(2) ص83من نفس المصدر السابق.

(3) من سنن ابن ماجه عن عثمان بن أبى العاص ص83 من نفس المصدر.

(4) من سنن ابن ماجة ص83من نفس المصدر.

فقد قال عبد الرازق في الجامع: أراد رجل أن يسمى ابنا له الوليد، فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال:{إنه سيكون رجل، يقال له الوليد. يعمل في أمتى بعمل فرعون في قومه} [1]. ويدخل في هذا الإطار، الأسماء التي لها معان تكرهها النفس ولا تلائمها، كحرب ومرة وكلب وحية وجمرة وشهاب وما يشابهها. وفى هذا المجال تحدثت كتب السنة عن واقعتين شهيرتين. أما الواقعة الأولى فهى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلن عن عدم رضاه عن اسمى (مرة وحرب) ورفض أن يحلب أى منهما الناقة التي أراد لها أن تحلب وأمر رجلا غيرهما اسمه يعيش أن يحلبها. فعن مالك بن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للقحة تحلب: من يحلب هذه؟ فقام رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : {ما اسمك؟} فقال له الرجل: مرة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :{اجلس} ثم قال:{من يحلب هذه؟} فقام رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ما اسمك؟} فقال حرب. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :{اجلس} ثم قال:{من يحلب هذه؟} فقام رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ما اسمك؟} قال: يعيش. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :{احلب} [2].. وأما الواقعة الثانية فقد وردت عن عمر بن الخطاب الذي أبدى انزعاجه وقلقه من اسم رجل يسمى (جمرة)

---

(1) ص83 من تحفة المودود - لابن القيم.

(2) موطأ مالك طبعة الشعب ص602 - لقحة: ناقة ذات لبن.

ويسمى أبوه كذلك (شهاب) يسكن في مكان يقال له الحرقة ومنزله بذات لظى.. فقد " روى مالك عن يحيي بن سعيد أيضا: أن عمر بن الخطاب قال لرجل: ما اسمك؟ قال: جمرة. فقال: ابن من؟ قال: ابن شهاب. قال ممن؟ قال: من الحُرَقَة. قال: أين مسكنك؟ قال: بحرة النار. قال: بأيها؟ قال: بذات لظى. قال عمر: أدرك أهلك فقد احترقوا " قال: أي الراوى - فكان كما قال عمر رضى الله عنه[1]. ورواية الشعبى أكثر توضيحا وفيها: " قال عمر: ويحك، أدرك أهلك ومنزلك فقد أحرقتهم، قال: أي الراوى: فأتاهم فألفاهم قد احترق عامتهم " [2].. ولا غرابة فيما توقعه عمر وخصوصا إذا علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{البلاء مُوكَلٌ بالقول} [3] وهذا الإسم المكروه إلى النفس والذى تكرر حتى في الموقع الذي يسكن فيه الرجل - هو قول تلفظ به أبو المولود أو من حل محله، وتلفظ به أيضا مَنْ سَمَّى الموقع. فالبلاء إذن متوقع يصيب صاحب الإسم الذي تكرهه النفس ولا تحبه حتى لو كان اسم مكان..

وإذا كان النهى عن الأسماء السابقة للكراهة - فهناك أسماء نهى عنها للتحريم. وهى كل اسم معبد لغير الله عز وجل. كعبد العزى وعبد هبل وعبد الكعبة وعبد النبى وما أشبه ذلك. ويقول ابن القيم في تحفته: حاشا عبد المطلب[4]. فلا يدخل هذا الإسم عنده في عداد الأسماء المنهى عنها نهى تحريم. وسبب ذلك عنده أن التسمية به وبمثله كعبد شمس وعبد الدار يدخل في باب الإخبار الذي هو أوسع من باب الإنشاء. فإنشاء الاسم لغير الله محرم، أما الإخبار به فليس محرما[5].. ويتفق ابن القيم في ذلك مع ابن حزم. حيث يقول الأخير:

---

(1) ص602، ص603من المرجع السابق.
(2) رواه الشعبى ص85 من كتاب تحفة المودود - لابن القيم.
(3) قاله أبو عمرعن النبى صلى الله عليه وسلم ص85 من المصدر السابق.
(4) ص80من نفس المرجع.
(5) ص 81 من كتاب تحفة المودود لابن القيم

اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب[1]. فالتسمية بعبد المطلب عند ابن حزم لا محذور فيها. إذ أصلها من عبودية الرق. ويزيد صاحب فتح المجيد الأمر وضوحا فيبين أن المطلب أخا هاشم قدم المدينة، وكان ابن أخيه شيبة قد نشأ في أخواله بنى النجار. حيث تزوج هاشم امرأة منهم فجاء منها بهذا الابن (شيبة). وشب شيبة في أخواله وعندما بلغ سن الرشد سافر به عمه المطلب إلى مكة. وقدم به مكة وهو رديفه. فرآه أهل مكة وقد تغير لونه بالسفر فحسبوه عبدا للمطلب، فقالوا: هذا عبد المطلب. فتعلق به الإسم وصار لا يدعى إلا به مع أن اسمه شيبة الحمد[2]... وهكذا يتفق العلماء الثلاثة: ابن القيم مع ابن حزم مع الشيخ عبد الرحمن صاحب فتح المجيد، في أن عبد المطلب لا يدخل في باب التحريم، لما سبق بيانه.. ومما يَحرم التسمية به: ملك الملوك وسلطان السلاطين وشاهان شاه.. ففى الصحيح عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:{إن أخنع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك، لامالك إلا الله} (3). وقال سفيان: مثل: شاهان شاه " (4). وفى رواية:{أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخبثه} (5)..

وهكذا نجد أن احترام أسماء الله تعالى وصفاته واجب شرعى، وأن تغيير الإسم المسمى بها واجب شرعى أيضا. ولعل الأمر يزداد وضوحا من رواية أبي شريح: فقد كان يكنى أبا الحكم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :{إن الله هو الحَكم وإليه الحُكمْ}. فقال: إن قومى إذا اختلفوا في شئ أتونى فحكمت بينهم، فرضى كلا الفريقين. فقال:{ما أحسن هذا. فمالَكَ من الولد؟}

---

(1) ص 461 من كتاب فتح المجيد شـــرح كتاب التوحيد - للشـــيخ عبد الرحمن بن حســـن آل الشيخ.
(2) نفس الصفحة من المصدر السابق.
(3) ص 444 من المرجع السابق.
(4) نفس الصفحة من المرجع نفسه.
(5) ص 447 من المصدر ذاته

قال: شريح، ومسلم، وعبد الله. قال:{فمن أكبرهم}؟. قلت شريح. قال:{فأنت أبو شريح} [1]. وهكذا نجد النبى صلى الله عليه وسلم يغير كنية رجل كنى نفسه " الحكم " لأنه لفظ لا يليق إلا بالله عز وجل، ويكنيه باسم أكبر أبنائه. لتكون الكنية بعد ذلك بأكبر الأبناء.. ومثل ذلك لفظ قاضى القضاة فالتسمية به محرمة لأنه لفظ لا يتناسب إلا مع الذات الإلهية. فالتسمى به يدخل في باب الإشراك بالله تعالى.. ومما يدل على خطورة إطلاق هذا اللفظ على عبد من عباد الله عز وجل - ما ورد في كتاب فتح المجيد، من أن من النوادر في هذا المجال: " أن العز بن جماعة رأى أباه في النوم. وكان قبل وفاته يعرف بقاضى القضاة. فسأله عن حاله فقال: ما كان علىّ أضر من هذا الاسم (قاضى القضاة). فنهى ولدُه الموثقين أن يكتبوا له في الأسجال " قاضى القضاة " بل قاضى المسلمين(2).. ومن الأسماء المحرمة المعبدة لغير الله سبحانه وتعالى - ما عُبِّد لحجر ونحوه. ودليل ذلك ما رواه ابن أبي شيبة من حديث يزيد بن المقدام بن شريح عن أبيه عن جده هانئ بن شريح قال: وفد على النبى صلى الله عليه وسلم قوم فسمعهم يسمون عبد الحجر، فقال له:{ما اسمك}؟ فقال: عبد الحجر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إنما أنت عبد الله}(3). فقد غير النبى صلى الله عليه وسلم اسم هذا الرجل ليكون عبد الله بدلا من أن يُعَبَّدَ لحجر لكى يحمى صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد..

---

(1) رواه أبو داود وغيره ص 449 من كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

(2) ص 446 من المرجع السابق..

(3) ص 80 من تحفة المودود - لابن القيم.

ومن الأسماء المحرمة التي يمتنع تسمية الإنسان بها - أسماء الرب تبارك وتعالى. فلا يجوز التسمية بها: كالأحد والسيد والصمد والخالق والرازق، وسائر الأسماء المختصة به عز وجل. وعلى ذلك فلا يجوز بل يمتنع تسمية الملوك بالقاهر والطاهر، ولا بالجبار والمتكبر، ولا بالأول والآخر والباطن وعلام الغيوب.. وللدلالة على ذلك نذكرما قاله أبو داود عن مسدد بن بشر

عن المفضل عن أبي سلمة سعيد بن زيد عن أبي نضرة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: قال أبي: انطلقت مع وفد بنى عامر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: أنت سيدنا، فقال:{السيد هو الله}**، قلنا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا طوْلاً، فقال:**{قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يُجْرِيُنَّكُم الشيطان} [1]**.. وتوجيه النبى صلى الله عليه وسلم لهذا الوفد بالتعبير عما جاءوا من أجله مباشرة خير من الانسياق وراء وساوس الشيطان الذي يريد أن يفسد عليهم عقيدتهم، فيدلهم على ألفاظ بعيدة عن روح الإسلام وتعاليمه. فالتعبير بلفظ السيد لا يليق إلابالله سبحانه وتعالى. فلا يصح أن يطلق على البشر. وقد يحتج البعض بأن قوله صلى الله عليه وسلم :**{أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر} **الحديث " (2)**

---

(1) ص 88 من المصدر السابق.

(2) رواه أحمد عن أبى ســـعيد الحذرى ص 46 من كتاب مختار الأحاديث النبوية ـ للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

يتعارض مع ذلك. والحقيقة أن لفظ سيد في الحديث الشريف يعنى الإخبار عن سيادة النوع الإنسانى وفضله وليس من قبيل التسمية. فالسيادة فيه جزئية. لكن إطلاق لفظ سيد على الله تعالى فيه معنى الإطلاق والشمول. فهو سبحانه سيد الخلائق ومالك أمرهم جل جلاله(1). ويدخل في باب التحريم التسمى بها مطلقا حتى لا يستوى بها الله جل جلاله مع غيره، فيُدْخَل بها في مجال الإشراك بالله سبحانه وتعالى[2]..

وكذلك يدخل في باب التحريم أسماء القرآن وسوره، مثل: طه ويونس وحم ويس. والقول بأن يس وطه من أسماء النبى صلى الله عليه وسلم قول غير صحيح. حيث إنه لم يرد في حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل، ولا في أثر عن صحابي. وإنما هى حروف مثل: الم وحم والر ونحوها[3].

هذا وأعتذر عن الإطالة في هذا الجزء من الفصل. فقد كان لابد من إيضاح الجائز والمكروه والمحرم من الأسماء والصفات والكنى مع ذكر أمثلة لها وأدلة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يتمكن المسلمون وخصوصا من قراء هذا الفصل - من تلافى هذه الأخطاء ومحاولة تغيير مايمكن تغييره منها. وأعتقد أن باب التغيير للأسماء المخالفة مفتوح أمام الجميع بلا حدود. وخصوصا إذا لاحظنا أن هذه الأخطاء في التسمية تقع غالبا من الطوائف غير المتعلمة وغير المتفقهة. وهؤلاء لا يصعب عليهم تغيير هذه الأسماء المخالفة. والله من وراء القصد...

* * *

---

(1) ص 88 من كتاب تحفة المودود بأحكام المولود - لابن القيم مع بعض التصرف.
(2) نفس الصفحة من المرجع ذاته.
(3) 4 نفس الصفحة ونفس المرجع

الباب الخامس: تتابع اهتمام الوالدين بمولودهما في ظل الكتاب والسنة

الباب الخامس

تتابع اهتمام الوالدين بمولودهما

في ظل الكتاب **والسنة**

الباب الخامس:
تتابع اهتمام الوالدين بمولودهما
في ظل الكتاب والسنة

يظهر بوضوح قدر كبير من السعادة للمولود منذ اللحظات الأولى من ولادته، بفضل اهتمام الإسلام به وبولادته. فهو منذ هذه اللحظات يسعد بعقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين. إذ اعترف بالله عز وجل ربا وإلها واحدا للكون، بعد أن جمعه الله تعالى وأقرانه وهم كالذر، بعد أن استخرجهم من ظهر آدم وأطلعه عليهم. وشهدوا جميعا على أنفسهم لله سبحانه وتعالى وحده بالألوهية والربوبية للكون بكل ما فيه من مخلوقات. وقد ورد حديث أخذ الميثاق الذي رواه الإمام أحمد عن ابن عباس. واستدل الإمام أحمد بحديث عن أنس بن مالك فيمن أَبَى إلا الإشراك بالله سبحانه وتعالى بعد أن أخذ الميثاق[1]. وقد سبق ذكر ذلك في الباب الأول...

* * *

(1) ورد الحديثان في ص 33 من قصص الأنبياء لابن كثير - تحقيق أبى عبد الله الأنصارى - دار القلم للتراث.

الفصل الأول:

دور الوالدين في تثبيت الفطرة وتنشئة المولود عليها

وإذن فالمولود ينزل من بطن أمه للوجود الدنيوى بهذه الفطرة التي خلقه الله عليها، معترفا بربه وإلهه الواحد، وبدينه القيم، الذي تكفل بإسعاده في دنياه وآخرته كما تكفل بإسعاد المسلمين جميعا..

وفى هذا يقول ربنا العظيم: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾} [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣].. وقد اقتضت سنة الله جل شأنه في خلقه - أن يكلف الأنبياء والرسل - وآخرهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - بالمحافظة على هذه الفطرة التي ارتضاها رب الخلق للناس جميعا، دينا قيما يقيم دنياهم وآخرتهم. ويُثبتُ صحةَ ذلك وتأكيده مخاطبةُ محمد صلى الله عليه وسلم، آخر الأنبياء والرسل بهذا التكليف في حياته، ومخاطبة أمته صلى الله عليه وسلم بعد مماته إلى يوم القيامة. فيقول له رب العالمين: { فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [الروم: ٣٠]. والناس جميعا تابعون للرسل مكلفون بالمحافظة على هذه الفطرة...

فالطفل إذن مهيأ في هذه الفترة المبكرة من حياته بفطرته التي خلقه الله عليها - لتلقى الدين الحقيقى ومبادئه ومعرفة الوحدانية وتعاليم العقيدة الإسلامية السمحة، بشكل مبسط يتناسب مع عمره. ومن هنا تبرز أهمية الوالدين في هذه الفترة الهامة والخطيرة من حياة الطفل المبكرة. فتلك مسئوليتهما الكبرى، وهى تثبيت وتقوية أركان ومبادئ الإسلام في قلب الطفل، النقى الطاهر. وخصوصا أنه يتجه إلى أمه وأبيه بكل حواسه وقوته

التي وهبها الله له، بمجرد ولادته.. وتزداد مسئوليتهما نحوه وتقوى كلما تقدم في سنه. ولذا يوجه النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم الوالدين إلى هذه المسئولية الهامة ومزاولتها بكل إخلاص، في تثبيت مولودهما على دين الفطرة، الدين الإسلامى، ومبادئه الموصلة إلى السعادة في الدارين، فيقول صلى الله عليه وسلم :{كل مولود يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه. كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء. هل تحسون فيها من جدعاء}. ثم يقول أبو هريرة: واقرأوا إن شئتم:{ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾} [الروم: ٣٠][1].

وقد مر بنا أن المولود بمجرد خروجه من بطن أمه، يتلقفه أبوه أو من يقوم مقامه فيقرأ كلمات الأذان في أذنه اليمنى ويقيم الصلاة في أذنه اليسرى. ليكون أول ما حصله سمعه وأدركه حسه هو ذكر الله جل جلاله وذكر نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.. وتتوالى الاهتمامات بالمولود حسب ما ورد في سنة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم، فيحنك بتمرة أو أكثر، ويُبارَكُ فيُدْعَى له بالبركة في كل ما يخصه. وعندما يبلغ يومه السابع يُقَصُّ شَعرُه ويوزنُ ويُخرجُ بوزنه من ماله أو مال أبويه أو كافله فضة(2) توزع على الفقراء والمساكين والمحتاجين. ثم يسمى بأحسن الأسماء. ويأتي دور العقيقة وذبحها عنه إن تيسر وأمكن ذلك شرعا وقد سبق الحديث بالتفصيل عن كل ذلك. وكل هذه الاهتمامات تُدخِل جوا من البهجة والسرور والسعادة على والديه وأسرته وأقاربه، ينعكس بدوره على المولود بالمزيد من الاهتمام الإسلامى. فهناك اهتمام بمرحلة الرضاعة، واهتمام بمرحلة الطفولة واهتمام بمرحلة المراهقة والشباب، واهتمام بمرحلة الرجولة والكبر. وهو اهتمام إسلامى مشترك من القرآن الكريم، والسنة النبوية المباركة...

---

(1) رواه البخارى عن أبى هريرة. ص11من كتاب كنوز السنة - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - جمعاء: أى كاملة الخلقة - جدعاء: أى مقطوعة الأنف والأذن والمقصود أنه لا نقص فيها بأى وجه.

(2) ص69، 70 من كتاب تحفة المودود بأحكام المولود - تأليف ابن القيم الجوزية.

الفصل الثانى:
مرحلة الرضاعة

وبنزول المولود من بطن أمه تبدأ مرحلة جديدة في حياته الدنيا، كلها هناء وفرح وسعادة لوالديه. ويكون المولود في عناية الله تعالى وحفظه، ثم في رعاية أبويه.

وقد قدر الإسلام مدة الرضاعة الكاملة النافعة بعامين. وهى مدة تتكون فيها أنسجة جسم المولود، وتقوى فيها عضلاته وأجزاؤه الداخلية، وتنمو وتتكامل[1]. فينشأ المولود بذلك نشأة قوية مباركة، ويُفهم ذلك من قول الحق تبارك وتعالى:{وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾} [البقرة: ٢٣٣].. وبالنظر في معنى الآية الكريمة وتفسيراتها، يتبين لنا أن الإسلام قد اهتم بمرحلة الرضاعة ونظمها. وذلك حرصا منه على مصلحة الرضيع وأمه وأبيه. وهذا الاهتمام الإسلامى اهتمام كامل، حتى في حالة انفصال الأم عن الأب لظروف غالبة على إرادتهما، تحكمت في حياتهما في هذه الفترة.. وقد نظم القرآن الكريم العلاقة بينهما في حالة الانفصال حتى لا يضار الطفل من ناحية، ولا يضار أبوه وأمه من ناحية أخرى. فعليهما حينئذ تنفيذ ما ورد في قوله تعالى:{لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ }؛ فعلى والد الطفل في هذه الحالة نفقته ونفقة والدته المطلقة، وكسوته وكسوتها، حسب ما يجرى عليه العرف السائد في مثل هذه الظروف. على أن تكون نفقة معتدلة، لا

---

(1) ص146 بتصرف من كتاب رعاية الطفل - للدكتور أحمد خليل عبد الخالق - عضو الجمعية الطبية الملكية بلندن وأخصائى أمراض الأطفال - الطبعة الرابعة عام 1949م.

إسراف فيها ولا تقتير. وذلك حتى تتمكن الأم المطلقة من خدمة ولدها ورعايته وإرضاعه.. ولا ينبغى أن يضار الطفل بطلاق أمه، فترفض إرضاعه لتضر أباه بتربيته. إذ المعروف أن الطفل في هذه السن المبكرة يحتاج إلى أمه أكثر من حاجته إلى أبيه.. ولا يَنتَزِع الوالدُ الإبنَ من أمه ليسبب لها الإضرار، مع رغبتها في إرضاعه وأحقيتها بذلك لأنها أمه، وهو قطعة منها. وهذا معنى ما قاله مجاهد في تفسير ذلك الجزء من الآية الكريمة[1]. ويشترك مع مجاهد رضى الله عنه في ذلك آخرون منهم قتادة والضحاك والزهرى والسُّدِّيّ والثورى وابن زيد[2]..

والوارث للأب يخلف الأب في ممارسة مسئوليته تجاه الصغير وأمه بما يصب في مصلحتهما.. وإن تَشاورَ الوالدان ووجدا أن الفطام قبل انتهاء الحولين من مصلحة الرضيع في هذه الحالة واتفقا على ذلك فلا إثم عليهما إن فعلاه. فقد تكون الأم عاجزة عن إرضاع الطفل لمرض أو ضعف أو حمل أو نحو ذلك، وقد ترغب في الزواج بعد انتهاء عدتها، ولا مانع من ذلك شرعا، فلا بأس حينئذ من إيجاد مرضعة غير الأم بشرط أن يدفع لها الأب ما اتفقا عليه من الأجر. إذ أن المرضع إذا لم تكرم، فإنها لا تهتم بالطفل ولا تعتنى بإرضاعه.. والحرص على إعطاء المولود حقه الكامل في الرضاعة - يوجب على والديه أو مَنْ يحل محلهما، أن يكون رضاعه مباشرة من ثدى أمه وأن تذلل كل العقبات التي تحول دون ذلك. فللبن الأم أهمية عظيمة بالنسبة لمولودها ومن ذلك[3]: أولا: إن لبن الأم يتكون من عناصر متناسبة ملائمة لاحتياجات الرضيع في مراحل نموه المختلفة. ثانيا: إن هذا اللبن

---

(1) ص136 من القسم الأول من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

(2) ص268 من الجزء الأول من تفسير القرآن العظيم - لابن كثير.

(3) بتصرف واختصار من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور. من ص520، 521 تلخيصا من فضيلته لحديث له مع الدكتور فتحى الزيات رئيس قسم الفسيولوجيا بكلية الطب - جامعة الأزهر بهذا الخصوص.

يشتمل على المواد البروتينية اللازمة لقوة الطفل ومناعته ضد أمراض كثيرة فلا يصاب بها الرضيع. ثالثا: إن لبن الأم غير قابل للتلوث. إذ ينتقل من ثدى الأم إلى فم الطفل مباشرة. رابعا: إن الرضاعة من ثدى الأم تقوى الرباط العاطفى بين الأم وابنها الذي يرضع لبنها. مما يقوى ويسهل الاتصال النفسى بين الرضيع وأمه المرضع. خامسا: هذ الرضاعة الطبيعية من ثدى الأم تعود على الأم المرضع بفوائد عدة أهمها: أنها تعجل بعودة رحمها إلى حجمه الطبيعى. سادسا: كل هذا بالإضافة إلى مايعود على الرضيع الذي يسعد بثدى أمه من فوائد في اليومين الأولين من الرضاعة. حيث يخرج من ثديها سائل اللباء (لبن المسمار) وله فوائد هامة بالنسبة للرضيع. فمن عظيم لطف الله عز وجل بالأم ورضيعها أن يخرج من ثديها هذا السائل. ويتغذى عليه المولود في اليومين الأول والثانى من الولادة. وهو سائل أصفر، به نقط دهنية وخلايا متعددة النوايا ومحملة بالدهن. والكازينوجين به قليل جدا أو غير موجود. وكذلك يحتوى اللباء على 3% تقريبا من البروتين: البومين وجلوبيولين اللبن. كما يوجد به اللاكتوز والأملاح المعدنية[1]. وفى هذا السائل أكثر من فائدة للرضيع فهو ينشط أمعاءه ويلينها ويجعلها مناسبة لاستقبال سائر الطعام ويزوده بالأجسام المناعية ضد الأمراض. كما أنه يساعد على أن تكون عملية الإخراج عند الرضيع طبيعية.. وهكذا ندرك أن الرضاعة من ثدى الأم تفيد الرضيع وأمه من النواحى العديدة: النفسية والطبية والاقتصادية والاجتماعية والإنسانية. وكل ذلك يفيد الطفل ويجعل نموه طبيعيا[2]، وسعادته بَيِّنَةً أكيدةً.

وقد شكك بعض المتخصصين في صلاحية الأم المرضع إذا حملت. وقالوا: إن الرضاعة تضعف الأم في هذه الحالة كما تضعف رضيعها. ولكن هذا الشك ليس على إطلاقه. فقد أظهر

---

(1) ص256من كتاب علم وظائف الأعضاء - الجزء الأول للدكتور محمد طلعت والدكتور أحمد طلعت - الطبعة الثانية.

(2) ص521 من كتاب منهج السنة في الزواج بتصرف.

تحليل للبن بعض الأمهات الحوامل المرضعات لمواليدهن - أن لبنهن ليس ضعيفا كما أشيع، ولا يتغير بسبب الحمل إلا قبل الوضع بوقت قصير، حيث يتحول إلى كولسترم وأن هذا التغير يمكن ملاحظته ومنع الرضاعة في هذه الفترة المتأخرة من الحمل إذا اقتضى الأمر. كما أن إرضاع الأم الحامل لطفلها لا يضعفها، لأن هناك حالات كثيرة ترضع الأم فيها طفلها دون أن تتأثر أو تضعف نتيجة لذلك(1). وقد لاحظ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الأمر وشيوعه في بلاد فارس والروم دون أن يضر أولادهم. ومن ثم جاء قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له: إني أعزل عن امرأتي إشفاقا على ولدها أو أولادها:{لو كان ضارا ضر فارس والروم} [2] **بل أُثر عنه صلى الله عليه وسلم ما يؤكد ذلك في ما رواه مسلم عن خلف بن هشام عن مالك بن أنس عن يحيي بن يحيي عن محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة عن جدامة بنت وهب أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:**{لقد هممت أن أنهى عن الغيلة. حتى ذكرت أن الروم وفارس يفعلون ذلك فلا يضر أولادهم} [3]**.. وفى المقابل توجد حالات كثيرة تخالف ذلك فقد يتسبب الحمل في قلة واضحة في كمية لبن الأم وعدم نمو الطفل**

الرضيع. وهنا يجب البحث عن مرضع أخرى للطفل أو تغذيته بلبن حيوانى ونقول في مثل هذه الحالة من الممكن مراقبة الأم التي ترضع وهى حامل. فإذا لوحظ أن ضعفها يتزايد بالإرضاع وتتعب في ممارستها الرضاعة فهنا يجب إيقافها عن الرضاعة. ومن جهة أخرى قد تتعرض الحامل التي ترضع ولدها للإجهاض بسبب الحمل. فإذا لاحظ طبيبها احتمال حدوث الإجهاض عليها بظهور علامات مبكرة تدل على ذلك - فإنه يمنعها من إرضاع

---

(1) ص148 بتصرف من كتاب رعاية الطفل للدكتور أحمد خليل عبد الخالق - عضو الجمعية الطبية الملكية بلندن وأخصائى أمراض الأطفال - الطبعة الرابعة عام 1949م.

(2) رواه مسلم عن أسامة بن زيد وعن جدامة بنت وهب ص515 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(3) صحيح مسلم - الطبعة المميزة ص 693. الغيلة إرضاع الأم لطفلها وهى حامل.

وليدها من بداية الحمل[1].. وبصفة عامة تتأثر صلاحية لبن الأم المرضع بعوامل خمسة نذكرها بإيجاز[2]:

أولا: إذا أصيبت الأم المرضع بمرض حاد معد كالتيفود أو الحصبة أو الالتهاب الرئوي أو الجدري أو غيرها من الأمراض المعدية فيجب أن تتوقف عن إرضاع طفلها فوراً. ثانيا: وإذا أصيبت بمرض معد بسيط كالزكام أو الإنفلونزا البسيطة أو التهاب اللوزتين البسيط تؤخذ لها الاحتياطات اللازمة لعدم انتقال العدوي إلى الرضيع. ولا تمنع من إرضاع ولدها إلا إذا أصيب الطفل بعارض كالقئ أو الإسهال. وكذلك الأمر إذا انتقلت العدوي من الأم المرضع المصابة بمرض خفيف إلى طفلها الرضيع فلا يمنع من الرضاعة مع أخذ الاحتياطات السابقة. ثالثا: إذا وضعت الأم ثم أصابها مرض معد يصعب أو يطول علاجه عقب الوضع كالزهري أو السل فإنها تمنع من إرضاع ولدها. وإذا انتقلت العدوي منها إلى الطفل الرضيع، تمنع أي مرضعة أخري من إرضاعه حتى لاتنتقل العدوي إليها. ويجب أن يخضع الطفل في هذه الحالة إلى الاختبار والملاحظة لمدة خمسين يوما. فإذا ثبت بعدها خلوه من المرض يسمح لمرضعة أخري بإرضاعه. رابعا: إذا أصيبت الأم المرضع بأمراض غير معدية كعسر الهضم أو النزلة أو الإسهال البسيط - توقف الرضاعة. وكذلك إذا أصيبت بالصفرة، فأفرزت المرارة في

اللبن بحيث ينفر الطفل من الرضاعة، يمنع الطفل حينئذ من الرضاعة. خامسا: إذا ظهر على الأم المرضع مرض منهك يتسبب في عدم قدرتها على الرضاعة كالأمراض الناهكة والحالات النفسية والعصبية وأمراض الثدي يجب حينئذ إيقاف الرضاعة وإفراغ اللبن من الثدي حتى يستمر في إفراز اللبن فلا يتحول إلى كولستروم ونزيد على ذلك أنه إذا أصيبت

---

(1) بتصرف واختصار من كتاب رعاية الطفل للدكتور أحمد خليل عبد الخالق.

(2) بتصرف واختصار من ص150إلى ص152 من كتاب رعاية الطفل للدكتور أحمد خليل عبد الخالق عضـو الجمعية الطبية الملكية بلندن وأخصـائى أمراض الأطفال ـ الطبعة الرابعة عام 1949م.

الأم المرضع بأمراض معينة كالحمي القرمزية والحمي التيفوسية والحمرة عند الولادة - فإنها تمنع من إرضاع وليدها حيث يصبح اللبن سما يعرض حياة الوليد للخطر[1]....

ولكل هذه الأعراض السلبية وإمكان حدوثها واستعداد الأم الحامل للإصابة بها حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من الغيل، وقال فيه حديثه الشريف:{لاتقتلوا أولادكم سرا} وسيأتي شرحه وتوضيحه..

وحتي تنمو وتكتمل العلاقة الوطيدة بين لبن الأم وطفلها وتؤتي ثمارها يرشدنا الإسلام إلى أمر في غاية الأهمية. فإذا كانت الأم هي العامل الأساسي في نجاح عملية الرضاعة للمولود - فإن دورا هاما ينتظر الأب؛ ليتم نجاح هذه العملية. ولا شك أن الأب يكون متشوقا ومتلهفا إلى لقاء جنسي مع زوجته المرضع بعد أن حُرم من ذلك عقب الولادة وحتي انتهاء فترة النفاس. والزوج الواعي المقدر للمسئولية يضع نصب عينيه دائما ما حذر منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الغيل.. والغيل أن يجامع الرجل زوجته وهي ترضع، أي في فترة إرضاعها لوليدها. أو أن ترضع وهي حامل، على خلاف بين العلماء والمتخصصين في الرضاعة مع الحمل[2].

وقد يكون هناك خطورة على الرضيع وأمه الحامل المرضع في كلتا الحالتين وعلى الأخص في حالة الرضيع إذا حملت أمه المرضعة له. وقد عبر النبى صلى الله عليه وسلم عن هذه الخطورة؛ فأعلن كراهيته لهذه الممارسة في حديثين شريفين ففى الحديث الأول وصفها صلى الله عليه وسلم بأنها قتل سرى للمولود. ويعنى صلى الله عليه وسلم بذلك الضعف والهزال الذي قد ينشأعن الرضاعة في حالة الحمل ويستمر مع الطفل في كل مراحل عمره

---

(1) ص44بتصرف من كتاب درر الأقوال لوقاية الأطفال في الصحة والمرض للدكتور جورج عز قنتجى - الطبعة الثانية 1926م. الحمرة: احمرار الوجه من شـــدة الانفعال. وفيه زيادة لضغط الدم.

(2) ص506 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

وخصوصا في فترة الشباب. فيقول صلى الله عليه وسلم :{لا تقتلوا أولادكم سرا، فو الذي نفسى بيده إن الغيل ليدرك الفارس على ظهر فرسه حتى يصرعه} (1). وقد ورد في رواية الإمام أحمد في مسنده بلفظ:{فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره من فوق رأسه} (2).. وفى الحديث الثانى يصف النبى صلى الله عليه وسلم الغيل بأنه فساد للطفل ويضعه بين عشرة خلال مكروهة وقد عبر عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن هذا الحديث الشريف الثانى بقوله: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره عشر خلال: تختم بالذهب، وجر الإزار، والصفرة - يعنى الخَلوق، وتغيير الشيب. قال جرير: يعنى بذلك نتفه، وعزل الماء عن محله، والرُّقَى إلا بالمعوذات، وفساد الصبى غير مُحَرِّمِه، وعقد التمائم، والتبرج بالزينة لغير محلها، والضرب بالكعاب(3)..

فالغيل تعبير يطلق مجازًا على أثر اللبن الفاسد أو غير المفيد الذي يضعف الجسم ويقلب المزاج، ويظل مع المرء إلى أن يصير رجلاً فإذا أراد مقارعة أقرانه ضعف وانهزم بسبب ذلك (4). ومن أجل ذلك نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن مجامعة الزوج للزوجة في زمن إرضاعها لوليدها، حتى لا ينتج عن ذلك حمل يضيف عبئا جديدا ويؤدى إلى الفساد للوليد ولو مستقبلا.. ويؤيد ذلك ما أثبتته التجربة الطبية التي مارسها بعض الأطباء، من

---

(1) رواه ابن ماجة وأبو داود وابن القيم وأحمد في مسنده عن أسماء بنت يزيد التي سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ص506 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2) مسند الإمام أحمد16/221من الفتح الربانى 506 من كتاب منهج السنة في الزواج - يدعثره: أى يسقطه.

(3) ص506 من كتاب منهج السنة في الزواج - جر الإزار: ملامسة ما يلبسه حول وسطه للأرض فيجره حين يمشى وهويعنى التكبر في المشية - الخلوق: نوع من الطيب أغلبه من الزعفران - عزل الماء: يعنى عدم توصيل المنى إلى الرحم - عقد التمائم: تعليق الأحجبة - الكعاب: العظم الذي يلعب به.

(4) ص506 من كتاب منهج السنة في الزواج ببعض التصرف.

أن " هرمونات البروجسترونات والاستروجينات " الخاصة بالجنس والحمل تزداد أثناء الحمل؛ فيوجد تغير نوعى في تركيب لبن الأم، فتقل فيه نسبة المواد الدهنية والبروتينية عن الحد الطبيعى، مما يضعف نوعية اللبن ويقلل كميته - وربما بشكل ملحوظ - نتيجة تواجد هرمونات مانعة من الإفراز. وذلك يعرض الطفل الرضيع للإصابة بالأمراض والنزلات المعوية. حيث يمنع من الرضاعة وتعطى له أغذية مكملة للبن الأم(1)..: فنَهْىُ الشريعة الإسلامية عن جماع الأم المرضعة كان بسبب الخوف من أن تحمل، لما للحمل في هذه الحالة من عواقب قد تكون خطيرة على الأم ورضيعها.. فإذا أمكن تجنب الحمل بطريقة العزل الذي كان مباحا مع كراهته - أو بأى طريقة أخرى من الطرق الحديثة كتناول الأقراص أو الحقن أو غيرها من الطرق فلا بأس من الجماع في هذه الحالة.. ويزيد الإمام الدهلوى الأمر وضوحا فيقول في شرح المشكاة: " الظاهر أن الجماع في حال الرضاع غير مضر. لأنه يغيل المرأة فيزيد لبنها، أما الحمل فمضر؛ لأنه ينقص اللبن ويجففه. ولو نهى عن الجماع لكان لخوف الحمل " (2). وهكذا يكون العزل مباحا مع كراهته للتخفيف عن الرضيع وأمه وإنقاذهما من أمراض وأضرار خطيرة قد تتحقق نتيجة الحمل مع الرضاع. ويدخل في العزل استعمال إحدى الوسائل الحديثة، في تنظيم النسل؛ لإعفاء الأم ورضيعها من الخطر المتربص بهما. ومن المعروف أن الضرورات تبيح المحظورات. مع ملاحظة أن العزل عن الحرة لا يكون إلابإذنها. فقد أخبر عمر رضى الله عنه عن نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يُعْزَلَ عن الحرة إلا بإذنها[3]. وهو في غير هذا الموضع مباح مع كراهته كما سبق توضيحه.

---

(1) بتصرف من كتاب الغدد الصماء للدكتور فتحى الزيات رئيس قسم الفسيولوجيا بكلية الطب - جامعة الأزهر عام 1971. واقرأ ص507 من كتاب منهج السنة في الزواج.

(2) ص508 من نفس المصدر. يغيل المرأة: يجعلها تقبل على الرضاع فيزيد لبنها.

(3) ص510 من المصدر نفسه.

وقد زعمت اليهود أن العزل يقطع النسل أصلا. وقالوا: إنه الموءودة الصغرى. لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبهم. فعن جابر بن عبد الله قال: قلنا يا رسول الله.. إنا كنا نعزل، فزعمت اليهود أنه الموءودة الصغرى. فقال:{كذبت اليهود. إن الله إذا أراد أن يَخلقه لم يُمْنَعْهُ} [1].. ويزيد علىّ بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه - هذا الأمر وضوحا فيما رواه ابن القيم عن أبي يعلى بإسناده عن عبيد بن رفاعة عن أبيه: " جلس إلى عمر علىّ والزبير وسعد رضى الله عنهم في نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذاكروا العزل، فقالوا: لابأس به. فقال رجل: إنهم يزعمون أنها الموءودة الصغرى. فقال علىّ رضى الله عنه. لا تكون موءودة حتى تمر عليها التارات السبع، حتى تكون من سلالة من طين، ثم تكون نطفة، ثم تكون علقة، ثم تكون مضغة، ثم تكون عظاما، ثم تكون لحما، ثم تكون خلقا آخر، فقال عمر رضى الله عنه: صدقت.. أطال الله بقاءك " [2]..

وإذن فلا داعى للخوف إذا كانت هناك ضرورة شرعية للعزل، ولم يستطع الزوج أن يصبر عن زوجته المرضع حتى تكمل إرضاع وليدهما في المدة المسموح بها شرعا. فجماع الزوجة المرضع مباح في هذه الحالة. وإن كان الأوْلى هو الصبر حتى تنتهى فترة الرضاع، وتكون الأم المرضع قد استعادت عافيتها من آثار الولادة والنفاس والرضاع.. ومن ناحية أخرى يجب على الزوج المسلم أن يؤمن بقضاء الله وقدره مع هذه الإباحة فإذا قدّر الله سبحانه أن تنجب المرأة مع العزل - فإن مشيئته عز وجل ستنفذ لا محالة. وفى هذا السياق

---

(1) ص511 من نفس المصدر.
(2) انظر زاد المعاد لابن القيم4/18والإحياء للغزالى 2/54والسنن الكبرى للبيهقى 7/230. وانظر كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور ص511.

يروى عن جابر رضى الله عنه: أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: " إن لى جارية هى خادمتنا وسانيتنا في النخل وأنا أطوف عليها وأكره أن تحمل، فقال:{اعزل عنها إن شئت، فإنه سيأتيها ما قدر لها} فلبث الرجل. ثم أتاه فقال: إن الجارية قد حبلت. فقال: {قد أخبرتك أنها سيأتيها ما قدر لها} (1).. وروى أسامة بن زيد أن رجلا جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: إنى أعزل عن امرأتى. فقال له:{لِمَ تَفعلُ ذلك؟} فقال له الرجل: أشفق على ولدها - أو أولادها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{لو كان ذلك ضارا، ضر فارس والروم}(2) وقال زهير بن حرب في روايته لهذا الحديث:{إن كان لذلك فلا. ما ضار ذلك فارس ولا الروم} (3). وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم ذلك، بعد أن تأكد من أن فارس والروم لا يعزلون ولا يضر الحمل أولادهم.. وفى مواقف أخرى نجده صلى الله عليه وسلم كره العزل وربط هذه الكراهة كذلك بقضاء الله وقدره. فعن ابن أبي نجيح عن مجاهد، عن قزعة، عن أبي سعيد الخدرى قال: ذكر العزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:{لِمَ يفعل ذلك أحدُكم؟} - ولم يقل: لا يفعل ذلك أحدكم -{فإنه ليست نفس مخلوقة إلا الله خالقها} (4).. ومعنى ذلك أن العزل وعدمه سواء، ما دام قضاء الله وقدره نافذ لا محالة. فقد يقضى بالإنجاب، وقد لا يقضى به. فالمهم في هذا الأمر هو الرضى بقضاء الله عز وجل. وإذا تجنب المؤمن الجانب الربانى المتمثل في القدر، بقصد

---

(1) رواه مسلم في الطبعة المميزة ص692 عن أحمد بن عبد الله بن يونس عن زهير عن أبى الزبير عن جابر - سانية النخل: ساقيته وراعيته.

(2) ص694من صحيح مسلم الطبعة المميزة.

(3) نفس الصفحة من المرجع السابق.

(4) رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى في الطبعة المميزة الصفحة 691، الصفحة 692.

التهرب من الإنجاب - فإن قصده في هذه الحالة يجرى مجرى الوأد. وهو ما عناه النبى صلى الله عليه وسلم حين سئل عن العزل في رواية جدامة بنت وهب الأسدية فقال:{ذلك الوأد الخفى} [1] وهى{وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ} [التكوير: ٨ - ٩] وذكر الآية هنا ليس جزءا من الحديث الشريف وإنما هو زيادة ذكرها الشيخ عبيد الله عن شيخه المقرئ(2).. أما إذا كان هناك خطر في

الإنجاب على الأم أو رضيعها أو أولادها وبناتها الآخرين، فإن منع الحمل في هذه الحالة لا يعد وأدا كما سبق توضيحه. فقد رأى فريق من علماء الطب والنفس والاجتماع وخصوصا علم نفس النمو - أن ضررًا ما يلحقُ بالرضيع من جراء حمل جديد. وبذلك يلتقى هؤلاء العلماء مع علماء الشريعة الإسلامية في وجوب حماية الطفل الناشئ من الطفل القادم وكذلك حماية أمه حتى ترضعه بسلام، ويبتعد عنها خطر احتمال الإصابة بأمراض القلب والكلية لزيادة العبء عليها بسبب الحمل، وكذلك احتمال ترهل عضلات بطنها وثدييها بتكرار الحمل.. وليكن معلومًا أن امتناع الأم عن الحمل نهائيًا أو لمدة طويلة يعرضها للإصابة بالأمراض العصبية والنفسية لعدم تمتعها بوظيفتها الفطرية، وتعرض رحمها للأورام الليمفاوية وما يترتب على ذلك من نزيف وخطورة على حياة الأم (3)... وقد قدر علماء الطب والتوليد والأجنة أن المدة المثالية بين الحمل والآخر، هى المدة التي يستكمل الطفل فيها رضاعه وفطامه من أمه وتعود الأم فيها إلى طبيعتها وصحتها بعد الضعف والهزال..

---

(1) نفس المرجع ص694.
(2) 16/10، 17من النووى. نفس الصفحة694 من المرجع السابق.
(3) بتصرف من 522، 523 من كتاب منهج السنة في الزواج.

ولمعاناة الزوجة في الحمل والرضاعة يحفظ الإسلام للأم هذا الفضل، من الله تبارك وتعالي. ولهذا يبشرها الإسلام بالأجر الكريم والفضل الكبير الذي يشجعها على مواصلة بذل الجهد والمشقة بنفس راضية سعيدة. فمشقة الرضاعة لها من هذه الزاوية ما يقابلها من الأجر والثواب والتكريم من الله جل جلاله. وفي هذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم موجها حديثه الشريف إلى سلامة حاضنة ولده إبراهيم:{أما ترضي إحداكن أنها إذا كانت حاملا من زوجها وهو عنها راض - أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله؟. وإذا أصابها الطلق، لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفي لها من قرةأعين. فإذا وضعت لم يخرج من لبنها جرعة، ولم يُمص من ثديها مصة إلا كان لها بكل جرعة حسنة وبكل مصة حسنة. فإن أسهرها ليلة، كان لها مثل أجر سبعين رقبة تعتقهم في سبيل الله. سلامة: أتدرين من أعني بهذا؟ المتنعمات الصالحات المطيعات لأزواجهن اللائي لا يكفُرن العشير} (1).. وفيما ورد بشأن سلامة رواية تنبئ عن سبب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليها أورده ابن الأثير: فقد جاءت سلامة حاضنة إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله إنك تبشر الرجال بكل شئ، ولا تبشر النساء. فقال:{أصويحباتك دسسنك لهذا}؟ قالت: أجل هن أمرنني. فقال:{ألا ترضي إحداكن إذا كانت حاملا من زوجها - وهو راض - أن لها مثل أجر الصائم القائم في سبيل الله عز وجل، وإذا أصابها الطلق لم يعلم أهل السماء والأرض ما أخفي لها من قرة أعين} (2) الحديث.

---

(1) رواه الطبرانى في الأوسط وابن عساكر - لا يكفرن العشير: لا يجحدن وينكرن عمله الصالح من أجلهن.

(2) أسد الغابة لابن الأثير 7/144ص141، 142من كتاب أهداف الأسرة في الإسلام - للأستاذ حسين محمد يوسف - دار الاعتصام عام1977م.

ويقول الحبيب المصطفي صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن كذلك:{المرأة إذا حملت كان لها أجر الصائم القائم المخبت المجاهد في سبيل الله. وإذا ضربها الطلق فلا تدري الخلائق ما لها من الأجر. فإذا وضعت كان لها بكل مصة أو رضعة أجر نَفْس تحييها. فإذا فطمت ضرب الملك على منكبيها وقال استأنفي العمل} (1)..

ويقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم أيضا في هذا الأمر:{المرأة في حملها إلى وضعها إلى فصالها - كالمرابط في سبيل الله. وإن ماتت فيما بين ذلك فلها أجر شهيد} [2].

وهكذا يتضح لكل أم مرضع لوليدها أهمية هذا الرضاع بالنسبة لها. فلها الأجر والثواب العظيم من الله يوم القيامة. ولها السعادة والهناء والبركة في العيش مع وليدها وزوجها في دنياها. فهنيئا لها في دنياها وأخراها وخصوصا إذا كان زوجها راض عنها...

ومن المهم أن نشير إلى أمر هام متصل بالرضاعة فالإسلام يدعو إلى التكاثر، كما عرفنا من سياق الأحاديث الشريفة سابقًا، لكن المقصود بالتكاثر من وجهة النظر الإسلامية أنه التكاثر المفيد، وهو الذي ينتج نسلاً قويًا يتفاعل مع المجتمع بقوة وحيوية ونشاط لتقوية الأسرة والمجتمع والنهوض بهما إلى التقدم والرفاهية، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وإن كان كلاهما خير من الكافر والمنافق، فهذا النسل القوي المتكاثر يجب أن يرفع مستوى دخل الفرد والأسرة والمجتمع الإسلامي، بحيث يحس الفرد بسعة العيش وأمن الحياة، نتيجة للعمل والإنتاج المثمر في جميع مجالات الحياة،

---

(1) رواه أبو الشيخ عن عبد الرحمن بن عوف - المخبت: الخاشع المتواضع - تحييها: أى كأنها أمدت نفسا بالحياة. ص143 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - لعبد العزيز الشناوى.

(2) رواه الطبرانى في الكبير عن ابن عمر - نفس الصفحة من المرجع السابق.

وعندئذ تكون الكثرة محمودة، وهي تختلف عن الكثرة المذمومة التي نهى عنها الإسلام، وعبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى:{ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا } [الحديد: ٢٠] الآية وفى قوله تعالى:{ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ } [المائدة: ١٠٠] الآية، فالقليل الطيب أفضل من الكثير الخبيث، والطيب نافع قوى، والخبيث ضار ضعيف.. وفى السنة النبوية الكريمة ما يؤدى إلى نفس المعنى. ويكفينا هنا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما

تداعى الأكلة على قصعتها} قالوا: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال:{لا أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل} (1) وغثاء السيل هو ما تتقاذفه الأمواج القوية من الزبد ومن أوراق الشجر ونحوهما مما لا فائدة منه... فالكثرة النافعة التي تتمتع بقوة بنيانها ونشأتها وأخلاقها - تكون طيبة مطمئنة مؤهلة لخلافة آدم عليه السلام في الأرض، ولمباهاة النبي الكريم بها غيره من الرسل والأمم يوم القيامة، بعكس الكثرة الضعيفة، وبالتالي تكون عبئًا ثقيلاً على المجتمع الإسلامي في حياتها الدنيوية؛ فهي منخفضة المستوي في الصحة والذكاء والعلم والإنتاج والخلق الكريم والسلوك السوي، وذلك يؤدي إلى انتكاسة خطيرة للأمة في دنياها وآخرتها، ولذلك نجد النبى صلى الله عليه وسلم قد كره وطء المرضع حتى لا تحمل وتنجب ذرية ضعيفة على النحو الذي ذكرناه، فتكون كثرة مذمومة، ويصبح العدول عن إنجابها واجب قومي[2]..

---

(1) رواه أبو داود الطيالسي في منهجه عن ثوبان 4/133 ص504 من كتاب من منهج السنة في الزواج للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2) باختصار وتصرف من 503 إلى 505 من منهج السنة في الزواج - للدكتور/ الأحمدى أبو النور.

ولا يخفي على المسلم والمسلمة أنه عند الرغبة في حمل جديد تشترط الشريعة الإسلامية القدرة المادية التي يتطلبها الحمل الجديد، وتربية المولود بعد ولادته، ورعايته رعاية كاملة، تماما كما تشترط القدرة المالية والمادية على نفقات الزواج قبل البدء فيه، فكما أوجب الإسلام توافر الباءة للزواج بقوله صلى الله عليه وسلم :{يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء} (1) - كذلك أوجب الإسلام توافر الباءة للإنجاب. ويتضح ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم :{كفي بالمرء إثما أن يضيع من يقوت}[2]. فعلي من يرغب في الإنجاب للذرية القوية أن يُعِدَّ لَهُ العُدة الكاملة أولا حتى لا ينجب ذرية ضعيفة تضعف أسرته وتضعف مجتمعه، وأيضا حتى لا يؤاخذ على تقصيره في الدنيا والآخرة...

* * *

(1) رواه الجماعة عن مختار الأحاديث النبوية 160.

(2) مسند أحمد 81/11 المعارف بإسناد صحيح وأورده الطيالسى - والحاكم وسنن البيهقى - نص الحديث ص25 من منهج السنة في الزواج.

الفصل الثالث:

مرحلة الطفولة وإسعاد الوالدين لطفلهما

تلك مرحلة هامة من مراحل نمو الطفل. ولكى يسهل تناولها، نقسمها إلى قسمين، ويبدأ القسم الأول مع بداية العام الأول لحياة الطفل، إلى أن يصير عمره ست سنوات. ويبدأ القسم الثانى من بداية دخوله المدرسة الابتدائية إلى أن يحصل منها على الشهادة الابتدائية.

ومع بداية القسم الأول من هذه المرحلة، تستمر الأم في إدخال السعادة على طفلها، والاهتمام به، وبكل ما يلزمه من وسائل النمو الطبيعى.. فهى تهتم بصحته في المقام الأول، وبكافة أحواله بصفة عامة. وهى تحتضنه بعد فطامه، وبعد أن عودته على الأكل المفيد المنظم الصحى، تحت إشرافها وإشراف أبيه، وإشراف طبيب مختص إذا اقتضى الأمر؛ لمتابعة حالته الصحية العامة.. لكن اهتمام الأم في هذه المرحلة بطفلها - ليس مقصورا على الغذاء البدنى المادى. فالغذاء الروحى أيضا على غاية كبرى من الأهمية في هذه الفترة. فالواجب على الأم أن تزود طفلها وتجمله في هذه السن المبكرة وبالتدريج - حسب احتياجاته في النمو - بالمعانى السامية. فهى تعلمه الأبوة كما تعلمه الأمومة؛ فكما تكثر له من ذكر كلمة " ماما "، تكثر له أيضا من ذكر كلمة " بابا ". وعليها أن تجعله يتعلق بأبيه كما تجعله يتعلق بأمه، وأن يرضى أن يقبله أبوه وينعم بأحضانه، كما يرضى أن تقبله أمه وتنعم بأحضانه. وعليها كذلك أن تعرف طفلها بأقارب أبيه كما تعرفه بأقارب أمه؛ فيتعلم منها كلمة " عمو " كما يتعلم منها كلمة " خالو ".. ومن الواجب على الأم أيضا أن تعلم طفلها - وبمساعدة أبيه - بعض القيم الروحية، والمبادئ الأخلاقية، في جرعة مناسبة لسنه الصغير. فيتعلم منها الخير والشر، والحسن والقبيح، والنافع والضار. وذلك عندما يتخطى النصف الأول من العام الثانى. إذ يتعلم بالإضافة إلى ذلك - الحلال والحرام بأسلوب سهل مختصر. فكلمة. " كخ " يمكن أن تشمل في نظر الطفل في هذه السن: الشر والقبيح والضار والحرام، وكلمة " حلو " أو " جميل " تعنى في نظره: الخير والحسن والنافع والحلال. وكلمة " أُف " تعنى عنده كل ما هو منفر أو قذر وغير محتمل. وتكبر هذه الرموز في

نظره وتتعاظم كلما تقدم في السن..

وهكذا ينبغي على الأم أو من يحل محلها - كالمربية أو المعلمة - أن تغرس في نفس طفلها - أو طفلتها - حب الخير وبغض الشر قبل كل شيء [1].

واستكمالا لدور الأم في المرحلة الأولى من حياة الطفل، يجب عليها - بمساعدة الأب أن تعرفه بما حوله من الأشياء المحيطة به، والأشياء التي يمر بها وتمر به. والعبء الأكبر في ذلك الجهد يقع على الأم نظرا لارتباط الطفل بها في هذه المرحلة أكثر من الأب. والأب يسهم في هذا الدور بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حسب مقتضيات الأحوال..

والعادات التي تتكون في زمن الطفولة - يكون لها تأثير فعال في مستقبل الطفل. فلنعوده إذن على كل ما من شأنه اتباع النظام، والطاعة والمواظبة، والنظافة، والتأدب، فيما بينه وبين إخوته، ومع والديه ومع كل من يعيش معهم[2].

ولأقوال الأم وأفعالها تأثير كبير في نفس الطفل. وقد يتنقل معه هذا التأثير طوال طفولته، بل قد يظل معه طوال حياته[3]. وعلى سبيل المثال. يجب على الأم ألا تشعر طفلها بأن الظلام مخيف. حتى لا يسيطر عليه الرعب إذا دخل مكانا مظلما، أو انقطع النور من حوله فجأة فيظل ذلك معه حتى كبره بل ربما طوال حياته.. وقد يميل الطفل إلى العناد. وعلى الأم في هذه الحالة ألا تشجعه على ذلك، وكذلك الأب؛ حتى لا يزداد ذلك العناد وينمو عنده ويصبح عادة لا يستطيع بسهولة التخلص منها. ويتجلى ذلك عند الطفل في صورة بعض السلوكيات، كرفضه مثلا نوعا من الطعام. وهنا يجب ألا تلح عليه الأم ليتناوله حتى لا يلجأ إلى العناد ويمتنع عن تناول هذا الطعام فتتأثر بذلك صحته. بل على

---

(1) بتصرف من ص 345 من كتاب تربية الطفل تأليف مبِل بِك. رئيسة إصلاحية البنات.
(2) بتصرف من ص346، ص347 من المرجع السابق.
(3) بتصرف من ص140 من كتاب رعاية الأم والعناية بالطفل في الصحة والمرض - للدكتور زكى شعبان، والدكتور إبراهيم مجدى، والدكتور إسماعيل صبرى - الطبعة الثالثة.

الأم أن تعرضه عليه مرة أخرى أو مرات حتى يتعود عليه.. وكأن يلجأ الطفل إلى العناد إذا ضغطت عليه الأم أو الأب حتى يذاكر أو يدرس وهنا أيضا يجب ألا تضغط عليه أمه أو أبوه حتى يذاكر لأن عناده في هذه الحالة قد يؤدى إلى تأخره في الدراسة. بل عليهما في هذه الحالة أن يحببا إليه المذاكرة والاطلاع والدراسة دون ضغط[1]..

وهناك اعتقاد خاطئ بأن الطفل غير القادر على الكلام في هذه الفترة - يكون محدود الإدراك، قليل الفهم، ويمكن التأثير عليه بسهولة. ولكن الواقع يؤكد أن قدرة الطفل على الفهم في هذه الحالة - تفوق كثيرا قدرته على الكلام[2]. وإذن فيجب معاملة هذا الطفل على هذا الأساس المؤكد. فهو يحتاج في هذه الحالة إلى التعامل معه بصدق في كل المواقف التي يمر بها وتمر به؛ فإذا عرضته أمه على الطبيب مثلا فلتخبره بأنه طبيب ولا تقول له إنه " عمو " ظنا منها أنه سوف يخاف أو يمتنع عن الدخول إلى الطبيب. وذلك حتى لا يعتقد الطفل بعد ذلك أن أمه تكذب عليه فلا يأخذ كلامها وتعليماتها وتوجيهاتها له مأخذ الجد. وفى هذا الإطار يجب على الأم - أو الأب - إذا عاقبت طفلها - بأى عقاب لتقصيره في موقف ما - أن تخبره بسبب وقوع هذا العقاب عليه، حتى لا يشعر بظلم من أمه أوأبيه، فتتأزم العلاقة بينه وبينهما... ومن ناحية أخرى يلاحظ أن الإسراف أو تكرار المكافأة من الأب أو الأم للطفل على قوله أو فعله الصحيح تجعل الطفل ينتظر في كل مرة أن يأخذ المكافأة. فتتحول المكافأة في نظره إلى رشوة يقول من أجلها القول الصحيح أو يفعل الفعل الصحيح؛ وبدونها لا يقول ولا يفعل الصحيح. وبذلك تفسد أخلاقه، تماما كتكرار الضرب على شيء خاطئ يفعله أو قول خاطئ يقوله - فإنه يخطئ مرارا ويتوقع الضرب ويقبله.

---

(1) ص140 بتصرف من كتاب رعاية الأم والعناية بالطفل في الصحة والمرض - الطبعة الثالثة للدكاترة: زكى شعبان وإبراهيم مجدى وإسماعيل صبرى.

(2) ص141 بتصرف من كتاب رعاية الأم والعناية بالطفل في الصحة والمرض - الطبعة الثالثة للدكاترة: زكى شعبان وإبراهيم مجدى وإسماعيل صبرى.

وذلك يجعله غير عابئ بقول أو فعل الصواب، ويكون بذلك عرضة للفساد الخلقى[1]..
وهذا الاهتمام الشديد بسلوكيات الطفل المختلفة يبدأ من سن الثالثة. وهنا يجب على الأم - وكذلك الأب - أن تراقب طفلها منذ صغره. وتنهاه عن السلوك غير الحسن. فالطفل يفهم من نظرات أمه وأبيه، ومن كلامهما رضاهما أو غضبهما من قوله أو فعله(2). وجدير بالذكر أنه لا يجب على الأم أو الأب معاقبة طفلهما إذا أخطأ أول مرة. بل عليهما إرشاده مرارا إلى الفعل الصحيح أو القول الصحيح حتى يتعود عليه. فإذا استمر الطفل في خطئه ولم يستمع إلى إرشاد أمه وأبيه - فهنا يجب أن يعاقب، ولكن بغير الضرب؛ فالعقاب المعنوى أفضل من العقاب المادى، وله أوجه كثيرة، كحرمانه من الفسحة مع والديه أو منع المصروف عنه في يوم خطئه.. وإذا لجأ الطفل إلى البكاء كحيلة يحتال بها على أمه أو أبيه للإفلات من العقاب أو لإجبار أمه أو أبيه على العمل برأيه - فيجب أن يقاوم هذا السلوك عنده حتى لا يتعود عليه، فلا يكف عن البكاء مثلا إلا بعد مصالحته أو تحقيق رغبته. ومقاومة والديه تكون بغير سخرية منه حتى لا يزيد هياجه وعناده فإذا أصر فليعاقب بحرمانه من اللعب أو لبس الملابس الجديدة مثلا لفترة من الزمن[3].
ولكل ما مر نقول: إن الأم يجب أن تُعَدُّ إعدادا كافيا لهذه المهمة الصعبة لتكون تصرفاتها صحيحة في الأوقات الحرجة من سلوكيات طفلها. وإذا كنا نركز على الأم في هذه المرحلة لملازمة الطفل لها في هذه الفترة - فإن الأب ليس ببعيد عن هذه المسئولية. لكن العبء الأكبر فيها يقع على عاتق الأم كما وضحنا. وذلك حتى تستطيع حمايته من الأخطار المحيطة به، ومن السلوكيات الخاطئة التي ينجرف إليها كثير من الأطفال، في غياب من

---

(1) بتصرف وإختصار من المرجع السابق ص 142.
(2) بتصـــرف من ص318من كتـاب رعايـة الطفل للـدكتور أحمـد خليل عبـد الخـالق - الطبعة الرابعة.
(3) بتصرف واختصار من ص319، 320 من المصدر السابق.

يرشدهم سواء في البيت أو المدرسة أو الشارع. فلكل مقام من هذه المقامات المشار إليها إرشادات وآداب ينبغى العمل بها حتى يخرج الطفل من هذه المرحلة صبيا سويا وشابا متزنا في أقواله وأفعاله وكافة سلوكياته. ومن هنا نبه المفكرون والمرشدون المختصون بهذه المرحلة إلى هذا الدور الهام والحيوى الذي تمارسه الأم في هذه الفترة لإعداد طفلها وتوجيهه للمراحل المقبلة من حياته.. وقد أشاد المفكرون والشعراء بالأم المُعدَّة لهذه المهمة الجليلة. فها هو شوقى على سبيل المثال يقول في ذلك:

الأم مدرسة إذا أعددتها ::: أعددت شعبا طيب الأعراق...

وقد تكون ثقافة الأم متواضعة. ودرايتها غير كافية بهذه المهمات الصعبة التي تقع على عاتقها. فالطفل في هذه السن يحتاج إلى طب نفسى وإلى توجيهات اجتماعية وعلمية واقتصادية وفنية ورياضية[1]. وقد لا تحيط الأم بكل هذه الثقافات. وهنا يفضل أن تكون مجيدة للقراءة ومحبة لها؛ لتقرأ في كل هذه المجالات وتفيد طفلها. وعليها أن تسأل ذوى الاختصاص في المجالات المختلفة إذا غمض عليها شيء في أى مجال من المجالات المذكورة. ولهذا سبق أن قلنا إنها لابد أن تكون على قدر من التعليم يمكنها من معرفة ما خفى عليها من هذه المجالات.. وإلا وجب عليها أن تلجأ إلى مربية أو معلمة ومؤدِّبة تكون ملمة بهذه المجالات أو تستطيع. القيام بها لخبرتها فيها.. وسنعود بالتفصيل لهذه المسألة فيما بعد...

ويجيء بعد ذلك دور الخطوة الهامة بالنسبة للطفل. وهى ترغيبه في القراءة والكتابة. ويمكن أن تبدأ عند كثير من الأطفال من سن الرابعة أو الخامسة حسب الاستعداد الشخصى لكل طفل.. والأساس المتين في هذه الخطوة هو تعليمه الحروف الأبجدية للّغة العربية، وحركاتها وسكناتها، وممدودها مع الحركات، وأحوال الشدة فيها مع الحركات

---

(1) ص382 بتصرف من كتاب تربية الطفل - تأليف مَبِلْ بِكْ رئيسة إصلاحية البنات.

أيضا، والتعرف على اللام الشمسية والقمرية. والانتقال به بعد ذلك إلى تكوين الكلمات من أسماء وأفعال وحروف، ثم إلى تكوين الجمل الإسمية والفعلية وغيرها، مع كتابة وقراءة ما يكونه من الأسماء والأفعال والحروف والجمل. وتلك هى الطريقة النظرية والعملية النافعة والمجربة في تعليم الطفل للقراءة والكتابة بعيدا عما يصول فيه ويجول أصحاب النظريات التي يسمونها تربوية في تعليم الطفل للقراءة والكتابة. وهى نظريات غير قابلة للتطبيق عمليا. ويُستحب أن تكون الأم مُعَدَّةً ومُستعِدَّةً لأداء وبذل هذا الجهد المكثف والقيام بهذا الدورالعظيم بنفسها. ويكون ذلك بالتأكيد في مصلحة الطفل. وإلا فيجب أن يقوم به الأب بنفسه أيضا ولمصلحة الطفل.. أما إن لم يكن هناك استعداد من الطرفين (الأب والأم) للقيام بهذا الدور المشرِّف - فعليهما أن يدفعا طفلهما إلى معلم أو معلمة تجيد هذا الفن. وهذا أضعف الإيمان وأبسط الواجبات في هذا الشأن..

وكثيرا ما تنجح الأم الحريصة على مصلحة طفلها في هذه المهمة أكثر من الأب أو المعلم أو المعلمة. فالطفل كما بينا سابقا - دائم التعلق بأمه في هذه السن، يصاحبها طوال يومه في البيت، يلاعبها وتلاعبه، ويلاطفها وتلاطفه. لكن الأب يغادر المنزل في الصباح، ويعود إليه في منتصف النهار متعبا ينشد قسطا من الراحة، بعد أن أمضى نصف نهاره أو أكثر في عمل جاد؛ ليوفر ما يلزم من مال للإنفاق على أسرته وتلبية مطالبها واحتياجاتها. وهذه الفترة الصباحية - وهى النصف الأول من النهار - هى أنسب الأوقات لتعليم الطفل، بعد أن استيقظ من نومه، وتناول طعام إفطاره مع أمه، ولاعبها بعض الوقت. ومن المؤكد أنها تستطيع القيام بمهمة تعليم طفلها، حتى وهى منشغلة بأعمالها المنزلية. فالطفل يتبعها في أى مكان تتوجه إليه، ويكون بمعيتها أينما تواجدت، وفى أى عمل تعمله. وتبدأ الأم مع طفلها بتعليمه الحروف الهجائية العربية وتدريبه على نطقها نطقا سليما وعلى كتابتها كتابة صحيحة. فإذا أتقن ذلك، علمته نطق الحركات مع هذه الحروف وكتابتها عليها. ويأتى بعد ذلك نطق المدود مع الحروف وكتابتها، وكذلك السكون مع الحروف والتدريب

عليه. وكذلك أحوال الشدة، ثم أحوال اللام الشمسية والقمرية، والتنوين بأنواعه الثلاثة إلى أن تنتهى من هذا البرنامج التعليمى بعد التدريب على كل ما مر وتكوين الكلمات من الحروف ثم الجمل من الكلمات، وكتابتها وقراءتها كما سبق القول إلى أن يتقن طفلها تعلمه للقراءة والكتابة العربية. ويستطيع أن يقرأ في أى كتاب يقدم إليه، كما يستطيع أن يكتب ما يملى عليه. وفى هذه المرحلة التعليمية يتواجد الأب مع الأم بشكل مباشر أو غير مباشر ليوجه الأم المعلمّة كلما احتاجت إلى توجيه في هذا الشأن.

وبتمام تناول الطفل لهذه الجرعة من التعليم الأوَّلِيّ - يكون الطفل السعيد بأمه وأبيه وبيته الذي نشأ فيه، قد اجتاز مرحلة في غاية الأهمية من مراحل حياته التعليمية؛ بالتزامه بمنهج متكامل ومحدد في تعلم القراءة والكتابة العربية وضحناه فيما سبق. ويصبح متمرسا متقنا إتقانا كاملا لقراءة وكتابة اللغة العربية، في هذا الزمان الذي يكبر فيه كثير من الأطفال ويصيرون شبابا وطلابا في المرحلة الثانوية وهم لا يحسنون القراءة والكتابة العربية.. وذلك يرجع بالطبع للأخطاء المتراكمة في عملية التربية والتعليم، وفى المرحلة الابتدائية على وجه الخصوص، حيث لم يعالج هذه الأخطاء أى مسئول عن التربية والتعليم في مصر حتى الآن. فالتدريس في المرحلة الابتدائية يحتاج في رأيى إلى معلم متخصص في كل مادة على أعلى المستويات. على أن يُعَدَّ إعدادا كافيا وافيا بحيث يعالج كل هذه الأخطاء المتراكمة في المواد المختلفة، وعلى رأسها مادة اللغة العربية. ويكون في مقدوره وإمكانه التغلب عليها بطريقة تربوية علمية ناجحة تتجاوب مع البيئة المصرية. ولا يكفى كمثال للتوضيح أن ننقل طرقا للتدريس من بيئات أجنبية ولا نستطيع أن نخدم بها العملية التعليمية في مصر.. ولم يتواجد هذا المعلم المشار إليه حتى الآن في المرحلة الابتدائية، رغم افتتاح أقسام للتعليم الأساسى في الجامعات المصرية. هذا بالإضافة إلى الأساليب المتبعة في الإشراف على العملية التعليمية في هذه المرحلة والتى تتغير بين الحين والحين. ويكفى أن نشير إلى عملية تقييم التلاميذ في صفوف المرحلة الابتدائية حاليا؛ فقد تغيرت في الآونة الأخيرة أكثر من مرة، واتُّبِعَتْ فيها طريقة مستوردة من الخارج لا تتلاءم

مع تلاميذ المرحلة ذاتها في مصر، وظهر فيها أكثر من عيب فنى والعجيب أنها مازالت سارية رغم النقد الموجه إليها من الناحية الفنية والناحية العملية والتربوية..

ومن هنا تكون الأهمية القصوى لدور الأم والأب الحريصين على تعليم أطفالهما تعليما سليما صحيحا تربويا مفيدا، منذ نعومة أظفارهم.. وكم من أمهات مثقفات واعيات مقدرات لهذه المسئولية، وآباء مثقفين واعين مهتمين بالحياة التعليمية لأطفالهم من البنين والبنات - قد نجحوا ونجحن فيما لم ينجح فيه معلم - أو معلمة - المرحلة الابتدائية، الممارس لمهمته بمدارس التربية والتعليم وغيرها من دور العلم التي تخصصت في المرحلة الابتدائية. وقد بينا سابقا ما يجب أن يكون عليه الأب والأم من درجة التعلم والوعى، والاستعداد الدائم للتعلم حتى ينجح كلاهما في مهمته العظيمة التي تشكل الطفل منذ بداية نشأته، وتجعل منه إنسانا سويا ناجحا وموفقا في كل خطواته التعليمية والعلمية. وتجعل منه فردا سعيدا في أسرة سعيدة، يسعد به مجتمعه الإسلامى ويفيده ويستفيد منه...

ويزداد دور الأب بعد أن يحسن الطفل المشى، وبعد أن يتقن القراءة والكتابة العربية. فيصحبه أبوه إلى بعض الأماكن العامة، كالمسجد في الصلوات الخمس؛ ليتعود أداءها منذ صغره، وكدور الثقافة والمكتبات؛ ليتعود القراءة والاطلاع وجمع المعلومات المفيدة منذ صغره، وليقرأ ما هو مناسب لسنه، وكزيارته للأصدقاء كلما أمكن ذلك، وكخروجه للنزهة في الهواء الطلق بصحبة والديه أو أحدهما كلما أمكن ذلك أيضا. ومن شأن هذه التحركات أن تزود ثقافته ومعارفه العامة فيستفيد بذلك كثيرا في حياته التعليمية...

ومن المعروف أن الطفل في هذه السن يحسن التقليد. فهو يقلد أباه وأمه والمحيطين به والمتعاملين معه، في كلامهم وأصواتهم وحركاتهم وأفعالهم، وحتى في أخطائهم. وهنا تبرز أهمية دور الأب والأم في تهذيب الطفل وتعليمه كل مفيد وإبعاده وتنفيره من كل ما هو غير مفيد. وإن كان دور الأب أكبر في هذه المرحلة. فالمفروض أن يوجهه إلى الصحيح وينفره من غير الصحيح ليتجه إلى الأول ولا يتمسك بالثانى. وكذلك يعرفه بالنافع والضار

والحلال والحرام ليتمسك بما هو فاضل من الأقوال والأفعال والتصرفات ويترك غيره. وليست الأم ببعيدة عن هذه المسئولية تجاه طفلها. فهى تساعد الأب بجدية في تثبيت الفضائل في نفس الطفل وتجنيبه الرذائل. فيفعل الفضائل بتشجيع من أبيه وأمه ويتجنب الرذائل بتحذيرهما له منها.. ولا شك أنه بعد أن تعلم القراءة والكتابة وزار المكتبات ونمت معارفه وازدادت معلوماته عن الحسن والقبيح والنافع والضار والحلال والحرام - يستطيع أن يميز بين ما ينفعه وما يضره بإشراف أمه ومتابعة أبيه، خصوصا بعد أن تهيأ للدخول في المرحلة الثانية من الطفولة والالتحاق بالتعليم الابتدائى.. والواجب على الأب باعتباره المسئول الأول عن ذلك - أن يوجه الأم إذا وجد عندها قصورا في شئ مما تحدثنا عنه؛ لتنوب عنه في غيابه عن بيت الزوجية. وهكذا يسهل على الطفل في هذه السن وبعد أن اتسعت مداركه - أن يتعلم المعانى السامية، والمبادئ الدينية والروحية والأخلاقية بطريقة سهلة ونافعة بفضل مساعدة أمه وأبيه على ذلك، وأن ترتقى مصطلحاته التي كان يعبر عنها بكلمات مختصرة (كأف وكخ وحلو) وغيرها من المصطلحات التي كان يعرف بها النافع والضار والحسن والقبيح والحلال والحرام...

وليحذر الأب دائما كما تحذر الأم أن يتجه ولدهما أو ابنتهما إلى مصاحبة الأشرار من الولدان والبنات، الذين لم ينالوا قسطا وافرا من التوجيهات النافعة من آبائهم وأمهاتهم في هذه المرحلة. فهؤلاء الأشرار قليلوا الحياء. وهم بذلك يتصفون بالشر. فهم كالمواد القابلة للاشتعال، تشتعل فيها النار ويحركها الهواء في كل مكان فيتطاير شررها على من تجده في طريقها. وهم كذلك كداء الجَرَب الذي يُعدى كل من يقابله ويتصل به من الناس. والشاعر يقول عنهم في ذلك:

واحذر مصاحبة اللئيم فإنها ::: تُعْدِى كما يُعدى السليمَ الأجربُ

فعلى الأم والأب أن ينتقيا لابنهما أو ابنتهما الصحبة الصالحة، غير الضارة.. وإذا كان الطفل يميل إلى اللعب في فترة الصباح أو بعد خروجه من المدرسة وخصوصا بعد فراغه

من مصاحبة أمه أو أبيه أو معلمه في الجولة التعليمية الصباحية - فإن الأم هى المسئولة في هذا الوقت، الذي يمارس فيه الأب عادة عمله خارج البيت. فهى معلمته وموجهته الأساسية في وقت الصباح. وينبغى ألا تقلل أبدا من قيمة وخطورة أثر هذا الأمر، في حاضر الطفل ومستقبله. فالإنسان يندم يوم القيامة عندما يقف بين يدى الله عز وجل؛ لِيُسْأَلَ عن تفريطه في أمانة اختيار الصديق لولده أوابنته بعد أن أدى ذلك إلى الإضرار بهما ويحاسب على ذلك حسابا عسيرا. ويندم حينئذ كل من لم يتخير وينتق أصحابه وأصحاب أولاده وبناته بل وصاحبات زوجته أيضا بحكم مسئوليته عنهم جميعا. وخصوصا وأن هؤلاء الصغار يحتاجون إلى من يوجههم، فهم بدون توجيه يخالطون كل من يروه، بعقولهم الصغيرة وحواسهم القاصرة، يحسن اللهو واللعب، ويتخذون من الأشرار والشريرات أصحابا وصاحبات. وبإهمال الأم في هذا الأمر وعدم متابعة الأب لهذه المسئولية الهامة - فإن أولادهما وبناتهما يضلون الطريق الصحيح. ويصير الجميع مستحقا لعقاب الله ونقمته يوم الحساب العظيم. وربما يحصد الجميع جزاء وثمرة هذا الضلال في الدنيا أيضا قبل الآخرة. فيؤدى بهم السير في طريق الأشرار إلى التهلكة والضياع في الدنيا والآخرة.. ويقول رب العزة سبحانه في ذلك: {وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾} [الفرقان: ٢٧ - ٢٩].. فالمقصر في مجال اختيار الصديق الصالح يندم حين لا ينفع الندم - على التفريط في حقه في اختيار الصديق الأفضل والنافع له ولأولاده وبناته وزوجته، والذى يدعوه إلى الطريق المستقيم وهو الطريق إلى الله سبحانه وتعالى. ويندم هذا المفرط على أن سلم نفسه وأولاده وبناته لشياطين من الإنس يميلون عن طريق الحق، فيهلكون أنفسهم وغيرهم في غيبة الصديق الناصح الأمين.. وفى السنة النبوية أيضا ما يدل على ذلك، كقول رسول الله صلى الله عليه

وسلم :{لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى} (1). وقوله صلى الله عليه وسلم :{لا تصحبن أحدا لا يرى لك من الفضل كمثل ما ترى له}(2). فمثل هذا الصاحب، لا يبادلك فضلا بفضل، ولا حبا بحب. وهو بذلك غير جدير بمصاحبتك. وقوله صلى الله عليه وسلم :{إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة} (3).. وكلها أحاديث شريفة تحث على اختيار الصديق الصالح ذى الأخلاق الفاضلة، وعلى تجنب صديق السوء الذي لا يعترف بفضل صاحبه عليه ولا يميل مثله إلى عمل الصالحات، وإنما يتعمَّد دائما الإضرار به، وجذبه إلى السلوك السئ، وتزيين الباطل له حتى يتخذه طريقا...

وقد يكون من مصلحة الطفل إلحاقه بإحدى مدارس الحضانة الإسلامية عند بلوغه سن الرابعة أو الخامسة. فربما تساعد هذه المدرسة الأم والأب في اهتمامهما بطفلهما وإعداده إعدادا كافيا للدراسة بالمرحلة الابتدائية، عندما يحين وقتها.. ويلجأ والدا الطفل إلى ذلك إذا كانت ظروف أحدهما أو كلاهما لا تسمح بالتفرغ الكامل للطفل وتعهده وتنمية مهاراته التي تظهر في هذه السن المبكرة. والشرط في ذلك أن تؤدى المدرسة رسالتها على خير وجه، وألا تحصر اهتمامها في الأمور المادية فقط. وأن يكون ذلك أيضا تحت إشراف الأم والأب أو على الأقل متابعتهما لجهد ونشاطات المدرسة، وتنبيه المسئولين فيها إلى نواحى القصور إن وجدت. فلا يجب على إدارة المدرسة مثلا أن تقبل

---

(1) رواه أبو داود ص158من مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم سيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه أبو نعيم نفس الصفحة من المرجع السابق.

(3) رواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى ص33من كتاب: من كنوز السنة للمرحوم الشـيخ محمد على الصـابونى - نافخ الكير: الحداد الذي ينفخ النار على الحديد. يحذيك: يُهديك - تبتاع: تشترى.

أطفالا قليلى الحياء، ناقصى التربية. إذ أن قبول أمثال هؤلاء الأطفال يضر بالأطفال الآخرين من ذوى الأخلاق الكريمة، والتربية الصالحة، والعادات والطبائع المقبولة. فيعدى الأولون الآخرين كما يعدى الأجربُ السليمَ. فاهتمام المسئولين عن هذه المدرسة بالأمور المادية فقط يطغى على اهتمامهم بالأمور الروحية والمعنوية والأخلاقية وهو ما يؤدى إلى سوء أخلاق التلاميذ وفشل المدرسة في رسالتها التربوية والتعليمية.

ومن جهة أخرى تزداد مسؤولية الأم والأب إزاء ولدهما أو ابنهما في ظل مبادئ الدين الإسلامى وإرشاداته في هذه السن المبكرة للطفل والطفلة. وخصوصا عندما يبلغ الطفل سن السادسة ويبدأ في الدراسة بالمدرسة الابتدائية. فلابد أن يدرك الأب كما تدرك الأم أنهما القدوة والمثل الأعلى لولدهما - أو ابنتهما. فقد تربى في أحضانهما. ورضع من ثدى أمه اللبن الصالح لبناء جسمه. ورضع مع اللبن الحب والحنان والعطف والثقة والمعانى السامية والمبادئ الأخلاقية الرفيعة، كغذاء روحى بالإضافة إلى الغذاء المادى.. وأول ما يجب أن يلتزم به الأبوان نحو أطفالهما من البنين والبنات - هو الصدق، في كافة معاملاتهما معهم. وفى كل ما يأخذونه عنهما من مبادئ وقيم وسلوكيات. وكذلك يكون منهجهما مع الأقارب والجيران والناس أجمعين..

وإذن فلا يجب أن يرى هؤلاء الصغار من آبائهم وأمهاتهم إلا الصدق في النية والقول والتعامل والتناول للأمور الدينية وغيرها.. فالصدق في الوعد مطلوب سواء كان وعدا بتحقيق رغبة أو شئ فيه منفعة لهم أو دفع ضرر محتمل عنهم. وهنا يكون الصدق أسلوبا تربويا يجب اتباعه. كالوعد بشراء هدايا أو بالسماح لهم باللعب بعض الوقت أو بزيادة المصروف أو بالخروج للتنزه أو حمايتهم من بعض المنحرفين، أو نحو ذلك من الوعود. ويجب ربط هذه الوعود بطاعتهم للوالدين وللمدرسين والمدرسات وتقدمهم في الدراسة وعدم اللعب مع الأشرار أو الشريرات.. وليحذر الآباء والأمهات من خُلف وعودهم مع صغارهم من البنين والبنات؛ حتى لا يفقد هؤلاء الصغار الثقة فيمن اعتبروهم مثلا أعلى لهم في كل تصرفاتهم. وليحذروا غضب الله عز وجل من المخلفين

لوعودهم؛ إذ أن خلف الوعد ليس من صفات المؤمنين الصالحين، بل من صفات الكفار والمنافقين. حيث يقول ربنا عز وجل في ذلك:{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾} [التوبة: ١١٩]. ويقول أصدق القائلين سبحانه:{بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾} [آل عمران: ٧٦]. ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : {عليكم بالصدق فإنه باب من أبواب الجنة. وإياكم والكذب فإنه باب من أبواب النار} [1].

فالقرآن الكريم يحث الآباء والأمهات على الصدق مع أبنائهم وبناتهم، وخصوصا الصغار منهم، والوفاء بما وعدوهم به وبأداء التزاماتهم لهم، وعلى أن يكونوا مثلا أعلى لهم في الوفاء بالوعد، وفى فعل كل الصفات المحمودة وترك كل الصفات المذمومة. وذلك حتى لا تنقلب في عقول هؤلاء الصغار ونفوسهم موازين القيم؛ فيصبح الشر خيرا والخير شرا.. وعلى سبيل المثال: لا يأمر الأب طفله أو طفلته بأداء الصلاة وهو لا يؤديها، ولا يأمر طفله أو طفلته بالابتعاد عن الأشرار والشريرات وهو يلتقى معهم على المقاهى وغيرها، ويتخذ منهم أصحابا له. ولا يأمر طفله بالصدق في القول فإذا سأل عنه أحد لا يريد مقابلته بالمنزل مثلا يقول له: أخبره أننى غير موجود. ولا تنصح الأم طفلها أو طفلتها بعدم تضييع الوقت وهى تضيع وقتها في الحديث بالتليفون عما لا فائدة فيه أو في الأحاديث غير الضرورية. إلى غير ذلك من الأمثلة الدالة على التناقض بين ما ينصحان به ولدهما أو ابنتهما، وبين سلوكهما الواقعى. وكدليل واقعى دامغ على خطورة ذلك: سألت أحد الصغار على سبيل التوجيه والنصيحة وكان يناهز الرابعة عشرة من عمره: لماذا تفطر والناس كلهم

---

(1) رواه الخطيب عن أبى بكرص99 من كتاب مختار الأحاديث النبوية ـ للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

صائمون؟ - وكنا في نهار رمضان - فكان جوابه: ولماذا أصوم وأبي وأمي مفطران؟! والطفل هنا معذور لأنه يرى نصيحتي له متعارضة مع ما يفعله أبوه وأمه في الواقع المحسوس الذي يراه بعينه. ورغم أن والِدَيْ الطفل قد يكونان معذورين شرعا بشكل يبيح لهما الإفطار، لكن خطأهما أنهما أفطرا في نهار رمضان أمام ابنهما الذي لا يعرف عذرهما. والشريعة الإسلامية تنصح أصحاب الأعذار في هذه الحالة بالإفطار سرا، بحيث لا يراهما أحد، ولو كان ابنهما، وحتى لو كان الإفطار داخل المنزل. وذلك لكي لا يفقد الأطفال ثقتهم في آبائهم وأمهاتهم على هذا النحو الذي شاهدناه ويضربوا عرض الحائط بنصائحهم فتفسد أحوالهم ويصدق فيهم قول القائل:

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا ::: فشيمة أهل البيت كلهم الرقص.

وإذا كان القرآن الكريم لا يغفل هذا الأمر - فإن السنة النبوية الكريمة أيضا لا تغفله ولا تهمله. بل تحث الآباء والأمهات على الاهتمام بتربية صغارهم من البنين والبنات، تربية إسلامية صحيحة، على أساس ما ورد في القرآن الكريم من قيم ومبادئ أخلاقية كريمة..

وفى هذا الإطار يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{أدبوا أولادكم على ثلاثة خصال: حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل الله، يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه} [1]. ويقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم} [2]

(1) رواه الديلمى عن علىّ من كتاب مختار الأحاديث النبوية ـ للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى ص7، ص8.

(2) أخرجه ابن ماجة عن ابن عباس. ص207 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد ـ للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

ويقول المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم :{لأن يؤدب أحدكم ولده خير من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم} [1].. وتُوَجِّهُ السنة النبوية الكريمة أيضا إلى وجوب وفاء الآباء والأمهات لأبنائهم وبناتهم بوعودهم لهم. إذ أن ذلك يعبر عن صدقهم وإخلاصهم لهم في تربيتهم والنصح لهم. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم : {الزموا أولادكم} [2]. ويقول معلم البشرية صلى الله عليه وسلم :{أحبوا الصبيان وارحموهم فإذا وعدتموهم فوفوا لهم فإنهم لا يرون إلا أنكم ترزقونهم} [3].

وجدير بالذكر أن المقصود بالأولاد والصبيان في كل ما ورد من الأحاديث الشريفة السابقة الأولاد والبنات؛ لأن التشريع شامل لهم جميعا.

وكان من أفعال سلفنا الصالح في العصور الأولى للإسلام - دفع الولد أو البنت - إلى حاضن أو حاضنة لتأديبه وتعليمه. فلم تكن مدارس ومعاهد الحضانة قد عرفت في هذا الزمن. فالحاضن يحل محل مدرسة الحضانة وكذلك الحاضنة بالنسبة للبنت. وكان يطلق على الحاضن اسم المؤدِّب أو المعلم، وعلى الحاضنة المؤدِّبة أو المعلمة. وكان كلاهما يختار ممن لهم علم بالفقه والحديث والعلوم الدينية بوجه عام. وممن لهم علم بالأدب والفصاحة والبيان.. وكان يلجأ إلى ذلك الخلفاء ورجال الحكم في الدولة الإسلامية بعد عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم أجمعين. حيث لم يجد هؤلاء الوقت الكافي للتفرغ لتربية أولادهم وتهذيبهم وتعليمهم في وقت شاعت فيه ألوان كثيرة من اللهو والطرب والغناء[4]..

---

(1) ص206 من نفس المصدر.

(2) ص202 من المصدر السابق.

(3) ص101 من نفس المصدر.

(4) ص80من كتاب تربية الشباب في القرآن الكريم - عبد المعز خطاب.

وكان هؤلاء المعلمون يتجهون إلى تعليم الصغار من البنين والبنات القرآن الكريم وتجويده وعلومه، في بداية ممارستهم لأعمالهم التأديبية والتعليمية. ثم يتجهون بهم إلى علوم اللغة وآدابها. ثم إلى صفات الرجولة مع البنين، والشجاعة مع البنات، والفروسية والرماية وغيرها مع الجميع. ثم يزودونهم بالصفات الكريمة التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة من مكارم الأخلاق بكل ألوانها وأشكالها.. وهكذا " جمعت التربية الإسلامية منذ أول ظهور الإسلام بين تأديب النفس وتصفية الروح وتثقيف العقل وتقوية الجسم. فهى تعنى بالتربية الدينية والخلقية والعلمية والجسمية دون تضحية بأى نوع منها على حساب الآخر " (1).. وإذا لم يتوافر في الأب أو الأم كل ما يلزم لتعليم الطفل وتوجيهه في مختلف المجالات التي سبق الحديث عنها - فمن المستحسن أن يختارا لابنهما أو ابنتهما مربيا أو مربية، ممن لهم دراية وخبرة بالتعليم في مدارس رياض الأطفال. ويجب أن يكون المربي أو المربية على جانب كبير من صفاء الذهن وابتهاج النفس، يشعر بالحب والرحمة تجاه الأطفال، ويستطيع الغناء والعزف على البيانو إن أمكن، ويكون في وسعه الرسم على السبورة كنوع من الإيضاح لما يقول[2]..

وبالجملة يجب أن تتوفر في المعلم أو المعلمة الشروط الآتية[3]: أولا: الإلمام بالأدب والنظم بصفة خاصة حتى يستطيع إعداد برنامج منظم لتعليم الطفل. ثانيا: أن يكون على دراية بعلم طبيعة ألأطفال المؤسسة على المشاهدات. ثالثا: أن يكون محيطا بدراسة النباتات والحيوانات المألوفة عند الأطفال. رابعا: أن يكون عارفا بالمعلومات العامة في الأشغال اليدوية ليستطيع شغل الأطفال بما يناسبهم منها. خامسا: وأن يكون على دراية تامة بفن التربية حيث تتطلب تمرينا وصبرا طويلا، وبأن مهمته تنحصر في مساعدة الطفل

---

(1) ص82من كتاب تربية الشباب في القرآن الكريم - تأليف عبد المعز خطاب.
(2) بتصرف ص383من كتاب تربية الطفل - تأليف مَيلْ بك رئيسة إصلاحية البنات.
(3) بتصرف وختصار من نفس المرجع السابق ص384.

على النمو والتقدم دون أن يجبره على ذلك قبل أوانه. فيعرف الوقت المناسب لكل مرحلة من مراحل نمو الطفل..

هذا بالإضافة إلى أنه لابد من معرفته بمبادئ التربية الرياضية حتى يُمَكِّن الطفل من ممارسة النوع الذي يروق له منها. فالألعاب الرياضية والاجتماعية تعلم الطفل حب الغير، وتنفره من الأنانية وحب الذات، كما تعلمه الشفقة والأدب، وتقدير عواطف الغير[1]..

وتبدأ التربية الإسلامية في البيت عن طريق المحاكاة والتلقين. فالطفل ينشأ فيرى ويسمع أباه يقرأ القرآن ويقيم الصلاة التي تعتبر ركن الإسلام الأعظم؛ فهى أساس هام من الأسس التي يقوم عليها الدين الإسلامى.. وإذن فالواجب أن تبدأ تربية الطفل بتعويده على الصلاة وإقامتها. وحفظ القرآن الكريم. " وكان حفظ القرآن أو قدر منه كافيا في طبع الأبناء على التربية الإسلامية الصحيحة " [2].. وكما كان الشعر ديوانا للعرب القدامى، فكذلك كان القرآن الكريم وسيظل ديوانا للمسلم. ففيه جوهرة العقيدة الإسلامية وأصلها، وفيه تفاصيل العبادات، وإرشاد للسلوك الفاضل. وعلى المربى أو المعلم أن يُبسِّط ذلك في أذهان من يربيه من الأطفال. ولا يلبث الطفل بعد رسوخ العقيدة الإسلامية في قلبه وتمكنها منه - أن يميز بين الحلال والحرام، ويبر بأهله وجيرانه، ويتعدى ذلك إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على مستوى مجتمعه الإسلامى..

والطفل في ذهابه إلى المسجد مع أبيه يتلقى التربية الإسلامية ومبادئها الصحيحة، وفى ذلك يقول ابن عباس رضى الله عنه: " اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصى الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهى، فذلك وقاية لهم من النار " (3).. وقد ورد أن عتبة ابن

---

(1) ص385 بتصرف ص383من كتاب تربية الطفل - تأليف مَبِلْ بك رئيسة إصلاحية البنات.
(2) ص82 من كتاب تربية الشباب في القرآن الكريم - عبد المعز خطاب.
(3) ص84من نفس المصدر السابق.

أبى سفيان قال لمعلم ابنه: " ليكن إصلاحك ابنى إصلاحا لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينك. فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح مااستقبحت " (1).. فعتبة رضى الله عنه يوجه معلم ولده إلى الاهتمام بتعليمهم وإصلاحهم، وإلى أن يكون قدوة صالحة لهم باعتباره أباً لهم وهم جزء منه. بعد أن تعلقت به أنظار أطفاله فما يراه صالحا فهو عندهم صالح يجب العمل به، وما يراه قبيحا فهو عندهم قبيح يجب أن يُجْتَنَبْ.. وها هو هارون الرشيد الخليفة العباسى يقول لمعلم ولده: " يا أحمد إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مُهجة نفسه وثمرة قلبه. فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة. فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين: أقرئه القرآن، وعرفه الأخبار، وروِّهِ الأشعار، وعلمه السنن، وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته، ولا تَمُرَّنّ بك ساعةٌ إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها، من غير أن تُحزنه فتميتَ ذهنه ولا تمضِ في مسامحته فيستحْلِيَ الفراغَ ويألفه. وقَوِّمْهُ مااستطعت بالقرب والملاينة " (2)..

ويلاحظ معى القارئ الكريم أن هذا الخليفة العباسى الذي عاش عصرا مزدهرا بالثقافة في كل المجالات، وبممارسة الغناء واللهو والمجون - حرص على أن يوصىَ معلّم ولده بكل ما هو مفيد للطفل حتى لا يحرمه منه، وبكل ما فيه خطر عليه وعلى رجولته حتى يبعد الطفل عنه.. وكان المعلمون والمؤدِّبُون يستمعون إلى تلك النصائح وينفذونها، فتعينهم على أداء مهمتهم خير أداء. عملا بقوله صلى الله عليه وسلم :{إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه} [3]..

---

(1) ص205، ص206 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد الغزيز الشناوى.
(2) ص206 من المصدر السابق.
(3) رواه الطبرانى ص34 حرف الألف من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

ويجب أن يتدرج المؤدِّب مع الطفل بتوجيه نظره أولا إلى النظافة. فالإسلام نظيف ولا يدخل الجنة إلا كل نظيف. والنبى صلى الله عليه وسلم يقول:{الإسلام نظيف فتنظفوا فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف} (1). والطهارة من النظافة. وفيها طريق للوضوء وأداء الصلوات الخمس التي لها فوائد عظيمة - يجب أن يعرفها الطفل من معلمه، ليتغلب على الشيطان الرجيم بالوضوء والصلاة، ولينعم بما فيها من فوائد دينية ودنيوية، فمن فوائد الوضوء الدنيوية: أنه في الصباح يتخلص به المسلم صغيرا أو كبيرا من الشيطان وخطره؛ حيث يطرده من خيشومه بالاستنثار. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إذا استيقظ أحدكم من منامه فتوضأ فليستنثر ثلاثا فإن الشيطان يبيت في خيشومه} (2).

ومن فوائد الوضوء الدنيوية كذلك أنه ينفى الفقر عن الإنسان المسلم وخصوصا قبل الطعام وبعده. بدليل قوله صلى الله عليه وسلم :{الوضوء قبل الطعام وبعده ينفى الفقر وهو من سنن المرسلين} (3).. ومنها كذلك أنه يبعد الشيطان عن المسلم ساعة الغضب فيعصمه من الخطأ والزلل، ويقول في ذلك الهادى البشير صلى الله عليه وسلم :{إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تُطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ}(4)..

أما فوائد الوضوء الدينية فمنها: ذلك النور المنبعث من المسلم يوم القيامة، والذى ينير له

---

(1) رواه الديلمى ص27من المصدر السابق.

(2) أخرجه البخارى في 59كتاب بدء الخلق11 - باب صفة إبليس وجنوده ص58 من الجزء الأول من كتاب اللؤلؤ والمرجان - محمد فؤاد عبد الباقى - والاستنثار إدخال الماء إلى الأنف وطرده يشده خارجها فيأخذ معه به من أقذار ويخرجها بما فيها الشيطان الرجيم.

(3) رواه الطبرانى عن ابن عباس ص156 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

(4) رواه الشيخان عن أبى هريرة ص39 من المصدر السابق.

الطريق إلى الجنة. وفيه يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إن أمتى يدعون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء. فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل} [1].

ومنها أن المسلم عندما يتوضأ تخرج ذنوبه من أعضاء وضوئه وتتساقط كما يتساقط ورق الشجر. وفى ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{إذا توضأ العبد المسلم (أو المؤمن) فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء؛ فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيا من الذنوب} [2].

أما عن الصلاة، فقد شدد القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة في وجوب المحافظة على الصلوات الخمس في كل الأحوال والظروف في أوقاتها المشروعة، وخصوصا في حالات المطر الشديد والوحل الشديد والريح الشديد. وفى حالات السفر القصير والطويل، وفى حالات المرض الشديد والخوف الشديد من العدو في حالة الحرب وغيرها. وكل ذلك ثابت في القرآن والسنة.

---

(1) رواه أبو داود ص39 من المصدر السابق. غرا محجلين: ينبعث من وجوههم وأرجلهم يوم القيامة نور من آثار الوضوء في الدنيا.

(2) رواه أبو هريرة ص169 من المصدر السابق.

يقول ربنا العظيم: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ٢٣٩﴾ [البقرة: ٢٣٨ - ٢٣٩]. كما يقول ربنا عز وجل في كيفية صلاة الخوف: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ

ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴿١٠٣﴾} [النساء: ١٠٢ - ١٠٣] وقد ورد في الجامع الصغير:{مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع، وإذا زوج أحدكم خادمه أو أجيره فلا ينظر إلى ما دون السرة وما فوق الركبة} [1]..

ومن الفوائد الدنيوية للصلاة التي يحرص عليها الأبوان وينقلونها إلى صغارهم من البنين والبنات، أنها تنهى صاحبها في الدنيا عن فعل الفحشاء والمنكر. وقد ورد في ذلك قول الله تعالى:{ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴿٤٥﴾} [العنكبوت: ٤٥]. وذلك إذا أقيمت بشروطها وأركانها الواردة موضحة في السنة النبوية المباركة.. ومن فوائدها الدينية أنها ذكر يثاب عليه المسلم يوم القيامة، إذ يقول عز وجل:{وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ } [طه: ١٤]. ومنها كذلك أنها تغفر الذنوب التي يقترفها المسلم في الدنيا فيدخل بذلك الجنة. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{الصلوات الخمس. والجمعة إلى الجمعة. ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر} [2].

(1) رواه أحمد في مسـنده وأبو داود والحاكم عن ابن عمر ص263من الجزء الأول من كتاب الشرح الصغير للإمام مالك - حاشية الصاوى.
(2) عن عمر بن إسحاق عن أبيه عن أبى هريرة ص133من صحيح مسلم - الطبعة المميزة.

وهكذا يدرك الصغار بفضل تعليم الكبار لهم وإرشادهم إلى كل ما مر ذكره، كما أدرك الكبار، أن الوضوء والصلاة مصدر سعادة لهم، فيشبون محافظين عليهما. وكذلك الصوم. فقد أشار الحديث الشريف السابق إلى أن السيئات التي يعملها المسلم بوسوسة الشيطان الرجيم - يغفرها الله عز وجل إذا حافظ المسلم على صيام رمضان. فما بين رمضان ورمضان

يغفر الله تعالى لعباده الصالحين تلك الذنوب التي يتورطون في فعلها إذا تجنبوا فعل الكبائر. فرحمة الله واسعة، يجب أن يستغلها ويستفيد منها الكبير والصغير على السواء. وقد فرض صوم رمضان على المسلمين جميعا الذين وصلوا إلى سن التكليف - عدا ذوى الأعذار من المسلمين فإن لهم أن يعيدوا أو يُفْدُوا حسب أحوالهم في المرض والسفر. وأقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام الأتقياء - يجب أن يُعوِّدَ الآباء والأمهات أبناءهم وبناتهم الصغار على الصوم؛ حتى تكون ممارستهم لهذه الفريضة شيئا عاديا عند بلوغ سن التكليف، وفى سن الشباب وما بعده. فالصيام طريق التقوى والعصمة من الزلل. وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحثون أولادهم وبناتهم الصغار على الصوم ويأمرونهم به حتى قبل أن يصلوا إلى سن التكليف كما سبق القول. فإذا انتصف النهار شغلوهم باللعب ونحو ذلك حتى يحين وقت الإفطار. وذلك لحرصهم على نفع أولادهم وبناتهم بفوائده الدنيوية والأخروية. وأقل هذه الفوائد أنه يبعدهم عن ممارسة الرذائل، ويدفعهم إلى السير في طريق الصلاح في الدارين. وفى ذلك تمرين لهم على الالتزام بممارسة سائر الفضائل والآداب والأخلاق الكريمة وترك القبائح التي تصغر فاعليها.. فمحافظة هؤلاء الناشئين من البنين والبنات على أداء الصلوات الخمس وصيام رمضان يعودهم على التمسك بالفضائل الإنسانية والتحلى بالأخلاق الكريمة كالصدق والبر والكرم والشجاعة والتعاون على البر والتقوى وصلة الرحم وإكرام الجار والعفو عن المظالم إذا لم يكن في ذلك إضرار بالدين كما يعودهم ذلك أيضا على ترك الإثم والعدوان. وفى ذلك سعادة أيما سعادة لهؤلاء الصغار وخصوصا عندما يشبون ويكبرون...

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أن نشير إلى سن التكليف التي إذا وصل إليها الإبن أو الإبنة - يعد مسئولا عن تصرفاته وعن نواحى تقصيره في أداء العبادات المفروضة على المسلمين والمسلمات، وسائر الحقوق الشرعية الواجبة على المسلمين بعضهم مع بعض، والواجبات التي تحددها الشريعة الإسلامية، حتى لا يحيد عنها المسلمون لأنها معيار السعادة فيما بينهم. وبوصول المسلم الصغير - أو المسلمة إلى هذا السن فإنه يُسأل إذا

قصر في أمر مفروض عليه شرعا من أمور الدنيا والدين - في الدنيا ويوم الحساب...

وقد أشارت بعض الآثار الإسلامية إلى أن التكليف يكون عندما يبلغ الإبن وتبلغ الإبنة الحلم. أى عندما يرى الصبى في منامه أنه يختلط بالنساء والبنات فيُمْنِى، وكذلك البنت، فيستيقظ وقد وجد في ملابسه الداخلية بللا من أثر الإمناء.. وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في بعض آياته كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية [النور: ٥٩]. فالتكليف مرفوع عن الطفل حتى يبلغ الحلم - وكذلك الطفلة. فإذا بلغه صار مكلفا. وتشير بعض الأحاديث إلى نوع من التحديد لسن التكليف. ومن ذلك أن عمر بن الخطاب كان يرد من لم يبلغ الحلم عن الاشتراك في جيش المسلمين، وعن حرب العدو معهم. وكان يستثنيهم ممن تدفع لهم الرواتب (رواتب المجندين) لصغر سنهم، اقتداء منه برسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أرسى رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدة هامة في هذا الشأن. فجند من لم يبلغ الحلم من الشباب إذا بلغ سن الخامسة عشرة. وكان العام في هذا الزمن كفيل بأن يبرز القوة والقدرة في التفريق بين الصبيان. فلم يكونوا عرضة للأمراض والعلل كما هو الحال في زماننا. يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه يوم أحد(1) وهو ابن أربعة عشرة سنة، فلم يجزنى، ثم عرضنى يوم الخندق، وأنا ابن خمس عشرة سنة، فأجازنى " (2). فقول عمر رضى الله عنه " فأجازنى " دليل على أن من استكمل خمس عشرة سنة قمرية تحديدية ابتداؤها من انفصال جميع الولد، يكون بالغا بالسن. فتجرى عليه أحكام البالغين وإن لم يحتلم. فيكلف بالعبادات وإقامة الحدود. ويستحق سهم الغنيمة وغير ذلك من الأحكام(3).

---

(1) يعنى أوقفه ضمن المعروضين عليه لقبولهم في الجيش أورفضهم.

(2) ص253من الجزء الثانى من كتاب اللؤلؤ والمرجان - تحقيق الدكتور محمد فؤاد عبد الباقى - لم يجزنى: أى لم يثبتنى في ديوان المقاتلين ولم يقدر لى روقا مثل أرزاق الجنود.

(3) هامش الصفحة ذاتها من المرجع السابق.

ويجرى هذا خلافا للقوانين الوضعية السارية الآن والتى تعفى الطفل من المسئولية إلى أن يبلغ الثامنة عشرة من عمره....

وهكذا ينجح الوالدان في الوصول بطفلهما إلى بر الأمان باستفادته من وصاياهما وإرشاداتهما المتمشية مع تعاليم الإسلام، والأخذ بما في القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة من الإرشادات الاجتماعية والصحية التي تتمشى مع هدى الله تعالى وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم. فيكْبُر الأطفال ويصيرون صبية وشبابا صالحين يحفظون لأمهاتهم وآبائهم فضل تنشئتهم الإسلامية لهم. ويصدق فيهم قول الشاعر:

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ::: على ما كان عوده أبوه.

والأب هنا يرمز إلى القوة، قوة التمسك بالمسئولية في ظل مبادئ الإسلام قرآنا وسنة. ولا يقصد الشاعر أن يُقْصِرَ الفضل فقط على الآباء. فالأمهات أيضا شريكات للآباء في غرس هذه القوة في عزائم الصغار..

الفصل الرابع:
الإسلام وعناية الوالدين بأبنائهم
في مرحلة الصبا والشباب

وبتوجيه الوالدين لأبنائهم وبناتهم إلى الالتزام بأداء الصلوات الخمس وصوم رمضان منذ صغرهم، وخصوصا بعد أن نشأوا على حبها - يضاعف الله تعالى لهم الثواب والأجر، بقدر إخلاصهم في هذا الالتزام. فإبليس اللعين يتسلط بكل قوته على الصبية والشباب الملتزمين؛ حتى يفسد عليهم عبادتهم وإخلاصهم لله تعالى. وينحرف بهم عن الصراط المستقيم، وهو الطريق إلى الله سبحانه.. لكن الشريعة الإسلامية ذات المحجة البيضاء - تفوت على الشيطان الرجيم وأعوانه الملاعين هذه الفرصة؛ لتضمن للفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم بالسلوكيات الحميدة المسئولة - السعادة في الدارين، دار النعيم المؤقت، ودار النعيم الدائم. فنجد ثمار الالتزام، بالطريق إلى الله تعالى، خيرا وبركة في الحياة الدنيا، وأمانا واطمئنانا وسعادة في الدار الآخرة للفتية والشباب..

في القرآن الكريم: ففى القرآن الكريم ومجال التمسك بعقيدة التوحيد الخالص لله تعالى والإخلاص في عبادته وحده لا شريك له - نجد ثمار هذا الإخلاص متمثلة في قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾} [الأنعام: ٨٢][1].. ويحيط الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم والمسلمين جميعا بعاقبة الشرك؛ حتى يعتبر ويمتنع كل من تحدثه نفسه الأمارة بالسوء، أن يشرك بالله العظيم، فيقول سبحانه: {وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾} [الزمر: ٦٥]. فالشرك يضيع ثواب العمل الصالح، ويؤدى إلى الخسارة المؤكدة في الدارين. وقد أكد الرسل جميعا، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة. ففى سورة الصافات والبقرة وآل عمران وغيرها من سور القرآن الكريم، يؤكد ربنا جل جلاله، أن

---

(1) لم يلبسوا: لم يخلطوا.

الغاية الكبرى من خلق الجن والإنس، هى عبادة الله وحده وعدم الإشراك به. ولذلك كان أول ما أوصى به رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، لكل مولود من البشر أن يُؤَذَّن في أذنه اليمنى، وتقام الصلاة في أذنه اليسرى، حال ولادته. ليكون أول ما يسمعه في حياته الدنيا هو معرفة الله ورسوله ورسالة الإسلام الخالدة، التي قال عنها ربنا تبارك وتعالى: { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ } [آل عمران: ٨٥].. وبذلك يُهَيَّأُ الطفل منذ بداية حياته وفى صباه وشبابه، وفى رجولته وشيخوخته - لتحمل هذه المسئولية. وهو في ذلك يقتدى بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وبمن سبقه من المرسلين الذين حرصوا على أن تتبع ذريتهم وأتباعهم طريق عقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين..

ويتضح من ذلك أهمية دور الوالدين تجاه أولادهم وبناتهم في مرحلة الصبا والشباب، كما كان الحال في مرحلة الطفولة.. فلقمان عليه السلام يحذر ولده من الميل إلى عقيدة الشرك، ويوجهه إلى عقيدة التوحيد الخالص لله تعالى. ويقول عز وجل في هذا الشأن: { وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ } [لقمان: ١٣]. فأول ما يعظ به لقمان ابنه هو تجنب الشرك والتمسك بعقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين. فالشرك - ولا شك - ظلم للمشرك ولأهله وعشيرته، وظلم للمجتمع كله. وفوق كل ذلك هو ظلم لله تعالى الغنى عن الشرك والشركاء.. ويحرص نبى الله يعقوب عليه السلام على الاطمئنان على عقيدة أبنائه بعد وفاته. فيجمع أولاده من حوله - عند إحساسه بدنو أجله - ويقول لهم: { مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى } [البقرة: ١٣٣]؟ فيقولون: { نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ } [البقرة: ١٣٣]. فيطمئن قلبه قبل موته ويسلم روحه لله تعالى وهو قرير العين..

وفى ظل الصدق والإخلاص في عقيدة التوحيد، يزداد الصبية والشباب اقتناعا بالشخصية المسلمة، التي ترفض التقليد وتلجأ إلى العقل في أمور العقيدة؛ حتى تكون سليمة مفيدة خالصة من شوائب الشرك بالله تعالى.. وقد سبق أن عرفنا أن كل إنسان يولد على الفطرة وهى الطريق المستقيم إلى الله عز وجل. فقد أوجب سبحانه أقوالا وأفعالا توصل إلى طريقه المستقيم، من عبادات ومعاملات وطاعات، وتعريف بمخالفات هذا الطريق. وعلى الإنسان، إذا أراد الحفاظ على فطرته التي خلقه الله عليها، أن يرفض تقليد الآباء والأجداد في كل قول أو فعل يحجب الطريق إليه سبحانه. ولما كان الأجداد والآباء قبل الإسلام، يتسلطون على أولادهم، ويطلبون منهم الطاعة العمياء في ممارسة عبادات تؤدى إلى الشرك بالله جل جلاله، دون مناقشة، ودون رجوع إلى العقل - فإن الإسلام رفض ويرفض أسلوب التقليد، وخصوصا فيما يؤدى إلى بطلان عقيدة التوحيد الخالص لله الواحد القهار..

وفى القرآن الكريم ما يحذر من التقليد وينادى الآباء وأبناءهم وبناتهم بالاحتكام إلى العقل؛ للتفريق بين النافع والضار والحلال والحرام. وقد سلك هذا النهج الكريم أنبياء الله تعالى ورسله ودَلُّوا قومهم عليه.. فهذا أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام يقف في وجه آبائه وأجداده من المقلدين الذين لا يحتكمون إلى العقل، ويسلمون أنفسهم في النهاية إلى الشرك وعاقبته الخاسرة. وكان على رأس هؤلاء المقلدين، أبوه آزر. فتوجه إبراهيم عليه السلام إلى أبيه بمنطق العقل. وطلب منه الاحتكام إليه في هذا الأمر. وأخذ ينصحه ويحذره قائلا: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ

إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾} [مريم: ٤٢ - ٤٥].. وكما نصح إبراهيم الخليل أباه، كذلك توجه بالنصح إلى قومه الذين كانوا ينهجون نهج أبيه آزر في الاشراك بالله سبحانه. وأخذ يتدرج معهم في طريق الشرك حتى وصل إلى نهايته الضالة. وأوضح لهم بما لا يدع مجالا للشك، أن طريق الله واضح لا يحتاج إلى شرك أو شريك. ويتجلى ذلك في قوله تعالى:

{ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾} [الأنعام: ٧٥ - ٧٩]..

وامتدادا لهذا الاتجاه الربانى في مجال الحفاظ على عقيدة التوحيد الخالص لرب السموات والأرض وما بينهما - يدعو ربنا عز وجل الفتية والشباب إلى عدم التأثر بنزغات الشيطان، وبما تأمر به النفس الأمارة بالسوء، من أخطاء وانحرافات، قد تؤدى بالشباب والفتية والفتيات إلى طريق النار، وتبعدهم عن طريق الجنة. وفى هذا الإطار ظل إبراهيم عليه السلام - وكان شابا في ريعان شبابه - ينصح أباه وقومه حتى تبرم أبوه آزر وقومه من ميل إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وحده، وتمسكه بذلك، وإلى بغضه للشرك والشركاء. فقرر قومه أن يعاقبوه..{ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾} [الأنبياء: ٦٨ - ٧٠].

وقد ورد في تفسير هذه الآية الكريمة: " لما أرادوا إحراق إبراهيم جمعوا له حطبا مدة شهرين. حتى كانت المرأة تمرض فتنذر إن عوفيت أن تحمل حطبا لحرق إبراهيم، ثم جعلوه في حفرة من الأرض وأضرموها نارا فكان لها لهب عظيم، حتى إن الطائر يمر من فوقها فيحترق من شدة وهجها وحرها، ثم أوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار، فجاء إليه جبريل فقال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، فقال جبريل: فاسأل ربك، فقال: حسبى من سؤالى علمه بحالى. فقال الله:{يَنَارُ [1] كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ } [الأنبياء: ٦٩][2].. وهكذا نجى الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بكلمة كن من الاحتراق في النار بعد أن أبطل سبحانه عملها وعكس مهمتها فكانت بردا وسلاما عليه. ولم تحرق منه النار إلا وثاقه أو موضع الكتاف كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المفسرين. فقد قال رسول الله الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن:{لما أُلقى إبراهيم في النار، قال: حسبى الله ونعم الوكيل، فما احترق منه إلا موضع الكتاف} [3]

---

(1) سجلت بالإملاء اللغوى خلافا لثبوتها في القرآن الكريم لتعذر وضع الف المد فوق الحرف. ومثلها يابنى. ومثلها يا إبراهيم.

(2) القرطبى11/303. وانظر القسم التاسع من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى ص17 تفسير الآية 69 من سورة الأنبياء - المنجنيق: آلة قديمة من آلات الحرب كانت ترمى بها حجارة على الأسوار فتهدمها.

(3) رواه ابن النجار عن أبى هريرة ص120من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى - الكتاف: الوثاق.

وقال ابن عباس رضى الله عنه: " لو لم يقل الله: (وسلاما على إبراهيم) لآذى إبراهيم بردها " (1)... وهكذا نجى الله عز وجل إبراهيم عليه السلام من عذاب الاحتراق بنار الدنيا بفضل تمسكه بعقيدة التوحيد والإخلاص فيها لله رب العالمين. مما جعل أباه آزر يتعجب من تعطيل نظام الطبيعة الذي جعل النار المحرقة بردا وسلاما على إبراهيم، وقال له قولته المشهورة " نعم الرب ربك يا إبراهيم " (2).. وذلك رغم بقائه على إشراكه. ولو استعمل عقله منذ بداية الدعوة التي وجهت إليه لنبذ الشرك وعبد الله وحده وأراح نفسه وقومه وولده...

وفى المجال الإجتماعى: يوجه الإسلام الآباء والأمهات إلى نصيحة آبائهم وبناتهم بتوجيههم إلى مجموعة من عزائم الأمور الاجتماعية وعظائمها لأهميتها في إقامة حياة سعيدة في الدنيا والآخرة. وفى مقدمة هذه الأمور إقامة الصلاة التي هى عماد الدين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والصبر على أقدار الله جل وعلا. فيقول سبحانه على لسان لقمان عليه السلام ناصحا ولده:{ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧} [لقمان: ١٧]. وكلها أمور تجعل حياة المسلم والمسلمة سعيدة مستقرة نافعة.. ولا ينسى لقمان في هذا المقام، أن يحذر ولده من التكبر على عباد الله وغمطهم بحجة أن الشباب - وهو منهم - هم العنصر الفاعل في المجتمع الإسلامى، وهم الذين يقودون مجتمعهم إلى التنمية والرقى. والشباب وإن كانوا كذلك فإنهم يستشيرون الرجال والشيوخ في المجتمع، فهم الذين يحملون في جنباتهم الخبرة اللازمة باستفادتهم من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة.

---

(1) انظر ص17من القسم التاسع من المرجع صفوة التفاسير.

(2) رواه أبو هريرة ص106من كتاب قصص الأنبياء - لابن كثير - تحقيق الأنصارى.

ومن هنا يوجه الإسلام الآباء والأمهات إلى تنبيه أبنائهم وبناتهم إلى التواضع وعدم التكبر والتهوين من شأن الفئات الأخرى في المجتمع. ويقول ربنا عزو جل في ذلك أيضا على لسان لقمان عليه السلام موجها ولده الشاب{ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨)} [القمان: ١٨][1].

وهناك توجيهات ربانية أخرى ينصح بها الوالدان أبناءهما الشباب من البنين والبنات، مستفيدين من البرنامج القرآنى في إرشاد الصبية والشباب والفتيات في المجال الاجتماعى. فهم يوجهونهم إلى الاعتدال في المشى وفى تصرفاتهم المتعددة في الحياة اليومية، والاعتدال كذلك عند الكلام بغض الصوت في الزمان والمكان اللازمين لذلك. ويوجه لقمان عليه السلام ابنه وأبناء المسلمين جميعا إلى ذلك في قوله تعالى على لسانه:{ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [القمان: ١٩][2]. فالتوسط في المشى بين الإبطاء والسرعة مطلوب من الصبية والشباب والناس جميعا؛ لقول النبى صلى الله عليه وسلم :{سرعة المشى تذهب بهاء الوجه} (3). وكذلك التوسط في الأقوال والأفعال وكافة التصرفات المطلوبة في الحياة اليومية، مطلوب في الأحوال الكثيرة التي تتطلب ذلك. ومثل ذلك خفض الصوت عند الحديث أثناء المشى أو الوقوف في الطرقات والشوارع

---

(1) غمط الناس: التقليل من شأنهم والترفع عليهم - تصعير الخد: إمالته عن الناس.
(2) اقصد في مشيك: توسط فيه بين البطء والسرعة.
(3) رواه أبو نعيم 85 من مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

وخصوصا في وقت الليل. فعلو الصوت في مثل هذه الأماكن والأوقات فيه تشبيه بالحمير التي يعلو صوتها فيها دون تمييز بين وجوب خفض الصوت وعلوه؛ لأنها حيوانات لا تعقل ولا تميز. قال قتادة: " أقبح الأصوات صوت الحمير أوله زفير وآخره شهيق " (1). وقال الحسن رضى الله عنه: " كان المشركون يتفاخرون برفع الأصوات، فرد الله عز وجل عليهم بأنه لو كان خيرا لفضلتهم به الحمير " [2]...

وتمشيا مع الفضائل الاجتماعية التي ينفع بها الوالدان أولادهما وبناتهما - يوجه القرآن الكريم الأبوين إلى حث أولادهم وبناتهم على الصبر وحسن التصرف في توجيه طاقتهم الشبابية الجنسية إلى أشياء مفيدة لحين تمكنهم من الزواج. فيقول سبحانه: {وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ} الآية [النور: ٣٣]. فعلى هؤلاء الشباب الذين لا يجدون باءة الزواج أن يَعِفُّوا عن نساء الناس وبناتهم فلا يتعمدون إيذاءهن بقول أو فعل إلى أن يتمكنوا من الزواج الشرعى، والوفاء بكل متطلباته. وعليهم أن يتسلحوا بالصوم فهو وجاء[3] لهم من الانزلاق وراء الشهوات المدمرة لشبابهم. وعليهم أن يمارسوا أنواع الرياضة المختلفة حتى يصرفوا طاقتهم تصريفا شرعيا مفيدا. وعليهم أيضا أن يأخذوا بمبادئ وتعاليم الإسلام التي تعصمهم من الزلل والانحراف. فربنا عز وجل يعين من يسير في هذا الاتجاه، ويهديهم إلى طريق الخير..

---

(1) ص28من القسم 12من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - الطبعة الأولى.

(2) ص28من القسم 12من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - الطبعة الأولى.

(3) وجاء: حافظ.

ودليل ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء} [1]. فالصوم حافظ لهم من الانزلاق وراء شهواتهم الحيوانية المدمرة.

واستمرارا في التوجيهات القرآنية الاجتماعية لحفظ الشباب يوجه كتاب الله العزيز الوالدين إلى وجوب الحذر من دخول الأبناء على والديهم في أوقات ثلاثة يميل فيها الوالدان إلى الراحة، وقد يخففون ملابسهم في هذه الأوقات. لذا أوجب الإسلام على أبنائهما وبناتهما الاستئذان قبل الدخول عليهما في حجراتهما الخاصة في الأوقات المشار إليها في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾} [النور: ٥٨][2]. وهكذا يوجه القرآن الكريم الصبية والشباب والفتيات للنظر إلى آبائهم وأمهاتهم بنظرة الاحترام والطاعة والتعاون المتبادل على البر والتقوى، وإعلاء كلمة الله، وإعلاء شأن الأسرة المسلمة وما يتفرع عنها مستقبلا...

---

(1) رواه الجماعة ص160من كتاب مختار الأحاديث النبوية - الباءة: مصاريف الزواج.

(2) الذين ملكت أيمانكم: إماؤكم وعبيدكم - الذين لم يبلغوا الحلم منكم: لم يبلغوا سـن التكليف والبلوغ.

وفى مجال طاعة الأبناء والبنات لآبائهم وأمهاتهم وتعاونهم فيما بينهم بالإضافة إلى ما سبق أن ذكرناه بهذا الخصوص - نجد الأسوة الحسنة في إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام. وهو جد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.. فقد رأى أبوه إبراهيم عليه السلام في منامه، أنه يذبح ولده إسماعيل. ورؤيا الأنبياء حق ويجب تحقيقها. وقد حزن أبو الأنبياء إبراهيم لهذه الرؤيا حزنا شديدا. لكنه تمالك نفسه وأذعن للأمر الإلهى. فأخذ سكينا حاميا وأخفاه في ملابسه. وسار بابنه إسماعيل في أعماق الوادى وسلك طريقا لا يسير الناس فيه عادة. وتوقف إبراهيم في المكان المعروف الآن بالمشعر الحرام بمنى. وهناك صارح ولده إسماعيل بالرؤيا التي رآها في منامه وبحزنه العميق من أجل ذلك. وقد فطن إسماعيل لغرض أبيه ولسيره في هذا الطريق غير المسلوك، فبادل استسلام أبيه لأمر الله وقضائه بالامتثال. واكتمل المشهد الرائع بتشجيع إسماعيل لأبيه إبراهيم عليهما السلام - على تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى رغم ما في ذلك من حساسية شديدة وفجيعة؛ حتى لا تأخذ إبراهيم الشفقة فيتراجع عن التنفيذ. وازداد المشهد روعة بوصية إسماعيل لأبيه قبل الذبح، وهى وصية مشهورة، قال فيها إسماعيل مخاطبا أباه ومحفزا له على تنفيذ أمر الله جل جلاله: " يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب.. واكفف ثيابك حتى لا ينتضح عليها شئ من دمى فتراه أمى فتحزن.. واحدد شفرتك وأسرع بها على حلقى ليكون الموت أهون علىَّ.. وإذا أتيت أمى فأقرئها منى السلام.. وإن أردت أن ترد قميصى عليها فافعل فإنه عسى أن يكون أسلى لها عنى

". فلما سمع الأب إبراهيم وصية ولده له وامتثاله لأمر الله الجليل، قال له: " نعم العون أنت يابنى على أمرالله " (1).. وتكتمل روعة الفداء فيظهر إبراهيم السكين الذي أخفاه عن ولده، ويكبه على وجهه، ويهوى بها على حلقه، لكن السكين الحامية الحادة لم تذبح. وسمع إبراهيم الخليل نداء ربه عز وجل:{فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾} [الصافات: ١٠٣ - ١٠٧][2]..

وهكذا يكتمل المشهد الرهيب فيفدى الله الكريم الجليل نبيه إسماعيل عليه السلام، بفداء يتناسب مع جوده بروحه امتثالا لأمر ربه جل وعلا وأمر أبيه.. وطمأنة وتثبيتا وتكريما لصدر أبيه إبراهيم الذي امتثل لأمر ربه العظيم، جُعِلَ الذبح في ذلك الوقت من كل عام هجرى إحياء لهذا الموقف البطولى من الأب والإبن على السواء. فلكل من يساهم في إحياء هذه الذكرى العطرة بالذبح لأضحيته أجر عظيم من الله الكريم حيث تعينه يوم القيامة على اجتياز الصراط إلى جنة النعيم دار الخلد. وأما في الدنيا فتغفر كل ذنوبه مع آخر قطرة تنزل من دمها بعد ذبحها. وفى ذلك يقول ربنا عز وجل تخليدا لهذه الذكرى وتوجيها للمسلمين باستمرار هذه المناسبة البطولية:{ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾} [الكوثر: ٢].. ويقول عز وجل:{ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ} [الحج: ٣٦] الآية.

---

(1) ص18من القسم الرابع عشر 12من كتاب صفوة التفاسير - الطبعة الأولى - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.
(2) تله الجبين: أكبه على وجهه ليذبحه.

ويقول جل جلاله{ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ } الآية [الحج: ٣٧]. وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{ماعمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من إهراق دم. وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها. وإن الدم ليقع من

الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفسا} (1). وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحيرة في يوم عيد} (2). وقال مجاهد: "{لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ} [الحج: ٣٦] قال: أجر ومنافع " (3). وسلط إبراهيم النخعى الضوء على ما فيها من منافع دنيوية فقال: " يركبها ويحلبها إذا إحتاج إليها " (4).

وجزاءً لوفاء وطاعة الابن إسماعيل لأبيه إبراهيم عليهما السلام، وللتعاون بينهما في مجال التضحية والولاء لله رب العالمين، كافأ إبراهيم ولده إسماعيل بأن طلب منه أن يرفع معه قواعد بيت الله الحرام بعد أن حددتها الملائكة لهما؛ حتى يكتمل للمسلمين نسكهم، فيزدادا ثوابا وبركة من الله جل جلاله في داريهما الفانية والباقية. ويقول رب البيت سبحانه في ذلك:{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾} [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨]..

---

(1) رواه ابن ماجه والترمذى وحسنه ص212من الجزء الثالث من تفسير القرآن العظيم - لابن كثير.

(2) رواه الدار قطنى في سننه. نفس الصفحة من المرجع السابق.

(3) نفس الصفحة من المرجع السابق.

(4) نفس الصفحة من المرجع السابق.

وهكذا يتراءى للجميع أن رضاء الوالدين من رضاء الله تعالى. ولذلك يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : " من أرضى والديه فقد أرضى الله، ومن أسخط والديه فقد أسخط الله " [1]...

ومن الأمور الاجتماعية الهامة في مرحلة الصبية والشباب اهتمام الوالدين بدعم مستقبل أولادهم وبناتهم بأقصى قدر من الاستطاعة. فلا يجب أن ينشأ الأبناء عالة على الآباء والأمهات أو عالة على المجتمع؛ لأن ضعف الأبناء أو تقاعدهم عن الكسب وعن الاعتماد على النفس فيه - يؤدى حتما إلى ضعف الأسرة والمجتمع الإسلامى. ويحذر القرآن الكريم المسلمين جميعا من هذا الأمر. فيقول عز وجل: {وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾} [النساء: ٩]..

فدور الوالدين هنا طمأنة ذريتهما الضعيفة بعبارات العطف والحنان التي تشجعهم على شق طريقهم في الحياة دون خشية ضعف أو فقر أو غيرهما. وكذلك يُطَمْئِنُ الوالدان مَنْ تحت رعايتهما من اليتامى - إن وُجِدوا - إلى عدم خشية الفقر، حتى يعيشوا مطمئنين إلى رعاية الله ثم الكافلين والمجتمع الإسلامى لهم، فيتشجعون، ويتجه القادر من الأبناء واليتامى إلى العمل على الكسب الحلال، وعدم الإتكال على الآباء والكافلين. بل إن الإسلام أمر أتباعه بتحسين وضع هؤلاء الأبناء واليتامى الضعفاء وهدايتهم إلى بداية الطريق الصحيح للكسب. وقد سبق أن تحدثنا عن تنمية أموال اليتامى بالاتجار فيها لهم. وبذلك يطمئن هؤلاء وأولئك على مستقبلهم في ظل الثقة والتعاون والأمن المتوفر في الأسرة والمجتمع الإسلامى طبقا لتعاليم الإسلام..

---

(1) رواه البخارى عن أنس ص139 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى.

فقد نهى الإسلام أتباعه عن قهر اليتيم وانتهار السائل. فتطييب خاطرهما بكلمة طيبة أفضل بكثير من قهرهما بكلمة جارحة للشعور مثبطة للعزيمة القوية على العيش الكريم. وربنا جل شأنه يقول:{فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ} [الضحى: ٩ - ١٠]. ويقول أصدق القائلين سبحانه:{قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ۝٢٦٣} [البقرة: ٢٦٣]. ففى الآية الكريمة حث وإغراء لمعاملة الفقير والمحتاج بالحسنى ولو بكلمة طيبة يغفر الله لقائلها ذنوبه جزاء هذا الدعم المعنوى للفقير والمحتاج واليتيم..

وكذلك نهى الإسلام عما كان يحدث في الجاهلية من قتل بعض الآباء لأبنائهم خشية الفقر. فربنا الخالق الرازق العظيم قد تكفل برزق الآباء والأبناء. والإيمان به سبحانه وبقدره واجب. يقول جل شأنه: { وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ۝٣١} [الإسراء: ٣١]. فهو سبحانه يُطَمْئِنُ من يهمون بقتل أولادهم خشية الفقر بأنه كريم جواد يتكفل برزق هؤلاء الأولاد كما يتكفل برزق أبائهم. فلا داعى إطلاقا لقتل الأبناء خشية الفقر. فالأبناء والبنات نعمة من الخالق عز وجل لعباده يجب الحفاظ عليها وطمأنتها ورعايتها بدلا من إهانتها وقتلها. والأولاد كذلك يساعدون آباءهم وأمهاتهم عند الكبر. فلا يجب أن يَحْرِم الوالدان أنفسهما من هذا الخير القادم والمتوقع. فيقول المولى سبحانه:{وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ } [الأحقاف: ١٥]...

ويحث الإسلام الآباء والأمهات على نصح أبنائهم بالتزام الإسلام وتعاليمه وآدابه إذا هم مالوا إلى الكفر وتركوا الإسلام، وأصروا على الإشراك بالله عز وجل، والكفر بالبعث والنشور والحساب، وفي ذلك يقول ربنا الكريم:{ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾} [الأحقاف: ١٧][1]... وعلينا أن نتذكر موقف نوح عليه السلام من ابنه الكافر. إذ عندما دعاه أبوه إلى الإسلام واللحاق به وبالمؤمنين لينجو من الغرق الذي كتبه الله تعالى على الكفار من قومه ظل على كفره وقال:{سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ } [هود: ٤٣]..

---

(1) أخرج: أبعث - خلت: مرت وفاتت.

فلم ينفعه إيمان أبيه ولا نبوته وظل على كفره حتى مات عليه غريقا مع الكافرين...

لكن حرص الوالدين على أمن أولادهم وبناتهم وعلى سعادتهم لا يجب أن ينسيهما - ولو لحظة - أن العمل من أجل الآخرة واجب، وأن السعادة في الآخرة آكد وأبقى. فمن فاتته سعادة الدنيا، فسعادته في الآخرة محفوظة، لكنها مرهونة بعمله الصالح في الدنيا، وتقواه لله جل جلاله. ولذا يقول ربنا سبحانه:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ } [آل عمران: ١٤].

وفى الإطار الاجتماعى لاهتمام الإسلام بالصبية والشباب يدعوهم ربنا عز وجل إلى قيام الليل أو جزء منه تعبدا لله سبحانه وتعالى. حيث إن ذلك سيجعل الشباب والفتيات سليمى العقل والجسم. فيقول لهم الحكيم العليم:{إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾} [المزمل: ٦]. ولهم في ذلك أسوة حسنة في رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وتابعيهم. إذ يقول جل شأنه لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم :{يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾} [المزمل: ١ - ٤]. ويقول له أيضا:{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ } الآية [المزمل: ٢٠].. وفى هذا الإطار نصحت أم سليمان ابنها سليمان عليهما السلام، بأن يقوم الليل أو جزءا منه تعبدا لله تعالى؛ لأن كثرة النوم به تجعل الإنسان فقيرا يوم القيامة. فقد روى البيهقى عن جابر رضى الله عنهما: قالت أم سليمان بن داود لسليمان " يا بنى لا تكثر النوم بالليل، فإن كثرة النوم بالليل تترك الإنسان فقيرا يوم القيامة " (1)... كما حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته من عدم قيام الليل أو جزء منه وبين لهم أن مِنْ فوائد هذا

---

(1) ص108من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

القيام الدنيوية أنه يكون مطردة للداء من الجسد. فيقول صلى الله عليه وسلم :{عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم. وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء من الجسد} (1).

بل إن هذا الحديث الشريف أورد جملة من فضائل قيام الليل؛ فهو طريق الصالحين من خلق آدم إلى يوم القيامة، وفيه تقرب لله جل جلاله، وفيه نهى دائم وقوى عن ارتكاب الآثام والمعاصى، وفيه تكفير للسيئات التي يرتكبها المسلم في فترات ضعفه أمام وساوس الشيطان الرجيم. وفيه أيضا قوة للبدن تجعله قادرا على طرد العلل والأسقام والأمراض. وهذا من فضل الله العلى القدير... وبقدر ما يكون الشباب والفتيات مطيعين لآبائهم وأمهاتهم يجب أن يكونوا على حذر من اتخاذ آبائهم وإخوانهم أولياء وأصفياء لهم، إن كان هؤلاء الآباء والإخوان يحبون الكفر ويفضلونه على الإسلام. إذ أن في ذلك ظلم للأبناء وكذلك للآباء والإخوة؛ لأن طريق الله تعالى المستقيم الخالص من الشرك والشركاء - أحق بالإتباع. ولهذا يقول لهم جل شأنه: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾} [التوبة: ٢٣]..

وفى هذا الإطار الاجتماعى الهام يحذر الإسلام الآباء من أبنائهم وزوجاتهم؛ فقد يسير هؤلاء الأبناء وأمهاتهم في طريق الضلال ويمنعون آباءهم من فعل الخير كما منع بعض الأولين من النساء والبنين آباءهم من إكمال دينهم بالهجرة مع بقية المؤمنين.

---

(1) رواه أحمد عن بلال ص99من نفس المصدر.

وعلى الآباء حينئذ التمسك بطريق الإسلام الذي يتطلب فعل الخير كبقية المسلمين وعليهم في الوقت نفسه أن يعفوا ويصفحوا عن أبنائهم وأزواجهم، فيقول لهم المولى تبارك وتعالى:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾} [التغابن: ١٤].. وفى هذا الإطار كذلك يحذر القرآن الكريم شباب المسلمين من التكاسل والانصراف عن حب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وسلم وعن طاعتهما، وعن الجهاد في سبيل الله. وذلك بالانغماس في الملذات والشهوات الدنيوية والفخر بالآباء والأبناء والأزواج والعشائر، وجمع الأموال. فكل ذلك نعيم مؤقت لا يغنى عن النعيم الدائم في الآخرة. فيقول الله الفرد الصمد آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يُحَذر هؤلاء من هذا السلوك الضال:{ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ } [التوبة: ٢٤].. فطريق الله الآمن الباقى أحق أن يتبع. وبالجملة فقد وجه القرآن الكريم الفتية والشباب وفقا لهذا المنهج الاجتماعى المتكامل الحكيم الذي ذكرنا جوانبه المتعددة - إلى الطريق القويم، طريق الله جل جلاله، والصبر على السير فيه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإنفاق من الرزق الإلهى الحلال الطيب، وفعل الحسنة بعد السيئة لكى تمحها، كما وعدهم الله تبارك وتعالى بأنهم إن ساروا في هذا الطريق المستقيم النافع - فإن مصيرهم يكون إلى الجنة.

فيقول رب العالمين سبحانه: {وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾} [الرعد: ٢٢ - ٢٤]..

وننبه صبية المسلمين وشبابهم إلى أن مقاومة الشر وعدم الانسياق وراء وساوس الشيطان الرجيم، يعتبر أساسا للسير في طريق الله عز وجل. وعلى الآباء والأمهات أن يعلموا أولادهم وبناتهم ذلك.. وللمسلمين جميعا والشباب منهم - قدوة حسنة في يوسف عليه السلام، وهو الصِّدِّيق الصادقُ الأمين. فقد كان شكله جميلا وحسنه فائقا. تربى في بيت رجل كريم من مصر. وعندما شبَّ عُودُهُ واستوى، راودته امرأةُ سيِّدِهِ التي هو في بيتها ليمارس معها الفاحشة. وأغلقت أبواب دارها عليه بل وأحكمت إغلاقها؛ حتى لا يستطيع الهرب.

وهيأت له طريق الزنى بكل إمكانياتها. لكن يوسف عليه السلام، رد عليها وعلى شيطانها الرجيم، ردا حاسما، تجاوب فيه مع نداء الله تبارك وتعالى. وسد عليها سبل الشيطان إلى فعل الخطيئة. وبادل سيده إخلاصا بإخلاص. ويقص علينا المولى تبارك وتعالى مادار في هذه اللحظات الحاسمة التي هرب فيها يوسف من فعل الفاحشة وقهر النفس كما يهرب الإنسان من الوحش المفترس

فيقول سبحانه: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٥ قَالَ هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٢٦ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٧ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ٢٨﴾ [يوسف: ٢٣ - ٢٨] لقد قاوم يوسف الشيطان الرجيم والتزم طريق الرحمن الرحيم فكان الله عز وجل معه، وأدرك سَيِّدُهُ أنه بريء من التهمة الملصقة به فصرف النظر عما نسب إليه، وحذر زوجته ونصحها أن تعود إلى الله وتترك الشيطان وطريقه وحزبه، فقال المولى الكريم على لسانه:﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾ [يوسف: ٢٩].

وهناك أغراض مختلفة تهم الشباب والفتيات اهتم بها القرآن الكريم، وإن لم يخاطبهم بشأنها خطابا مباشرا، فقد وجهها إليهم باعتبارهم أهم الطوائف العاملة في المجتمع الإسلامي، وسياق الحديث في أغلبها مقصود به الفتية والشباب والفتيات وإن كان الخطاب فيه ليس موجها إليهم في الغالب.

ففى المجال الاقتصادى وتكوين الثروات المالية التي تعتبر السبيل إلى تقدم المجتمع وتنميته ورقيه في ظل تعاليم الإسلام - نجد توجيهات عديدة تفيد الشباب كما تفيد غيرهم، منها توجيه المجتمع بما فيه من شباب إلى وجوب التحرى في طلب الرزق والحرص على أن يكون حلالا طيبا. وتحذير العاملين من تتبع خطوات الشيطان الذي يزين للناس دائما طرق الرزق الخبيثة كالسرقة والغش والرشوة والخداع والتعامل بالربا، وغيرها من الطرق التي تمحق الرزق. فيقول الرحمن الرحيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾ [البقرة: ١٦٨]. ويقول عز وجل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة: ٢٤٥]. ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٨٠]. فهو سبحانه يحذرهم من الطرق الشيطانية في طلب الرزق ويوجه القادرين منهم إلى مساعدة غير القادرين بالقرض الحسن الخالى من الفوائد الربوية. كما يوجههم إلى الابتعاد عن طريق الربا الذي يدمر اقتصاد الأفراد والجماعات بل واقتصاد الوطن الإسلامى كله. وحتى يكون التعامل الاقتصادى سليما ونقيا وخاليا من الغش والخداع والظلم - نهى القرآن الكريم التجار عن تطفيف الميزان والكيل. وتوعد المطففين وذكَّرهم بالوقوف الصعب بين يدى الله تعالى خزايا مقهورين. فقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين: ١ - ٦] كما وجه القرآن الكريم الناس بصفة عامة إلى الاعتدال في الإنفاق. فالوسطية فيه بين الإسراف والتقتير هى المطلوبة من المسلمين. ولهذا فقد جعل ربنا عز وجل المعتدلين في إنفاقهم من عباد الرحمن الذين بشرهم بفضل عظيم ونعيم كبير في الآخرة علاوة على

أمنهم في الدنيا بسبب هذا الاعتدال. فقال تعالى:{وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾} [الفرقان: ٦٧]. كما ذم القرآن الكريم المبذرين المسرفين وجعلهم إخوانا للشياطين، لأنهم يسرفون في إنفاقهم وتقتيرهم. فيضعفون المجتمع وأُسَرَهُ وأفراده، بهذا التصرف الممقوت. وفى ذلك يقول رب العالمين:{إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾} [الإسراء: ٢٧].

وقد عمل الإسلام على الحد من التسابق إلى جمع المالوحث المسلمين على التسابق الأولى والأصلح وهو العمل من أجل الآخرة. وقد أشرنا سابقا إلى قوله تعالى:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ } [آل عمران: ١٤] وكذلك أشرنا سابقا إلى حث الإسلام على معاملة المحتاجين المسلمين بالقرض الحسن والبعد عن الربا ومضاره. وكل هذه المعاملات يحتاج إليها الشباب أكثر من غيرهم من طوائف المجتمع باعتبارهم العنصر الأكثر والفاعل في المجتمع الإسلامى..

وفى التوجيه إلى الصناعة، يتحدث القرآن الكريم عن أكثر من ميدان من ميادين الصناعة التي لو اشتغل بها الشباب لعادت عليه بألوان كثيرة من الخير. وأنبياء الله تعالى ورسله الذين كانوا في ريعان شبابهم قد اشتغلوا ببعض هذه الصناعات - فكانوا المثل الأعلى للشباب والعاملين في المجتمعات الإسلامية..

فقد عَلَّم الله تبارك وتعالى داود عليه السلام صناعة الدروع. فكان أول من صنعها. ويتضح ذلك من قوله تعالى:{وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾} [الأنبياء: ٨٠]. وكان داود يومئذ في ريعان شبابه.. ومن بعده ولده سليمان عليه السلام الذي أسال الله تعالى له عين القطر أى النحاس يعمل منه التماثيل التي لم تكن قد حُرِّمت بعد، وغيرها من الأدوات اللازمة للحياة في ذلك الزمن، كأوانى الطهى

والقدور الضخمة الراسية التي لا يمكن تحريكها من أماكنها، والقصاع الكبيرة التي تشبه الأحواض

لاستخدامها في الأغراض المختلفة. ويقول ربنا عز وجل في ذلك:{ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾} [سبأ: ١٢ - ١٣].

ومن سياق الآيات السابقة ومعانيها نرى أن الله جلت قدرته قد سخر الريح لسليمان عليه السلام. يستخدمها في نقل جيوشه إلى أى مكان في العالم آنذاك. كما يستخدمها في أغراض أخرى اجتماعية واقتصادية. كما سخر الله عز وجل لسليمان عليه السلام طوائف من الجن يغوصون في البحرفيستخرجون له الجواهر واللآلئ التي تستخدم في الصناعات المختلفة.{وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾} [الأنبياء: ٨٢]. وكل هذا ليستفيد البشر من بعدهم بهذه الصناعات وينشطوها. فلا يتكل أحد منهم على غيره. كلٌّ يعمل ما تيسر له من الصناعات.. والشباب أكثر من غيرهم معنيون بهذا النشاط الصناعى الذي يمكن أن يثرى أى مجتمع.. وكان للمرأة نصيب في هذه النهضة الصناعية. والفتيات معنيات بذلك حتى يشاركن في رقى مجتمعهم الإسلامى. فقد وجه الله عز وجل العنصر النسائى إلى صناعة الغزل لاستعماله بعد ذلك في صناعة المنسوجات المختلفة. يقول تعالى:{ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا } الآية [النحل: ٩٢].. تلك ألوان من الصناعات لو اهتم بها الشباب والفتيات لأحسوا بالرخاء الاقتصادى ولنفعوا مجتمعهم الإسلامى نفعا عظيما مؤكدا...

وبالإضافة إلى كل مامر نجد القرآن الكريم يمنح الشباب والفتيات جرعات قوية من المنشطات العامة النافعة لهم ولغيرهم في دنياهم وآخرتهم، تحثهم على التحلى بالأخلاق الكريمة، وتحبب إليهم خصال الخير، وتنفرهم من خصال الشر.

فيقول عز وجل مخاطبا المسلمين جميعا وفيهم الشباب والشابات: {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾} [آل عمران: ١٥ - ١٧].. ولا ننسى في هذا المقام أن نذكر بالوصايا العشر اللازمة لكل مسلم ومسلمة، وللصغير والكبير على حد سواء. يوصى بها الآباء والأمهات أبناءهم وبناتهم، شبابهم وأطفالهم. وهى مجموعة في قوله تعالى: {۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۖ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾} [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣]..

ولا يفوتنا كذلك أن نذكر بتلك الصفات الحميدة التي جمعتها آية واحدة من كتاب الله جل وعلا. ويبشر الله تعالى من آمن به واتصف بها. وهى قوله تعالى:{ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢} [التوبة: ١١٢][1]..

ونكرر في هذا السياق ما سبق أن أشرنا إليه من صفات الخيرالتى يتصف بها الآباء والأمهات والشباب والفتيات. ويتسابق الجميع في سبيل الوصول إليها وتحقيقها ليحظى بالمغفرة والأجر العظيم في الآخرة علاوة على الأمن والسعادة في الدنيا.

وهى أيضا مجموعة في آية واحدة من كتاب الله عز وجل هى قوله تعالى: {إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥} [الأحزاب: ٣٥].

---

(1) السائحون: السائرون في الأرض للغزو أو طلب العلم وللعظة والاعتبار. وقال البعض هم الصائمون. وقال البعض هم المهاجرون ورجح الشيخ المرحوم محمد على الصابونى رأى الفخر الرازى وهو الرأى الأول. ص50 من القسم الخامس من كتاب صفوة التفاسير - للشيخ الصابونى.

ويطمئن الله جل جلاله البشر جميعا بما فيهم من الشباب والفتيات بأنه تعالى لن يضيع نعمة أنعمها على أحد أو قوم من الناس إلا إذا بدأوا هم أو آحادهم بالتغيير إلى الأسوأ. وهو عز وجل سميع لخلقه عليم بهم. فيقول سبحانه:{ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾} [الأنفال: ٥٣]. وقد جرت سنة الله تعالى في خلقه أن ينصر اللاجئين إليه الراغبين في طاعته والائتمار بأمره والانتهاء عن نهيه، الرافضين لطريق الشيطان عدو الله العظيم وعدو آدم وعدو الإنسانية جمعاء وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى:{ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾}

[إبراهيم: ٢٢][1]..

فالحق قوى لأنه من الله القوى المتين والباطل ضعيف لأنه من الشيطان ضعيف الكيد. وانتصار الحق على الباطل أمر محتوم. فليختر الصبية والشباب طريق الحق فهو الأصلح والأنفع، وليتركوا طريق الباطل فهو الأضعف والأبتر..

وبهذا المنهج الربانى المتكامل، يكون القرآن الكريم قد أحاط الشباب والفتية والفتيات علما بأهم السبل التي تؤدى بهم إلى السعادة الدنيوية، سواء في العمل من أجل الآخرة أو من أجل الدنيا في المجال الاجتماعى والاقتصادى بكافة صوره وأشكاله وفى مجال الأخلاق الكريمة التي تقرب إلى الخير وتنفر من الشر، والتى اكتسبها الشباب من والديه، ونتيجة

---

(1) بمصرخكم: بمغيثكم من عذاب الله.

إيمانه بخالقه عز وجل، ومحافظته على عقيدة الإسلام الخالدة. وتلك هى الميادين الرئيسية التي يلتمس الشباب والفتية والفتيات فيها النصح والإرشاد. وللسنة النبوية المباركة برنامج مماثل ومكمل ومستفيض يجب أن نحيط بكل أبعاده إن شاء الله.

اهتمام السنة المباركة بمرحلة الصبا والشباب:

فإذا انتقلنا إلى السنة النبوية الكريمة واهتمامها بالشباب والفتيات ومشاركتها في إسعادهم - فإننا نجد في البداية دعوة إلى العقيدة السليمة ووجوب التمسك بها، والإيمان الكامل بالله عز وجل وإخلاص العبادة له سبحانه منذ الصغر. فقد ساعد الوالدان أبناءهما وبناتهما منذ الصغر على التمسك بعقيدة الإسلام والحذر من التهويد والتنصير والتمجيس وغيرها من الاتجاهات المخالفة للعقيدة الإسلامية التي ولد الأبناء والبنات مطبوعين عليها. وقد سبق أن أشرنا إلى قوله صلى الله عليه وسلم :{كل إنسان يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أوينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء} ثم يقول أبو هريرة واقرأوا إن شئتم:{فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } الآية [الروم: ٣٠][1].

وفى لفتة كريمة أخرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبه خلالها الصبية والشباب إلى وجوب الاستمرار في التمسك بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في هذه المرحلة الحاسمة من عمر الإنسان حيث يظل مرتبطا بها طيلة حياته ويبشرهم صلى الله عليه وسلم بأن الشباب المتمسك بعقيدة الإسلام يتمتع في الآخرة بظل الله تعالى حيث لا ظل هناك إلا ظله سبحانه مادام قد نشأ على عبادة الله وشب علها وأخلص فيها فيقول صلى الله عليه وسلم :{سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب

---

(1) رواه البخارى عن أبى هريرة ص11من كتاب كنوز السـنة - للشـيخ المرحوم محمد على الصابونى.

نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وافترقا عليه، ورجل ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها فقال إنى أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه} [1].

فالشاب الذي ينشأ منذ صغره على حب العبادة والإخلاص فيها لله رب العلمين وحده، ويستمر على ذلك ويداوم عليه حتى انتهاء عمره - شاب ضمن الأمن والفوز بالدارين..

كما أن نزول جبريل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم في صورة شاب ليعظ الشباب وغيرهم ويوجههم إلى حقيقة العبادة والإخلاص فيها لله عز وجل وإلى إقامة دينه الحنيف - يدل دلالة واضحة على اهتمام الإسلام بالشباب وحرصه على تمكين العقيدة الإسلامية من نفوسهم.

ففى جلسة ممتعة من جلسات رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه الكرام الذين كانت غالبتهم من الشباب. وكان منهم عمر بن الخطاب نفسه الذي يروى هذا الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: " بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا} فقال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرنى عن الإيمان؟ قال:{أن

---

(1) رواه الشيـخان ص84من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيـخ السـيد أحمد الهاشمى.

تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره} قال: صدقت، قال: فأخبرنى عن الإحسان؟ قال:{أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك} قال: صدقت، فأخبرنى عن الساعة؟ قال:{ما المسئول عنها بأعلم من السائل}، قال: فأخبرنى عن أماراتها؟ قال:{أن تلد الأمة ربتها، وأن تُرى الحفاة العراة رُعَاءُ الشَّاءِ يتطاولون في البنيان} ثم انطلق. فلبث مليا، ثم قال (ﷺ):{يا عمر أتدرى من السائل؟} قلت: الله ورسوله أعلم، قال:{هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم} [1]..

فقد شاءت عناية الرحمن الرحيم، أن ينزل جبريل عليه السلام على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة شاب ليشجع الشباب ويدفعهم إلى السؤال عن أمور دينهم دون حرج أو خجل؛ لكى يحققوها فيسعدوا في دنياهم وآخرتهم.. وقد حدث هذا فعلا..

ومن ذلك أيضا ما رواه مسلم عن سفيان بن عبد الله رضى الله عنهما، قال: قلت يا رسول الله: قل لى في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال:{قل آمنت بالله ثم استقم} [2].

وفى هذا الحديث الشريف تصديق لقول المولى عز وجل:{إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ }

[فصلت: ٣٠ - ٣٢].. ولنا وللمسلمين جميعا بما فيهم الشباب - أسوة حسنة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قاوم الشرك والمشركين وكان على استعداد لفقد حياته في سبيل بقاء عقيدة الإسلام. إذ لما ضغط المشركون من قومه على عمه أبي طالب لكى يصرفه عن عقيدة الإسلام أو يسلمه إليهم - قال لعمه قولته

---

(1) رواه مسلم ص131، ص132من الجزء الأول من كتاب جامع العلوم والحكم - لابن رجب - تحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور - أن تلد الأمة ربتها: سيدتها ومالكتها: إشارة إلى الفتح وإشتراك السود فيه.

(2) ص191من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

المشهورة:{يا عمى والله لو وضعوا الشمس في يمينى والقمر في يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته} ثم استعبر وبكى ثم قام، فلما ولَّى ناداه أبو طالب فأقبل فقال: اذهب يابن أخى فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك إليهم أبدا [1].. وكان هذا الرد الحاسم من أبي طالب لابن أخيه محمد صلى الله عليه وسلم بداية صمود رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجه الشرك والمشركين دفاعا عن عقيدة الإسلام الخالدة...

أما في المجال الاجتماعى: فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسم للفتية والشباب والفتيات والشابات برنامجا اجتماعيا يوصلهم إلى بر الأمان في دنياهم وآخرتهم بعد أن نشأهم نشأة إسلامية صحيحة. وتتضح خطوات هذا البرنامج المحمدى الاجتماعى فيما يلى:

يوجه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم فتية المسلمين وشبابهم وفتياتهم إلى الحياة الدنيوية المستقرة المطمئنة والحياة الأخروية السعيدة. فيقول صلى الله عليه وسلم لمن جاءه من الشباب يسأله عن طريق السير في الإسلام:{اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن} [2]. فهذا حديث نبوى شريف شامل، جمع من الأوامر ما يصلح أن يكون أساسا لحياة دنيوية، سعيدة مستقرة، وحياة أخروية مآلها إلى السعادة والهناء؛ فتقوى الله عز وجل في كل الأمور الدنيوية، وفعل الحسنة بعد السيئة لتمحوها، ومعاملة الناس بالحسنى في كل الحالات - أمور لو فعلها شباب المسلمين وفتيانهم وفتياتهم لفازوا وسعدوا في الدارين.

---

(1) ص34من كتاب صفوة السيرة المحمدية - للشيخ المرحوم أحمد حسن الباقورى - استعبر نزلت العبرات أى الدموع على خده الشريف.

(2) رواه الطبرانى عن أبى ذر ص4 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى

ويوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الشباب والفتيات إلى خالقهم ورازقهم ومُسيِّر أمورهم سبحانه ليعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا، وليستعينوا به في كل أحوالهم فلا يقصدوا أحدا غيره، وليسيروا على طريقه المستقيم. فيقول لهم الشافع المشفع صلى الله عليه وسلم موصيا شابا سأله عن طريق الإسلام الصحيح:{ياغلام: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله عز وجل} [1].. فاتجاه الفتية والشباب والفتيات والمسلمين جميعا إلى الله، واستعانتهم به سبحانه في كل أمور حياتهم الدنيوية والأخروية - يحفظ العقيدة الإسلامية ويقوى الإيمان في نفوسهم..

وكثير من الشباب والفتيات تلعب بهم الأهواء، وتتغلب عليهم نزغات الشيطان إذا نظروا إلى من هو أكثر منهم حظا في المال والولد والجاه والسلطان والحسب، فيدفعهم ذلك إلى اليأس من رحمة الله تعالى خالقهم ورازقهم. وهنا يحثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، الذي هو جزء لا يتجزأ من الإيمان بالله العزيز العليم. فهو يبعدهم عن الحقد والغل والحسد والضغينة بينهم وبين أهليهم وأقاربهم وأصحابهم وجيرانهم؛ فيعيش الجميع في سعادة وأمن. ويحث الآباء والأمهات أولادهم وبناتهم على وجوب الإيمان بقضائه وقدره سبحانه. فهذا عبادة بن الصامت يعظ ابنه فيقول: يا بنى إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب وماذا أكتب؟. قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة}. يابنى: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من مات على غير هذا

---

(1) رواه الترمذى ص160 من المرجع السابق.

فليس منى} [1].. وفى هذا الشأن نفسه يقول ابن عمر رضى الله عنه: " والذى نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أُحُدٍ ذهبا ثم أنفقه في سبيل الله ما قَبِله الله منه، حتى يؤمن بالقدر " ثم استدل بقول النبى صلى الله عليه وسلم :{الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره} [2]..

وهكذا يمارس الآباء والأمهات دورهم في تعميق الإيمان، والرضا بقضاء الله، لدى أبنائهم وبناتهم من الشباب والشابات مما يجعلهم دائما على طريق العقيدة الإسلامية الصحيحة، يمارسون الإيمان بالله ورسوله، وينتفعون به في الحياة الدنيا ويعملون به للدار الآخرة..

وكذلك مرت بنا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للآباء والأمهات بمتابعة أولادهم وبناتهم من الصبية والشباب وحثهم على أداء الصلوات الخمس والمحافظة عليها. فقد جاء في الجامع الصغير قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{مروا أولادكم بالصلاة وهم أولاد سبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع. وإذا زوج أحدكم خادمه أو أجيره فلا ينظر إلى مادون السرة وما فوق الركبة} [3].. ولا بأس من دخول الصبية الصغار إلى المساجد ليتعودوا على أداء الصلوات الخمس في جماعة ولا مانع من تشجيع آبائهم وأمهاتهم لهم في هذا الاتجاه مع توصيتهم وإرشادهم إلى أن يلتزموا الأدب أثناء تواجدهم بالمسجد. وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعترض على تواجد الحسن والحسين رضى الله عنهما، وغيرهما بالمسجد في فترة الصغر..

وقد أمرت السنة النبوية الكريمة الآباء والأمهات ببر أبنائهم وبناتهم، كما أمرت ببر الأبناء والبنات لآبائهم وأمهاتهم. وأمرت كذلك بأن يتعفف المسلمون عن نساء الناس حتى يعف

---

(1) رواه أبو داود وأحمد عن عبادة بن الصامت ص494من كتاب - فتح المجيد شرح كتاب التوحيد - تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
(2) رواه مسلم ص493 من المرجع السابق.
(3) رواه أحمد في مسنده وأبو داود والحاكم عن ابن عمر ص263من الجزء الأول من كتاب الشرح الصغير - للإمام مالك - تأليف أبى البركات الدرديرى - حاشية الصاوى.

الناس عن نسائهم وبناتهم. وفى هذا يقول النبى الكريم محمد صلى الله عليه وسلم :{عِفُّوا عن نساء الناس تَعِفَّ نساؤكم وبَرُّوا آباءكم تبركم أبناؤكم. ومن أتاه أخوه متنصلا فليقبل ذلك منه محقا كان أم مبطلا، فإن لم يفعل لم يرد عَلَى الحوض}[1].. ففيه دعوة للتسامح والعفو وخصوصا مع من اعترف بخطئه..

وحرصا من السنة النبوية الكريمة على سعادة الأسرة المسلمة، نبرز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للأبناء والبنات بطاعة الآباء. فنظرا لارتباط المولود بأمه أمه فترة طويلة في صغره، قد يظن بعض الأبناء والبنات أن الأم فقط هى التي تجب طاعتها، وخصوصا عندما يقرأون حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :{الجنة تحت أقدام الأمهات} [2]، وغيره من الأحاديث التي توصى بطاعة الأم.

وهنا تنبه السنة النبوية الكريمة أبناء المسلمين وبناتهم إلى أن طاعتهم لآبائهم واجبة؛ لأنها من طاعة الله جل وعلا. ومن هنا يقول المبعوث رحمة للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم :{طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الوالد}[3]. وطاعة الولد والبنت لوالديهما تكون واجبة إذا كان أمر الوالد لهما في طاعة الله تعالى - وهذا يحدث غالبا. فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وكذلك الأمر بالنسبة للأم.

وتحث السنة النبوية المباركة الفتية والشباب والفتيات على التقرب إلى الله تبارك وتعالى بالطاعة والعبادات وخصوصا العبادات التطوعية والنوافل وعلى الأخص بالليل والناس

---

(1) رواه الحاكم عن أبى هريرة ص97 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.

(2) ص54من كتاب مكانة المرأة في الإسلام - محمد عطية الإبراشي. ورواه الإمام أحمد ص65من المرجع السابق، الجزء الأول من كتاب الشرح الصغير للإمام مالك، تأليف أبو البركات الدرديري حاشية الصاوي.

(3) رواه الطبرانى ص92 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيدد أحمد الهاشمى.

نيام. وقد سجلت كتب السنة ما ورد في شأن وصية أم سليمان عليها السلام لولدها سليمان، بقضاء وقت من الليل في طاعة الله عز وجل وعبادته. ففى هذا يقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم :{قالت أم سليمان بن داود لسليمان: يابنى لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تترك الإنسان فقيرا يوم القيامة} [(1)]. والشاب الذي نشأ على عبادة الله - وكذلك الشابة - قد يصير يوما من أولياء الله الصالحين سبحانه الذين قال الله تعالى فيهم في حديثه القدسى الذي رواه عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم :{من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدى بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى بها، وإن سألنى أعطيته، ولإن استعاذنى لأعيذنه} [(2)]. فمداومة العبد المسلم، واستمراره في التقرب إلى الله تعالى بالفرائض والنوافل توصله إلى محبة الله الجليل له بل إلى أن يكون وليا من أوليائه سبحانه وتعالى، يسمع به سبحانه ويبصر به، ولا ينطق قولا ولا يعمل عملا إلا برعايته سبحانه. وتلك مرحلة عالية ومنزلة رفيعة لا يصل إليها إلا ذووا الحظوظ العظيمة والدرجات العالية عند الله الخالق الرازق العظيم. وذلك لأن النوافل توصل العابد إلى مرحلة الإحسان التي يتمتع فيها بولاية الله سبحانه له.

وقد يهتم بعض الشباب بأمهاتهم فقط لظروف معينة - ذكرنا شيئا منها فيما سبق - عديدة. ويعمدون إلى قطع الود مع آبائهم. لكن علاقة الإبن المسلم بأبيه المسلم يجب أن تدوم، وحفاظا عليها يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم الأبناء إلى التودد لآبائهم وعدم

---

(1) رواه البيهقى عن جابر ص108 من المرجع السابق.
(2) رواه البخارى عن أبى هريرة ص166 من المرجع السابق - مختار الأحاديث النبوية.

الانقطاع عن ذلك. فيقول صلى الله عليه وسلم :{احفظ ود أبيك لا تقطعه فيطفئ الله نورك} [1]. وقد قال ربنا العظيم:{وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} الآية [النور: ٤٠]..
وحتى لا ينقطع الود بين الابن وأبيه، دعت السنة النبوية المباركة الآباء والأمهات إلى إحسان أدب أولادهم وبناتهم، وتربيتهم على ثلاث خصال حميدة، هى: حب النبى صلى الله عليه وسلم، وحب أهل بيته الكرام، رضى الله عنهم، وتلاوة القرآن الكريم. لأن حَمَلَتَهُ والمطبقين لما فيه من شرائع وأحكام وآداب وتوجيهات - لهم شأن عظيم في الدنيا والآخرة. ولا يظنن أب أن اهتمامه بأحد أبنائه وتعليمه القرآن الكريم وما فيه من أحكام وآداب وتوجيهات، دون بقية أبنائه وبناته - قد يعفيه من الحساب على تقصيره مع بقية أبنائه وبناته. فهو مطالب بتعليمهم جميعا القرآن الكريم وغيره من العلوم النافعة. وهو مطالب بتعليمهم جميعا بآداب القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة. حيث يقول النبى صلى الله عليه وسلم : {أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب أهل بيته، وقراءة القرآن. فإن حملة القرآن في ظل الله، يوم لا ظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه}[2] وكلمة أولادكم تشمل البنين والبنات كما دلت على ذلك نصوص كثيرة، ولأن التطبيق يشملهما...

وفى إطار هذا المنهج النبوى الكريم في المجال الاجتماعى في تربية الأولاد والبنات، نذكّر الآباء والأمهات بوجوب العدل بين الأولاد وبين البنات أيضا. فالمطلوب عدم تمييز ولد على ولد أو بنت على أخرى أو ولد على بنت أو بنت على ولد إلا في حدود ما رسمته الشريعة الإسلامية. فعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما أن أباه أتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إنى نحلت ابنى هذا غلاما كان لى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "

(1) رواه البخارى ص7 من المرجع السابق.
(2) رواه الديلمى عن علىّ ص7، 8 من المرجع السابق.

أفعلت هذا بولدك "؟ قال: لا. قال:{اتقوا الله واعدلوا في أولادكم} فرجع أبي، فردَّ تلك الصدقة " [1]. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:{ساووا بين أولادكم في العطية، فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء} [2].. وفى هذا الإطار النبوي للتنشئة الاجتماعية الصالحة للأبناء التي تؤدى إلى إسعادهم - تحث السنة النبوية الشريفة الأبناء على الدعاء للوالدين. ومن ذلك ما قاله النبى الكريم صلى الله عليه وسلم :{إذا ترك العبد الدعاء للوالدين فإنه ينقطع عنه الرزق} [3]. وقد أوجب الإسلام على الأولاد والبنات الطاعة لوالديهم وبين أن جزاءها الجنة. فالمصطفى صلى الله عليه وسلم يقول:{من أصبح مطيعا لله في والديه، أصبح له بابان مفتوحان من الجنة، وإن كان واحدا فواحد} [4]. ومن هذا القبيل في بر الأبناء بالآباء، الحج عنهما إن كانا غير قادرين، أو قضاء دينهما إن كانا مدينين. وذلك سواء في حياتهما أو بعد موتهما. ومن أجل ذلك، يقول الشافع المشفع صلى الله عليه وسلم :{من حج عن والديه، أو قضى عنهما مغرما بعثه الله يوم القيامة من الأبرار} [5].. كما أن إنفاق الأبناء والبنات على آبائهم وأمهاتهم عند كبرهم وعجزهم، واجب شرعى إن كانوا قادرين على ذلك شرعا. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{أربع من كن فيه نشر الله تعالى عليه رحمته، وأدخله جنته: من آوى مسكينا، ورحم الضعيف، ورفق بالمملوك، وأنفق على الوالدين} [6]..

---

(1) رواه الشيخان عن النعمان بن بشير ص198 من كتاب مختار الأحادبث النبوية. بولدك: أى بسائر أبنائك.

(2) رواه الطبرانى 85 من المرجع السابق - مختار الأحاديث النبوية.

(3) رواه الديلمى من المرجع السابق.

(4) رواه ابن عساكر عن ابن عباس ص 140من المرجع السابق - وإن كان واحدا فواحد أى إن كان له والد فقط أو والدة فقط فله باب واحد.

(5) رواه الدارقطنى عن ابن عباس ص143 من المرجع السابق.

(6) من حديث رواه الحاكم ص18 من المرجع السابق.

وجدير بالذكرأن بر الأبناء والبنات بآبائهم وأمهاتهم أحد أربعة أشياء تحول الشقاء إلى سعادة وتزيد في العمر وتقى مصارع السوء. وفى ذلك أيضا يقول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم :{الصدقة على وجهها، واصطناع المعروف، وبر الوالدين، وصلة الرحم، تحول الشقاء إلى سعادة وتزيد العمر وتقى مصارع السوء} [1]..

وكذلك يجب أن يسود الحب المتبادل بين الأبناء والآباء والأمهات. على ألا يطغى ذلك الحب من الجميع على حبهم لله ورسوله. بل يجب أن يقدم الجميع حب الله ورسوله على حبهم المتبادل بينهم. إذ أن ذلك من تمام الإيمان. فالنبى الأكرم صلى الله عليه وسلم يقول:{لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين} [2]. وكان صحابة رسول الله يحبون الله ورسوله أكثر من حبهم لآبائهم وأمهاتهم وأقاربهم بل أكثر من حبهم لأنفسهم. فهذا زيد بن الدثنة الذي أسر يوم الرجيع يشتريه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه فيخرجه هو وقومه وكان معهم أبو سفيان ابن حرب. وحين قدموا زيدا ليقتل سأله أبو سفيان فقال: " أنشدك الله يازيد أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟ - فقال زيد: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإنى جالس في أهلى " فتعجب أبو سفيان من قوله وقال: ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا " [3].

وفى هذا الجو من الحب المتبادل بين الآباء والأمهات وبين آبائهم وبناتهم يحث الإسلام ويرشد الآباء والأمهات على تعليم أبنائهم وبناتهم؛ حتى يسعدوا في حياتهم بتعلمهم

---

(1) رواه أبو نعيم ص91 من المرجع السابق.
(2) رواه الشيخان عن أنس ص159 من المرجع السابق.
(3) ص252 من كتاب صفوة السيرة المحمدية - للشيخ أحمد حسن الباقورى.

الفنون اللازمة للحياة.. فالعمل والسعى للرزق واجب يدعم به الآباء والأمهات أبناءهم وبناتهم ويرشدونهم إلى وسائل العمل والسعى للرزق الحلال. فالعمل الشريف لازم للعيش الكريم.. ويضرب النبى صلى الله عليه وسلم لهم جميعا مثلا عاليا للسعى وراء الرزق بنبى الله داود عليه السلام. فيقول حبيب الرحمن محمد صلى الله عليه وسلم :{ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده} (1).. حتى المرأة المسلمة كانت تعمل مستظلة بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وقد برعت نساء ذلك العصر النبوى في ميدان الغزل والنسج. ففى كتاب الله عز وجل وردت آية تشير إلى اشتغال النساء بالغزل وهو يشمل في عصرنا الحاضر إعداد خيوط الغزل ونسجها. فقد ورد في سورة النحل قوله تعالى:{ﮋ ﮕ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾} [النحل: ٩٢]..

وقد كان نساء الصحابة، في هذا الزمن الأغر، يقمن بغزل أثواب أزواجهن. ومن المعروف أن الثوب في هذا الوقت كان يتكون غالبا من جزئين: جزء علوى يسمى الرداء، يوضع على الكتف فيغطى الظهر والبطن إلى السُّرَّة وجزء سفلى يسمى الإزار، يغطى منطقة العورة من السرة إلى مابعد الركبتين. وكان أشبه بلباس الإحرام الذي يلبسه الحاج الآن.. وقد أشارت إلى هذه المهنة التي كانت المرأة المسلمة تشارك بها آنذاك في اقتصاديات أسرتها - أسماء بنت يزيد الأنصارية في معرض حديثها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما سألته عما إذا كانت هى وبنات جنسها تشارك الرجال الأجر والخير الذي يفعلونه من أجل الدولة الإسلامية كالجهاد والغزو ونحو ذلك من أعمال البر. فأجابها الرسول صلى الله عليه

---

(1) رواه البخارى عن المقدام ص128 من المرجع السابق.

وسلم بأن:{حسن تبعل المرأة لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته، يعدل ذلك كله} (1). فعن أسماء بنت يزيد الأنصارية، أنها أتت النبى وهو بين أصحابه، فقالت:

بأبي أنت وأمى يارسول الله، أنا وافدة النساء إليك، إن الله عز وجل بعثك للرجال وللنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، إنا معشر النساء مقصورات، قواعد بيوتكم وحاملات أولادكم، وإنكم معشر الرجال فضلتم علينا بالحج والعبادات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل، وأن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا - حفظنا لكم أولادكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم، أونشارككم في الأجر والخير.. فالتفت إليها رسول الله بكل وجهه وأثنى عليها بين أصحابه ثم قال لها صلى الله عليه وسلم :{افهمى أيتها المرأة وأعلمى مَنْ خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله} واستكمالا لمنهج السنة المطهرة لتوجيه الشباب وإسعادهم وتقويتهم - نجد الإسلام ينفر الشباب من البخل وسوء الخلق، ويحببهم في العطاء والبذل وحسن الخُلق. فيقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{شاب سخى حسن الخُلق، أحب إلى الله من شيخ بخيل سئ الخلق} [2]. كما يوجه الإسلام نظر الشباب والفتية والفتيات إلى أن البذل والعطاء يكون أحسن ما يكون من الإبن لأبيه الضعيف غير القادر على العمل، ومن الأب لابنه الصغير الضعيف عن ممارسة العمل من أجل البحث عن الرزق، فهو غير قادر عليه؛ لأن ذلك نوع من الجهاد في سبيل الله. يقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه في سبيل الله، إنما الجهاد من عال والديه، وعال ولده، فهو

---

(1) من كتاب المرأة في الإسـلام بين الماضـى والحاضـر للمرحوم الدكتور عبد الله شـحاتة ص73، ص74.

(2) رواه الديلمى عن ابن عباس ص88 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشـيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى - شيخ: كبير في السن.

في جهاد، ومن عال نفسه فكفها عن الناس فهو في جهاد " [1]. فليس الجهاد في سبيل الله مقصورا على الضرب بالسيف، وإنما من أنفق على والديه أو أحدهما ورعى شئونهما من كسبه - فهو مجاهد. ومن رعى ولده وأنفق عليه لعدم قدرته

على الكسب، فهو مجاهد. ومن كف نفسه عن سؤال الناس بالعمل والكد الشريف - فهو مجاهد. ومن سعى على أرملة أو مسكين فهو مجاهد. ومن أجل ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله} [2]..

بل إن الرجل إذا أنفق على أهله وولده وخدمه وبيته، فإن ذلك يحتسب له صدقة يستظل بها يوم لا ظل إلا ظل الله تبارك وتعالى. وفى ذلك يقول حبيب الرحمن محمد صلى الله عليه وسلم :{ما أنفق الرجل في بيته، وأهله وولده وخدمه فهو له صدقة}[3]..

وبالتراحم الواجب تبادله بين الآباء، والأمهات من جانب وبين أولادهم وبناتهم من جانب آخر، تزيد العلاقات الاجتماعية بين الفرد والأسرة والمجتمع الإسلامى وتقوى، فيقوى معها الجميع؛ فلابد أن يرحم الكبير الصغير، وأن يعرف الصغير حق الكبير، وأن يحب المؤمن لغيره من المؤمنين ما يحبه لنفسه، وأن يكره لهم ما يكرهه لنفسه. وكل ذلك من تمام الإيمان. ولابد أن يمتنع الغش بين الأفراد والأسر في المجتمع الإسلامى كله. فالنبى صلى الله عليه وسلم يقول:{ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يعرف حق كبيرنا، وليس منا من غشنا، ولا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه} [4]..

وكذلك يجب على الآباء والأمهات توجيه صغارهم من الشباب والفتيات إلى آداب النوم والأكل. والشرب والكلام وغيرها من الآداب الواجب اتباعها بين المسلمين صغارا وكبارا

---

(1) رواه ابن عساكر عن أنس ص123 من مختار الأحاديث النبوية - ليس الجهاد: أى فقط.
(2) رواه الشيخان ص199 من المرجع السابق.
(3) رواه الطبرانى عن أبى أمامة ص128 من نفس المرجع السابق.
(4) رواه الطبرانى عن ضمرة ص125 من المرجع السابق.

ليزدادوا قوة واحتراما.. ومن هذا القبيل في مجال آداب الأكل، توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغلام كان في حجره، وكانت يده تطيش في صحفة الطعام وهو عمر بن أبي سلمة. ويروى عمر رضى الله عنه ماحدث له مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر فيقول: كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدى تطيش في الصحفة فقال صلى الله عليه وسلم :{ياغلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك}[1].

وقد تحدثنا عن بعض هذه الآداب وذكرنا أمثلة لها وخصوصا آداب الأكل والشرب في الباب السادس.

ونذكر هنا أمثلة لآداب النوم والكلام. فمن الآداب التي حرص الإسلام على تزويد الشباب وغيرهم من الناس بها، في مجال النوم - قوله صلى الله عليه وسلم :{إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل: اللهم أسلمت وجهى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت} (2).. ومن ذلك أيضا، قوله صلى الله عليه وسلم :{إذا اضطجعت فقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون} (3).. وعن آداب الكلام يقول صلى الله عليه وسلم :{رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أوسكت عن سوء فسلم} (4).. ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم :{إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقى لها بالا يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقى لها بالا يهوى بها في جهنم}

---

(1) رواه الشيخان عن عمربن أبى سلمة ص85 من المرجع السابق. مما يليك: من أمامك.
(2) رواه البخارى ومسلم ص8من كتاب مختار الأحاديث النبوية.
(3) رواه أبو نصر السنجرى عن عمر ص10 من المرجع السابق.
(4) رواه ابن المبارك عن خالد بن أبى عمران ص80 من نفس المصدر.

(1).. ومن ذلك أيضا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه} [2].

وفى نطاق هذا المنهج الاجتماعى المحمدى المبارك تحذير من فتنة الشيطان للصغير والكبير والشاب والشيخ والفتيات والسيدات، وتوجيه لكيفية التغلب على هذه الفتنة الشيطانية. فإذا أصابت المسلم صغيرا أو كبيرا (وكذلك المسلمة) - فتنة في أهله أوماله أو ولده أو جاره فيجب أن يفزع إلى العبادات التطوعية القولية والفعلية، فضلا عن تأديته للعبادات المفروضة. فليعالج فتنته بصلاة التطوع؛ ففيها تقرب إلى الله عز وجل. وليعالجها بصيام التطوع؛ ففيه تقرب إلى خالقه سبحانه وتعالى. وليلجأ أيضا إلى صدقة التطوع فإن المؤمن يستظل بهذه الصدقة يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله تبارك وتعالى، فليعطها للفقراء والمساكين والمحتاجين وإذا لم يستطع فعل شئ من ذلك - فليعمد إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. ففى كل ما مر مايصرف عن المؤمن والمؤمنة الصغير منهم والكبير، والشاب والشابة - تلك الفتنة التي ألمت به. وفى ذلك يقول نبى الرحمة صلى الله عليه وسلم :{فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره، تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن االمنكر} [3]. ففى هذا الحديث الشريف برنامج عمل للأسرة - فيما بينها ولها مع غيرها من الجيران والأصدقاء - فيه نفع للجميع.. ويدخل في هذا الإطار الاجتماعى الذي ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للفتية والشباب والشابات توجيهه صلى الله عليه وسلم لهم إلى عدم العبث بمشاعر كبار السن أو بهم أو معهم، وعدم السخرية والاستهزاء بهم، وعدم الامتناع عن قضاء حوائجهم. فينبه

---

(1) رواه أحمد ص38 من نفس المصدر.

(2) رواه أبو نعيم ص142 من نفس المصدر.

(3) رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة عن حذيفة ص102من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.

نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم إلى أداء حقوق كبار السن، خاصة أن تصرفات بعض الشباب الطائشة مع هؤلاء الكبار تنتظرهم عندما يكبرون، ويصيرون مثلهم محتاجين إلى المساعدة، والمعاملة الحسنة، فيعبث بهم غيرهم من الشباب. وفى ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{ما أكرم شاب شيخا لسنه، إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه} [1].. ويحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب وغيرهم من السخرية بكبار السن واستعمالهم في قضاء حوائجهم، وعدم التأدب معهم لأن كل ذلك يعد من علامات الساعة. فيقول صلى الله عليه وسلم :{من أشراط الساعة أن يمر الرجل في المسجد ولا يصلى فيه ركعتين، وألا يسلم الرجل إلا على من يعرف، وأن يُبْرِدَ الصبىُّ الشيخَ} [2]..

ومن الأبعاد الهامة في المنهج الاجتماعى المحمدى للنهوض بالفتية والشباب والفتيات - الإحسان إلى اليتيم واليتيمة؛ حتى يعيشا سعيدين في المجتمع الإسلامى المتكافل. وفى ذلك يقول النبى الكريم صلى الله عليه وسلم :{من أحسن إلى يتيم أو يتيمة كنت أنا وهو كهاتين في الجنة} وقرن بين أصبعيه صلى الله عليه وسلم (3).. وقد نبهت السنة النبوية المباركة الآباء والأقارب والرجال الكافلين والنساء الكافلات لليتامى - إلى أن أكل مال اليتيم يعتبرمن السبع الموبقات التي تقود الآكل إلى نار جهنم، إذا لم يتب قبل موته ويرد المظالم إلى أهلها. فقال صلى الله عليه وسلم :{اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الرّبا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات} (4). وفد أشرنا سابقا إلى منهج القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة في رعاية اليتيم...

---

(1) رواه الترمذى عن أنس ص128من المرجع السابق - قيض: هيأ.

(2) رواه الطبرانى عن ابن مسعود ص136 من المرجع السابق - يبرده: يستعمله في قضاء حوائجه.

(3) رواه الحكيم عن أنس ص138 من المرجع السابق.

(4) رواه الشيخان 6 من المرجع السابق.

وإذا انتقلنا إلى المجال الاقتصادى: في رحاب السنة النبوية المباركة، وجدناها توجه الشباب إلى الأسلوب الاقتصادى الأنفع والأفضل الذي يزيد من دخله زيادة شرعية. كما تحذر الشباب وغيرهم من الطرق الشيطانية الشريرة المغرية التي تفوت عليهم الاستقرار والسعادة المنشودة في الحياتين، الدنيا والآخرة. وقد وردت في كتب السنة كثيرمن الآثار التي تناولت جوانب متعددة من المجال الاقتصادى الذي يمكن أن يتجه إليها الشباب باعتبارهم القوة العاملة الأساسية في المجتمع الإسلامى، والقادرة على العمل في جميع مجالات الحياة الاقتصادية..

وقد حثت السنة النبوية المطهرة جميع الشباب على السعى في طلب الرزق وعدم الاتكال على الآباء أو غيرهم في هذا المجال. ومما ورد في ذلك الحديث النبوى الشريف الذي أشرنا إليه سابقا ولا مانع من تكراره. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده} [1]. وسيأتى - إن شاء الله - أن الله عز وجل ألان الحديد لداود عليه السلام، فكان يعمل الدروع ويبيعها ويأكل من ثمرها ويتصدق. وكان ابنه سليمان عليه السلام يعمل، ولم يتكل على مال أبيه داود عليه السلام. فقد امتثل لأمر ربه سبحانه حيث قال له ولأهله: {ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ } الآية [سبأ: ١٣]. وقد أسال الله - القادر على كل شئ - له عين القطر أى النحاس المذاب، وسخر له فريقا من الجن يعملون ما يشاء من الأوانى وغيرها، وفريقا آخر يغوصون في البحر فيخرجون له من اللآلئ ما يدخل في العديد من الصناعات.. وكان محمد صلى الله عليه وسلم يعمل في التجارة، ولم يعتمد على مال جده أو عمه.. وهكذا يضرب أنبياء الله ورسله، المثل الأعلى للشباب وغيرهم في العمل والكد في طلب الرزق رغم مكانتهم عند الله سبحانه وتعالى. فالمسلمون

---

(1) رواه البخارى عن المقدام ص128 من المرجع السابق.

أولى بهذا الاهتمام بالبحث عن الرزق الحلال الطيب بالعمل الجاد المثمر، وخصوصا الشباب منهم.. ونقف وقفات قصيرة عند كل نشاط من النشاطات الاقتصادية التي تعد ميدانا حيويا للشباب وغيرهم للسعى في طلب الرزق الحلال...

ففى مجال الزراعة: أوصت السنة النبوية الكريمة، كما أوصى القرآن الكريم - الشباب وغيرهم أن يقلبوا جنبات الأرض ويسعوا إلى تعميرها وتنميتها بزراعتها والانتفاع بها. ومما ينتج فيها من خيرات متنوعة، ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم :{ما من مسلم يزرع زرعا أو يغرس غرسا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيم إلا كان له به صدقة} [1] ومنه أيضا قوله صلى الله عليه وسلم :{من أحيا أرضا ميتة فهى له وليس لعرق ظالم حق} قال مالك رحمه الله والعرق الظالم كل ما احتُكِرَأو أُخِذَ أو غُرِسَ بغير حق[2].. ومن هذا القبيل أيضا قوله صلى الله عليه وسلم :{من عمَّر أرضا ليست لأحد فهو أحق بها} [3] كما أوصت السنة النبوية المباركة الشباب وغيرهم بالاجتهاد في جمع الأرزاق والبحث عنها في مناكب الأرض ووضحت لهم أن الرضا بالرزق القليل الناتج عن كد وعمل، خير من تعريض المسلم نفسه لمذلة سؤال الناس. ولذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يغدو إلى الجبل فيأتى بحزمة حطب فيبيعها فيكُفُّ اللهُ بها وجهه - خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه " [4]..

وفى مجال التجارة وتصريفها في أنحاء الأرض، ضرب رسول الله المثل الأعلى في ذلك. فقد تاجر في أموال السيدة خديجة رضى الله عنها قبل أن يتزوجها وقبل بعثته صلى الله علي

---

(1) رواه الشيخان عن أنس ص134 من مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى.
(2) يحى عن مالك عن هشـــام عن عروة عن أبيه ص28، ص29 من الجزء الرابع من شـــرح الزرقانى عن موطأ مالك حاشية الصاوى.
(3) رواه البخارى ص138 من مختار الأحاديث النبوية.
(4) رواه البخاري ومسلم ص118 من المرجع السابق.

ه وسلم. وكان من أسباب إصرار أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها على الارتباط به صلى الله عليه وسلم، واتخاذه زوجا لها - أمانته التي اشتهر بها في التجارة وفى المعاملات بين الناس.

وقد كان صلى الله عليه وسلم معروفا بين الناس بالأمين. وكان صلى الله عليه وسلم يتنقل بعروض التجارة بين قبائل العرب، ويذهب إلى الشام وغيرها من بلاد العالم لتصريف التجارة بالطرق المشروعة..

وكان صلى الله عليه وسلم لا يلجأ إلى الطرق الملتوية غير النظيفة في ذلك، كالغش والربا ونحو ذلك من الأساليب غير الشرعية في تصريف عروض التجارة. وكان صلى الله عليه وسلم يحذر المسلمين عامة والشباب منهم خاصة من هذه الطرق غير النظيفة. فقد حذر صلى الله عليه وسلم من التعامل بالربا وقال صلى الله عليه وسلم في هذا المجال:{الذهب بالذهب والفضة بالفضة، والبُرُّ بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أَرْبَى، والآخذ والمعطى سواء} [1]..

واعتبر النبى صلى الله عليه وسلم أن أكل الربا من السبع الموبقات. وقد سبق ذكر الحديث الدال على ذلك. كما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه حذر من احتكار السلع، وحرمان المسلمين من ذوى الدخل المحدود منها بذلك، وخصوصا الأطعمة والسلع الضرورية لحياة المسلمين وأمنهم الدنيوى. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :{من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس} [2]..

---

(1) رواه مسلم ص79 من نفس المرجع السابق مختار الأحاديث النبوية.

(2) رواه أحمد في مسنده ص138 من المرجع السابق.

والاحتكار: أن يجمع التاجر السلعة من الأسواق ويخبئها لتقل في السوق ثم يرفع سعرها فيشتريها الغنى ولا يستطيع الفقيرأو ذو الدخل المحدود شراءها. كما يفعل الآن تجار الأسمنت والحديد واللحوم وغيرها من السلع الضرورية لحياة البشر.. وقد يلجأ الفقير إلى طرق تضر به وبأسرته وبمجتمعه لكى يحصل عليها..

وقد أثبت التاريخ الإسلامى صدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر. فقد " نقل ابن حجر الهيثمى من رواية الأصبهانى: أن طعاما ألقى على باب المسجد، فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهو أمير المؤمنين، فقال له بعض الذين معه: يا أمير المؤمنين قد احتُكِر. فقال: من احتكره؟ فقالوا: فرُّوخ وقلان مولى عمر بن الخطاب، فأرسل إليهما فأتياه. فقال: ما حملكما على احتكار طعام المسلمين؟ فقالا: يا أمير المؤمنين، نشترى بأموالنا ونبيع. فقال عمر رضى الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس}. فقال عند ذلك فروخ - وهو مولى عثمان بن عفان -: يا أمير المؤمنين، فإنى أعاهد الله وأعاهدك على ألا أعود إلى احتكار طعام أبدا. فتحول إلى أرض مصر. وأما مولى عمر فقال: نشترى بأموالنا ونبيع. قال أبو يحيي أحد رواة الحديث: إنه رأى مولى عمر مجذوما مشدوخا " [1]

وقد ذكر كثير من الفقهاء أن الإصرار على احتكار السلع إضرار زائد بالعباد، يجيز لولى الأمر أو من ينوب عنه من القضاة ومن في حكمهم أن يعزر المحتكر المصر على موقفه، بعد أن يوجهه إلى البيع

---

(1) ص95 من كتاب التعامل التجارى في ميزان الشـــريعة - الطبعة الأولى: 1980 - للدكتور يوسف قاسم. - فروخ: مولى عثمان بن عفان. مشدوخا: متسعا بياض جبهته من شدة جذامه أو مشقوق الوجه.

ورفع الظلم؛ فيؤمر المحتكر ببيع ما يفيض عن قوته وقوت أهله. فإن لم يمتثل عُزِّر[1].. وقد فعل ذلك علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه. فقد عزر محتكرا عاد عليه التعزير بضرر كبير.. فقد روى عبد الرازق عن المعتمد التميمى عن ليث بن أبى سليم قال:

أخبرنى أبو الحكم أن عليا ابن أبى طالب أحرق طعاما احتكر بمائة ألف.. وهو تعزير موجع للتاجر المحتكر.. ويستفاد مما قاله الفقهاء أن لولى الأمر أن يُكرِهَ المحتكر على بيع ما عنده بقيمة المثل. وإلا عُزِّر[2]..

ومن الجدير بالذكر أن التشدد من ولى الأمر في هذا الشأن مباح بل مطلوب وواجب؛ لأن الاحتكار خطيئة كبرى في حق الفرد المسلم غير القادر على الشراء بثمن مضاعف، وفى حق المجتمع الإسلامى كله. ومما ورد في كتب السنة عن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{من احتكر فهو خاطئ} [3]. وقد ورد بلفظ:{لا يحتكر إلا خاطئ} [4]..

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :{من احتكر حكرة يريد بها أن يغلى على المسلمين فهو خاطئ، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله} [5].

---

(1) ص83 من نفس المصدر السابق.. والتعزير: عقاب يفرضه الحاكم أو من يحل محله على المحتكر حسب الأحوال والقرائن.

(2) نفس الصفحة من نفس المصدر. وقد ذكر ذلك ابن القيم

(3) رواه مسلم وأبوداوود عن سعيد بن المسيب عن معمر بن عبد الله العدوى.

(4) في لفظ لمسلم وأبى داوود والترمذى وابن ماجةص77 من نفس المصدر.

(5) رواه أحمد بسند عن أبى هريرة ص77، ص78من المصدر السابق.

ومن ذلك قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :{الجالب مرزوق والمحتكر ملعون} (1). ومما ورد أيضا في شأن احتكار طعام المسلمين قول النبى صلى الله عليه وسلم :{من احتكر الطعام أربعين ليلة فقد برئ من الله وبرئ الله منه} (2).. والإسلام يطلب من التاجر المسلم شابا كان أم كبيرا، أن يكون صادقا في أقواله وأفعاله الخاصة بالتجارة. ويبين لهم فوائد الصدق في التعامل مع البشر. وفى السنة النبوية الكريمة أدلة على ذلك، منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا، إلا من اتقى الله، وبر وصدق} (3).

ومنها أيضا قول النبى المصطفى صلى الله عليه وسلم :{التاجر الأمين الصدوق مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين} (4)..

ويبين رسول الله صلى الله عليه وسلم للتجار أن التاجر الذي يصف بضاعته باليمين الكاذبة ليروجها، لا يجد في ذلك ربحا ولا بركة. فيقول صلى الله عليه وسلم :{الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للكسب} وفى رواية:{ممحقة للبركة والربح}(5)...

وهكذا يتضح لنا أن شريعة الإسلام تريد من التاجر الشاب أو الكبير أن يتعامل مع الناس بصدق بعيدا عن الكذب والغش والخداع، وبعيدا عن الاحتكار المدمر للسلعة والكسب والمدمر للتاجر ذاته والضار بالأسرة والمجتمع الإسلامى...

---

(1) رواه ابن ماجة والحاكم والدارمى وغيرهم بســـند عن ابن عمر ص78 من كتاب التعامل التجارى في ميزان الشريعة - للدكتور يوسف قاسم.

(2) رواه أحمد والحاكم وابن أبى شيبة والبزار وأبو يعلى 79 من المصدر السابق.

(3) رواه الترمذى ص44 من مختار الأحاديث النبوية.

(4) رواه الترمذى ص62 من المرجع السابق.

(5) رواه البخارى ومسلم ص69 من المرجع السابق.

وفى مجال الصناعة: توجه السنة النبوية الكريمة الشباب وغيرهم إلى أهمية السير في هذا الاتجاه. وقد كان لبعض أنبياء الله تعالى دور في رواج بعض الصناعات. فقد علم الله عز وجل داود عليه السلام - وكان شابا - صناعة الدروع التي كانت تحصنه وتحصن الجنود والناس في زمانه من خطر الإصابة في الحروب. وفى تفسير قوله تعالى: {وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ } [الأنبياء: ٨٠].

- يقول قتادة رضى الله عنه: " أول من صنع الدروع داود وكانت صفائح فهو أول من سردها وحلقها " (1).. ومن المعروف أن الله تبارك وتعالى أكرم نبيه داود عليه السلام بأن ألان له الحديد فكان يعمل منه الدروع السابغات أى التي تشمل وتغطى الجسم كله.

وكان يقدر نسجها حتى تتلاءم حلقاتها بتوجيه من ربه جل وعلا. ويظهر ذلك ويتضح من تفسيرقوله تعالى:{وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾} [سبأ: ١٠ - ١١].

قال المفسرون: " كان يأخذ الحديد بيده فيصير كأنه عجين يعمل به مايشاء. ويصنع الدرع في بعض يوم يساوى ألف درهم فيأكل ويتصدق " (2). وفى إحكام نسجها يقول الصاوى:{وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ} [سبأ: ١١] أى اجعل كل حلقة مساوية لأختها ضيقة لا ينفذ منها السهم لغِلظها، ولا تُثْقِلَ حاملها، واجعل الكل بنسبة واحدة " (3)..

---

(1) ص19 من القسم التاسع من كتاب صفوة التفاسير - الطبعة الأولى - للشيخ المرحوم محمد على الصابونى.
(2) القرطبى 226/14. ص7من القسم التاسع من المرجع السابق.
(3) حاشية الصاوى على الجلالين 294/3.

وقد سبق أن أشرنا إلى أن الله تعالى وجه داود إلى العمل الصالح وعدم الاتكال على مال أبيه أو اتكال أبنائه على ماله؛ ليضرب ذلك النبى الكريم مثلا أعلى للشباب - وقد كان شابا كما أشرنا - في العمل الصالح المستمر وبذل الجهد في سبيل العيش الكريم، وعدم الاتكال على مال أبيه، والتقاعس عن العمل الشريف الذي يدر عائدا شرعيا. وفى ذلك يقول رب العالمين سبحانه:{ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ } الآية [سبأ: ١٣]..

وفى إشارة قرآنية كريمة إلى بعض مآثر سليمان بن داود عليهما السلام، وعدم اتكاله على مال أبيه وثرائه، يقول عز وجل: { وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾} [سبأ: ١٢ - ١٣].. قال المفسرون: " أجرى الله لسليمان النحاس، كما ألان لداود الحديد - آية معجزة ظاهرة.

وسخر له الجن تعمل بأمره وإرادته ما يشاء مما يعجز عنه البشر ". وكان هؤلاء الجن يعملون لسليمان عليه السلام ما يريد

من القصور الشاهقة والتماثيل العجيبة من النحاس والزجاج، قال الحسن: " ولم تكن يومئذ محرمة. وقد حرمت في شريعتنا سدا للذريعة لئلا تعبد من دون الله، وقصاع ضخمة تشبه الأحواض، وقدور كبيرة ثابتات لا تتحرك؛ لكبرها وضخامتها. وقال ابن كثير: والقدور الراسيات أى الثابتات في أماكنها لا تتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها[1]..

وكان الجن يغوصون في الماء ويدخلون في أعماق البحار ليستخرجوا لسليمان عليه السلام الجواهر واللآلئ التي تستخدم في صناعات عديدة.. ولعل البعض يتساءل عن تسخير الجن لسليمان عليه السلام ويقولون كان الأولى بسليمان أن يفعل كل ذلك بنفسه. ونقول لهم: إن سليمان عليه السلام تعرض لفتنة من الله عز وجل فنجح في الاختبار، وكان عبدا قانتا لله عز وجل فتوجه إليه سبحانه وطلب العون منه حتى لا يتكل على مال أبيه، وطلب منه سبحانه المغفرة، وقال:{رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ} [ص: ٣٥]. فاستجاب الله سبحانه وتعالى له، وجعل الجن تأتمر بأمره فكان يأمرهم بفعل ما يشاء مكرمة وهبة من الله الجليل، اختصها به عليه السلام. وكذلك سخر له الريح تجرى بأمره رخاء حيث تَوَجَّهَ تختصر له الوقت والجهد...

وكان هذا الجهد الكبير من بعض أنبياء الله تعالى في مجال الصناعة ليقتدى بهم قومهم، ومَن يأتى بعدهم من الأمم وخصوصا أمة محمد صلى الله عليه وسلم التي خاطب ربُّها أبناءها قائلا لهم:{هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾} [الملك: ١٥].

---

(1) مختصر تفسير ابن كثير - للشيخ محمد على الصابونى، وتفسير الآيتين السابقتين 12، 13 من سورة سبأ موجود في ص8 من القسم13 من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للشيخ المرحوم محمد على الابونى.

وفى زماننا هذا يَسْخَرُ بعض الجهلة، الذين لا يعرفون هذه الحقيقة، من كل شاب أو رجل مفكر وطنى يطرح فكرة استغلال البحار والأنهار لزيادة الدخل الوطنى في البلاد الفقيرة التي منحها الله عز وجل نعمة البحار والأنهار.. فهؤلاء الجهلة يتكاسلون عن جلب الأرزاق ونفع بلادهم الفقيرة من ثروات الأنهار والبحار، ويحثون غيرهم على التكاسل، وعدم استغلال هذه الثروة الهامة المتواجدة في تلك البحار والأنهار؛ لزيادة الدخل القومى، بل يحثون غيرهم على التقصير في خدمة وطنهم الفقير.

وإذا كان شباب الكفار يعملون ويجتهدون ويبنون المبانى الفخمة؛ كالقصور الحصينة وهم لا يحتاجون إليها لسكن ونحوه، كما فعلت ثمود، قوم صالح، الذين وبخهم نبيهم لأنهم كانوا يعملون فقط من أجل الدنيا، ويتركون الآخرة، فلا يعملون لها - فأولى بشباب المسلمين وفتيانهم وفتياتهم، أن يعملوا للدنيا والآخرة معا، وأن يواجهوا الصعاب والتحديات، في سبيل من يأتى بعدهم من ذريتهم الضعيفة، حتى يقوى هؤلاء وأولئك.

فقد كان قوم صالح عليه السلام ينحتون صخور الجبل ويبنون فيه البيوت العالية دون حاجة إليها، إلا أن يتعالوا بها على الناس.

وقد قال فيهم ربهم عز وجل:{وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ} [الشعراء: ١٤٩](1).. وسار على نهجهم مِنْ قبلهم - قوم عاد فكانوا يبنون الأبنية الشاهقة في الأماكن المرتفعة من الطريق لمجرد اللهو والعبث. تاركين العمل من أجل الآخرة. فوبخهم نبيهم هود عليه السلام. وقال لهم الله

---

(1) البيوت الفارهة: الشاهقة في العلو

تعالى على لسان نبيه:{أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾} [الشعراء: ١٢٨ - ١٢٩][1]...

وشبابنا اليوم أولى بهذا التحذير من هؤلاء وأولئك. وفى هذا المجال يحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم شباب وشيوخ المسلمين من العمل للدنيا ونسيان الآخرة، فالدنيا دار فناء والآخرة دار بقاء، فيقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم :{كونوا في الدنيا أضيافا، واتخذوا المساجد بيوتا، وعودوا قلوبكم الرقة، وأكثروا التفكر والبكاء، ولا تختلف بكم الأهواء؛ تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون، وتُؤَمِّلون ما لا تدركون} [2]..

فالأولى بشباب المسلمين وفتيانهم وفتياتهم، أن يضعوا كل هذه الحقائق أمامهم، وأن يعلموا أنه ليس عيبا أن يعمل الإنسان لدنياه، إنما العيب أن يترك العمل من أجل آخرته. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : {اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا} [3]..

وهذا الحديث النبوي الشريف تصديق لقول الله تبارك وتعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَىٰكَ اللَّهُ الدَّارَ الْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾} [القصص: ٧٧]... فرسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه المسلمين - والشباب منهم - إلى العمل من أجل الدنيا حتى ينشأوا أقوياء أغنياء لا يعتمدون على معونة من غيرهم،

---

(1) مصانع: بيوتا شاهقة مجهزة مزخرفة

(2) رواه أبو نعيم عن الحكم بن عمير ص113 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى.

(3) رواه ابن عساكر 25 من المرجع السابق.

حتى لو كان هذا الغير آباءهم. وذلك في الوقت الذي يعملون فيه أيضا من أجل الآخرة، حتى يلقوا ربهم سبحانه وهو راض عنهم.. وهذا عكس ما يفعله الكفار والمنافقون الذين يعملون

فقط من أجل الدنيا، تاركين العمل من أجل الآخرة. فيقول الله أصدق القائلين سبحانه فيهم:{ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾} [هود: ١٥ - ١٦]..

وتوجه السنة النبوية الكريمة مَنْ يبحث عن السعادة سواء أكان شابا أم شيخا أم فتاة أم أما - إلى أن يلتمسها في أربع: أولها: زوج أو زوجة صالحة تعينه على نوائب الدهر ومصائبه. وثانيها: أولاد وبنات أبرار يبرون آباءهم وأمهاتهم، في حياتهم وبعد موتهم. وثالثها: أصدقاء وخلطاء صالحون، وفيهم يقول النبى صلى الله عليه وسلم : " لا تصحب إلا مؤمنا، ولا يأكل طعامك إلا تقى " [(1)]، ورابعها: أن يكون رزقه في بلده، وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم : " أربع من سعادة المرء: أن تكون زوجته صالحة، وأولاده أبرارا، وخلطاؤه صالحين، وأن يكون رزقه في بلده " [(2)]..

وفى لفتة نبوية كريمة، يحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب وغيرهم من الرشوة باعتبارها طريقا مختصرا لتحقيق الأهداف،

---

(1) رواه أبو داود في سننه ص158 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى.
(2) رواه الديلمى عن علىّ ص18من المصدر السابق.

ولو على حساب جهد الآخرين المستحقين لتحقيق هذه الأهداف والأولى بها. فهؤلاء الآخرون ضعفاء لا يقدرون على المحافظة على حقوقهم، وعلى أكتافهم يصل هؤلاء المغتصبون لحقوقهم، في وسط مجتمع ضعيف متخاذل يأخذ بأسباب الجاهلية، لا يصل إلى هدفه فيه إلا قليل من متسلقى أكتاف الضعفاء العاملين بجد وأمانة. فهو مجتمع لا يعترف بحقوق الضعفاء.. فطموح الشباب والفتية والفتيات نحو مستقبل أفضل يتميز بوضع مالى مشرف - يجب أن يكون مصحوبا بجهد مخلص شرعى؛ لتحقيق هذا الطموح.. ومن أجل ذلك يحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب وغيرهم من التكاسل عن تحقيق الأهداف النافعة الشرعية، ومن اختيار طريق الرشوة لاختصار جهدهم، على حساب الضعفاء المخلصين في عملهم والعاملين لتحقيق طموحاتهم الإسلامية في الحياة. ولهذا يقول لهم النبى صلى الله عليه وسلم :{لعن الله الراشى والمرتشى والرائش الذي يمشى بينهما} [1] فالراشى هو ذلك الدَّعِيّ الذي يدعى أحقية شيء لا يمكنه الوصول إليه لأنه ليس من أهله. والمرتشى هو الذي يساعد ذلك الدعى على حساب الآخر الضعيف الذي لا يستطيع الدفاع عن حقه أمام ذلك الدعى الجبان. وأما الرائش فهو الواسطة بين الراشى والمرتشى، يسير بينهما لتحقيق منفعة لا قيمة لها؛ بتضييع حق لضعيف وإلحاقه بدعى لا يستحقه...

ولهذا حذر الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الطريقة الوضيعة لتحقيق الأهداف؛ لأنها طريقة غير مشروعة، فيها تثبيط لمن يعملون بصدق وأمانة، وتشجيع لأدعياء يحبون الوصول على أكتاف غيرهم من العاملين الشرفاء...

وهكذا يفتح الإسلام طريق القوة والسعادة أمام المسلمين جميعا، والشباب منهم على وجه الخصوص، ليمارسوا دورهم في الحياة لإسعاد أنفسهم وإسعاد غيرهم، وليُكَوِّنُوا أساسا صالحا للأجيال المسلمة القادمة من بعدهم، على هَدْيٍ من كتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم...

---

(1) رواه أحمد عن ثوبان ص119 من المصدر السابق.

الباب السادس

مرحلة الرجولة والأنوثة

الباب السادس:

مرحلة الرجولة والأنوثة

وبعد مرحلة الصبا والشباب تأتى مرحلة الرجولة والأنوثة. وهى تعنى اكتمال الرجولة والأنوثة عند الشباب والفتيات؛ بحيث يتحمل كلاهما مسئولية المشاركة الفعالة في نمو الأسر التي ينتمون إليها، وتنتمى إليهم. وعليهم في هذه الحالة أن يسهموا مساهمة جدية في رقيها، وأن يقودوها إلى نمو حقيقى على أسس معدة ومدروسة، وأن يحافظوا على دعائمها الشرعية الأساسية، التي قامت ونمت وتطورت بها إلى الأفضل في كل مجالات الحياة، الدينى منها والاجتماعى، والاقتصادى والثقافى، والصحى. أى في جميع نواحى الحياة الدنيا التي يعيشون فيها، والحياة الآخرة التي ينتظرونها، ويعملون مع بقية أفراد الأسر من أجلها..

والحديث عن هذه المرحلة من مراحل النمو الأسرى، يوجهنا إلى الأسس العامة التي تحكم هذا التطور والنمو، وتحميه وتقويه، وتدفعه دائما إلى الأمام. وهذه الأسس العامة متواجدة في القرآن الكريم، وفى السنة النبوية المباركة. وقد تحدثنا عنها سابقا بما فيه الكفاية.. ولا بأس أن نُذكِّر في هذا المقام بأمور هامة يجب اتباعها في هذه المرحلة، من منطلق توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة..

* * *

الفصل الأول:

في القرآن الكريم

ونجد في كتاب الله العزيز، القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إشارات متعددة تدعو إلى كل خصال الخير، وتنفر من كل خصال الشر. ومنها: في المجال الدينى: ما يشير إلى وجوب تقوى الله عز وجل، والإيمان به سبحانه وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم النبيين والمرسلين.

وبعنصرى الإيمان والتقوى تكتمل سعادة الزوجين والأسرة والمجتمع الإسلامى في الدارين، وبهما تكتمل الرجولة والأنوثة. وفيهما يقول ربنا أصدق القائلين سبحانه، مبينا ثمرة الإيمان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم، التي تكتمل بتقوى المسلم والمسلمة في كل أمور حياتهما الدنيوية والأخروية - يقول عز وجل:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨} [الحديد: ٢٨][1]. فمن يلتزم من المؤمنين والمؤمنات بالإيمان والتقوى وبما يوجبانه، يحظى بنصيبين من رحمة الله جل جلاله، نصيب في الدنيا وآخر في الآخرة. لكن نصيبه من رحمة الله في الآخرة أكبر بكثير من نصيبه منها في الدنيا؛ حيث يدخر الله تعالى له عنده تسعة وتسعين جزءا من هذه الرحمة، ينفعه بها في الآخرة. وبجزء واحد من من هذه الرحمة الربانية يرحمه الله تعالى في الدنيا من بلايا كثيرة ومشاكل عديدة وأخطار جسيمة.. ويبين لنا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم تفاصيل هذه الرحمة الإلهية المهداة إلى خلائقه سبحانه، فيقول صلى الله عليه وسلم :{إن لله تعالى مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها

---

(1) كفلين: نصيبين.

يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة} [1]. وليس هذا فحسب بل للمؤمن الملتزم بالإيمان والتقوى نور يمشى به. وهذا النور في الحقيقة نوران؛ نور يسير به في الدنيا، ونور ينفعه في الآخرة. ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى:{قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾} [المائدة: ١٥ - ١٦]. وقد ورد في تفسير هاتين الآيتين الكريمتين: أى " جاءكم من الله نور هو القرآن الكريم، لأنه مزيل لظلمات الشرك والشك. وهو كتاب مبين ظاهر الإعجاز، يهدى به الله تعالى من اتبع رضاه - طُرق النجاة والسلامة وَمناهجَ الاستقامة. ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بتوفيقه سبحانه وتعالى وإرادته. فينهجون النهج الإسلامى ويبتعدون عن نهج الشرك " [2]. وليس هذا فقط، بل ينعم المؤمن الملتزم بالإيمان والتقوى في الدنيا بمغفرة ذنوبه، حيث يحس بتوفيق الله له ورعايته لأموره الدنيوية، وفى الآخرة بنعيم الجنة وهى دار القرار..

ومن هذه الإشارات أيضا في المجال الدينى: دعوة إلى التمسك بالوصايا العشر التي وردت في سورة الأنعام. أوصى الله تعالى بها عباده المؤمنين المتقين. فمن عمل بها فاز في الدارين.

---

(1) رواه الشيخان عن أبى هريرة ص164من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى - الهوام: ما كان له سم كالحية وقد تطلق الكلمة على ما لا يَقتُل من الحشرات.

(2) ص13 من القسم الثالث من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للشيخ المرحوم محمد على الصابونى.

وهى مجموعة في قوله تعالى:{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥١ - ١٥٣][1].

وقد اتفقت جميع الشرائع السماوية على هذه الوصايا(2) وبها تكتمل سعادة البشر جميعا، بما فيهم الشباب والشيوخ والنساء والبنات.. وتتلخص هذه الوصايا في: عبادة الله وحده، وعدم الإشراك به، بأى طريقة كانت. والإحسان إلى الوالدين، في حياتهما وبعد مماتهما. وعدم قتل الأولاد خشية الفقر، لأنه مسلك جاهلى. وعدم ممارسة الفواحش علنا أو في السر، بل وعدم القرب منها، لما لها من آثار سيئة في حياة البشر. قال ابن عباس: " وقد كانوا في الجاهلية لا يرون في الزنى بأسا إذا كان في السر، ويستقبحونه إذا كان في العلن، فحرَّمَهُ الله في السر والعلانية " (3).

---

(1) الإملاق: الفقر - الفواحش: المنكرات والكبائر - بالقسط: بالعدل.
(2) ص107من القسم الثالث من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.
(3) الطبرى12/219. وانظر نفس الصفحة من المصدر السابق.

وعدم قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، والحق الذي أباحت به الشريعة الإسلامية قتل النفس - فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:{لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، إلا
بإحدى ثلاث: الثيب الزانى، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة} [1]. فالثيب وهو أول الثلاثة التي أهدرت الشريعة الإسلامية دمهم - هو من سبق له الزواج سواء أكان ذكرا أم أنثى، وذاق الشهوة والعسيلة بطريقة شرعية فبممارسته الزنى يعتبر متراجعا عن الإسلام ومشجعا لإشاعة الفاحشة في الأسر والجماعات والمجتمعات الإسلامية، ويهوى بذلك إلى مرتبة البهائم. وهو بكل هذا يستحق القتل. والثانى من ثبتت عليه جريمة قتل النفس فيقتل بها أو يعفو عنه من بأيديهم العفو من أهلها؛ حتى لا تعم الفوضى في المجتمع الإسلامى. والثالث: من أسلم ودخل بين المسلمين وتعامل معهم، ثم ترك دين الإسلام؛ لغرض أو عَرَضٍ دنيوى، أو لإحداث فتنة بين المسلمين، فيقتل بذلك أيضا..
ومن الوصايا العشر كذلك: عدم الاقتراب من مال اليتيم والتصرف فيه والإنفاق منه إلا بالحسنى، وتقتضى الحسنى عدم ضمه إلى مال الكافل أو الصرف منه بغير وجه حق، كما تقتضى الحسنى تنمية هذا المال إلى أن يستطيع صاحبه اليتيم أن يعتمد على نفسه، ويصرف منه الكفيل ما ينفقه في سبيل تنميته والمحافظة عليه وما ينفقه منه على اليتيم إن كان هذا الكافل فقيرا. وقد سبق الحديث عن ذلك. ومن هذه الوصايا كذلك استيفاء الكيل والميزان وعدم التطفيف فيه، فالويل ينتظر المطففين ويقتضى هذا الاستيفاء عدم ظلم من يكيل أو يزن لنفسه.. ومنها العدل في القول بالشهادة وغيرها ولو كان ذلك القول في حق أحد أقاربه أو معارفه. ومنها الوفاء بعهد الله وميثاقه أيّا كان هذا العهد والميثاق الذي قطعه على نفسه. وإذا كان عهد الإنسان للإنسان يجب الوفاء به فعهد الله تبارك وتعالى أولى بالوفاء مادام في حدود الشريعة الإسلامية - وعادة ما يكون كذلك..

---

(1) ورد في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ص318من الجزء الأول من كتاب جامع العلوم والحكم - تحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

ومنها كذلك اتباع طريق الله المستقيم وطريق رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم والذى اتضح في الالتزام بالإيمان والتقوى..

وذلك يدخلنا في إشارة جديدة في المجال الدينى مفادها: وجوب الإيمان بالله تعالى ربا واحدا للكون، والاستقامة على طريقه. لما في ذلك من تمتع بالأمن في الدارين ويتضح ذلك من قوله عز وجل:{إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾} [فصلت: ٣٠ - ٣٥].

فالاعتراف بالله تعالى ربا واحدا للكون والإيمان به سبحانه، والاستقامة على طريقه عز وجل - فيه سعادة حقيقية للبشر جميعا فالشخص الذي بينه وبين أحد هؤلاء المؤمنين بالله المستقيمين على طريقه سبحانه - عداوة أو خلاف، يميل إلى أخلاقه السمحة التي تجذبه إليه فيصبح صديقا حميما له، بعد أن كان عدوا لدودا. ففى هذه الاستقامة سعادة لأصحابها في الدارين لأنهم أولياء الله تبارك وتعالى فيهما..

ومن كتب الله في قلبه الإيمان وأيده بتوفيقه سبحانه تمكن الحب الإلهى من قلبه فلا يكون فيه مكان لحب أعداء الله عز وجل، حتى لو كان من هؤلاء الأعداء من هو أب لهذا المؤمن أو أُمٌّ له أو ابن أو خال، أو أحد من عشيرته وهكذا لا يمكن أن يجتمع حب الله وحب أعدائه في قلب واحد. فمن أحب الله تعالى أبغض أعداءه. ومصداق ذلك قوله

تعالى:{لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾} [المجادلة: ٢٢]. قال المفسرون: " غرض الآية نهى المؤمنين عن مصادقة ومحبة الكفرة والمجرمين. لكنها جاءت بصورة إخبار للمبالغة في النهى والتحذير " [1].

وقال الإمام الفخر الرازى: " المعنى أنه لا يجتمع الإيمان مع حب أعداء الله، وذلك لأن من أحب أحدا امتنع أن يحب عدوه، لأنهما لا يجتمعان في القلب، فإذا حصل في القلب مودة أعداء الله لم يحصل فيه الإيمان " [2] وعكس ذلك صحيح أيضا.. وقد ذكر ابن كثير من نزلت فيهم الآية فقال: " نزل قوله تعالى:{وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ } في أبى عبيدة قتل أباه يوم بدر{أَوْ أَبْنَآءَهُمْ} في الصدِّيق هَمَّ يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن{أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ } في مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ{أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} في حمزة وعلىّ وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ " (3). فقد آمن أبو عبيدة والصديق ومصعب بن عمير وحمزة وعلىّ وعبيدة بن الحارث - بالله واليوم الآخر وفضلوا عليه الكفرة من آبائهم وأبنائهم وإخوانهم وعشيرتهم. فقواهم الله بإيمانهم ونصرهم على أعدائهم من الكافرين. وقال ابن عباس: " نصرهم على عدوهم.

---

(1) ص16من القسم الثامن عشر من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

(2) الفخر الرازى: التفسير الكبير29/276.

(3) ص318من الجزء الرابع من تفسير القرآن الكريم - لابن كثير.

وسمى ذلك النصر روحا لأن به يحيا أمرهم " (1). وهؤلاء المؤمنون المنصورون يدخر الله لهم ثوابا عظيما في الآخرة، حيث يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار لأنه رضى عنهم.. ويتضح هذا الرضا الربانى من حديث قدسى رواه محمد صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يقول: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير كله في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا ربنا وأى شئ أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا " (2).. وحتى ينعم هؤلاء المؤمنون المتقون في الدنيا قبل الآخرة، ويُسعدوا أبناءهم وبناتهم وزوجاتهم وأقاربهم وجيرانهم، ويكونوا من الآمنين في الدارين، يجب عليهم أن يتمسكوا بأصل قوى راسخ للسعادة والأمن وهوعدم خلط إيمانهم بأى نوع من أنواع الشرك. لذلك يقول سبحانه:{ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢} [الأنعام: ٨٢][3]. وذلك يحصل بطاعة الله العظيم وطاعة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم في كل ما أمرا به، والابتعاد عن المحرمات والفواحش التي نهيا عنها...

فإذا انتقلنا إلى المجال الاجتماعى وجدنا أنه يدخل فيه النهى عن المحرمات والفواحش التي نهى الله عنها في قوله جل ثناؤه:{ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣} [الأعراف: ٣٣]..

---

(1) التفسير الكبير29/277.

(2) رواه الشيخان عن أبى سعيد ص35من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم: السيد أحمد الهاشمى.

(3) بظلم: أى بشرك.

وإذا فصلنا بعض التفصيل، نقول إن هناك محرمات من الطعام والشراب. فمحرمات الطعام يقول عنها ربنا سبحانه:{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾} [المائدة: ٣].. فمن محرمات الطعام: الميت من الحيوانات والطيور دون أن يذبح ذبحا شرعيا. والدم والمقصود به هنا الدم المسفوح وهو دم الأمعاء، وكان أهل الجاهلية يشوونه ويقولون لم يحرم من فُصِدَ له[1]، وكذلك حرم لحم الخنزير سواء ذبح أو لم يذبح وها هم المخالفون لأمر الله والذين يأكلون لحم الخنزير يكتوون الآن بوباء انفلونزا الخنازير، الذي حصد كثيرا من أرواحهم ومازال ساريا حتى الآن، لعلهم يعتبرون وينتهون عن مخالفة أمر الله تعالى وكذلك ما ذبح تقربا لغير الله تعالى، والمخنوقة بحبل أو شبهه، والمضروبة بعصا أو حجر، والتى تسقط من جبل ونحوه، والتى تنطحها بهيمة أخرى فتموت بالنطح، وما أكل السبع بعضه فمات، إلا ما أدركتم فيه الروح فذبحتموه قبل الموت ذبحا شرعيا، وما ذبح على الأحجار المنصوبة التي كان يعبدها أهل الجاهلية. ويذبحون لها، وكذلك حرم الله تعالى أكل كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطير.

---

(1) الكشاف 468/1 - الفصد: شق عرق المريض ووضع الدواء فيه.

وقد ورد هذا النهى في حديث أبي ثعلبة رضى الله عنه " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل كل ذى ناب من السباع وعن أكل لحوم الحمر الأهلية " (1). وفى حديث ابن عباس قال: " نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ذى ناب من السباع وعن كل ذى مخلب من الطير " [2].. كما ورد في الآية الكريمة (آية المائدة) النهى عن الاستقسام بالأزلام؛ وهو طلب معرفة ما قسم للإنسان من الخير أو الشر بضرب القداح بسهم أو نحوه.. لكن رحمة الله العلى القدير تجلت في مسامحة من ألجأته الضرورة إلى تناول شيء من تلك المحرمات في مجاعة إذا كان غير محب للإثم ولا متعمِّدٍ له. فمثل هذه الضرورات تبيح المحظورات..

وهناك محرمات من الشراب كشرب الخمر وكل ما أسكر، والقليل منه كالكثير. إذ القاعدة الشرعية أن كل ما أسكر كثيره فقليله حرام. وكذلك شرب الدخان والسجائر والشيشة بكل أنواعها لأنها من الخبائث التي نهى الله تبارك وتعالى عنها..

وكان شرب الخمر مشاعا على نطاق واسع في الجاهلية فلما جاء الإسلام حرمها على مراحل حتى يطيق الناس تحريمها.. وفى المرحلة الأولى من تحريم الخمر يقول المولى عز وجل:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ } [النساء: ٤٣] لآية. وقد ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة ما رواه الترمذى عن علىّ كرم الله وجهه قال: " صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر.

---

(1) أخرجه البخارى في 72 - كتاب الذبائح والصيد - 29باب أكل كل ذى ناب من السباع ص267من الجزء الثانى من كتاب اللؤلؤ والمرجان - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، ص268باب أكل لحوم الحمر الإنسية.

(2) عن عبد الله بن معاذ العنبرى عن أبيه عن شعبة بن الحكم عن ميمون بن مهران عن ابن عباس ص982، ص983من صحيح مسلم - الطبعة المميزة والمرقمة بترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

فأخذت الخمر منا، وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: قل يأيها الكافرون أعبد ما تعبدون. ونحن نعبد ما تعبدون.. فأنزل الله: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ } [النساء: ٤٣] الآية وقد كان هذا قبل تحريم الخمر " [1]..

وفى المرحلة الثانية من تحريم الخمر نبه عز وجل شاربيها إلى أن فيها منافع ومضار لكن مضارها أكثر من منافعها. فقال أصدق القائلين سبحانه:{ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا } [البقرة: ٢١٩] الآية. وفى ذلك توجيه كريم إلى الاستغناء عنها؛ لأن منافعها قليلة يمكن إدراكها بوسائل أخرى.. ثم جاء تحريمها قاطعا في المرحلة الثالثة، حيث قال سبحانه:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١) } [المائدة: ٩٠ - ٩١]. فربنا عز وجل يبين لعباده المؤمنين العديد من مفاسد شرب الخمر وأخطارها وأضرارها، ويطلب منهم الانتهاء عن شربها. فالاستفهام في نهاية الآية مقصود به الأمر، " وهذا الاستفهام من أبلغ ما ينهى به " (2). ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما سمع الآيتين الكريمتين: " انتهينا ربنا انتهينا " (3).

---

(1) ص98من القسم الثانى من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

(2) البحر المحيط4و15 لابن مكتوم القيسى. اقرأ ص43 من القسم الثالث من الطبعة الأولى من صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

(3) نفس الصفحة من المرجع السابق

ونقف هنا وقفة لنبين صورة واقعية لمن يشرب الخمر من الرجال والنساء والشباب. ففى تصوير لبعض جوانب مضارها، ورد في تفسير سورة البقرة{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا} [البقرة: ٢١٩] الآية - ما رواه النسائى عن عثمان رضى الله عنه أنه قال: " اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، وإنه كان رجل ممن قبلكم متعبدٌ فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها، فطفقت كلما دخل بابا أغلقته دونه حتى أفضى إلى امرأة وضيئة، عندها غلام وباطية خمر. فقالت: إنى ما دعوتك للشهادة ولكن دعوتك لتقع علىَّ أو تشرب من هذا الخمر كأسا أو تقتل هذا الغلام. قال: فاسقينى من هذه الخمر كأسا. فسقته كأسا فقال: زيدونى فلم يبرح حتى وقع عليها وقتل النفس. فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يُخرج أحدهما صاحبه " (1). وهذا عن إثمها الكبير. أما ما يقال عن منافعها فهى منافع دنيوية زائلة. فمن المعروف أن الناس في الجاهلية كانوا يتاجرون في الخمر فيربحون منها ربحا فاحشا لشيوعها وانتشارها بينهم. ومن ناحية أخرى قد يدعى البعض أنها قد تفيد في الجماع. لكنه ادعاء باطل لم تثبت صحته. وهو على الغالب وهم(2). وقد يراد بالنفع تلك اللذة المزعومة والنشوة المُدَّعَاةُ. وهذه اللذة إن حدثت تكون عادة مصحوبة بسخرية وضحك العقلاء لما يرونه من ضياع لهيبة وشخصية شاربها وهَوَانِه على الناس.. قال القرطبى: " وشارب الخمر يصير ضحكة للعقلاء فيلعب ببوله وعذرته (برازه)، وربما يمسح بها وجهه. حتى رُؤِى بعضهم يمسح وجهه ببوله ويقول: اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى

---

(1) ص129 من القسم الأول من الطبعة الأولى من المرجع السابق

(2) ص130 من القسم الاول من الطبعة الأولى من المرجع السابق.

من المتطهرين. ورُؤِى بعضهم والكلب يلحس وجهه وهو يقول: أكرمك الله كما أكرمتنى ".[1]

ويتضح من هاتين الواقعتين ذهابُ عقل شارب الخمر وعدم إدراكهِ لما يقوله أو يفعله، وذهاب شخصيته وكرامته بذهاب عقله.. وواقعة أخرى عاينتها بنفسى. فقد تبين لى في فترة من فترات الدراسة التي عشتها في القاهرة أنه يسكن فوقى رجل سكير، فتركت هذا المسكن بعد علمى بذلك وسماعى لهذا الحادث المؤسف. ففى ليلة من ليالى سكره، سمعت فوقى جرى أقدام. وسمعت امرأة وابنتها تصيحان وتجريان، وسمعت صوت الابنة تصيح قائلة " أنا بنتك يا بابا " فتيقنت بعد أن وصلتنى أخبار الحدث أن هذا السكران كان يجرى وراء ابنته يظن أنها زوجته. وليست هذه نشوة كما يقولون بل ذهاب للعقل من أثر شرب الخمر، تذهب معه نخوة الرجولة ونخوة المسؤولية. وبعد ذلك يكون ذهاب المال وتصريفه في شيء ممنوع وضار، وذهاب الصحة نتيجة لشرب هذه الخمر التي تجلب لصاحبها المرض. فأى شيء يبقى بعد ذلك؟.. وقد ورد في نفس الآية الكريمة إشارة إلى لعب الميسر وهو القمار. وهو لعب يخرب البيوت ويدمر الأسرة، ويحدث العداوة والبغضاء بين اللاعبين وأسرهم. والقمار مقامرة بالمال ومغامرة به في شئ يستحيل ضمانه. فعقل لاعب الميسر ذاهب مثل عقل شارب الخمر.. وتقاس على الخمر كل المسكرات الأخرى بكافة أنواعها وأسمائها ويقاس على لعب الميسر كل الخبائث الأخرى كالسجائر والدخان والشيشة، بكافة أنواعها، فهى محرمة أيضا لأنها من الخبائث المنهى عن تناولها، والتى حرمها ربنا العظيم في

---

(1) القرطبى 3و157 وانظر ص 129و130 من القسم الأول من الطبعة الأولى من صفوة التفاسير.

قوله تعالى:{ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ } الآية [الأعراف: ١٥٧][1] وإذا كان السكارى وأعوانهم وأنصارهم لا يأبهون بالدين الإسلامى ومبادئه وأحكامه وإرشاداته - فإن الطب العالمى قد قال قولته الحاسمة في هذا الشأن، وبين أن هذه المعطيات تدمر الصحة تدميرا كاملا. وتحذر تقارير منظمة الصحة العالمية من الوضع العالمى الخطير لهذه المعطيات من الدخان والكحوليات وما يتبعهما من المسكرات وتشير إلى ذلك تقارير عام ألفين وأربعة وألفين وسبعة وألفين وثمانية وألفين وتسعة(2). وما يسرى على الكحوليات يسرى على بقية المواد المخدرة. ولو أن عند هؤلاء المتعاطين بقية من عقل وتمييز - لكان بيان الطب الحاسم في هذا الأمر رادعا لهم؛ حتى لا يدمروا أنفسهم ويدمروا أسرهم، ويضروا بذلك جيرانهم وأصحابهم، بل والمجتمع الإسلامى كله. ونظرة إلى أحوال المدمنين وما يعانونه من تدهور في صحتهم وأموالهم، وضعفهم عن أن يكونوا من الطبقة العاملة في المجتمع، وإلى أحوال أسرهم وتَدَنِّيها بسبب تدهور أحوال هؤلاء المدمنين - تُرينا كم هو لازم وواجب أن يقبل هؤلاء العلاج الشافى من هذا الداء العضال، وأن ينقذوا أنفسهم وأسرهم من هذا الدمار الشامل الذي يلحق بهم وبمرضاهم المدمنين وقد خصصت مصر خطا مباشرا للاتصال بالمسؤولين عن علاج الإدمان يعمل ليل نهار؛ لإنقاذ من يمكن إنقاذه من المدمنين وأسرهم. والله تعالى ولى ذلك والقادر عليه.. ومن المحرمات التي نبه إليها القرآن الكريم ودعا إلى تجنبها - أكل مال اليتيم.

---

(1) الخبائث: كل المحرمات: من الأطعمة والأشربة والمعاملات والأقوال - ص245 من الجزء الثانى من تفسير القرآن العظيم - لابن كثير.
(2) مثال تحذير الطب العالمى من هذه المعطيات وأخفها ضررا السجائر ما يكتب على علبة السجائر الآن حتى الأجنبية منها " التدخين ضار جدا بالصحة ".

وقد اهتم القرآن الكريم بمال اليتيم اهتماما خاصا، وفيه برنامج إسلامى للمحافظة عليه وتنميته. وقد سبق الحديث عن هذا البرنامج الإلهى بالتفصيل..

ومن المحرمات التي تدمر السعادة في أسر المجتمع الإسلامى - الوصية لوارث. ففيها طغيان على نصيب بعض الأبناء والبنات من الميراث الشرعى؛ مما يوغر الصدور، ويضعف صلة الرحم بدلا من تقويتها. وبذلك تكون هذه الوصية مدعاة إلى تفكك الأسرة بدلا من ترابطها، وتفكك صلة الرحم داخل الأسرة الواحدة، وتتواجد بدلا منها العداوة والخصام؛ بسبب تمييز لا سند له ولا غاية في الشريعة الإسلامية الغراء. فيعطى الوالد أحد أبنائه نصيبا ينقصه من حقوق بقية أبنائه وبناته من الميراث الشرعى.. وبسبب هذا التصرف الطائش غير الشرعى تتفكك رابطة الأسرة ويعادى أفرادها بعضهم بعضا. وغالبا ما يفعل الوالد ذلك عقابا لأحد أبنائه، أو ظنا منه أن بقية أبنائه سيحيفون على هذا الموصى له ويستولون على حقه بعد وفاة أبيه. وقد عالجت الشريعة الإسلامية تداعيات هذا الظن بالنسبة لمن يموت من أبناء هذا الوالد تاركا ولدا له. فقد حمت الشريعة الإسلامية ابن الإبن قبل أن يفكر جده في حمايته؛ فجعلت له وصية واجبة في حدود ثلث التركة لا يزيد عن ذلك.. أما الفرع الوارث الذي هو موضوع حديث هذه الفقرة - فلا ينبغى أن يميزه أبوه عن سائر أولاده وينقص من نصيبهم ليعطيه في السر نصيبا مؤجلا لا حق له فيه. ولو فعل الوالد ذلك علنا في حياته ما اعترض عليه أحد من أبنائه وما حدثت قطيعة ولا تخاصم بين الأب وأبنائه، ولا بين الابن المميز وسائر إخوته. فللأب شرعا حرية التصرف في ماله وممتلكاته في حياته وفى كامل قواه العقلية وبإرادته الحرة. أما بعد موته فلا يجوز أن يفاجأ بقية أبنائه بأنه كتب لأحدهم صكا بشئ من ماله أو ممتلكاته على هيئة وصية يتفق معه على سِرِّيتها حتى موته ويحرص على تسجيلها بالشهر العقارى؛ لتكون تمييزا لأحد ورثته على حساب الآخرين. فكلهم سواء بعد وفاة أبيهم. وما تركه قسمة بينهم جميعا. وقد أوصت الشريعة الإسلامية بذلك وحذرت مَنْ يَحيفُ على هذه القسمة.

وذلك في قوله عز وجل:{تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾} [النساء: ١٣ - ١٤]..

أما في السنة النبوية المباركة، فقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك فعن أبي أمامة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع{إن الله قد أعطى لكل ذى حق حقه فلا وصية لوارث} (1). والسنة الثابتة عند الإمام مالك - والتى لا اختلاف فيها - أنه لا تجوز وصية لوارث إلا أن يجيز ورثة الميت، وأنه إذا أجاز له بعضهم وأَبَى بعض، جاز له حق من أجاز منهم، ومن أَبَى أخذ حقه من ذلك(2). ومعنى ذلك أن هذه الإجازة تكون بعد علم بقية الإخوة بما فعل أبوهم سواء أعلمهم بذلك قبل موته أو لم يعلموا به إلا بعد موته لسرية هذا الإجراء.. وإذن فالشريعة الإسلامية حسمت هذه القضية.. على أنه من المعروف أن ما يحدث في هذه المسألة غالبا، هو أن يتفق الأب مع الموصى له بكتمان أمر هذه الوصية حتى موت الأب مع حفظ الوصية بالشهر العقارى بعد تسجيلها به حتى تنفذ بعد موته.. وإن جاز ذلك في الوصية الواجبة، فإنه لا يجوز في الوصية لوارث لأن أمرها محسوم كما تقدم، ولأنها مخالفة للسنة ومخالفة لما جاء في تقسيم الفرائض بين الورثة، كل حسب نصيبه الشرعى..

ومن هذه المؤشرات التي تؤثر في البنيان الاجتماعى، وتقضى على الألفة والمحبة بين أفراد وأسر المجتمع الإسلامى، وتضيع الحقوق الشرعية بين أبناء وبنات هذه الأسر، وبين رجالها وإناثها - ما ورد في الزنى وتحريمه، وبيان خطره على الأفراد والجماعات في المجتمع

---

(1) أخرجه أبو داود والترمذى وغيرهما عن أبى أمامة ص68من الجزء الرابع - من شـــرح موطأ مالك للزرقانى.

(2) نفس الصفحة من المرجع السابق.

الإسلامى. وفيه يقول المولى سبحانه:{ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾} [الإسراء: ٣٢]. وقد سبق الحديث عن الزنى ومقدماته.

ونذكر هنا أسوأ آثاره في الدنيا؛ وهو أن الزانى يحرم من الزواج من شريفة كما أن الزانية تحرم من الزواج من شريف. وهذا حكم من الله جل جلاله على كل من فرط في شرفه ودنسه. ويقول تبارك وتعالى فيه: {ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾} [النور: ٣]. فالزواج من الشرفاء والشريفات قاصر على المؤمنين والمؤمنات، الصالحين والصالحات، المتجنبين والمتجنبات للزنى ومقدماته. أما الزانى والزانية فلا يستحقان هذا التشريف والتكريم؛ لضلوعهما في جريمة الزنى وما يتبعه من ضياع للأنساب والحقوق الشرعية الناتجة عن الزواج الشرعى عادة...

ومن المحرمات التي تضر بالفرد والأسرة والمجتمع الإسلامى - قتل النفس. وقد حرم الله تعالى قتل النفس إلا بالحق. وقد سبق أن أشرنا إلى هذا الحق الذي أباح الله سبحانه به قتل النفس. فقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف الذي سبقت الإشارة إليه. وهو " الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة ". وبذلك لا يصل الأمر أبدا إلى حد القتل مهما اختلف الطرفان. فالقتل حينئذ يكون خروجا من دائرة الإيمان والإسلام إلى دائرة الكفر والعصيان لله رب العالمين. ولذلك يقول ربنا الكريم:{ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء: ٩٣].. أما القتل الخطأ فله أحوال وردت في قوله تعالى:{وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } الآية [النساء: ٩٢]. والآية الكريمة مفصلة

وواضحة الأحكام في القتل الخطأ.. وسوف نشير إلى قاتل نفسه وما أعده الله له من عذاب في الآخرة في مجال الحديث عن السنة النبوية الكريمة في المجال الاجتماعى إن شاء الله.. ونشير هنا إلى عادة القتل أخذا بالثأر، وأنها ما زالت سارية في صعيد مصر، وإن خفت حدتها، فذلك يُحْسَبُ للمسئولين بوزارة الداخلية المصرية ولبعض الأجهزة الإعلامية التي تعمل جاهدة على إخماد هذه الفكرة وإحلال الأمن والسلام محلها عن طريق الصلح بين طرفى النزاع من أجل الثأر. ومن المحرمات التي تعكر صفو الأمن والسلام في الأسرة والمجتمع الإسلامى - الحرابة وهى الإفساد في الأرض ومحاربة الناس في أقواتهم وأموالهم وأعراضهم. فهى عدة جرائم يطلق عليها اسم الحرابة وقد حدد الإسلام لها عقابا رادعا يكفى لإنهاء خطرها على الأسرة والمجتمع الإسلامى، لو طبق كما أمر الله العلى القدير سبحانه.. فيقول العليم الحكيم جل جلاله في ذلك:{إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾} [المائدة: ٣٣ - ٣٤]. فجزاء من يحارب الله ورسوله ويفسد في الأرض ولا يطيع ما أمر الله تعالى به ورسوله، ولا ينتهى عما نهيا عنه - متروك تقديره للحاكم أو من ينيبه عنه في ذلك، حسب الجريمة المرتكبة، فقد يكون القتل وقد يكون الصلب وقد يكون تقطيع الأيدى والأرجل من خلاف، أى اليمنى مع اليسرى أو العكس، وقد يكون النفى أى الإبعاد من الأرض التي يفسد فيها إلى أرض أخرى، غريبة عنه يهاب القيام فيها بشئ من الحرابة وهى الإفساد. وباب التوبة هنا أيضا مفتوح؛ فمن قدم نفسه للعدالة قبل أن تناله يد الحاكم أو من ينوب عنه يرفع عنه العقاب، حسب ما أشار القرآن الكريم في الآية الكريمة الثانية المذكورة.. وفى علاج الحرابة بهذه الطريقة الشرعية ردع للأشرار وسعادة كبرى للرجال والنساء والشباب والفتيات...

فإذا انتقلنا إلى المجال الاقتصادى، وجدنا هناك إشارات تعالج قضية هامة هى التعامل بالربا. إذ أنه يدمر اقتصاد المتعامل به سواء كان فردا أم أسرة أم جماعة أم المجتمع كله.
وقد حرم الإسلام الربا بنوعيه: ربا الفضل وربا النسيئة، تحريما قاطعا؛ لأنه أداة لاستغلال حاجة الأفراد والأسر والمجتمعات، أسوأ استغلال. فهو يدمر اقتصاد من لجأ إليه. ومن أجل ذلك نهى الإسلام عنه واعتبر المتعامل به محاربا لله. حيث يقول ربنا الجليل في ذلك:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة: ٢٧٨ - ٢٨٠]. وقد سبق أن تحدثنا عن الربا وخطورته على الفرد والأسرة والمجتمع. ويكفى أن نذكر هنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرّمه تحريما قاطعا، كما حرمه ربنا عز وجل.
وفى تفسير الآيتين الأولى والثانية " يروى السيوطى في الدر المنثور أن الآيتين نزلتا في العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجل من بنى المغيرة أقرضا لِنَاس مِنْ ثقيف من بنى عمرو هم بنو عمرو بن عمير. فجاء الإسلام ولهم أموال عظيمة من الربا " [1].. وقد ورد في خطبته صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع قوله صلى الله عليه وسلم :{ألا إن ربا الجاهلية موضوع. وأول ربا أضعه مِنْ رِبَانَا: ربا عمى العباس بن عبد المطلب}(2)..

---

(1) ص125 من كتاب التعامل التجارى في ميزان الشريعة - للدكتور يوسف قاسم - أستاذ الشريعة الإسلامية بحقوق القاهرة - الطبعة الأولى 1980.
(2) نفس الصفحة من المصدر السابق.

ويكفينا أيضا تلك الصورة المنفرة التي صور الله عز وجل بها أكلة الربا يوم القيامة، والتى وردت في قوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ﴾ الآية [البقرة: ٢٧٥]. وقد سبق توضيح الصورة وشرحها.. ولا يقتصر المجال الاقتصادى على التجارة والتعامل غير الشرعى بالربا والغش والخداع في تصريف عروض التجارة، لكنه يشتمل أيضا احتكار التجار لأنواع من الطعام والسلع الضرورية لحياة الناس.. وكل ذلك تحدثنا عنه سابقا بما فيه الكفاية. وتحدثنا كذلك عن جوانب أخرى للمجال الاقتصادى: كالزراعة والصناعة بأنواعها المختلفة ومنها صناعة الغزل والنسيج، وأشبعناها تفصيلا، وذكرنا الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة.

على أنه بالتعامل غير الشرعى في كل جوانب المجال الاقتصادى، وبالمحرمات التي أشرنا إليها في المجال الاجتماعى - وبالتهاون في المجال الدينى بترك الطاعات وفعل المنكرات - نجد كل ذلك يحول بين الأفراد والأسر - في المجتمع الإسلامى وبين السعادة والرفاهية التي يرتضيها الإسلام للبشر جميعا.. فمن الطبيعى أن يكون الإقلاع عن هذه الجرائم والمحرمات هو صمام عودة الأمن والأمان والسلامة والإسلام والسعادة والرفاهية والوئام إلى أفراد المجتمع الإسلامى وأسره. وبفضل تعاليم الإسلام وإرشاداته للأفراد والأسر والجماعات في المجتمع الإسلامى كله، وبفضل فعل الطاعات وترك المنكرات حسب مبادئ الدين الإسلامى وتعاليمه، يكون الإسلام قد أوجد حلولا في كل مجالات الحياة والتعامل بين المسلمين لتحويل الشقاء إلى سعادة والخوف إلى أمان. في ظل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة...

* * *

الفصل الثانى:

في السنة النبوية المباركة

فإذا انتقلنا إلى السنة النبوية الكريمة نجد الكثير والكثير من الأحاديث النبوية الشريفة والآثار الإسلامية التي تهم الرجل والمرأة، ومنها تلك التي تهتم في الدرجة الأولى بالعقيدة؛ حتى يكون الناس جميعا في ظلال عقيدة إسلامية صحيحة، صالحة للرجل والمرأة والصغير والكبير. وسوف نورد هنا - إن شاء الله - بقدر الإمكان - ما لم نذكره فيما سبق..

ففى مجال العقيدة الإسلامية: نورد ما رواه النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل في الحديث القدسى:{إنى أنا الله، لا إله إلا أنا، فمن أقر لى بالتوحيد دخل حصنى وأمن من عذابى} [1]. وهو حديث قدسى يدعو إلى الوحدانية والإقرار بها لله رب العالمين لا شريك له.. فمن أراد أن يكون آمنا من عذاب الله في الآخرة وسعيدا في دنياه فليقر له سبحانه بالوحدانية وليعمل بما يوجبه إقراره، وهو يوجب التقوى، أى فعل الطاعات والامتناع عن المنكرات، كما يوجب التوكل عليه جل جلاله دون سواه..

فعن التقوى يروى النبى صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل قوله:{وعزتى وجلالى، لا أجمع لعبدى أمنين، ولا خوفين، إن هو أمننى في الدنيا، أخفته يوم أجمع عبادى، وإن هو خافنى في الدنيا، أَمَّنْتُه يوم أجمع عبادى} [2].. فمن خاف الله في دنياه سعد في آخرته ودنياه. ويوضح لنا هذا المعنى قولُه عز وجل:{أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾}

---

(1) رواه الشـــيرازى عن علىّ ص107 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشـــيخ السيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه أبو نعيم بنفس الصفحة من المرجع السابق.

[يونس: ٦٢ - ٦٤]. فربنا عز وجل يتولى المؤمنين المتقين في الدنيا والآخرة ويطمئنهم قبل موتهم.

وعن التوكل عليه سبحانه يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{أوحى الله تعالى إلى داود: ما من عبد يعتصم بى دون خلقى أعرف ذلك من نيته، فتكيده السموات بما فيها إلا جعلت له من بين ذلك مخرجا، وما من عبد يعتصم بمخلوق دونى، أعرف ذلك من نيته، إلا قطعت أسباب السماء بين يديه وأرسخت الهوى من تحت قدميه. وما من عبد يطيعنى إلا وأنا معطيه قبل أن يسألنى، وغافر له قبل أن يستغفرنى} [1]. وفى هذا الإطار يقول حبيب الخلق والخالق صلى الله عليه وسلم :{ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه، إلا حرمه الله على النار}. قال معاذ بن جبل (راوى الحديث) يا رسول الله، أفلا أخبر الناس فيستبشروا؟ قال: " إذن يتّكلوا " [2]. فقوله صلى الله عليه وسلم " صدقا من قلبه " يتطلب أن يكون مع الشهادة عمل صالح وتقوى وتوكل عليه وحده سبحانه.. فالعمل الصالح والتقوى والتوكل الخالص عليه سبحانه، كل هذا يثبت صحة الشهادة وصدقها لأن الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل..

وفى مجال البنيان الاجتماعى وتماسكه: تهتم السنة بالتنفير من المحرمات التي تؤثر بالسلب في البنيان الاجتماعى للمجتمعات الإسلامية. وقد تحدثنا عن كثير من المحرمات سابقا. والآن نقصر حديثنا على المحرمات المهلكة. وذلك على الرغم من حديثنا عن غالبية هذه المحرمات في تناولنا لمرحلة الشباب؛ لأنها تضر بالفرد والأسرة والمجتمع الإسلامى كله..

---

(1) رواه ابن عساكر ص47من نفس المرجع - أرسخت: أى ثبتت.

(2) رواه الشيخان عن معاذ بن جبل ص131 من المرجع السابق. - يتكلوا: يتواكلوا ويتكاسلوا عن فعل الطاعات والامتناع عن المنكرات.

وفى هذا الإطار الهام يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولى يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات} (1). ويتضمن هذا الحديث الشريف محرمات تهلك من مارسها وأصر على فعلها حتى موته. وفى مقدمة هذه المحرمات المهلكة: الإشراك بالله تعالى في عبادته وفى طاعته. وهو ظلم عظيم لفاعله وللساكت عليه وفيه ضياع للمشرك. ولذلك يقول الحق تبارك وتعالى:{حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ٣١} [الحج: ٣١]. وهذه العاقبة الوخيمة تنتظر المشرك في دنياه وآخرته..

ومن هذه المحرمات المهلكة أيضا: السحر: وهو محاولة تغيير الطبيعة الإنسانية من الهدوء إلى الاضطراب مع الاستعانة في ذلك بغير الله تعالى كالشياطين والوسائل غير الشرعية. وقد عرفه أبو محمد المقدسى في الكافى: السحر عزائم ورُقى وعُقد يؤثر في القلوب والأبدان؛ فيُمرِض ويقتل؛ ويُفرِّق بين المرء وزوجه(2). وفيه يقول المولى عز وجل: {وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢} [البقرة: ١٠٢].

---

(1) رواه الشيخان ص6من كتاب مختار الأحاديث النبوية.

(2) ص291من كتاب فتح المجيد - شـرح كتاب التوحيد - للشـيخ عبد الرحمن بن حسـن آل الشيخ.

فالسحر في الآية الكريمة كان فتنة للناس عن طريق ملكين أرسلهما الله تعالى إلى أرض بابل بالكوفة، يعلمون الناس ما يفرقون به بين المرء وزوجه، ويعرفون من يعلمونه أن ذلك فتنة من الله تبارك وتعالى، من استعملها لدفع الأذى عن الناس فقد نجا، ومن استعملها لإضرار الناس فإنه يكون كافرا[1]..

وكان البعض يستعملونه لدفع الأذى عن الناس باستعمال القرآن الكريم والأدعية النافعة في هذا المجال، وكانوا يطلقون عليه اسم التولة. فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{إن الرقى والتمائم والتولة شرك} [2] فهى كلها شرك كسحر الملكين. وفى التولة من ناحية أخرى شيء يصنعونه، يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى زوجته. فما استُعْمِلَ فيه القرآن الكريم وأسماء الله على غير طريقة اليهود فهو حلال. وأما ما أستُعمِل فيه غير القرآن الكريم وأسماء الله بطريقة اليهود فهو محرم لأنه شرك.. وكانت اليهود تكتبه حروفا مقطعة بمداد خاص ويمزجونه بأدعية جاهلية وبخطوط يزعمونها على صورة خاتم سليمان الذي كان فيه سر مُلكه[3]... ومن السبع الموبقات المحرمات، قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق. وقد عرفنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين هذا الحق في حديثه الشريف{الثيب الزانى

---

(1) ص69، 70 من القسم الأول من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

(2) رواه أحمد وأبو داود عن عبد الله بن مسعود ص136 من كتاب فتح المجيد - شرح كتاب التوحيد - للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ. - الرقى: هى العزائم الموصوفة منها بالشـرك هى التي يستعان فيها بغير الله - والتميمة هى ما يعلق بأعناق الصبيان من خرزات وعظام لدفع العين. - والتولة: شئ كانوا يصنعونه. يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى زوجته.

(3) ص140من المرجع السابق.

والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة} وقد سبق شرحه. فهؤلاء الثلاثة فعلوا ما يخرجهم عن الإسلام فاستحقوا بذلك القتل.. وقد اتضحت للقارئ الكريم عواقب القتل العمد والقتل الخطأ وتأثير ذلك على البنيان الاجتماعى في المجتمع الإسلامى.. وليكن معلوما أن الله العلى القدير يحاسب أيضا من قتل نفسه فضلا عن قتل الغير. فالنفس أمانة عند حاملها، عليه أن يتعهدها بالرعاية ويجعلها نفسا مطمئنة. فإذا فرط في الأمانة وأزهق نفسه فإن الله العظيم يخلده في نار جهنم. ويقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ذلك:{من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحسى سما فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا} [1]..

وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم أمته من قتل بعضهم بعضا فقال صلى الله عليه وسلم :{ويلكم أو ويحكم(2)، لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض} (3). كما أكد النبى صلى الله عليه وسلم هذا النهى في حجة الوداع كما ورد في رواية جرير عنه صلى الله عليه وسلم بنفس النص(4).. فقد حرم النبى صلى الله عليه وسلم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم لئلا يعكر شئ من ذلك صفو نفوس المسلمين؛ فيسود بينهم البغض

---

(1) رواه البخارى عن أبى هريرة ص143من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى. تردى قذف نفسه من جبل - تحسى: شرب - يجأ: يضرب.

(2) شك من الراوى أقال ويلكم أو ويحكم وهو دعاء بالهلاك على من يفعل ما حذر منه النبى صلى الله عليه وسلم.

(3) رواه ابن عمر ص14من الجزء الأول من كتاب اللؤلؤ والمرجان - تحقيق - محمد فؤاد عبد الباقى.

(4) أخرجه البخارى في كتاب العلم - 43 باب الإنصات إلى العلماء - نفس الصفحة من الجزء الأول من المرجع السابق.

والكراهية والتنافر بدلا من الحب والوئام والتواصل. فالقتل يقضى على السعادة بين أفراد المسلمين وأسرهم ومجتمعهم الإسلامى، ويوجد بدلا منها الشقاء والتعاسة...

ومن السبع الموبقات المحرمات - الربا. وقد تحدثنا عنه بما فيه الكفاية. وقد نهى عنه القرآن الكريم، ونهت عنه السنة النبوية الكريمة، وحذرت كل الأطراف المتعاملة به. وفى هذا يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{لعن الله آكل الربا وموكله، وشاهديه وكاتبه، هم فيه سواء} (1).. ونضيف هنا أن آكل الربا مفضوح يوم القيامة، فالله عز وجل يسمه بعلامة خاصة به.. فهو لا يقوم يوم الحشر إلا كما يقوم الذي أصابه الصرع من الجنون. يتعثر ويقع ولا يستطيع أن يمشى مستويا. وتلك صفته عند الموقف. فقد أربى الله عز وجل في بطنه وكثر ما أكله من الربا الدنيوى فأثقله ذلك، فصار مخبولا لا ينهض ويسقط. قال سعيد بن جبير رضى الله عنه: " وتلك علامة آكل الربا يوم القيامة " [2]..

ويرى بعض المفسرين أن هذه الصورة واقعة في الأرض على البشرية الضالة التي تتخبط كالممسوس في حكم النظام الربوى الشائع في العالم الآن[3]. ومصداق ذلك ما يشاهد في العالم الآن من الأزمة المالية الطاحنة وخاصة في الدول الكبرى التي أضرت بضررها الدول الصغرى.. ويرى الدكتور إبراهيم عويس الخبير الاقتصادى العالمى الذي عمل ويعمل في الاقتصاديات غير الإسلامية كغيره من علماء الاقتصاد في العالم الإسلامى، مثل الدكتور يوسف قاسم وغيره من المتخصصين في الاقتصاد الإسلامى - أن هذا الاقتصاد الإسلامى لم يتأثر بالأزمة المالية العالمية؛ لأنه لا يتعامل بالربا الذي تتعامل به البنوك الأوروبية والغربية والعالمية. وقد أفلست كثير من البنوك الأمريكية، وتعثرت اقتصاديات دول الاتحاد الأوروبى وغيرها من دول العالم غير الإسلامية بسبب هذه الأزمة، التي مازالت

---

(1) رواه مسلم ص118من مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.
(2) ص162من القسم الأول من الطبعة الأولى من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.
(3) نفس الصفحة من المرجع السابق.

تداعياتها قائمة ومؤثرة في تلك الاقتصاديات. وعلى الرغم من ادعاء بعض الدول الأوروبية أنها تعافت من تلك الأزمة المالية، إلا أن دول أوروبا تتكاتف وتتحمل أعباء مالية كبرى من أجل خروج بعضها من هذه الأزمة. ويضيف الدكتور إبراهيم عويس أن بعض الدول الأوروبية، التي لفت نظرها عدم تأثر الدول الإسلامية بهذه الأزمة - راحت تطلب من بعض الدول الإسلامية فكرة عن نظامها الاقتصادى الإسلامى حتى تستفيد منها. كما فعلت اليابان وألمانيا إذ طلبت من الكويت وغيرها أن تمدها بفكرة عن اقتصادياتها الإسلامية. وهكذا يصمد الاقتصاد الإسلامى أمام الأزمات العالمية، التي تتهاوى فيها كثير من دول الشرق والغرب غير الإسلامية بفضل نبذه للتعامل الربوى.. ويقول الحق تبارك وتعالى في علامة من يأكلون الربا ويتعاملون به يوم القيامة:{ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ} [البقرة: ٢٧٥] الآية.. وهكذا يضار الضعيف بتسلط القوى عليه بغير حق. ويصدق في الجميع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه} [1].

وقبول الهدية مقابل شفاعة من إنسان لإنسان لقضاء مصلحة، يدخل في باب الربا؛ لأن الشافع لا يقوم عادة بشفاعته إلا وهو يعلم أن المشفوع له سيعطى له ما يقابل هذه الشفاعة. وخصوصا إذا كان لا يستحقها. فهو ربح بلا مقابل من جانب شخص يحاول الوصول على أكتاف غيره إلى موضع متميز. فالشافع هنا يستغل المشفوع له أسوأ استغلال. والأمر يختلف بطبيعة الحال إذا كان هذا هو الطريق الوحيد أمام الضعفاء الذين لا ناصر لهم والذين يعيشون في عالم لا يعترف بالعدالة والمساواة بين ذوى الكفاءات الواحدة المتساوية.

---

(1) رواه أبو داود والنسائى والترمذى عن أبى بكر الصديق ص204 من كتاب من كنوز السنة - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

ويدخل أيضا في هذا الباب ما يفعله المحتكر الذي يخبئ السلعة في المخازن حتى إذا قلت في السوق أو ارتفع سعرها وبحث الناس عنها أظهرها وباعها بسعر مضعف. وقد يكون المحتاجون إليها من ذوى الدخل المحدود المنخفض فتكون الجريمة في حقهم مضاعفة وعقابها الأخروى مضعف أيضا بالإضافة إلى عذاب الدنيا.. وقد سبق شرح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوارد في هذا الشأن:{من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والإفلاس} [1].

ومن السبع الموبقات المحرمات: أكل مال اليتيم: فهو ضعيف يستحق المساعدة بدلا من تضييع ماله أو سرقته وتبديده قبل أن يكبر. وقد رسمت الشريعة الإسلامية برنامجا لحفظ مال اليتيم تحدثنا عنه سابقا في مجال القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة. وقد نهت الشريعة الإسلامية عن أكل مال اليتيم. وأوجبت معاملته بالحسنى. وفى هذا الإطار يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، أنا وكافل اليتيم في الجنة كهذا} [2]. ويقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم :{من أحسن إلى يتيم أو يتيمة، كنت أنا وهو كهاتين في الجنة} وقرن بين أصبعيه صلى الله عليه وسلم [3].. وقد بين النبى صلى الله عليه وسلم للمسلم كيف يكسب عطف اليتيم ويستميله إليه فيقول صلى الله عليه وسلم : {امسح رأس اليتيم (هكذا) إلى مقدم رأسه، ومن له أب (هكذا) إلى مؤخر رأسه} [4].. فيمسح رأس اليتيم من مؤخرة رأسه إلى مقدمته وعكسه من له أب. فهو يحرص على مساعدته وتنمية ماله إلى أن يكبر ويتحمل مسئولية المحافظة على نفسه وماله.

---

(1) رواه أحمد في مسنده ص138 من كتاب مختار الأحاديث النبوية.
(2) رواه البخارى عن أبى هريرة ص74 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.
(3) رواه الحكيم عن أنس ص138 من المرجع السابق.
(4) رواه الخطيب عن ابن عباس ص32 من المرجع السابق.

ومن السبع الموبقات المحرمات: التولى يوم الزحف: فقد حرمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.. فيقول عز وجل في ذلك:{ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾} [الأنفال: ١٦]. فالمقام مقام إقدام وشجاعة وبذل للنفس نصرة للدين وللضعفاء من نساء وأطفال وشيوخ ومرضى. فالتولى والفرار في هذا المقام جزاؤه جهنم وبئس المصير. كما اعتبره الرسول صلى الله عليه وسلم من الأمور التي تهلك صاحبها في دنياه وآخرته، إذا لم يتب إلى الله ويغير سلوكه ويعوض ما فاته من خسارة في حياته قبل موته...

ومن السبع الموبقات المحرمات: قذف المحصنات الغافلات المؤمنات: فهؤلاء النسوة قد تَحَصَّنَّ بالزواج الشرعى، فلا يصح قذفهن إلا ببينة واضحة. فمن اتهم غير زوجته بالزنى دون بينة وشهود أربعة عدول - فإنه يُعرِّضُ نفسه للجلد ثمانين جلدة، ويعامل في الإسلام على أنه فاسق لا تقبل شهادته حتى ولو كان صادقا فيها. وفى هذا يقول ربنا العظيم: {وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾} [النور: ٤] أما من قذف زوجته بفعل الفاحشة دون بينة واضحة وشهود أربعة عدول، فإنه يعرض نفسه للهلاك في دنياه وآخرته. فهو يعرض نفسه للملاعنة في الدنيا. يلاعن زوجته وتلاعنه. ثم يفرق القاضى بينهما. فهو يخسر نفسه ويخسر زوجته. وقد وردت كيفية اللعان وصفته في القرآن الكريم، في قوله تعالى:{وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾} [النور: ٦ - ٩].. أما في السنة النبوية المباركة فقد روى عن عويمر العجلانى: أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال: يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فيقتلونه؟

أم كيف يفعل؟. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{قد أنزل فيك وفى صاحبتك فاذهب فأت بها} [1]. قال سهل: فَتَلاعّنَا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عويمر: كذبتُ عليها يا رسول الله إن أمسكتُها. فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال ابن شهاب: فكانت تلك بعدُ سنة المتلاعنين " [2].

وقال مالك رضى الله عنه: السنة عندنا أن المتلاعنين لا يتناكحان أبدا. وإن كَذَّبَ نفسه جُلِدَ الحدَّ وأُلحِق به الولد ولم ترجع إليه أبدا " [3].. وقال مالك: والعبد بمنزلة الحر في قذفه ولعانه يجرى مجرى الحُرّ في ملاعنته. غير أنه ليس على من قذفَ مملوكَهُ حد[4]..

وهكذا يُعرِّض مسلم بيته وأسرته للضياع والشقاء بدلا من أن يعمل على استقراره وإسعاده؛ بسبب ظن كاذب لا يرقى إلى مرتبة الحقيقة. إذ لا دليل عليه ببينة أو شهود. وكم من أسرة مسلمة ضاعت بسبب هذا العبث الذي لا يستند إلى بينة أو دليل شرعى، وكتب عليها الشقاء والتعاسة بدلا من السعادة والهناء..

ومن المحرمات المنهى عنها لحماية الإطار الاجتماعى للفرد والأسرة والمجتمع الإسلامى - شهادة الزور: وهى شهادة مخالِفة للواقع والحاصل. يترتب عليها ضياع حقوق الأفراد والأسر في المجتمع الإسلامى؛ فيتسلط عليهم من البلايا والمصائب ما يساوى أكثر من تضييع هذه الحقوق. ويقع الظلم على أفراد وأسر لم تفعل إثما.. ويوم القيامة يسلط الله المظلومين على الظالمين فيأخذون منهم حقوقهم علاوة على ما ينتظر الظالمين من عقاب الله عز وجل. ولهذا يحذر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين جميعا من شهادة الزور فيقول

---

(1) وفى رواية فسكت عنه النبى صلى الله عليه وسلم فأعاد وانتظر وانتظر الناس معه وكأنما نزل عليه الوحى فلما سرى عنه قال حديثه الشريف في عويمر وصاحبته.

(2) حديث يحيى بن مالك عن ابن شـــهاب عن ســـهل بن ســـعد الســـاعدى في موطأ مالك ص350 طبعة الشعب.

(3) رواه مالك في باب ما جاء في اللعان ص351 من المصدر السابق.

(4) نفس الصفحة من المرجع السابق.

صلى الله عليه وسلم :{ألا أنبئكم بأكبر الكبائر} ثلاثا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال:{الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئا} فقال:{ألا وقول الزرو}. قال: " فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت " [1].. كما يُحذِّر النبى الكريم صلى الله عليه وسلم شاهد الزور من هول ما يلقاه يوم القيامة فيقول صلى الله عليه وسلم : {شاهد الزور لا تزول قدماه حتى يوجب الله له النار} [2]..

ومن الكبائر التي نهت السنة النبوية الكريمة عنها المسلمين جميعا - الزنى ومقدماته؛ لما له ولها من آثار سيئة على البنيان الاجتماعى الإسلامى حيث تضيع الأنساب وتوغر الصدور وتقطع أوصال الأسر والجماعات في المجتمع الإسلامى. وقد تحدثنا عنه سابقا بما فيه الكفاية. ونضيف هنا آثارا مما ورد في التحذير من مقدمات الزنى..

فمن ذلك ما نهى عنه النبى صلى الله عليه وسلم من إتباع النظرة إلى المرأة بالنظرة. فإن الأولى للناظر والأخرى عليه. ومن يكتف بالأولى يملأ الله قلبه أمنا وإيمانا. وقد رغب الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم أمته في غض البصر، فقال صلى الله عليه وسلم :{ما من مسلم ينظر إلى امرأة أول رمقة، ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها في قلبه} [3].. كما حذر النبى صلى الله عليه وسلم من تمطى الرجل عند المرأة الأجنبية. فقد روى الدارقطنى عن أبي هريرة: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يتمطى الرجل في الصلاة أو عند النساء إلا عند امرأته أو جواريه " [4].. وكذلك حذر النبى صلى الله عليه وسلم من أن يكلم الرجال النساء إلا بإذن أزواجهن. فقد روى الطبرانى: "

---

(1) أخرجه البخارى عن أبى بكرة في 52 كتاب الشـهادات - 10 باب ما قيل في شـهادة الزور ص16، 17من الجزء الأول من كتاب اللؤلؤ والمرجان - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى.
(2) رواه الحاكم ص88من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى.
(3) رواه أحمد ص 134 من المرجع السابق
(4) ص 154 من المرجع السابق - تمطى: تمدد وتبختر

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن تُكلِّمَ النساءُ إلا بإذن أزواجهن " [1].. وحذر النبى صلى الله عليه وسلم من التصدى للمرأة الأجنبية إذا أعجب بها عندما يراها، كما أرشد المسلم إلى التصرف السليم في هذا المأزق، فقال صلى الله عليه وسلم : " إن المرأة تُقْبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه " [2]..

أما الأعزب فقد سبق أن وصف له النبى صلى الله عليه وسلم علاجه في هذه الحالة - في حديثه الشريف. فقد قال صلى الله عليه وسلم : {يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء} [3] أى حافظ، والباءة هى مصاريف الزواج وتكاليفه ومسئولياته. وينطبق ذلك أيضا على مَنْ فقد زوجته من الرجال وعلى من فقدت زوجها من النساء. وقد بين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن المرأة تفضل الرجل بتسعة وتسعين جزءا من اللذة. وذلك حتى لا يفقد رجل إيمانه من أجل امرأة، فقال صلى الله عليه وسلم :{فضلت المرأة على الرجل بتسعة وتسعين جزءا من اللذة، ولكن الله ألقى عليهن الحياء} [4].. هذا وقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين جميعا من الزنى ومن بقية الكبائر؛ فوضح أن الزانى وشارب الخمر ومرتكب أى كبيرة بالقياس عليهما يُنزع الإيمان من قلبه إذا شرع في فعلها. فيكون شأنه شأن الكافر ومآله إلى النار إذا لم يتب ويخلص في توبته حتى يقبلها الله عز وجل منه. ويقول النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك:{من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان، كما يخلع الإنسان القميص من رأسه} (5)..

---

(1) رواه مسلم ص33من المرجع السابق.
(2) رواه مسلم ص33 من نفس المرجع السابق.
(3) رواه الجماعة ص160 من المرجع السابق.
(4) رواه البيهقى عن أبى هريرة ص103 من نفس المرجع السابق.
(5) رواه الحكيم عن أبى هريرة ص145 من المرجع السابق.

وقِسْ على ذلك فعل بقية الكبائر.. ويوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أنظار المسلمين إلى طائفة من المفرطين في حقوق جيرانهم والذين يمارسون الزنى مع زوجات جيرانهم يحذرهم صلى الله عليه وسلم من الزنى بحليلة الجار، ويبين موقف هذا الزانى يوم القيامة، فيقول صلى الله عليه وسلم :{الزانى بحليلة جاره لا ينظر الله إليه يوم القيامة ولا يزكيه ويقول له: ادخل النار مع الداخلين} [1]. وأكثر منه تفريطا وعقابا يوم القيامة من يزنى بحليلة أخيه.

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين من دخول رجالهم على الأجنبيات عنهم بغير إذن من أزواجهن، فاستفسر أحد الحاضرين عن دخول الرجل على زوجة أخيه بغير إذنه فقال: أرأيت الحمْو؟ فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم :{الحمْو الموت} أى يجب الحذر من الحمْو كما يحذر الإنسان من الموت. وقد سبق شرح الحديث. وكم من جريمة زنى ترتكب تحت ستار الحمْو. فيجب أن يحذر المسلمون من ذلك رغم شذوذ هذا المسلك.. وبصفة عامة يحذر الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته والمسلمين جميعا من الزنى. ويبين لهم أن فيه خصالا مذمومة يجب تجنبها فيقول صلى الله عليه وسلم :{إياكم والزنا فإن فيه أربع خصال: يذهب البهاء عن الوجه، ويقطع الرزق، ويسخط الرحمن، ويوجب الخلود في النار} [2].

هذا وما زالت السنة النبوية الكريمة مملوءة بالآثار الخالدة التي تنفع في كل مجالات الحياة، الدينية منها والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والصحية وغيرها، مما ينفع الفرد والأسرة والمجتمع الإسلامى كله.. وليس مطلوبا منا أن نذكر كل الأمثلة في كل مجال؛ لاستحالة ذلك في هذا الموقف. ولكن حسبنا أن نذكر مثالا لكل حالة من حالات كل مجال، محاولين أن تكون الأمثلة مما لم يرد ذكره من قبل..

---

(1) رواه الديلمى ص83 من نفس المصدر السابق.
(2) رواه الطبرانى عن ابن عباس ص49 من المرجع السابق.

ففى المجال الدينى: بالنسبة لتحقيق أركان الإسلام، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{اتقوا الله وصَلُّوا خَمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم} [(1)]. فهذا حديث نبوى شريف، شامل لكل أركان الإسلام عدا الحج، ومن عمل بما فيه دخل الجنة

حسب بشارة الهادى البشير صلى الله عليه وسلم له.. وعن أداء ركن الحج روى أبو هريرة رضى الله عنه: خطبنَا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:{أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا} [(2)] الحديث. وروى الشيخان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة} [(3)]. وتلك بشارة أخرى من بشائر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم لمن يخلص لله عز وجل في أداء حجه وعمرته...

وفى المجال الاجتماعى: إضافة إلى ما ذكر: ورد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إكرام الضيف أحاديث شريفة كثيرة، نذكر منها، قول النبى صلى الله عليه وسلم :{الضيف يأتى برزقه، ويرتحل بذنوب القوم يمحص عنهم ذنوبهم}(4) وفى إجابة الدعوة إلى الوليمة يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{إذا دُعى أحدكُم إلى الوليمة فليأتها} (5).. وفى آداب الأكل والشراب وردت أحاديث كثيرة، منها ما روى عن خلع النعلين عند تناول الطعام. وفيه يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إذا قُرِّبَ إلى أحدكم طعامه وفى رجليه نعلان

---

(1) رواه الحاكم عن أبى أمامة ص5 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.
(2) رواه مسلم عن أبى هريرة ص190 من المرجع السابق.
(3) رواه الشيخان عن أبى هريرة ص191من نفس المرجع.
(4) رواه أبو الشيخ عن أبى الدرداء ص92 من المرجع السابق. - يمحص: يبعد ويكشف.
(5) رواه البخارى ومسلم ص120 من نفس المرجع.

فلينزع نعليه، فإنه أروح للقدمين وهو من السنة} (1).. وعن عدم رفع اليد عن الطعام عند الشبع من الأكل مع جماعة حتى يبدأ الباقون في رفع أيديهم، يقول
النبى صلى الله عليه وسلم :{إذا أكل أحدكم مع جماعة وشبع، فلا يرفع يده حتى يرفع القوم، إنه يخجل جليسه} [2].. وذلك حفاظا على مشاعر الجالسين على مائدة الطعام.. وعن استعمال اليد اليمنى في الأكل وغيره، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه، وليشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه، وليعط بيمينه} [3]..
وفى التسمية عند الأكل، يقول صلى الله عليه وسلم :{إذا أكل أحدكم طعاما فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسى أن يذكر اسم الله في أوله فليقل: بسم الله أوله وآخره} [4].. وفى كيفية شرب الماء يأتى حديث نبوى شريف نذكره عندما يأتى دوره في المجال الصحى.. وفى الإقلال من الطعام وفائدته الكبرى يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إذا أقل الرجل الطُّعم مُلِئَ جوفه نورا} [5]. وفى إطفاء الحريق، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إذا رأيتم الحريق فكبروا، فإن التكبير يطفئه} [6].. وفى كتمان قضاء الحوائج، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان، فإن كل ذى نعمة محسود}[7].. وفى الخطبة والنكاح وإتمامهما على خير،
يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{أظهروا النكاح وأخفوا الخطبة} [8]. وهذا عكس ما يفعله الكثير من الناس في الخطبة حيث يسرعون في إعلانها دون تمهل وتريث

---

(1) رواه أبو يعلى عن أنس ص15 من نفس المرجع.
(2) رواه البيهقى ص17 من نفس المرجع.
(3) رواه الحسن عن سفيان ص11من نفس المرجع.
(4) رواه الترمذى ص10من نفس المرجع.
(5) رواه الديلمى عن أبى هريرة ص10من نفس المرجع السابق.
(6) رواه ابن عساكر ص13 من نفس المرجع.
(7) رواه أبو نعيم عن معاذ بن جبل ص20 من نفس المرجع.
(8) رواه الديلمى عن أم سلمة ص23 من نفس المرجع.

حتى يتم الاتفاق بين الطرفين على كل الخطوات. ولعل هذا الحديث النبوى الشريف يكون درسا لمن يتعجل في الإعلان ثم لا يحدث اتفاق بين الطرفين، فيكون الحرج من الإعلان.. وفى إعطاء الأجير حقه قبل أن يجف عرقه وإعلانه بأجره أثناء عمله، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه، وأعلموه أجره وهو في عمله}(1)..

وعن النظافة والتزين وأثرهما في التجاذب والتقارب بين الناس وخصوصا بين الزوج وزوجته، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{اغسلوا ثيابكم، وخذوا من شعركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فإن بنى إسرائيل لم يفعلوا ذلك، فزنت نساؤهم}[2].. وعن اختصاص قوم في قضاء مصالح الناس وأثر ذلك في دنياهم وآخرتهم يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :{إن لله تعالى أقواما اختصهم بحوائج الناس، يفزع الناس إليهم في حوائجهم، أولئك هم الآمنون من عقاب الله} [3]. ويقول صلى الله عليه وسلم :{إن لله تعالى أقواما اختصهم بالنعم لمنافع العباد، ويقرها فيهم ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم، فحولها إلى غيرهم} [4].. وعن الإحسان في الذبح وقتل الحشرات ونحوها، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إن الله كتب الإحسان في

كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته} [5].. وعن أدب الجلوس في الطرقات وبيان حق الطريق، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إياكم والجلوس في الطرقات}، فقالوا ما لنا من بد، إنما هى مجالسنا

---

(1) رواه البيهقى ص24من نفس المرجع.

(2) رواه ابن عساكر عن علىّ ص25 من نفس المرجع.

(3) رواه الطبرانى عن ابن عمر ص40 من نفس المرجع.

(4) رواه ابن أبى الدنيا عن ابن عمر ص40 من كتاب مختار الأحاديث النبوية ـ للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

(5) رواه مسلم ص43 من نفس المرجع. يحد شفرته: يسن سكينه قبل الزبح.

نتحدث فيها، قال:{فإذا أبيتم إلا المجالس، فأعطوا الطريق حقها}، قالوا: وما حق الطريق؟ قال:{غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر} [1].. وعن التهادى بين الناس والتحاب والمصافحة، وأثرها في التقارب الاجتماعى بين المسلمين، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{تهادوا، تحابوا، وتصافحوا يذهب الغل بينكم} [2]..

وعن التنفير من الطعن في الناس ولعنهم وفحش القول وبذاءة اللسان، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{ليس المؤمن بطعَّانٍ ولا لَعَّان ولا فاحش ولا بذئ} (3).. وروى الشيخان عن عبد الله بن عمر: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا وكان يقول:{إن من خياركم أحسنكم أخلاقا}(4).. وعن حارثة بن وهب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:{ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف مستضعف، لو أقسم على الله لأبره. ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ مستكبر} (5).. وعن عبد الله بن عمر:{لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث} (6). فالواجب على المسلمين أن يهتدوا بهدى الله تعالى وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم.. وللتنفير من الحسد والنميمة والكهانة وخطورتها على

---

(1) رواه البخارى ص52، 53 من المرجع نفسه.
(2) رواه ابن عساكر ص62من المرجع نفسه.
(3) رواه مسلم ص159 من نفس المرجع. طعان: يتناول أعراض الناس - بذئ: سليط اللسان.
(4) رواه الشيخان عن عبد الله بن عمر ص201 من نفس المرجع. - الفاحش: من يأتى بالقبيح من القول أو الفعل - والمتفحش: من يأتى بالكثير من ذلك.
(5) نفس الصفحة 201 من المرجع السابق - عتل: شديد جاف غليظ - جواظ: سيئ الخُلُق وقيل الذي يتخلل القوم فيعيث فيهم فسادا.
(6) رواه الشيخان - نفس الصفحة من المصدر السابق.

الكيان الاجتماعى الإسلامى للفرد والأسرة والمجتمع، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{ليس منى ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا أنا منه} [1]..

وهناك الكثير غير ما ذكرناه من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية في هذا المجال الاجتماعى، مما يساعد في إدخال السعادة على الفرد والأسرة والمجتمع وعلى المسلمين عامة صغارا وكبارا، ورجالا ونساء وليس مقصودا حصرها الآن، وحسبنا أن أشرنا إلى أهمها وأبرزها..

أما في المجال الاقتصادى: فهناك من الفوائد الافتصادية الهامة ما يدفعنا إلى الحديث عنها علاوة على ما ذكرناه سابقا في الحديث عن مرحلة الشباب.. ففى لفتة نبوية كريمة يخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعض أسباب انقطاع الرزق عن الإنسان المسلم، فيقول صلى الله عليه وسلم :{إذا ترك العبد الدعاء للوالدين، فإنه ينقطع عنه الرزق} (2).. وعن فعل المعاصى وأثرها في حرمان الإنسان من رزق كان يساق إليه، يخبر الهادى البشير صلى الله عليه وسلم أمته عن ذلك فيقول:{إن الرجل ليُحرمُ الرزقَ بالذنب يصيبه، لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر} (3).. وفى مسألة الزراعة وأمنها من العاهة ووقت ذلك، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إذا طلعت الثريا أمن الزارع من العاهة} (4). فهو صلى الله عليه وسلم يجتهد في أمر يخص المسلمين في ميدان الزراعة والزراع. فإن أصاب صلى الله عليه وسلم فله أجر اجتهاده.. وعن تحسين التجار معاملتهم

---

(1) رواه الطبرانى عن عبدالله بن يسر ص125 من نفس المرجع السابق - الحاسد: من يتمنى زوال النعمة من الغير - النمام: من يذكر أخاه بما يكره - الكاهن: من يدعى علم الغيب.

(2) رواه الديلمى ص 11 من نفس المرجع السابق

(3) رواه ابن حبان عن ثوبان ص73 من نفس المرجع

(4) رواه الطبرانى ص 14 من نفس المرجع

للناس ووجوب برهم بقسمهم وتقواهم لله رب العالمين يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارا، إلا من اتقى الله وبر وصدق} (1).. وعن بعض وسائل إنعاش الاقتصاد الفردى والأسرى واقتصاد المجتمع الإسلامى، ينبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى وجوب التوسط في النفقة والمعيشة فيقول صلى الله عليه وسلم :{الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم}(2).. وينبه إلى وجوب التبكير في طلب الرزق فيقول صلى الله عليه وسلم : {باكروا في طلب الرزق والحوائج فإن الغدُوّ بركةْ ونجاح} (3).. وفى لفتة نبوية كريمة أخرى ينبه صلى الله عليه وسلم إلى أن للوضوء أيضا شأن في مجال الرزق والاقتصاد، فيقول صلى الله عليه وسلم : {الوضوء قبل الطعام وبعده ينفى الفقر، وهو من سنن المرسلين} [4]..

ويحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين من الطمع في أقوات الناس وأرزاقهم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{إياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر} [5]. ويذَكِّر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم المسلمين جميعا بحق إخوانهم الفقراء والمحتاجين في جزء من أموالهم، بإخراج زكاة أموالهم إذا بلغت نصابا وحال عليها الحول، ويذكرهم أيضا بصدقة التطوع التي تكثر الرزق ولا تقلله كما قد يتصور بعض الناس، فيقول صلى الله عليه وسلم :{إن مفاتيح الرزق متوجهة نحو العرش، فينزل الله تعالى على الناس أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كَثَّر كُثِّر لَهُ، ومن قَلَّلَ قُلِّلَ له} (6)...

---

(1) رواه الترمذى ص 44 من نف المرجع
(2) رواه الطبرانى عن ابن عمر ص 51 من نفس المرجع
(3) رواه ابن عدى عن عائشة ص54 من نفس المرجع السابق
(4) رواه الطبرانى عن ابن عباس ص 156 من نفس المرجع.
(5) رواه الطبرانى ص52من نفس المرجع.
(6) رواه الدارقطنى عن أنس ص 42من المرجع السابق.

وقد تحدثنا سابقا عن بعض المخاطر التي تدمر الاقتصاد الفردى والأسرى والمجتمعى، ومنها: الربا وخطره على الاقتصاد والرزق. وفى هذا المجال يحذر النبى صلى الله عليه وسلم الأمة الإسلامية من طائفة من الناس تؤثر بالسلب على اقتصاد الفرد والأسرة والمجنمع، وهم المستخدمون للرشوة في الوصول إلى الربح بطريقة سريعة مختصرة لا جد فيها ولا نصب، ولكنها غير شرعية. وعن مصير هذه الطائفة الخاسرة والمضيعة لأسرها ومجتمعها يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{الراشى والمرتشى في النار} [1]. ذلك لأن هذه الطائفة تصل إلى أهدافها غير المشروعة على حساب الكادحين من أفراد المجتمع الإسلامى والذين هم أحق منها في الوصول إلى ما تصل إليه.

ولمن أراد من المسلمين التماس البركة في الرزق أن يسلك طريق الأمانة في تعاملاته الاقتصادية مع الأفراد والأسر والمجتمعات الإسلامية. وفى ذلك يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{الأمانة تجلب الرزق، والخيانة تجلب الفقر} [2]....

فإذا انتقلنا إلى المجال الصحى: وجدنا كثرة كثيرة من توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين عامة أفراد وأسر وجماعات، تجعلهم يتمتعون بالسعادة الحقيقية وبالصحة المتميزة في ظل توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة..

ففى توجيه منه صلى الله عليه وسلم إلى عدم الإكثار من الأكل في الوجبة الواحدة، يقول صلى الله عليه وسلم :{أحبُّكُم إلى الله أقلكُم طعما وأخفُّكُم بدنا} [3].. فالرشاقة والصحة والسعادة في عدم ملء المعدة بالطعام، حتى يتمكن المسلم من تقوى الله وعبادته حق العبادة، وأداء عمله خير أداء.. وفى كثرة الأكل وما يترتب عليها من مداومة النوم والكسل

---

(1) رواه الطبرانى ص82من المرجع السابق.
(2) رواه الديلمى ص27 من المرجع السابق.
(3) رواه الديلمى عن ابن عباس ص7من المرجع السابق.

والتأخر في إنجاز الخير النافع للناس، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{أخشى ما خشيت على أمتى: كبر البطن، ومداومة النوم والكسل، وضعف اليقين} [1].. كما ينبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الفائدة العظمى للإقلال من الطعام في المجال الروحى، فيقول صلى الله عليه وسلم :{إذا أقل الرجل الطعم مُلِئَ جوفُه نورا} [2].. وهذا النور ينفعه في دنياه وآخرته فيحس بالسعادة في الدارين.. وعن الرقية الشرعية التي وجه النبى صلى الله عليه وسلم أنظار المسلمين إليها بدلا من استشارتهم للدجالين وإخوان الشياطين، يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :{إذا اشتكيت فضع يدك حيث تشتكى، ثم قل: بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد من وجعى هذا، ثم ارفع يدك ثم أعد ذلك وترا} [3].

ومن ذلك أيضا قوله صلى الله عليه وسلم :{استشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن تحمده خلقه، ومما مدح الله به نفسه " الحمد لله " (4) و" قل هو الله أحد " فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه أحد} (5). فقراءة سورتى الفاتحة والإخلاص تشفى من المرض ومن هذا القبيل كذلك، ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم لأحد أصحابه:{ألا أرقيك برقية رقانى بها جبريل، تقول: " بسم الله أرقيك، واللهُ يشفيك، من كل داء يأتيك، من شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد، ترقى بها ثلاث مرات} (6). ومن ذلك ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم عن الرقية من الحسد:{في كتاب الله ثمانُ آيات لِلْعَيْن الفاتحة، وآية الكرسى} (7)..

---

(1) رواه الدار قطنى عن جابرص7من المرجع السـابق - كبر البطن: كثرة الأكل - اليقين: الثبات والتوكل على الله.
(2) رواه الديلمى عن أبى هريرة ص10من نفس المرجع.
(3) رواه الترمذى عن أنس ص10 من المرجع نفسه.
(4) قوله صلى الله عليه وسلم الحمد لله فيه إشارة إلى قراءة الفاتحة للاستشفاء بها.
(5) رواه ابن نافع عن رجاء الغنوى ص20 من المرجع نفسه.
(6) رواه الحاكم ص48 من نفس المرجع.
(7) رواه الديلمى عن عميران بن حصين ص104 من نفس المصدر.

وعن الطريقة الصحية لشرب الماء يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{إذا شربتم الماء فاشربوه مصًّا، ولا تشربوه عَبًّا فإن العَبَّ يورثُ الكُباد} (1).. وعن خطورة النوم بعد طعام العشاء مباشرة وآثاره السلبية على الجسد، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : {أذيبوا طعامكم بذكر الله ولا تناموا عليه فتقسو قلوبكم} (2)..

وعن كثرة الأكل والشرب وملء المعدة بهما، يحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين جميعا فيقول:{إياكم والبطنة في الطعام والشراب، فإنها مفسدة للجسم تورث السقم عن الصلاة، وعليكم بالقصد فيهما فإنه أصلح للجسد، وأبعد عن السرف} (3) فهما يؤديان إلى الإعياء والتكاسل عن الصلاة والعمل والجهاد.. فهناك طائفة من بنى إسرائيل وهم الذين بعث الله لهم طالوت ملكا ليقاتلوا في سبيل الله. قال لهم طالوت:{إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ} الآية [البقرة: ٢٤٩].

والشاهد أن جنود طالوت لما ملئوا بطونهم من ماء النهر ضعفت همتهم عن الجهاد بسبب إعيائهم.. وبالإضافة إلى ذلك يؤدى ملء البطن بالطعام والشراب إلى تعمد الإسراف المالى..

---

(1) رواه الديلمى ص14 من نفس المرجع - العب: مقابل المص - الكباد: مرض الكبد والكلى والطحال.

(2) رواه أبو نعيم في الطب عن عائشة ص17 من نفس المصدر.

(3) رواه البخارى ص 52 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشـيخ السـيد أحمد الهاشمى.

وفى لفتة نبوية كريمة أخرى يحذر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين جميعا من البول في المقابر ومن خطورة ذلك على صحة المسلم، فيقول صلى الله عليه وسلم :{إياكم والبول في المقابر فإنه يورث البرص} [1]. وهذا تحذير يوجهه صلى الله عليه وسلم إلى الشباب

بصفة خاصة وإلى المسلمين والمسلمات بصفة عامة ليحذروا أبناءهم من ذلك. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :{قال الله تعالى: إذا بلغ عبدى أربعين سنة عافيتة من البلايا الثلاث: من الجنون، والجذام، والبرص} [2] الحديث - وإذن فذاك التحذير من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجه بالدرجة الأولى لمن لم

يتجاوز الأربعين من الشباب. عافانا الله وإياكم من كل داء.. وعن ضرورة التداوى من العلل والأمراض للأخذ بالأسباب، وعدم الاستسلام للمرض، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{تداووا عباد الله، فإن الله تعالى لم يضع داءً إلا وضع له دواءً، غير داء واحد: الهرم} [3].. وعن إخراج الصدقة والتصدق لشفاء المريض والدعاء له وللمبتلى، يقول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم :{حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء} [4].

---

(1) رواه الديلمى ص51 من نفس المصدر..
(2) من حديث رواه الحكيم عن عثمان ص106 من نفس المرجع.
(3) رواه الإمام أحمد في مسنده ص59 من نفس المرجع.
(4) رواه الخطيب عن ابن مسعود ص66من نفس المرجع.

. وعن أخذ الدماء من الرأس بقصد الشفاء من المرض، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{الحجامة تنفع من كل داء، ألا فاحتجموا}[1].. وعن صب الماء على الجسد أو وضع الكمادات لتخفيف الحمى، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جهنم فأبردوها بالماء} [2]..

وللتحذير من الإسراع في المشى وضرر ذلك على صحة الإنسان المؤمن، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن} (3). فالتأنى والتؤدة سمة من سمات المؤمن حتى في المشى. ومن فوائده عند المؤمن أنه يحفظ بهاءه وجماله عند الله والناس، إذ أنه يشغل نفسه بذكر الله بدلا من أن يشغلها بسرعة المشى.. وعن أهمية التسوك والسواك

وبعض فوائده، يقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم :{السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب، مجلاة للبصر} (4). فمن فوائد السواك التي عددها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه: يطهر الفم والأسنان من الميكروبات وأنه يرضى رب الأرض والسماوات،

---

(1) رواه الديلمى ص68من نفس المرجع.
(2) رواه أحمد في مسنده عن ابن عباس 70 من نفس المرجع.
(3) رواه أبو نعيم ص85 من نفس المرجع.
(4) رواه الطبرانى ص17من نفس المرجع.

وأنه يقوى الإبصار ويجعله واضحا جليا.. وفى لفتة نبوية كريمة ينبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين جميعا الى احتواء تراب الأرض على عنصر يقتل ميكروب الكلب وفى إخباره صلى الله عليه وسلم عن ذلك منذ أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ما يوضح كرامة رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم وصدق نبوته. إذ أن الطب العالمى لم يصل إلى تلك الحقيقة إلا في العصر الحديث، ويقول النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك:{طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات، أولاهن بالتراب} [1] فغسل هذا الإناء بالتراب أول مرة يميت ميكروب الكلب..

وعن التنبيه إلى خطورة الطاعون، وما يلزم من إجراءات لعدم انتشاره، يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : {الطاعون بقية من رجس، أو عذاب أُرسل إلى طائفة من بنى إسرائيل، فإذا وقع بأرض، وأنتم بها، فلا تخرجوا منها فرارا منه، وإذا وقع بأرض ولستم بها، فلا تهبطوا عليها} [2].. وعن واجب عيادة المريض للتخفيف عنه، يقول سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم :{عائد المريض يخوض في الرحمة، فإذا جلس عنده غمرته الرحمة} [3]. فرحمة الله تعالى واسعة تنال عائد المريض وتخفف عن المريض نفسه من عناء المرض..

---

(1) رواه مسلم ص95من المرجع نفسه. ومن المعروف أن تراب الأرض أحد العناصر التي تكونها. وأن الشمس بما فيها من أشعة بعضها قاتلة تتسلط على الأرض نهارا، فتكسبها بعض خصائصها. والله ورسوله أعلم.

(2) رواه الشيخان نفس الصفحة من المرجع السابق. وهذا يفسر ما تقوم به سلطات الدولة الآن من إجراءات لعدم انتشار إنفلونزا الطيور والخنازير.

(3) رواه أحمد عن أبى أمامة ص96من نفس المرجع.

وعن بعض الفوائد الصحية التي يجنيها المسلم من قيامهِ اللَّيل؛ يقول الطبيب الأول للمسلمين محمد صلى الله عليه وسلم :{عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء من الجسد} (1).. فقيام الليل سلوك الصالحين وطابعهم، وهو تقرب إلى رب العالمين سبحانه، وفى فعله نَهْيٍ عن الإثم، وفيه تكفير للسيئات والذنوب التي يقترفها المسلم، وهو بعد كل ذلك يطرد الأمراض من الجسد. فأى سعادة بعد ذلك ينالها قائم الليل أو حتى جزء منه.. ولفتة نبوية أخرى من لفتاته صلى الله عليه وسلم إلى ما ينفع المسلمين، يوضح فيها رسول الإنسانية أمرا يغفل عنه كثير من الناس. فكلنا يدخل الحمام ويغتسل بالماء الساخن. لكن غسل القدمين بالماء البارد بعد الحمام الساخن له فائدة يبينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله:{غسل القدمين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام أمان من الصداع} (2). وعن تغطية الإناء وتوكئة السقاء اتقاءا للوباء، يقول سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم : {غطوا الإناء، وأوكئوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء لم يُغَطَّ ولا سقاء لم يوكأ إلا وقع فيه من ذلك الوباء} (3).. وعن إحدى فوائد أكل التمر يقول الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم :{كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الدود} [4]..

---

(1) رواه أحمد في مسنده عن بلال ص99من نفس المرجع.

(2) رواه أبو نعيم ص101من نفس المرجع - بعد الخروج من الحمام مقصود منه بعد انتهائه من حمامه.

(3) رواه أحمد في مسنده ورواه مسلم في صحيحه ص 101 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى - أوكئوا السقاء: أسندوه إلى حائط أو نحوه حتى يكون محكم الغلق.

(4) رواه الديلمى عن ابن عباس ص112 من المرجع السابق.

وعن ماء زمزم وشفائه من الأمراض بإذن الله تعالى وعن بعض فوائده الهامة يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ماء زمزم لِمَا شُرِبَ له، مَنْ شربه لمرض شفاه الله، أو لجوع أشبعه الله، أو لحاجة قضاها الله. ماء زمزم شفاء من كل داء} [1].. وعن الصبر على ذهاب نعمة البصر وجزاء ذلك الابتلاء عند الله عز وجل، يقول الهادى البشير صلى الله عليه وسلم :{ما أصيب عبد بعد ذهاب دينه بأشد من ذهاب بصره، وما ذهب بصر عبد فصبر إلا دخل الجنة} [2].. وكثير من الناس الآن يفقدون بصرهم بسبب مرض السكر. وعن صبر المسلم على ما يصيبه من النصب والوصب (المرض) والهم والأذى والغم وجزاؤه عند الله على ذلك، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يُشَاكها إلا كفر الله بها من خطاياه} [3].. وعن مرض الصرع وجزاء صبر مَنْ أصيب به، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{ما من عبد يصرع صرعة من مرض إلا بعثه الله منها طاهرا} [4]..

وعن ثبوت الأجر عن الأوراد التي يؤديها المسلم في كل يوم وليلة أو نحو ذلك وعجزه عن أدائها في حالة مرضه، يبشر النبى صلى الله عليه وسلم قُرَّاء تلك الأوراد بثبوت الأجر عنها في حالة المرض، فيقول صلى الله عليه وسلم :{ما من مسلم يصاب في جسده إلا أمر الله تعالى الحفظة أن اكتبوا لعبدى في كل يوم وليلة من الخير ما كان يعمل ما دام محبوسا في وثاقى} [5].. وعن ثواب كتمان المرض والوجع وعدم الشكاية منه للناس، يقول

---

(1) رواه الديلمى ص126 من المرجع السابق.
(2) رواه الخطيب عن بريدة ص127 من نفس المرجع السابق.
(3) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى، ص128 من المرجع السابق. الوصب: المرض.
(4) رواه الطبرانى عن أبى أمامة ص132 من نفس المرجع.
(5) رواه الحاكم عن ابن عمر ص134، 135 من نفس المرجع - محبوسا في وثاقى: أى مريضا.

المصطفى صلى الله عليه وسلم : {من أصيب بمصيبة في ماله أو جسده، وكتمها ولم يشكها للناس، كان حقا على الله أن يغفر له} [1]..

وعن شرب العسل وشفائه من الأمراض لمن داوم على شربه بالقدر الذي يؤثر على فاعلية المرض، يقول الطبيب الأول للمسلمين صلى الله عليه وسلم : {مَنْ لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر، لم يصبه عظيم من البلاء} (2).. ومن ذلك أيضا، حديث أبي سعيد، أن رجلا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: أخى يشتكى بطنه. فقال:{اسقه عسلا} ثم أتاه فقال: فعلتُ. فقال:{صدق الله وكذب بطن أخيك، اسقه عسلا} فسقاه فبرأ " (3). وقد لا يُشفى المريض بشرب العسل من أول مرة. ولذلك كرر الرسول صلى الله عليه وسلم أمره للرجل بأن يسقى أخاه عسلا، فلما أعاد سقيه شُفِيَ تصديقا لقول الله عز وجل:{ۀ ہ ہ} الآية [النحل: ٦٩]. وفى النهى عن أكل الطعام الساخن حتى يمكن أكله بعد أن تخف حرارته دون ضرر لآكله، يقول الطبرانى: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل الطعام الحار حتى يُمْكِنَ " [4]..

وفى النهى عن النفخ في الطعام والشراب حتى لا يضار أحد من نَفَس مريض أو ريقه، يروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم " نهى عن النفخ في الطعام والشراب " [5].. وعن ضرر البول في الماء الراكد ثم الغسل فيه والوضوء، يقول النبى صلى الله عليه

---

(1) رواه الطبرانى عن ابن عباس ص140 من نفس المرجع.

(2) رواه ابن ماجة عن أبى هريرة ص148 من نفس المرجع - غدوات: مفردها غدوة وهى من صلاة الصبح إلى طلوع الشمس.

(3) أخرجه البخارى في 76 كتاب الطب 4 - باب الدواء بالعســـل ص67من الجزء الثالث من اللؤلؤوالمرجان - محمد فؤاد عبد الباقى - فعلت: أى سقيته فلم يُشف - برأ: شُفى.

(4) رواه الطبرانى ص154من مختار الأحاديث النبوية - حتى يمكن: أى حتى يمكن أكله بعد أن تخف حرارته.

(5) أرواه ابن عباس نفس الصفحة من المرجع السابق.

وسلم :{لا يبولن أحدكم في الماء الذي لا يجرى ثم يغتسل فيه} [1] ومثل الغسل الوضوء فالغسل أو الوضوء من هذا الماء الراكد بعد البول فيه يعرض المسلم لانتقال الميكروبات الضارة إليه من هذا الماء فضلا عن عدم صحة الغسل فيه والوضوء منه..

فإذا انتقلنا إلى مجال طلب العلم ووجوب التعلم - لوجدنا كَماًّ كثيرا من الأحاديث النبوية الشريفة التي تحث على العلم وطلبه ومذاكرته والاستفادة منه وعن السؤال وكيفيته وغير ذلك من الأمور المتصلة بالعلم. ولا شك أن ممارسة العبادة لله رب العالمين وحده وطاعة الله تعالى ورسوله والانتهاء عما نهيا عنه كل ذلك يتطلب أن يكون المسلم عالما بعبادته وممارساته في طاعة الله ورسوله والانتهاء عما نهيا عنه. حتى يكون العمل أرجى في القبول وأكثر في الثواب.. ونورد هنا طائفة من الأحاديث النبوية الشريفة التي وردت في ذلك حتى تكتمل الفائدة لدى القارئ الكريم...

فعن فريضة طلب العلم ووجوب الالتزام بأدائها وأجرها عند الله تعالى، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{طلب العلم فريضة على كل مسلم، وإن طالب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحر} [2].. وقد أشرنا سابقا إلى نص حديث نبوى شريف يشير إلى أن طلب العلم فريضة على المسلمات أيضا.. وعن الغرض الشرعى من طلب العلم يقول معلم البشرية صلى الله عليه وسلم :{العالِم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء، وإذا أراد أن يكثر به الكنوز هاب من كل شيء} [3].. وعن قيمة العلماء وفضلهم يقول حبيب الخلق والخالق صلى الله عليه وسلم :{العلماء أمناء الرسل، مالم يخالطوا السلطان، ويداخلوا الدنيا. فإن خالطوا السلطان وداخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم} [4]..

---

(1) رواه البخارى ص159من المرجع نفسه.
(2) رواه ابن عبد البر عن أنس ص93من نفس المرجع.
(3) رواه الديلمى عن أنس ص99من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.
(4) رواه العقيلى عن أنس ص100من نفس المرجع

ويوجه النبى صلى الله عليه وسلم إلى حسن السؤال عند طلب العلم فللسؤال وقت ولا يصح أن يثار قبل وقته وله أدب يحسن التحلى به، ويقول صلى الله عليه وسلم في ذلك:{الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة، والتودد إلى الناس نصف العقل، وحسن السؤال نصف العلم} [1] وقد قال عز وجل في وقت السؤال وحسنه على لسان الخضر عليه السلام في اتفاقه مع موسى على الصحبة للعلم:{فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا} [الكهف: ٧٠].. وعن تواضع المتعلم لمعلمه يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم : {تعلموا العلم، وتعلموا للعلم السكينة والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه} [2].. فأين متعلموا اليوم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فلا سكينة ولا وقار ولا تواضع ومن ثم فلا تَعَلُّمَ.. وعن عمل العالم بما عمل ووجوب ذلك، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{تعلموا من العلم ما شئتم فو الله لا تؤجرون بجمع العلم حتى تَعْمَلُوا} (3)

وإذن فلا ثواب ولا أجر للعالم إلا إذا عمل بما علم.. وعن منزلة العلماء في الأمة يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{خيار أمتى علماؤها، وخيار علمائها رُحماؤها، ألا وإن الله تعالى ليغفر للعالم أربعين ذنبا، قبل أن يغفر للجاهل ذنبا واحدا، ألا وإن العالم الرحيم يجيء يوم القيامة، وإن نوره قد أضاء يمشى فيه ما بين المشرق والمغرب، كما يضيء الكوكب الدرى} [4].. وإزاء هذه المنزلة للعالم في دنياه وآخرته لا ينبغى أن يكتم شيئا من علمه، وفى ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :{أيُّما رجل آتاه الله علما فكتمه، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار} [5]..

---

(1) رواه الطبرانى عن ابن عمر ص51 من نفس المرجع.
(2) رواه أبو نعيم عن عمر ص60 من نفس المرجع.
(3) رواه أبو الحسن بن الأخزم عن أنس ص61 من نفس المرجع.
(4) رواه القضاعى عن ابن عمر ص73 من نفس المرجع. الدرى: المتلألا الوضاء.
(5) رواه الطبرانى ص51 من نفس المرجع.

وعن فضل العالم على العابد يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :{فضل العالم على العابد، كفضلى على أدناكم، إن الله عز وجل، وملائكته، وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر، ليصلون على معلم الناس الخير}(1).. وعن الخروج في طلب العلم وفضله يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{ما خرج رجل من بيته يطلب علما، إلا سهل الله له طريقا إلى الجنة}(2).. وعن الفتوى بغير علم، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : {من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض} (3).. ومن كرامة العلماء أنْ اختصهم الله عز وجل فيمن اختصه للشفاعة يوم القيامة. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{يشفع يوم القيامة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء} (4) فهؤلاء في مقدمة من له حق الشفاعة من البشر تكريما لهم ومنهم العلماء... وعن مهمة العلماء الجليلة يقول النبى صلى الله عليه وسلم لعلّى بن أبى طالب عندما بعثه معلما لأهل اليمن:{فو الله لأن يهدِىَ الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمُر النَّعم} [5]...

وعلى الرغم من ذكر هذا الكم الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة النافعة للمسلم والمسلمة والصغير والكبير، في كل مجالات الحياة - فإننا لو تتبعنا السنة النبوية المباركة بما فيها من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، لوجدنا أنه صلى الله عليه وسلم لم يترك شيئا سئل عنه، أو أحس صلى الله عليه وسلم بحاجة الناس إليه، إلا تحدث عنه.. ومع أنه صلى الله عليه وسلم مكلف بتبليغ مبادئ وأركان الدين الإسلامى وآدابه إلى الناس جميعا،

---

(1) رواه الترمزى ص103من نفس المرجع.
(2) رواه الطبرانى عن السيدة عائشة ص129 من نفس المرجع.
(3) رواه ابن عساكر ص141.
(4) رواه ابن ماجة 160 من نفس المصدر.
(5) رواه الشيخان عن سهل بن سعد ص167 من نفس المرجع - حمر النعم: أفضل أنواعها من الإبل والبقر والغنم.

وليس مكلفا بإبداء رأيه في الأمور الدنيوية إلا أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في توجيه الناس حسب استطاعته عندما يُسأل، تبركا برأيه صلى الله عليه وسلم. وفى ذلك إسعاد لأصحابه وأمته من بعدهم. فإذا أصاب في شئ منها أجر على ذلك باعتباره ناصحا أمينا للمسلمين. وإذا جانبه الصواب مرة أو أخرى، فلن يحاسب صلى الله عليه وسلم على إبداء رأيه في هذه الأمور التي يعرفها المتخصصون فيها أكثر من غيرهم.. فصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله تبارك وتعالى...

* * *

الباب السابع: أسباب التعثر في الحياة الزوجية

الباب السابع

أسباب التعثر فى الحياة

الزوجيــة

الباب السابع:
أسباب التعثر في الحياة الزوجية

عرضنا في الأبواب الستة السابقة برنامج القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة للوصول إلى سعادة الأسرة المسلمة. وتحدثنا عن أركان هذا البرنامج وكافة العوامل المكملة له. وتأكد القارئ الكريم أن هذا البرنامج الإسلامى يُوَصِّل كل من التزم به التزاما كاملا إلى السعادة المنشودة. لكن غير الملتزم به لن يحس بهذه السعادة وبقدر التزام المسلم به تكون سعادته. وبقدر تركه له وعدم التقيد به يكون شقاؤه..

ويأخذ عدم الاتزام بهذا البرنامج الإسلامى الموصل إلى السعادة الأسرية - أشكالا كثيرة تمثل في جملتها ما يطلق عليه أسباب التعثرفى الوصول إلى السعادة المرجوة من الزواج. وفيما يلى نتحدث إن شاء الله - عن أسباب هذا التعثر، وعلاجها في ضوء ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة عن هذا المجال..

أولا: اختلاف الدين بين الزوجين:

إن الدين الإسلامى الحنيف يبيح للرجل المسلم أن يتزوج من غير المسلمة، ولا يبيح لغير المسلم أن يتزوج من المسلمة.. فلا مانع ولا حرج إذن من أن يتزوج المسلم بغير المسلمة، فهو بقوة إيمانه وقوة شخصيته، يستطيع جذب زوجته غير المسلمة إلى الدخول في الإسلام. وخصوصا عندما ترى وتلمس حسن معاملته لها وللآخرين داخل المنزل وخارجه، وعندما تظهر أمامها أخلاقه الطيبة، وصفاته الحسنة، وطيب مبادئ وتوجيهات الإسلام الذي يعتنقه. فتحس عندئذ بحاجتها إلى الدخول في الإسلام واعتناق مبادئه وإقامة أركانه فتعلن إسلامها أمام جميع الناس ولا تخشى في الله لومة لائم. أما غير المسلم فيكون مع زوجته المسلمة على العكس من ذلك تماما، فهو بعقيدته غير الإسلامية، تميل شخصيته إلى التعصب لها دون أن يستخدم عقله في بيان أسباب ذلك. مع أنه يستطيع البيان بمقارنة بسيطة، بين عقيدة زوجته وهى الإسلام وعقيدته هو غير الإسلامية. ولو استعمل عقله وقارن بين العقيدتين لتوصل إلى الحق الواضح الصريح ولترك زوجته وعقيدتها مادام غير مقتنع بها.

لكنه في الواقع يحاول العكس، يحاول أن يستميل زوجته ويخرجها من دائرة الإسلام إلى دائرة الكفر. وهكذا تبدأ حياتهما الزوجية بصدام قوى بين عقيدتها الإسلامية وعقيدة زوجها الذي لا يدين بالإسلام. وخصوصا إذا كانت متمسكة بدينها الإسلامى وحريصة على بقائها في ظلال العقيدة الإسلامية. ومن الطبيعى أن ينتهى الصدام بينهما إلى التفرق على مبدأ{ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾} [الكافرون: ٦] مادام طرف منهما لم يقتنع بمبدأ التسامح واستخدام العقل في المسائل العالقة بينهما..

لكن العقيدة الإسلامية منذ البداية تحتكم إلى العقل. فربنا الرحمن الرحيم يقول في محكم كتابه حاسما هذا الأمر:{وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾} [البقرة: ٢٢١].. " ففى الآية الكريمة تحذير للمسلمين من ارتباط بناتهم بالمشركين، عن طريق الزواج، سواء كانوا وثنين أو من أهل الكتاب. إلا إذا آمن هؤلاء الأزواج بالله عز وجل، وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين.. ومن المؤكد أن زواج المؤمنة الحرة من عبد مؤمن أفضل بكثير لها وله من زواجها من حر مشرك، وثنيا كان أم من أهل الكتاب، مهما أعجبها ذلك الحر في حسبه ونسبه وكماله. فربنا عز شأنه وجل يدعوها من خلال الإسلام وأركانه وتوجيهاته إلى الجنة لكن هذا المشرك يدعوها بكذب وكبرياء وإنكار للحق إلى النار، مصير الكفر والفسوق والعصيان(1). ويحاول تجنيد من يستطيع تجنيده للدخول في دائرة الكفر ومادام الأمر كذلك فمن حق المسلمين ألا يتزوجوا من بنات هؤلاء الكفرة إلا إذا أسلمن، وألا يزوجوهم بناتهم إلا إذا أسلموا..

---

(1) بتصرف من القسم الأول من صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى ص 127.

والمرأة المؤمنة كالرجل المؤمن. لابد لها من ممارسة العبادة الخالصة لله عز وجل.. فإذا آمنت امرأة وثنية أو من أهل الكتاب وأعلنت إسلامها، والتزمت طريق الإيمان والتقوى، حسب ما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - فعندئذ يطمئن قلب المؤمن لممارسة الحياة الزوجية معها، بعد أن تحولت من الكفر الخالص إلى الإيمان الخالص بالله الواحد القهار.

لكن المهم هنا هو أن خطر المواجهة لها ولزوجها المسلم من جانب أهلها غير المسلمين - ماثل ووارد في الحسبان. وبالتأكيد ستكون مواجهة قوية وعنيفة لا مكان فيها للعقل والتعقل بل للقوة والغطرسة. فغير المسلمين من أهل الزوجة التي أسلمت يتعصبون ضد موقف ابنتهم لأن مبادئهم تختلف عن مبادئ الإسلام. فليس من السهل أن يتبادلوا مع زوج ابنتهم وأهله الود والتسامح. فهذا غذاء روحى لا يتواجد إلا في الشريعة الإسلامية، التي يتعامل الناس في ظلالهاعلى أساس هذا الغذاء المعنوى في شئون حياتهم اليومية الإسلامية.. بيد أن[1] غير المسلمين يتخذون مبدأ مخالفا، يعبر عن سير علاقتهم مع غيرهم من الناس. فهم دائما يقولون:{وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ} [آل عمران: ٧٣] الآية.. وإذن فزواج المسلم من الوثنيات أو من بنات أهل الكتاب مباح، لكنه يصطدم بعقبة المواجهة القوية من جانب أهاليهن غير المسلمين. وبالتالى ستكون هذه الحياة الزوجية بصفة دائمة مهددة بالانتقام، الذي يحيل سعادة الزوجين إلى شقاء، ويتطلب استعداد الزوج المستمر، وحذره من عمل عدائى قد يدفع حياته ثمنا له..

---

(1) بيد أن: أى على حين.

والأمثلة على ذلك كثيرة. فذاك فتى ينتمى إلى أسرة محترمة عائلها رجل من رجال الدين الإسلامى. شاء له قدره أن يتعلق قلبه بابنة جاره غير المسلم. وبادلته الفتاة حبا بحب. وعندما تمكن حبه من قلبها، اتخذت خطْوة يقل أن تخطوها فتاة مثلها. فدرست العقيدة الإسلامية وأركانها، ومبادئها وتوجيهاتها، دراسة عميقة، بعيدا عن موقف أهلها، واقتنعت بها. ولكنها تعلم أن عقيدة أهلها لا تمكنها من الزواج من هذا الشاب المسلم، الذي ملك قلبها. فاتخذت خطوة أخرى أشد جرأة حيث أسلمت بعد اقتناع كامل بالإسلام، واتخذت طريق الإيمان والتقوى طريقا سريا لها، وتأكد فتاها من ذلك، فأعلنت إسلامها وتزوجته. وما أن علم أهلها بذلك حتى أعلنوا رفضهم لهذا الزواج لكنهم رأوا ابنتهم ثابتة على عقيدتها الجديدة، غير عابئة برفضهم وغضبهم منها، مصرة على استمرار حياتها الزوجية مع هذا الشاب المسلم. وعندئذ قرروا الانتقام.. وحذرت الفتاة الحديثة في إسلامها المتمكنة منه - زوجها المسلم من المواجهة ونية الإيذاء. لكن الحذر لا يمنع القدر. فقد ترصد أهلها لابنتهم وزوجها ورأوهما يركبان سيارة، فأطلق أحدهم رصاصة استقرت في العمود الفقرى للزوج فقصمته. وكانت العاقبة المتوقعة. فهو الآن يقضى بقية حياته طريحا في فراشه، أو جالسا على كرسى متحرك.. وهكذا يتسبب التعصب الأعمى وعدم استخدام العقل، في جعل الاختلاف في العقيدة سببا من أسباب تعثر الحياة الزوجية وتحويلها من حياة مليئة بالسعادة في ظلال الإسلام ومبادئه، إلى حياة مليئة بالتعاسة والشقاء لم تكتمل بهجتها وحلاوتها، ولم يتمتع طرفاها بالسكن والمودة والرحمة..

ومن المؤكد أن ثواب هذا الشاب وفتاته عظيم وأجرهما كريم، يوم القيامة، يتمتع معها في جنات النعيم الدائم. لكن العمل من أجل الدنيا مطلوب أيضا مع العمل للآخرة.. وصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر عليا بن أبي طالب - رضى الله عنه وكرم الله وجهه -

بهذا الأجر الأخروى عندما سلمه الراية يوم خيبر أميرا للجيش الإسلامى، فقال صلى الله عليه وسلم :{فو الله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم} [(1)] - إلا أن النبى صلى الله عليه وسلم من جهة أخرى قال عن وجوب السعى إلى الخير في الدنيا:{اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا}[(2)].. وقال أيضا عن نفس هذا الغرض: أصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم كأنكم تموتون غدا} [(3)].

فلابد أن يعد المسلم العدة لحياة دنيوية سعيدة مع من يختارها زوجة له. وفى النهاية نجد أن قضاء الله وقدره في عباده وخلقه نافذ لا محالة. فطوبى لمن يرضى بقضائه وقدره سبحانه، مع الأخذ بالأسباب التي تنجى من كيد الشيطان وحزبه. وقد أخبرنا العلى القدير أن كيد الشيطان ضعيف. يستطيع قويُّ الإيمان أن يغلبه، حيث قال أصدق القائلين جل شأنه:{فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا } الآية [النساء: ٧٦]. فبالإرادة القوية وحب الإسلام ومبادئه يغلب المسلم الشطيان، ويمنعه من إفساد عبادته لله الواحد القهار.

ثانيا: عدم تطبيق أسس ومبادئ وتعاليم ونظم الإسلام في الحياة الزوجية:

إن المسلم في ظلال أسس الإسلام ومبادئه وتعاليمه ونظمه - مطالب بالعمل والتمسك بهذه الأسس والمبادئ والتعاليم والنظم الإسلامية التي تساير حياتيه معا الدنيوية والأخروية. وقد علمتنا تلك الشريعة الإسلامية بشقيها، القرآن الكريم والسنة النبوية

---

(1) من حديث سهل بن سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم ص104، ص 105 من كتاب فتح المجيد - شرح كتاب التوحيد - للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ - الطبعة الأولى 1405 هـ. حمر النعم: الإبل الحُمر وهى أنفس أموال العرب.

(2) رواه ابن عساكر ص 25 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمي.

(3) رواه الديلمى عن أنس ص22من المرجع السابق.

المباركة - أن الإسلام له نظام شرعى يجب اتباعه في الزواج.. ففى منهج الزواج الإسلامى: أسس لاختيار كل من الزوجين للآخر، وآداب للخطبة، وشروط لصحة العقد والزواج، وحقوق وواجبات يلتزم بها كل من الزوجين في ممارسته للحياة الزوجية الإسلامية. كما أن هناك منهجا إسلاميا كاملا لمراعاة الحمل والرضاعة ومراحل نمو الطفل، منذ اللحظات الأولى للولادة وحتى مرحلة الكبر..

ولقد تناولنا كل ذلك في الأبواب السابقة. وكلما التزم الزوجان بهذه الأسس والآداب والشروط والنظم الإسلامية كلما فازا في الدارين بنصيب وافر من السعادة. وسوف يتضح للقارئ الكريم أن كثيرا من المشاكل - إن لم تكن كلها - التي تربك الحياة الزوجية وتعطلها بل وتدمرها في كثير من الأحيان، تنتج عن عدم التمسك بالنظام الإسلامى السامى الذي يحافظ على الحياة الزوجية، ويسيرها في مسارها الصحيح. فإغفال الزوج أو الزوجة للمنهج الإسلامى اليومى في تعامل كل منهما مع الآخر - يوقعهما في شباك الشيطان الرجيم، ويوصل زواجهما إلى طريق ملبد بالعواصف إن لم يكن مغلقا. وينعكس ذلك بطبيعة الحال، على ثمرة هذا الزواج من البنين والبنات إن وجدوا.. ونذكر لك عزيزى القارئ أمثلة من واقع الحياة الزوجية المصرية. لكنا لن نذكر أسماء للأشخاص ولا للأماكن التي تلقى الضوء على طرفى المشكلة. حتى لا تتسبب في إحراج زوج أو زوجة أو ابن أو ابنة. فليس هذا غرضنا. بل إننا نسعى إلى أن يستفيد القارئ الكريم من تلك الصفحات التي بذلنا فيها جهدا مضنيا حتى تخرج إلى الوجود. على أننا لن نذكر مثالا لكل جانب من جوانب هذا المنهج الإسلامى. بل نكتفى بأمثلة لبعض جوانب هذا المنهج وبالله التوفيق.

فعن مسؤولية الآباء والأبناء في إحكام الرقابة على أبنائهم وبناتهم أثناء غيابهم عن منزل الزوجية - نذكر قصة أخ وأخت في سن المراهقة تركهما أبواهما في منزل الزوجية ليكملا دراستهما في الثانوية العامة في مصر وسافرا إلى إحدى الدول العربية على أن يلحقا بهما بعد ظهور النتيجة ونجاحهما ليكملا دراستهما هناك مع الأبوين. لكن النتيجة المنتظرة كانت صدمة عنيفة ومروعة للأبوين المستهترين في تربية ولدهما وابنتهما، حسب النظام الإسلامى

الآمن، حيث لم يضعا قبل سفرهما نظاما دقيقا محكما لمراقبة البنت والولد أثناء غيابهما. وكان في إمكانهما أن يفعلا ذلك بواسطة أحد الأقارب المخلصين أو أحد الجيران الملتزمين. لكن الأم والأب تركا ابنا مراهقا وابنة مراهقة دون رقيب ولا وصى. وكانت النتيجة المفجعة أن استسلم الفتى والفتاة لوساوس الشيطان الرجيم، وأرادا أن يمارسا الحياة الزوجية كما يريانها في الأفلام والمسلسلات الإذاعية والتليفزيونية، بحرية، بعيدا عن رقابة الوالدين أو من يعاونهما. فوقعت الواقعة وحملت البنت من أخيها. وضاعت بذلك آمال الزوجين الخياليين المستهترين، وضاع معهما مستقبل الفتى والفتاة الأخوين. وبدلا من أن يجنى الجميع سعادة وهناء بالمال والبنين، جنوا ذلة وشقاء وخُذلانا وفقرا منتظرا. وتلك نهاية سيئة لوالدين وأخ وأخت، لم يلتزم أحد منهم بالتربية الإسلامية الآمنة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، ووجدت تفاصيلها في سنة الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم...

ومن جهة ما في الصعيد الذي عشت فيه ما يقرب من أربع سنوات في بداية تعيينى أخبركم عن قصة فتاة كانت ضحية لما يسميه البعض العصرية والحرية. فقد كانت هذه الفتاة تنعم وهى صغيرة برقابة والديها الصعيديين المتعلمين تعليما أكاديميا كاملا. وما أن بدأت البنت تنخرط في مرحلة التعليم الابتدائى حتى أتمت والدتها سلمها الأكاديمى، وتخصصت في المجال النفسى خارج البلاد، وبعيدا عن الإسلام ومبادئه وتوجيهاته المفيدة للجميع. واقتنعت الأم المثقفة بعد عودتها بنظرية درستها هناك في بلد غير إسلامى. وتدعو هذه النظرية إلى ترك الولد والبنت ينعمان بالحرية في كل تصرفاتهما، وعدم الاعتراض على شيء من أفعالهما حتى لو كان مخالفا للدين الإسلامى أو كان خطأ بينا واضحا، إلى أن يهتدى كلاهما إلى الصواب من تلقاء نفسه، فيترك الخطأ ويفعل الصواب. وهذه النظرية المستوردة - على الرغم من أنها معارضة لتوجيهات الإسلام في تربية الأولاد والبنات - لو طبقت على الابن تجاوزا فليس من المعقول تطبيقها على البنت. والمهم أن الزوجة التي تدعى أنها عصرية وتنعم بقدر كبير من الحرية - رغم ولادتها ونشأتها وعيشها في الصعيد الذي يتمتع بتحفظ كبير ضد هذا الاتجاه - أقنعت زوجها الصعيدى بالأخذ بتلك النظرية في تربية

ابنتهما وولدهما وبالفعل تغاضى الزوج عن تصرفات ابنه وابنته التي لا تعجبه. وانتظر أن يصل كل منهما إلى الصواب من تلقاء نفسه، حسب نظرية الأم المتخصصة في هذا المجال..

وهنا نقف وقفة قصيرة لنسجل أن الأب وهو المسئول عن رعيته بما فيها الأم أخطأ خطأ جسيما - وكذلك الأم - إذ سوَّيا بين البنت والابن في تطبيق هذه النظرية. فالبنت جزء من شرف أسرتها. وشرف البنت وأسرتها لا يمكن أن يكون محل تجربة. لأن هذه التجربة إن فشلت فمعناها ضياع شرف الأسرة وشرف البنت أيضا.. وقد حدث ما كان متوقعا. فتلك الفتاة نشأت وعاشت في صعيد مصر المعروف بتشدده لكنها نالت قسطا كبيرا من الحرية منحها إياه أبواها، على الرغم من أنهما صعيديا المولد والنشأة والعرف والتقاليد، في ظل النظرية التربوية المستوردة التي إن صلحت في الخارج بعيدا عن الإسلام وتوجيهاته، فإنها لا تصلح في البلاد الإسلامية التي تعتز بإسلامها وتلتزم به. وبالتالى لم يلتزم أبواها بالإسلام ومبادئه في تربية النشء، وإنما التزما بطريقة تربوية مستوردة لاتصلح للبيئة الإسلامية، ولبيئة الصعيد بالذات. والنتيجة أنهما لم يحكما الرقابة على البنت.. أما البنت نفسها فلم تعرف خطأها إلا بعد أن أنجبت مولودا غير شرعى من ذئب بشرى تنكر لها، واستولى في غفلة منها على ورقة كان قد منحها إياها لإثبات ما يسمونه في هذه الأيام بالزواج العرفى. وهو في الحقيقة غير عرفى، بل هو في الواقع زواج سرى يفتقر إلى الشرعية المتمثلة في وجوب تواجد الولى عن الزوجة وشاهدى عقد الزواج.. وبعد أن جردها الذئب البشرى من سلاحها تركها بعد أن دنس شرفها وشرف أسرتها. ولو أن الابنة وأبويها التزموا بتعاليم الإسلام الذي ينتمون إليه - لما حرموا أنفسهم من الاستقرار والسعادة والأمن التي توفرها الشريعة الإسلامية من خلال تعاليمها الرشيدة ومبادئها السامية، والمستقاة من القرآن الكريم والسنة النبوية الكريمة.

وهناك عشرات الأمثلة من هذا النوع الذي لا يهتم فيه الأبوان بتعاليم الشريعة الإسلامية في الزواج فينتج عن ذلك شقاء وأحزان وبعد عن السعادة والأمن في العديد من أسر المجتمع...

وقد تحدث المصيبة والفضيحة من الأب نفسه، إذا كان سكيرا يتعاطى المخدرات، ولا يعبأ بتعاليم الشريعة الإسلامية، ومبادئها وتوجيهاتها التربوية المفيدة لكل أفراد الأسرة الإسلامية. فتلك فتاة جميلة تركتها أمها في المنزل مع أبيها السكير البعيد عن منهج الإسلام في تربية الأولاد والبنات ومراعاة حقوقهم عليه.. وكان الأب في هذا الوقت يغط في نوم عميق. فأوصت الأم ابنتها قبل أن تخرج من المنزل بأن تنصرف إلى مدرستها في الموعد المحدد، وأن تترك أباها نائما ولا توقظه.. ويشاء القدر أن يستيقظ الأب بعد فترة وجيزة من انصراف الأم. وأخذ يتحسس وجود الأم فتأكد من عدم وجودها بالمنزل. ووجد ابنته تغير ملابسها لتخرج إلى مدرستها كما أوصتها أمها، ولم تدر أن أباها قد استيقظ.. فقام الأب السكير من سريره وأثاره جسد ابنته شبه العريانة فخلع ملابسه وانقض عليها كالثور الهائج فألقاها بيديه الآثمتين على سريرها وفض بكارتها وجامعها وهى في ذهول وإعياء تامين. ولم تشعر البنت إلا بنداء أمها وصراخها، بعد أن رأتها غارقة في دمائها العذرية: من فعل بك هذا؟ فأشارت إلى أبيها في إعياء تام.. ولم تنطل حيلة الأب الذي تظاهر بالنوم بعد فعلته الدنيئة فاستدعت الأم الشرطة. وبدلا من أن يتناول الأب والأم مع ابنتهما طعام الفطور، اقتادت الشرطة الأب الجانى على ابنته إلى السجن وتحولت البنت إلى الطبيب الشرعى ليقول كلمته في هذه المصيبة. وتحولت السعادة الأسرية إلى شقاء بسبب عدم التزام الأب بتعاليم الإسلام... وتوجيهاته نحو ابنته الوحيدة، في الحفاظ عليها ورعايتها إلى أن تتزوج، وعدم العبث بشرفها إذ هى قطعة منه.

وقد يفقد الابن الشعور بالأمومة وشرعيتها ووجوب الإحسان إلى الأم في غياب التزامه بمبادئ الشريعة الإسلامية وتعليماتها التي توصى بالإحسان إلى الأم وطلب مرضاتها وعدم الإساءة إليها، وفى غياب دور الأم في رعاية ولدها والعمل على راحته وتزويجه في الوقت المناسب. فتلك أم في غاية الجمال رحل زوجها إلى الدار الآخرة، وترك لها ابنا كبيرا يبدو عاقلا. وبعد أن انتهت فترة عدتها وهى أربعة أشهر وعشرة أيام - بدأت الزوجة تفكر في الزواج من رجل آخر. حيث لا تريد أن تكون مطمعا للرجال أو أن تلوكها ألسنة الناس،

وتؤذى شرفها. واختمرت فكرة الزواج في رأس الأم الجميلة. لكنها نسيت أن ولدها لم يتزوج بعد. وطبيعى أن يرفض فكرة زواجها. لكنه لم يظهر سبب اعتراضه. ولو زوجته هو أَوَّلا لما حدث منه ما حدث. لقد سرحت بأفكارها في سببين اثنين بعيدين لرفضه فكرة زواجها. فقد ظنت أنها عاطفة الأمومة تسيطر عليه، والوفاء للأب. فلم يرد أن يرى أمه في أحضان رجل آخر غير أبيه يتمتع بقدر من ثروته، وذلك إكراما لهذا الأب. وتقديرا لدور أمه التي تعبت في تربيته. وحَسَنٌ لو كان هذا هو تفكير الابن.. فلقد ناقشته أمه في كلا السببين وطمأنته أنها لن تختار رجلا يطمع في ثروة أبيه لينتزع منها جزءا. لكن الفتى ظل على موقفه يرفض أن تتزوج أمه. ولم تطمئن الأم لهذا الموقف ورأت أن وضعها الحساس يوجب عليها أن ترتبط بزوج آخر.. وبدأت تبحث عن زوج لها حتى وجدت ضالتها فأبلغت ولدها بذلك. فلما رأى ابنها إصرارها على الزواج أضمر في نفسه فعلا لم يخبرها به. وأخذت الأم في إعداد نفسها وبيتها لزوجها الجديد، واستمر ذلك أياما وليالى طويلة. وفى ليلة من تلك الليالى، دخلت الأم غرفتها لتنام. وما أن اقترب النوم من جفنيها، إذا بابنها يدخل عليها غرفتها على غير عادته ويقتحم خلوتها. وإذا به في سرعة شديدة يخلع ملابسه وينقض على أمه فيجامعها.. وكأنه يقول لها: إذا كنت تقصدين من وراء الزواج إشباع رغبتك الجنسية فأنا كفيل بإشباعها.. وذهلت الأم ولم تستطع التصرف. هل تكلم أحدا من أقاربها أو جيرنها فيفتضح أمرها؟ أم تسكت على ولدها لعله وقع في نزوة شيطانية يفيق بعدها مما هو فيه؟ لقد آثرت السكوت خوفا من الفضيحة. لكن الشيطان الرجيم لم يترك ولدها. فكرر ما فعله عدة مرات في ليال عديدة. وبدأت أعراض الحمل تظهر على أمه لكنه ظل على غيه إلى أن وجد بطن أمه كبرت وظهر عليها الحمل فآثر الهروب من البيت والبلدة، وفضل ذلك على مواجهة الفضيحة. أما أمه الجاهلة المسكينة فقد اضطرت إلى الذهاب إلى النيابة لإثبات حالتها المزرية. ويبدو أن حاجب وكيل النيابة قد سمع القصة التي روتها الأم أمام النيابة فتقدم للزواج منها وأبدى استعداده للتستر عليها وتربية المولود القادم فكان له ما أراد.

وأعود فأكرر لو أن الأم التزمت بأحكام الشريعة الإ سلامية فزوجت ولدها أولاً لما حدث لها ما حدث. ولو أن، ولدها عرض عليها مشكلته وأنه هو الذي يجب أن يتزوج أولاً لما حدث له ما حدث. لقد غابت عنه تعاليم الشريعة الإسلامية. فأورده ذلك مورد الهلاك وضيع مع أمه بقية أسرة كان من الممكن أن تعيش سعيدة بعد وفاة الزوج في ظل تعاليم الشريعة الإسلامية والعمل بمقتضاها... وهكذا نرى أن الجهل بتعاليم الإسلام، وعدم التمسك بها، هو السبب في كل ما مر وما يمر بالشباب والرجال والنساء والبنات من مآسى يقشعر منها بدن المسلم الغيور على دينه وعرضه وشرفه في ظل ما يسميه البعض الحرية ويقصد بها الحرية المطلقة التي لا تكون إلا في عالم الحيوان. والإسلام يرفض هذه الحرية ويحذر منها المسلمين والمسلمات، حيث لا ينتج عنها إلا الزنى الذي حرمه الإسلام وغيره من المحرمات كالقتل. فتلك امرأة أخرى قتلت زوجها لا لشيء إلا لأنه يريد أن تكون زوجته له وحده. وهى لا تريد ذلك بل تريد أن تبيع لحمها لمن يدفع الثمن الأكبر. فهى تقتل زوجها لأنه يقف حائلا بينها وبين حريتها المطلقة. وهى تريد أن تتمتع بأكثر من زوج طبقا لحريتها غير الشرعية. فواجهت نهايتها المحتومة وهى الإعدام..

ثالثا: الزواج من الزناة:

وما دمنا بصدد الحفاظ على الكرامة والعزة والشرف، للرجل والمرأة والفرد والأسرة في المجتمع الإسلامى - فليدرك الجميع أن الشريعة الإسلامية الغراء قد نهت عن زواج المؤمنين والمؤمنات من الزناة. فالله جل وعلا يقول:{ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣} [النور: ٣]. وقد ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة، أن امرأة تدعى أم مهزول كانت من البغايا[1]. فكانت تسافح الرجل

---

(1) البغايا: اللائى يمارسن الزنى.

وتشترط أن تنفق عليه، فأراد رجل من المسلمين أن يتزوجها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله: {وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞ} [النور: ٣][1]. وقال الإمام الفخر الرازى في تفسير الآية الكريمة: " من أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية: أن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنى والفسق - لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة مثله، أو في مشركة. والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون منها، وإنما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة والمشركين، وهذا الأعم الأغلب، كما يقال: " لا يفعل الخير إلا الرجل التقى، وقد يفعل بعض الخير مَن ليس بتقى، فهكذا هنا " [2]..{وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ} [النور: ٣] أى حرم الزنى على المؤمنين لشناعته وقبحه. أو حرم نكاح الزوانى على المؤمنين لما فيه من الأضرار الجسيمة " [3].

فمادام الرجل قد اختار لنفسه طريق الزنى أو الإشراك، فعادة ما يكون ارتباطه في حياته الأسرية بزانية أو مشركة، لأنها مثله تنعم بالحرية المطلقة. فهما لايهتمان بأحكام الشريعة الإسلامية وتوجيهاتها في الحياة الزوجية. وقد عرفنا أن الحرية في ميزان الشريعة الإسلامية ليست مطلقة، ولا يمكن أن تكون كذلك، لأن حرية التصرف فيها مرهونة بعدم الإضرار بالآخرين، فلا ضرر ولا ضرار فيها كما هو معروف..

أما المؤمن الذي اختار لنفسه طريق الإيمان والصلاح والتقوى - فإنه لا يختار لنفسه إلا مؤمنة صالحة تقية فهى المناسبة له، كما أن الزانية أو المشركة مناسبة للزانى أو المشرك..

وهكذا تجرى سنة الله في خلقه{ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ} [النور: ٢٦] الآية.. وللقارئ الكريم أن يتصور: كيف تكون حياة الطيب مع الخبيثة او الطيبة مع

---

(1) رواه أحمد النسائى ص6 من القسم العاشر من كتاب صفوة التفاسير - الطبعة الأولى - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى - تسافح الرجل: أى تزنى معه وتتجب منه.

(2) التفسير الكبير للفخر الرازى 150/23 وانظر ص 6 من المرجع السابق.

(3) قاله أبو السعود والقرطبى ص7 من المرجع السابق

الخبيث. فأحدهما يحمل في قلبه وجوانحه استعدادا لحياة طيبة كل ما فيها حلال طيب. والآخر يحمل في قلبه وجوانحه استعدادا لحياة خبيثة كل ما فيها حرام وخبيث.. لاشك أن صداما هائلا يحدث بين الطرفين، وتكون حياتهما جحيما لا يطاق. وتكون النتيجة ضياع الأمل في حياة طيبة مستقرة، تسودها السعادة والأمن.. فلابد إذن أن يكون تناسب بين الطرفين، فالطيبة للطيب، والخبيثة للخبيث.. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر أصحابه جميعا من الزواج بالعاهرات. فيقول صلى الله عليه وسلم :{إياكم وخضراء الدمن} قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال:{المرأة الحسناء في المنبت السوء} (1). وقد مر شرح الحديث وتوضيحه.. وأمثلة الزواج من الخبيثات كثيرة ونتائجها معروفة ومحسومة. فالانفصال عن تلك الزوجة مؤكد لاستحالة الوصول معها إلى أى نوع من أنواع السعادة. فإذا أضفنا إلى ذلك الضياع المؤكد للذرية الناتجة عن هذا اللقاء بين طرفين غير متكافئين أحدهما خيِّر والآخر شرير. وكفة الشر غالبة؛ لأن الخير يحتاج إلى من يثبته ويقويه في مواجهة الشر، فإذا لم يتوفر ذلك يكون الميل إلى الشر هو الأقوى.. فالثمرة التي تنتج من نبت غيرصالح تكون غير صالحة بطبيعة الحال. والشاعر يقول في هذه الذرية وأمثالها:

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا ::: فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

والأمثلة كثيرة على فشل هذا الزواج واستحالة وصوله إلى بر الأمان مادام الطرفان أو أحدهما يسير في هذا الطريق وفى الحياة اليومية كثير من الأمثلة على ذلك.

---

(1) رواه الدارقطنى والديلمى عن أبى سعيد الخدرى ص 52 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى - خضراء الدمن: عشب المزابل فاقد الصلاحية يخشى عليه من الفساد والإفساد. وفيه كناية عن عدم صلاحية المرأة الجميلة غير الملتزمة بتعاليم الإسلام، كزوجة للرجل الملتزم بهذه التعاليم.

رابعا: عقم الزوجين أو أحدهما:

لاشك أن العقم شئ مكره إلى النفس يكرهه من يقبل على الزواج من الشباب والكبار ومن الرجال والنساء. والشريعة الإسلامية تحذر من الزواج بالعقيم ذكرا كان أم أنثى؛ لأن فرص الإنجاب معهما تكاد تكون معدومة ومستغربة. وإذا بشر عجوز أو عقيم بالإنجاب، فإنه يستغرب ذلك الأمر.. فنبى الله تعالى زكريا عليه السلام يطلب من ربه الكريم تحقيق رغبته في الإنجاب. فلما استجاب له علام الغيوب سبحانه، استغرب هذا الأمر، وقال لربه عز وجل:{رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ } [آل عمران: ٤٠]. ونبى الله إبراهيم صاحب الحنيفية السمحاء، يأتيه ضيوف من الرحمن الرحيم لايعرفهم، ويقدم لهم الطعام فلا يذوقونه، فيتشكك في أمرهم ويرتاع منهم، فيهدئون من روعه، ويبشرونه بغلام عليم. وكانت امراته ترى هذا المشهد المروع، فعندما سمعت بشرى الملائكة لزوجها أقبلت في صياح وجلبة، وضربت وجهها تعجبا. وقالت معبرة عن دهشتها: " عجوز عقيم " أى أألد وأنا عجوز عقيم؟! لقد استغربت هذا الموقف؛ لأنه ليس من المعهود أن تنجب عجوز عقيم مثلها. وفى ذلك يقول الحق المبين سبحانه:{هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾} [الذاريات: ٢٤ - ٢٩].

وإذا كان هذا الحمل المستغرب يحدث لزوجات الأنبياء الكبيرات في السن، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلوات وأتم التسليم، لحكمة يعلمها الحكيم العليم - فإن حدوثه للبشر العاديين يكاد يكون مستحيلا. إلا إذا أراد به الله عز وجل العظة والعبرة لقوم يضعف يقينهم في قدرة الله جل وعلا.. ومن أجل ذلك نهت السنة النبوية الكريمة عن التزوج من العجوز الكبيرة في السن، ومن العقيم التي لا تلد، فالإنجاب في هاتين الحالتين يكاد يكون معدوما كما سبق القول. وذلك مخالف لأهم مقاصد الشريعة الإسلامية من الزواج؛ وهو إثمار ذرية صالحة قوية تعين المجتمع وتبنى له، ولا تعيقه وتهدم أركانه. وتحقيقا لهذ االهدف، حثت السنة النبوية المباركة، كما حث القرآن الكريم، بطريقة مباشرة وغير مباشرة، على الزواج من الولود، كما حذرت من الزواج من العقيم. ومن ذلك ما رواه أبو داود والنسائى والحاكم من حديث معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: إنى أصبت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد. أفأتزوجها؟ قال:{لا}، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال:{تزوجوا الودود الولود، فإنى مكاثر بكم الأمم} (1). ومن ذلك أيضا التحذير من الزواج من العجوز والعاقر. وقد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم :{لا تتزوجوا عجوزا ولا عاقرا فإنى مكاثر بكم الأمم} (2). ومنه كذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم :{سوداء ولود خير من حسناء لا تلد، وإنى مكاثر بكم الأمم حتى بالسقط محبنطيا على باب الجنة، ويقال له ادخل الجنة، فيقول يارب وأبواى؟ فيقال له: ادخل الجنة أنت وأبواك} (3).

---

(1) ص 93 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

(2)رواه الطبرانى في الكبير والحاكم في المستدرك ص54 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

(3) أخرجه الطبرانى في الكبير عن معاوية بن حيدة ص 17 من المرجع السابق. السقط: الجنين الذي ينزل قبل أوانه. محبنطيا: متعلقا.

فعلى كل من يريد أن يتزوج ويحرص على الإنجاب، تجنب الزواج من العجوز والعاقر؛ حيث لا تنجب إحداهما عادة.. وأما من يهمل توجيهات القرآن والسنة النبوية المباركة في هذا الشأن - فإنه يعرض نفسه لانتكاسة خطيرة محتملة. ويستطيع أن يتجنبها إذا استجاب لنداءات القرآن الكريم والسنة النبوية في توجيه من يقبلون على الزواج..

ومن الواجب الشرعى، أن يتأكد المقبل على الزواج من أن المرشح للزواج منه جاهز وقادر على الإنجاب. وليست لديه موانع عضوية أو مرضية تمنعه من الإنجاب.. ومن الواجب الشرعى أيضا، أن يسرع المتشكك في قدرته على الإنجاب، إلى الطبيب المختص، ليعرف حقيقة أمره، وليعالج ما يمكن علاجه من أسباب عدم القدرة على الإنجاب. فهناك حالات كثيرة، يكون العقم فيها بسبب قصور في عضو يمكن علاجه، أو بسبب حالة مرضية يمكن للطبيب علاجها.. ومن الواجب الشرعى كذلك، أن يتوجه الطرفان قبل الزواج إلى طبيب مختص، يفحصهما، ويعالج ما يراه محتاجا إلى العلاج من أحوالهما التي يمر بها كثير من الناس. ويؤدى علاجها إلى تحول زوج أو زوجة من عاقر إلى ولود. وهذا موقف شجاع نؤيده وندعو إليه كل عروسين قبل زفافهما أو حتى قبل الارتباط..

وكم من مواقف محرجة بل محزنة، يتعرض لها الطرفان إن تخاذلا أو أحدهما عن ذلك. فعندها يحس الطرفان بقدر كبير من الشقاء والأسف لعدم حسم هذه المسألة في وقتها المناسب بالطرق الشرعية التي هى في متناول الجميع. ونتيجة لهذا التخاذل يعيش الطرفان حياة يخيم عليها العجز عن تحقيق الهدف من وراء الزواج. وتفتر العلاقة بينهما إلى حد كبير. وخصوصا عندما يريان أولاد وبنات الجيران والأصدقاء من حولهما يعيشون سعداء في ظل ترابط أسرى إسلامى متين. وقد يدفعهما ذلك إلى اللجوء إلى التبنى لأحد أبناء الملاجئ من اليتامى واليتيمات، أو اللقطاء واللقيطات،

ممن ليس لهم نسب معروف. وهذا إن كانا ميسورين ماديا واجتماعيا واقتصاديا ومتهيئين لأعباء التبنى. وحتى في هذه الحالة فسوف يحسان من أعماقهما أن ذلك مجرد عطف لا يرقى إلى مرتبة الإحسان إلى الإبن الصلب أو الإبنة الصلبة. كما ينعكس ذلك على المتبنى ذكرا كان أم أنثى؛ ولذلك تنعدم بينهما السعادة الأسرية على الرغم من خطوة التبنى.. وهناك لذلك أمثلة كثيرة من واقع الحياة [1].

فذلك شاب تزوج من ابنة جيرانه على عجل ودون تفحص كل منهما للآخر. لكنه صارحها بعد الزواج بأنه لا ينجب وأنه يحاول بطريقة جدية أن يعالج حالة العقم التي يعانى منها. ولم يكن أمام فتاته إلا الصبر فصبرت ورضيت بنصيبها منه. وبالفعل قام بعدة محاولات مع أطباء متخصصين.. وفى النهاية تأكد بطريقة جازمة أن مَنِيَّهُ يخرج ميتا، وأنه لاسبيل إلى إحيائه إلا إذا أراد الله عز وجل. فتوجه إلى زوجته وصارحها بما حدث، وبأنه مستعد أن يتركها بالمعروف كما أخذها بالمعروف لتشق طريقها وتجرب حظها مع رجل آخر لعله ينجب لها ما تقرعينها به من البنين والبنات. لكن زوجته الصابرة المحتسبة رضيت بالحرمان من الإنجاب. ورأت أن ذلك أفضل من تركها لزوجها بعد أن عاشرته فترة ليست بالقصيرة، رغم ما يجلب عليها ذلك من تعاسة وشقاء وافتقاد للسعادة والهناء الأسرى. وقد لجأ الزوج إلى تبنى أحد أبناء أخيه. ولولا إيمان الزوجين بالله العظيم وقضائه وقدره - رغم اعترافهما بالتقصير في هذا الأمر - لتفرق الزوجان، ولتهدمت البقية الباقية من الأسرة علانية. وإن كانت حياتهما مع ذلك خالية من السعادة والهناء الأسرى...

---

(1) بتصرف واختصار من ص 94، ص 95 من كتاب منهاج السنة في الزواج للدكتور محمد الأحمدي أبو النور.

ومن أمثلة حالات العقم القابلة للشفاء، ذلك الرجل الذي تزوج من امرأة وجدها مناسبة له. وعاشا فترة تقدر ببضع سنوات في سعادة وثبات لكنهما لم ينجبا صبيانا ولا بنات. وأخذا يبحثان عن السبب في عدم الإنجاب. وبدأ الزوج بنفسه فزار عددا من الأطباء المشهورين المتخصصين فأكدوا له أنه لا عيب فيه. فأدرك أن القصور من ناحية زوجته وبحث عن طبيب جراح متخصص، فوجد ضالته. وبعد التحاليل والفحوصات اللازمة أخبره الطبيب أن الرحم غير مهيأ لتخصيب البويضة، وأن المطلوب هو تخصيب البويضة خارج الرحم ثم إعادتها إليه. وبالفعل قام الطبيب الجراح الماهر بإجراء هذا التخصيب خارج رحم الزوجة بمنيها ومنى زوجها حتى تم بقدرة الخالق العظيم. ثم أعاد الطبيب البويضة المخصبة إلى الرحم فتم الحمل وبدأ ينمو بصورة طبيعية. وأثلج صدرى الأبوين بعد أن كانا فاقدى الأمل في الإنجاب. وتحولت حياتهما من هموم وأحزان إلى أفراح وسعادة وأمان.. وهكذا يُتأكد للجميع أن العرض على الطبيب المختص ينفع ولا يضر..

وهناك صنف من الناس ضعيف الإيمان واليقين بالله رب العالمين. وقد تلجأ الزوجة من هذا الصنف إلى الاستماع لوساوس الشطيان، العدو المبين للإنسان، فتحاول الارتباط بعلاقة غير

شرعية مع رجل آخر غير زوجها لتُشبع رغبتها في الإنجاب، أو تلجأ إلى أحد الدجالين أو إحدى الدجالات ومن هؤلاء من يحضر معه عينات من المنى يستخدمها كلبوس في مثل هذه الأحوال للعاجزات عن الإنجاب. وهى طريقة واضحة في عدم شرعيتها حتى لو نجحت في بعض الأحيان. لأنها تستخدم للزوجة ماء غير ماء زوجها. وفى هذا من الإثم ما فيه، ونتاجه من البنين والبنات - إن أنجبت - غير شرعى.. وقد يتضح لتلك الضعيفة في إيمانها في النهاية، سوء حظها،

وعاقبة خروجها على الشريعة الإسلامية - فتعلم أنها هى الأخرى لا تنجب. فيزداد بؤسها وشقاؤها، بعد ضياع أملها في الإنجاب. والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة.. ونعود فنقول إن اتفاق الطرفين على الفحص، قبل الارتباط أو الدخول، هو الأفضل والأنسب. حتى يعلم كل طرف ما له وما عليه. بدلا من التخبط في الجهل والإثم وفقدان السعادة من أوسع أبوابها...

خامسا: الزواج للتمتع فقط بجمال المرأة:

قد يكون الزواج من أجل التمتع فقط بجمال المرأة الجسدى - سببا في تعثر الحياة الزوجية، وبُعدها عن السعادة المرجوة. والنفس الإنسانية بطبيعتها محبة للجمال. لكن الجمال الجسدى وحده لا يصلح ركيزة لاختيار الزوجة في ظل العقيدة الإ سلامية. فلابد من مُوَجِّه طيب لهذا الجمال. ويتمثل هذا الجانب الطيب في الدين الإسلامى الذي يرعى مصالح الزوجين، فيحفظ لكل منهما حقوقه وواجباته في الحياة الزوجية ويقصد بذلك التدين. فإذا تواجد التمسك بمبادئ هذا الدين الإسلامى وبأسسه التي وضعها للحياة الزوجية، إلى جانب الجمال الجسدى، فلابأس. وإذا تواجد معهما مال وحسب فلا بأس كذلك. ومن هنا نجد تأكيد السنة النبوية لهذا الاتجاه. ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم :{تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك} (1).

فالدين الإسلامى هو الأساس الناجح الموصل إلى الجمال المعنوى الموصل بدوره إلى السعادة الزوجية. فهذا الجمال المعنوى هو الذي به يتواجد السكن والمودة والرحمة بين الزوجين؛ فيذوقان طعم سعادة حلوة المذاق..

---

(1) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة ص61 من مختار الأحاديث النبوية - للسيد أحمد الهاشمى - تربت يداك: أى لصقت بتراب الأرض. كناية عن الفقر الذي يصيبك إذا لم تظفر بذات الدين.

وقد يتجه كثير من الشباب قليل الخبرة والمعرفة بأمور الحياة الزوجية السعيدة - إلى البحث عن زوجة جميلة الشكل، والارتباط بها ظنا منه أنه بذلك يحقق السعادة الزوجية. والشريعة الإسلامية لم تُحرِّم الزواج من الجميلات شكلا، لكنها وضحت كما سبق - أن هذا الجمال يجب أن تتمسك صاحبته بالدين، الذي يعصم من الزلل، ومن الوقوع في الرذائل والتصرفات الخاطئة والمثيرة للشك.. وعدم تمسك تلك الجميلة بمبادئ الدين الإسلامى وتوجيهاته للحياة الزوجية - يوجد عندها الاستعداد لفعل الرذائل والمنكرات. ويكون ذلك خطرا عليها وعلى بيت الزوجية التي تعتبر هى إحدى دعاماته.. ومن أجل ذلك حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب المسلم من الزواج بجميلات الأجساد للتمتع فقط بجمالهن. فالجمال الجسدى عَرَضٌ زائل لايستمر طوال العمر. فلابد معه إذن من الجمال الروحى الدائم، الذي يتجلى في الإيمان والتقوى، وتجميل النفس بالأخلاق الكريمة التي تدعو إلى التآلف والتحاب والتلاقى بين الزوجين. والشاعر يقول:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه ::: فقوّم النفس بالأخلاق تستقم

والشاب الذي يهتم فقط بالجمال الجسدى قد ينفر من زوجته الجميلة عندما يزول جمالها وينتهى أمره في الحياة الزوجية. ولا ينجيه من الخروج من هذا المأزق إلا اهتمامه بالجمال المعنوى الذي يبقى ويعمر ويعيش، ويحيا به الزوجان بقية حياتهما بعد زوال الجمال الجسدى واندثاره..

وقد يتزوج الرجل أو الشاب من امرأة جميلة الجسد لكنها غير متدينة، ويفرح بأحضانها وقبلاتها وشكلها الفتان. ثم ينتهى أمرهما إلى حسرة وندامة على أثر زوال هذه النعمة الزائفة، نعمة الجمال غير المُزيّن بالتوجيهات والأخلاق الإسلامية المفيدة في هذا المقام:

فهذان شابان مسلمان تنافسا من أجل الزواج بفتاة جميلة الجسد والشكل. لكنها لم تكن متمسكة بمبادئ الدين الإسلامى الذي تنتمى إليه، والذى يعصمها من الزلل والوقوع في الأخطاء المتعارضة مع مبادئ الإسلام وتعاليمه؛ بعدم الالتزام بحقوق الزوج الشرعية.. وساعدت الظروف المادية والاجتماعية والاقتصادية لأحد الشابين على خطبة الفتاة الجميلة والزواج منها. وبذلك فاز على منافسه الذي لم يستعد لباءة الزواج.. لكن الشاب الذي فاز بالزواج من الجميلة كان مثل جميلته. لايهتم بالجمال المعنوى الدائم. فلا يهتم بمبادئ الدين الإسلامى. ولا بتوجيهاته في حقوق الزوجة على الزوج وحقوق الزوج على الزوجة.. ولم يقف الأمر عند هذا الحد. فقد صمم المنافس الخاسر على الانتقام من زميله الفائز.. وسرعان ما وجد الشيطان الرجيم البيئة المناسبة للوقيعة بين طرفى النزاع: الفائز بالجميلة من جهة، والمنافس الخاسر من جهة أخرى. وثلاثتهم لا يتحلى بالجمال المعنوى الباقى. وبدأ زوج الجميلة يحذر من زميله المنافس؛ فاتخذ من جانبه بعض الإجراءات الأحادية الجانب دون مناقشة زوجته فيها. فمنعها من فتح النوافذ، والإطلال منها. ومنعها كذلك من الوقوف أو الجلوس في شرفة المنزل. وأحست فتاته الجميلة أنه بدأ يحد من حريتها، ويحرمها من جمال الطبيعة الموجود حولها. ومن هنا بدأت الخلافات بين الزوج وجميلته تظهر وتتسع دائرتها. ولم يقلل شكل الزوجة وجسدها الجميلان من هذه الخلافات. وكان بإمكانه أن يوجهها إلى لبس الحجاب والنقاب بدلا من حرمانها من النظر إلى الشارع والمشى

فيه لكنه لم يفعل. وصارت الفتاة الجميلة تعيش في سجن كبير هو بيت الزوجية، مسلوبة الإرادة. وخصوصا بعد أن منعها من الخروج من عش الزوجية. ومن هنا بدأ الخاسر نشاطه غير الشرعى في التفريق بين الجميلة وزوجها؛ ليعجل الزوج بطلاق زوجته، فيتزوجها الخاسر. فحاول الاتصال بالزوجة ليفهمها أنه يستطيع تخليصها من سجنها. وطلب منها مقابلته خارج منزل الزوجية. وحدد لها موعدا لهذه المقابلة. فعزمت الزوجة الجميلة على مخالفة زوجها، الذي كان يأمرها دائما بعدم الخروج من المنزل. وعندما لمس منها زوجها الإصرار على الخروج هددها بالطلاق إذا خرجت دون إذنه. لكنها لم تأبه بتهديده. فهددها بما هو أكبر من ذلك. هددها بالموت إذا خرجت من بيتها بغير إذنه. وهنا ازداد نشاط الشيطان الرجيم في إشعال نار الفتنة بين الزوجين. فأوعز لمنافسه الخاسر أن يهيئ لها طريق الهروب من سجنها الكئيب، ففعل الخاسر، وخرجت الجميلة من المنزل لتزيد الأحداث سخونة بل غليانا. ولو أنها التزمت بآداب الإسلام وأطاعت زوجها لما حدث لها ما حدث. وما أن خرجت الجميلة من خدرها إلى الشارع حتى لحقها زوجها، وقد ركبته الشياطين كلها، وتحكمت في مشاعره وأفعاله، فلاحق جميلته في الشارع. وأخرج سكينا حامية كان قد خبأها في ملابسه، وانقض عليها كالثور الذي يريد أن يميت مُصارعه. فانهال عليها طعنا بسكينه الحامى في كل مكان مكنته يده من جسمها الجميل. ولم يتركها إلا جثة هامدة تسبح في دمائها. وانتهى بذلك عش الزوجية القائم فقط على الجمال الجسدى. وساءت عاقبة هذا الاختيار غير الشرعى. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في تحذيره للمسلمين من الزواج فقط للتمتع بالجمال الجسدى. حيث قال صلى الله عليه وسلم :{لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة خرقاء سوداء

ذات دين أفضل} [1].. فالسعيد إذن في حياته الزوجية هو من يبدأ باختيار الجمال الروحى الدائم ولا بأس أن يكون معه جمال جسدى مؤقت ينتهى بعد فترة من الزمن ليحل محله الجمال الروحى الدائم حتى الموت...

سادسا: الزواج من الغنية للتمتع بمالها فقط:

لقد خلق الله عز وجل البشر رجالا ونساء. لكنه سبحانه جعل القوامة للرجل على المرأة، فقال: جل شأنه:{ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ} [النساء: ٣٤]. فالرجال قائمون على النساء بالأمر والنهى والإنفاق والتوجيه، كما يقوم الولاة على الرعية. فالله العزيز الحكيم منح الرجال العقل والتدبير، وخصهم بالكسب والإنفاق. فهم يقومون على النساء بالحفظ والرعاية والإنفاق والتأديب[2]..

وقد بينت السنة النبوية المطهرة أن من حق الزوجة على زوجها أن ينفق عليها ويوفر لها الطعام والشراب والكساء والمسكن. وفى إشارة إلى بعض هذه الحقوق يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم :{حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم ويكسوها إذا اكتسى ولا يضرب الوجه، ولا يُقَبِح ولا يهجر إلا في البيت} [3]. فإنفاق الرجل على زوجته وأولاده وبناته وعلى بيت الزوجية، حق مفروض عليه. كما ورد في كتاب الله وسنة رسوله

---

(1) رواه ابن ماجة في السنن 597/1 من طريق عبد الرحمن بن أنعم المعروف بالإفريقى. ورواه ابن حبان في صحيحه من طريق آخر ورواه غيرهما. ص362 من كتاب منهج السنة في ا لزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور - خرقاء: لاتعرف عملها بيدها.

(2) تفسير الآية في القسم الثاني من الطبعة الأولى - من كتاب صفوة التفاسير - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى ص 95.

(3) رواه الحاكم ص 67 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى.

صلى الله عليه وسلم.. وليس مطلوبا من الزوجة أن تنفق على زوجها وأولادها وبناتها وعلى بيت الزوجية، لأن ذلك موكول شرعا إلى الزوج. ولا يحق له أن يطلب من زوجته شرعا الإنفاق على شيء مما سبق ذكره حتى لو كانت ذمتها المالية أكبر من ذمته بكثير.. وإذا حدث ذلك فإنه يعدد مخالفا لسنة الله تعالى في خلقه ومخالفا لطبيعة كل من الزوج والزوجة، ولما هو مطلوب شرعا من كل منهما..

ومعنى ذلك أن اعتماد الزوج على مال زوجته مهما كان كثيرا في تسيير دفة الحياة الزوجية، وضع مقلوب لا يمكن أن يؤدى إلى استقرار وسعادة الأسرة وهنائها. بل إنه سيكون من أقوى الأسباب التي تؤدى إلى تعثر الحياة الزوجية، وانعدام السعادة بين جميع أفراد الأسرة.. فتعمد الرجل اختيار زوجة غنية للتمتع فقط بمالها وثروتها المملوكة لها بعد زواجه منها مخالف للشريعة الإسلامية وتوجيهاتها، حتى لو وافقت الزوجة على ذلك بدون إكراه من زوجها أو غيره..

فالزوج إذن هو المطالب بالإنفاق الكامل على بيت الزوجية. ومال هذا البيت يحتاج إلى رجل متدين يوجه إنفاقه وجهة شرعية شاملة ومفيدة في كل وجوه الإنفاق. إذ أن الرجل غير الملتزم بالتوجيهات الإسلامية في كسب الأموال وتصريفها في وجوه الإنفاق المتنوعة - يمكن أن يطيع أهواءه الفاسدة فتبعده عن طريق الإفادة والاستفادة وأداء كافة الحقوق والواجبات الدينية والاجتماعية وغيرها. وقد يجد نفسه في طريق مفتوح للتوسع في الإنفاق على المحرمات والبعد عن أداء الحقوق والواجبات الشرعية لزوجته وأولاده وبناته..

وهذه النوعية من الأزواج هى التي تبحث عن زوجة ذات مال ليتمتع الزوج بالإنفاق من مالها على نفسه وعلى بيت الزوجية في غياب العمل بكتاب الله العزيز وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.. وقد يجد ضالته فيلتقى بزوجة من هذا النوع. وغالبا ما تكون هى الأخرى غير ملتزمة بالتوجيهات الإسلامية الواردة في الكتاب والسنة. فتغامر بقبول هذا

الدور طمعا بأن تكون لها الكلمة العليا في بيت الزوجية. وعادة ما يغريها زوجها الطامع في مالها، بمنحها القوامة الذي يخطئ فهمها، فيجعلها قيمة على بيت الزوجية، تتحكم في الإنفاق على الأسرة

كيف تشاء فترة من الزمن، فتقلب الحق باطلا والباطل حقا. وتتهاون في بعض حقوق زوجها وأولادها وبناتها فلا تؤدّيها. كأن تلغى زكاة المال إذا بلغ نصابا وحال عليه الحول، ويوافقها زوجها الفقير إلى معرفة هذه الحقوق الشرعية. وبذلك يفتح مع زوجته القيمة بالباطل على بيت الزوجية - بابا من أبواب الشيطان، يجعل حياتهما جحيما لا يطاق. فيثور عليهما الفقراء ويحقد عليهما المحتاجون، الذين لهم نصيب شرعى في هذا المال. وتسوء بذلك علاقتهما الاجتماعية والاقتصادية بجيرانهما وأصدقائهما وفقراء الحى القريبين منهما أو تنعدم. فيحل الحقد والكراهية محل الألفة والمحبة. وينعكس كل ذلك على أبنائهما وبناتهما السائرين في فلكهما، فينعزلون بدورهم عن المجتمع الإسلامى. الذي يعيشون في ظله ولا يطبقون مبادئه وتعاليمه في الأمور المالية والمادية.. فنجد الأبناء يريدون حرمان أخواتهم البنات من بعض حقوقهن المادية.. والولد الذي ساءت تربيته يريد أن يحصل بغير حق على بعض حقوق إخوانه الذين تربوا معه في أحضان الأسرة.

وينعكس ذلك على سائر تصرفاتهم وتعاملاتهم الاقتصادية والاجتماعية وتصبح السعادة بالنسبة لهم جميعا سرابا يحاولون الوصول إليه. فإذاهيئ لهم أنهم قد وصلوا لم يجدوا شيئا مما كانوا يريدون.. بل وجدوا الله تعالى وشريعته الغراء.. وكل هذا من أجل تحكم امراة بمالها في بيت زوجها وفى زوجها وأولادها وبناتها. وخصوصا أنها كانت تعتقد أن هذا المال الذي تتحكم به في مجريات أمور أسرتها بهذا الشكل - سيوصلها إلى المجد والشهرة والسعادة. لكن النتيجة تكون عكس ما تصورت. فمجرد السعادة بالمال فقط دون توجيه من الدين في تصريفه وإنفاقه - تتحول إلى شقاء مؤكد.. بسبب ما يوصلها إليه هذا المال، من غرور وطغيان. فتبعد بذلك عن الخط الإسلامى المرتجى، بل عن رحمة الله عز وجل. وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم حيث أشار في الحديث الذي تقدم ذكره، إلى الأموال

الذي تطغى صاحبتها فلا تسير حسب شريعة الله جل وعلا. فتخسر مالها وأسرتها وتخسر نفسها أيضا. فيقول النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك:{ولا تَزَوَّجُوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن} الحديث. وقد سبقت الإشارة إليه...

والأمثلة على ذلك من واقع الحياة كثيرة.. فذاك شاب جاوز الثلاثين من عمره بقليل، يبحث عن زوجة غنية يستطيع بمالها أن يعوض ما فاته من العمر قبل الزواج. وتمضى الأيام، وبعد شهور قليلة يجد الشاب ضالته. إنها أيضا تجاوزت الثلاثين بقليل وتريد ان تعوض ما فاتها من العمر. فاتقفا على الزواج على أن تتولى هى مهام زوجها المالية إلى أن تتحسن حاله ويستقر. وكانت مثله لا تتقيد بمبادئ الدين وتوجيهاته في كل مجالات الحياة، وفى مجال المال بصفة خاصة. وبدت نشيطة في مستهل حياتها الزوجية فيما عهد إليها. فسددت عدة التزامات مالية مطلوبة من زوجها. لكنها بدأت تسير في طريق الشيطان فاتفقت مع زوجها على عدم إخراج زكاة المال. وطبيعى أن يوافقها زوجها على ذلك فهو مثلها لايعبأ بالالتزامات المادية المفروضة شرعا في المال لهؤلاء الفقراء والمجتاجين. ولم تخرج نصيب ذوى الحاجات من صدقة التطوع.

وهكذا كسرت حصن أموالها بعدم إخراج زكاة المال وصدقة التطوع، وهو ما يعرض المال للضياع. وازداد الأمر سوءا بتحكمها في مصروفات زوجها، وعدم الوفاء بكثير من التزاماته المالية والمادية زاعمة أنه هو المسئول عن هذه الأحوال الخاصة به. وزاد السوء حدة فعاملت أولادها وبناتها معاملة جافة. فغالبية طلباتهم المالية غير قابلة للتحقيق. وتأزمت علاقات هؤلاء الأولاد والبنات مع بعضهم البعض، ومع أصدقائهم وجيرانهم. حتى أصبح الوضع مع كل الأطراف المتعاملين معها غير محتمل. وضاع الترابط والتراحم فيما بينهم. وقد انفض عنها جيرانها الفقراء والمحتاجون، وتأزمت علاقاتهم بها. وهكذا وجدت الزوجة نفسها وهى صاحبة المال - أن كل من حولها يتضررون منها، حتى زوجها الذي لم يجد بدا من طلاقها بسبب فشلها في ضبط علاقتهم المادية، وهى مهمته في الأصل.. وهكذا كان مال الزوجة نقمة عليها، لم يجلب لها السعادة التي كانت تنشدها، بل جعلها في شقاء تام.

لأنها قلبت أوضاع الحياة وسارت عكس ما يريده الله عز وجل للناس. لقد ظنت أنها ستتحكم في بيتها وفى كل من حولها بمالها. فأذلها مالها وأرداها وأخفقت في حياتها الزوجية بسبب مالها،

تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم..{ولا تَزَوَّجُوهُن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن} الحديث...

سابعا: عدم التكافؤ بين الزوجين:

تتعدد صور التكافؤ بين الزوجين لكن الإسلام ركز على الكفاءة بينهما في أمرين أساسيين.

أحدهما: الخبرة والكفاءة العملية؛ فمن المهم أن تتساوى خبرة الزوجين وكفاءتهما العملية. ويدخل في هذا الأمر النضج النفسى والعقلى لكل منهما. ومنه أيضا: المستوى الخلقى والدينى لكل منهما. فلابد أن يتساويا أو أن يقتربا من المساواة في هذا الأمر..

والثانى خاص بكفاءة الزوج واستعداده لباءة الزواج لتسيير دفة الحياة الزوجية بالتعاون مع الطرف الثانى (الزوجة) على حلو الحياة ومرها. ولابد من وجود نفس الشعور بالتعاون عند الزوجة مع التزام كل منهما بما أوجبه عليه الإسلام نحو الطرف الآخر [(1)].

ويتبع هذين العنصرين، عناصر أخرى تعتبر عند النظر في الكفاءة بين الزوجين.. وسوف نتحدث عن هذه العناصر التابعة وعن العنصرين الأساسيين بإحاطة واختصار - إن شاء الله تعالى. لأن عدم توفر هذه العناصر يؤثر سلبا على الحياة الزوجية إن لم يقض عليها نهائيا...

ومما يتبع العنصر الأول:عدم الكفاءة في السن:

---

(1) بتصرف من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور من ص382.

ومن المعروف أنه لا توجد مشاكل ولا صعوبات في التفاهم بين الزوجين - إذا كانا في سن متساوية لكن هذا السن يجب ألا يقل عن سن الرشد. حيث يكون الطرفان حينئذ قد تجاوزا سن الطفولة والمراهقة، وتخيلاتها وتأملاتها الفكرية التي قد تؤثر في الحياة العملية للزوجين، بتمسك كل منهما مثلا بما كانت الأمور تسيير عليه من قبل الزواج في بيت أهله..

ويأخذ الاختلاف في السن بين الزوجين عدة أشكال؛ بعضها لايدخل في مرحلة الخطورة، وبعضها الآخر يمر في منتصف الدائرة أو على حافتها، فيتوقع منه بعض المشاكل كما سبق القول..

ففارق البضع سنوات يبعد عادة عن موطن الخطر وهو في كثير من الأحوال لا يمثل أى خطر. وقد يُدخِلُ كلا منهما في دائرة الأمان الأسرى، وخصوصا إذا تمسكا بعقيدة الإسلام وأسسه، وتوجيهاته وإرشاداته لكل منهما في حياته مع الآخر. فدين الإسلام بما فيه من مبادئ سامية وأخلاق فاضلة، كفيل بأن يذيب أية خلافات بين زوجين يحرصان على اتباع تعاليمه وتوجيهاته في الحياة الزوجية.. والأكبر منهما في هذه الحالة - وهو الأكثر خبرة في معترك الحياة - يكون مرشدا ومعلما للطرف الآخر، ومعينا له على تخطى أية عقبة تظهر لهما في الطريق... ومثلنا الآعلى في ذلك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي نجح في التوافق مع من هى أكبر منه سنا، ومن هى أصغر منه سنا.. فالسيدة خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها عندما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت أكبر منه سنا. فقد كان سنها نحو الأربعين وسنه صلى الله عليه وسلم نحو الخامسة والعشرين[1]. وقد ثبتته رضى الله عنها في مستهل تكليفه بالرسالة، وشدت من أزره في المواقف الصعبة التي كان يقابل فيها وحى السماء. وهى مواقف لم تحدث له صلى الله عليه وسلم من قبل. فقد وقفت

---

(1) ص207 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

بجانبه مؤازرة ومقوية. وكانت من عباراتها التي سجلها لها التاريخ الإسلامى قولها المأثور في هذا الصدد " كلا والله لا يخزيك الله أبدا.. إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ[1]، وتُكسِبُ المعدومَ، وتُقرِى الضيفَ، وتعين على نوائب الحق " [2]. وكذلك نجح رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوافق مع عائشة رضى الله عنها. فقد بنى عليها صلى الله عليه وسلم وهى ابنة تسع سنوات. وقد ساعدها زواجها منه في صغر سنها على أن تنهل من وحى رسالته صلى الله عليه وسلم عن قرب. وساعدها على المساهمة في دعم الإسلام وشد أزر المسلمين، ونشر الدعوة الإسلامية والسنة المحمدية. وقد اتصفت رضى الله عنها بالأدب الجم والأخلاق الكريمة والعقل الحصيف. واشتهرت بالعلم والتقوى والورع. وأدت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما فقهت من بيانه وأحاديثه - مالم يكن بوسع غيرها من زوجاته أن تؤديه وتبلغه. وهذا فضلا عن قدرتها في الزهد والتقوى والسخاء والورع[3].

وعادة ما ينجح الزواج، ولا يخشى عليه من فارق السن بين الزوج والزوجة، إذا كان عمر الزوجة نصف عمر زوجها أو أكثر بقليل. وسيكون كبر سنه في هذه الحالة عامل تقوية وترسيخ للزواج. كما أن الزوج في هذه الحالة يكون بمثابة موجه لزوجته في كل أمور حياتهما. وستقبل الزوجة دور زوجها في هذه الحالة، إذا التزمت وإياه بمنهج الإسلام في الزواج. واستفادا منه ومن توجيهاته في كل مجالات الحياة الزوجية..

ويكمن خطر التفاوت الكبير في السن بين الزوجين في أكثر من زاوية.. فحين تتزوج الفتاة الصغيرة بإيعاز من أبيها أو قريب لها، له مصلحة مادية في هذا الزواج، وينبهها أبوها أو غيره بأن زوجها كبير في السن وسيموت بعد فترة قليلة، وأنها سترثه وتحصل على كل أمواله، حيث لن ينازعها أحد في ثروته - عندئذ يطل الخطر برأسه على هذا الزواج القائم

---

(1) الكل: الضعيف.

(2) الصــفحة 207من المرجع الســابق منهج الســنة في الزواج. وفى رواية: " وتعين على نوائب الدهر " والمعنى واحد هو مصائب الدهر - تقرى: تكرم.

(3) بتصرف من ترجمة عائشة في الطبقات الطبرى8/58. ص279 من المرجع السابق.

على مصلحة طرف ثالث غير طرفى الزواج، حيث لم تلتزم الزوجة فيه بمعايير الإسلام وتوجيهاته فيموت الزوج وتظل الزوجة فريسة لأطماع من حولها ممن أوعزوا إليها بقبول الزواج، من

أجل إرث مال او حسب أو جاه أو مركز اجتماعى. ولا يحدث شيء من ذلك ولا يفيد - أمام أطماع الطامعين فيها بعد موت زوجها الغنى. وستتحول حياتها معهم إلى جحيم لا يطاق لأنهم لا يهمهم إلا كسبهم المادى من وراء تنفيذ هذا الزواج غير المتكافئ.. ولهذا النوع من الزواج أمثلة كثيرة في واقع حياة المسلمين الذين تحكمهم المادة وتكتشف الزوجة بعد ذلك أنها كانت ضحية ناصح غير أمين كان له مصلحة مادية من تنفيذ هذا الزواج غير المتكافئ.

ويكمن الخطر في التفاوت الكبير في السن بين الزوجين كذلك، حين يتزوج الفتى الصغير، الذي لم تعركه الحياة من زوجة كبيرة في السن، أكثر من ضعف سنه مثلا، من أجل مالها. فليس لدى هذا الصغير خبرة يفيد بها زوجته في تصريف مالها تصريفا شرعيا عقلانيا سليما. ولا سيما إذا كان بعيدا عن تعاليم الإسلام وتوجيهاته في الحياة، وفى الأمور المالية بوجه خاص. إذ قد يبدد هذا الزوج الصغير مال زوجته الغنية فيما لا يفيدها ويفيده. فقد يدفعه جهله بتعاليم الإسلام وتوجيهاته - إلى إهدار مال زوجته، وحرمان أولادها وبناتها من التمتع الشرعى معهما بهذا المال.. ولا تستطيع زوجته إذا كانت بعيدة مثله عن تعاليم الإسلام وتوجيهاته - أن تستفيد من مكانتها الاجتماعية مثلا في خدمة نفسها وزوجها وأولادها وبناتها من زوجها وأمثلة هذا الزواج القائم على منفعة شخص ما منفعة مادية دون حرص على مستقبل الزوجين - كثيرة أيضا في واقع الحياة... وبغير التمسك بالإسلام ومبادئه وإرشاداته للزوجين في حياتهما الزوجية، وفى التزاماتهما الإسلامية - لن يكون هناك أمل في حياة زوجية سعيدة في المثالين السابقين.. فعلى الزوجين في هاتين الحالتين، أن يجعلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوتهما الحسنة. فقد استطاع كما أوضحنا سابقا أن يحيا

حياة كريمة سعيدة مع من تكبره سنا ومن تصغره سنا، بتطبيق مبادئ الإسلام وتعاليمه المفيدة في الحياة الزوجية...

عدم الكفاءة في الصحة العامة:

قد يُخفى أحد الطرفين عن الآخر مرضا معديا أو خطيرا أصابه، أو عيبا خِلقِيّا ولِدَ به أو ظهر بعد تخطيه مرحلة الصغر. ويظن أن الطرف الآخر بعد الزواج لن يكون أمامه إلا الرضا

بالأمر الواقع. لكن هذا تصرف خاطئ نتج عن فهم خاطئ للحياة الزوجية ومتطلباتها. لأن ظهور هذا المرض أو هذا العيب الخلقى بعد الزواج - يضع الحياة الزوجية ذاتها في مأزق كبير، ويهدد مستقبلها أويُحمِّلها تبعات ومسئوليات وأعباء كانت في غنى عنها - إذا اتبع الزوجان من بداية الأمر إرشادات الإسلام في هذا الشأن. وقد أمر الإسلام - كما عرفنا - باختيار كل طرف لرفيقه اختيارا شرعيا سليما، أساسه المصارحة. فكتمان أحد الطرفين لمرضه الخطير أو عيبه الخلقى عن الطرف الآخر ليس من مصلحة الطرفين في المستقبل. فلو رضى الطرف السليم فإن ذريتهما من البنين والبنات تصبح معرضة لانتقال المرض أو العدوى عن طريق الجينات الوراثية إليها كما سبق ذكره. وهذا خطأ آخر في حق الذرية. والإسلام يريد أسرة قوية تنتج ذرية قوية تستفيد من وطنها وتفيده. وتكون قادرة على العمل والبناء بعيدة عن الأمراض الخطيرة الفتاكة أو العيوب الخلقية التي تدمر معنويات النشء وتجعله غير قادر على الإنتاج والعمل وتعمير الأرض كما أراد الله رب العالمين من البشر أجمعين. فالله تعالى يقول:{ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ } [النحل: ٩٧]. ويقول جل شأنه:{ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾} [فصلت: ٤٦]. ورسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول: {المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفى كلّ خير، أحرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان} ..(1).

ومن جهة أخرى فإن الطرف الذي أُخفيت عنه الحقيقة من حقه شرعا أن يرفض هذا الزواج، بعد أن عرفها.. إذ تصبح الحياة الزوجية الناشئة مهددة بانتشار المرض إذا كان معديا إلى الطرف الآخر ومَنْ حوله من الذرية والأقارب، ومهددة أيضا بانتشار العيب في الذرية. وكلاهما قد يتنقل كما قلنا عن طريق الجينات الوراثية. مما يتعارض مع الغرض الأسمى من الزواج. وهو إنجاب ذرية قوية نافعة لنفسها ولأسرتها ولمجتمعها. ولن يتوفر ذلك مع وجود الخطرين. وفى هذا الجو المهدد بخطر انتقال المرض والعيوب الخلقية، تتعثر الحياة الزوجية وتضعف الرابطة بين الزوجين التي يتواجد على أساسها السكن والمودة والرحمة. مما يجعل الحياة الزوجية نفسها تقوم على أسس واهية من الممكن أن تنتهى في أى وقت وهناك أمثلة كثيرة لفشل وتعثر الزواج بسبب ذلك. ومن تلك الأمثلة ذلك الشاب الذي تقدم لخطبة شابة من سنه لكنه وأهله أخفوا انه يعانى من متاعب عقلية ومرت فترة الخطوبة دون اكتشاف هذه الحالة لأن التركيز فيها عند كثير من الأسر يكون حول الأمور المادية. وعقد الشاب على الفتاة ولم يكتشف أمر مرضه إلا من خلال تعامل أسرة الفتاة معه كزوج لابنتهم إذ اكتشفوا الخلل في سلوكياته، وبالطبع لم يعجبهم حاله فطلبوا الطلاق متنازلين عن كافة حقوق ابنتهم عنده. وتدخل الصحة الجنسية في مجال الصحة العامة. وسوف نتحدث عنها بما فيه الكفاية إن شاءالله.

---

(1) رواه مسلم عن أبى هريرة ص42 من كتاب كنوز السنة - للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى.

انعدام الكفاءة بين الزوجين في السلم التعليمى والمستوى الثقافى:

الأفضل والأوفق أن يتساوى الزوجان في السلم التعليمى، متوسطا أو عاليا أو في نهاية السلم الأكاديمى.. وتنعدم الكفاءة أو تقل كلما اختلف أحدهما عن الآخر. كأن يحمل أحدهما مؤهلا عاليا ويحمل الآخر مؤهلا متوسطا. ومن المعروف أن التعليم يكسب المتعلم خبرة في الحياة. وكلما زادت درجته العلمية كلما ازدادت خبرته في الحياة. وقد تختلف طريقة التفكير بين حامل المؤهل الأعلى ومن دونه. ولاشك أن ذلك ينعكس على أسلوب الزوجين في التغلب على ما يعترضهما من مشاكل وصعاب تخص الحياة الزوجية.. وتكون الخطورة أكثر إذا كان أحد الطرفين أميا والآخر يحمل مؤهلا متوسطا أو عاليا؛ لأن حامل المؤهل يستطيع أن يتعامل مع ما يصادفه من مشاكل إذا لم يجد من ينصحه - بالقراءة والفهم والتصرف السريع لاختيار الحل المناسب. أما الطرف الأمى فيعتمد حينئذ على خبرته في الحياة وهى قليلة. وقد لا يتمكن من التصرف بحكمة فيما يعرض له من مشاكل، وخصوصا إذا كان زوجه المتعلم بعيدا عنه. وهنا تكثر المشاكل ويصعب حلها. فتتعرض الحياة الزوجية للتفكك وعدم الاستقرار..

وقد يكون الزوج هو الطرف المثقف فيستغل أمية زوجته أو ضعف مستواها الثقافى والتعليمى في تحقيق مصالح شخصية له أو لأحد أفراد عائلته أو أقاربه، دون نظره إلى مصلحة أسرته الناشئة، وخصوصا إذا كان غير ملتزم بمبادئ وتعاليم وإرشادات الإسلام، ولا يهتم بسئوليته الشرعية كزوج نحو زوجته وأولاده وبناته، وربما يتجاهلها عن قصد... فهذا زوج متوسط الثقافة - يحمل مؤهلا متوسطا، وتزوج من امرأة أمية، من وسط عامى. لم تجد من يعلمها أو ينصحها بالحرص في تصرفاتها المالية مع زوجها بسبب قلة خبرتها وأميتها. وكانت تملك أرضا زراعية ومنزلا ومبلغا من المال. وقد ورثت ذلك عن أبيها المتوفى. وكانت هذه الممتلكات تدر عليها قدرا معقولا من المال. ونظرا لظروفها وعدم إكمالها للسلم التعليمى، استعمل أبوها معها الحكمة حرصا على مستقبلها. فسجل لها كل ماتملك بالشهر العقارى، ووضع مالها وديعة في أحد البنوك؛ حتى لا تتعرض أملاكها وأموالها

للضياع في غفلة منها، من طرف طامع لا يعترف بحق الزوجة في التملك والانتفاع بما تملكه من مال وعقار وأرض.. وقد وقعت الزوجة الأمية قليلة الخبرة والحيلة - ضحية لزوجها الطامع ذى التعليم المتوسط، والذى لم يستفد من تعليمه تقربا إلى الله ورسوله وتمسكا بمبادئ دينه الإسلامى وإرشاداته في الإخلاص لزوجته ومعاملتها بالحسنى. فأخذ يتظاهر في البداية بالحب والولاء والود لزوجته الأمية، ويغريها بالمعاملة الحسنة فترة من الزمن حتى كسب ثقتها وعطفها. وفى فترة من فترات ضعفها أمام حبه المزعوم، استطاع أن ينتزع توقيعها الضعيف الذي تكتبه بصعوبة على توكيل منها له بتصريف كل أمورها المالية والعقارية والزراعية. واستغل أميتها وضعفها في القراءة والكتابة عن الحد المطلوب - في عمل هذا

التوكيل الذي وقعت عليه دون أن تعرف مافيه. وبهذا التصرف المشين استطاع نصف المتعلم هذا بمكره وفجوره - أن ينزع سلاح زوجته، الذي زودها به أبوها قبل موته. فأصبح تسجيل ملكيتها بالشهر العقارى لا قيمة له. فقد استولى بتوكيل غير شرعى من زوجته الأمية المخلصة، على كل ما تملكه من أرض وعقار ومال، واحتفظ به لنفسه.. وبعد أن تمكن من فعلته اللاإنسانية أظهر لها وجهه القبيح، فغير معاملته لها من حُسن إلى سوء ومن ود إلى غلظة. وبدأ الخلاف يظهر ويتزايد بينهما. وفتر حبه المدَّعَى لها. وأصبحت الحياة الزوجية بينهما مستحيلة فكان طلاقهما هو الحل.. وإلى أن تتنبه الغافلة لمؤامرته الدنيئة وتطعن في ذمته أمام القضاء وتثبت حقها الضائع، ضاعت آمالها في حياة سعيدة يتخللها السكن والمودة والرحمة. فلقد تنصل زوجها الخائن من كل واجباته الشرعية نحو زوجته بسبب أميتها وجهلها بحقوقها الشرعية وإيمانها بحبه الزائف.

وقد يحدث العكس تماما فيكون الأمى هو الزوج، وتكون الزوجة هى المتعلمة.. فأمية الزوج وقلة مستواه الثقافى والفكرى عن الزوجة، كل ذلك يعصف بهدوء الحياة الزوجية واستقرارها.. فالزوج الأمى غير المثقف لا يكون - عادة - عالما بأحوال تصريف الأمور المالية للأسرة فضلا عن بقية أمورها الأخرى الاجتماعية والاقتصادية وغيرها. وبذلك

يستحيل عليه أن ينجح في تصريف أمور أسرته وخصوصا الأمور المالية منها. فتفلت من يده قوة السيطرة على مجريات الأمور وعلى كافة المستويات، المالية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وتقع أسرته في مهب الريح بسبب جهله وأميته وإصراره على أن تكون الأمور المالية في يده رغم جهله بكيفية تسييرها سيرا طبيعيا.. فتلك فتاة أتمت تعليمها العالى وأخذت تبحث عن زوج مناسب لها. لكن قدرها أوقعها في شاب يحمل مؤهلا متوسطا. وكان قليل الثقافة وقليل الالتزام بمبادئ الدين الإسلامى وتوجيهاته الهامة في تسيير أمور الحياة الزوجية، فضلا عن عدم التزامه كمسلم بما افترضه عليه الإسلام من فرائض وواجبات ومبادئ أخلاقية. ومن البداية أصر على ممارسة مسئوليته الشرعية كقيم على زوجته وعلى بيت الزوجية في الأمور المالية. مع عدم معرفته بما يريد ممارسته كمسئول عن زوجة وأسرة. وسرعان ما اتجه في

إنفاقه إلى أهوائه ونزواته الشخصية فأهمل طلبات بيت الزوجية وأهمل حقوق زوجته في المأكل والمشرب والمسكن والملبس. وأهمل أمور أبنائه وبناته.. والإسلام في هذه الحالة يرفع عنه المسئولية ويمنحها للقادر على ممارستها من الزوجين حسب ما ينص الشرع الإسلامى. والطرف القادر هنا هو الزوجة المتعلمة، الواعية لمسئولية بيت الزوجية، والقادرة على انتشاله من الهاوية التي ينحدر إليها ولا شرعية لاعتراض الزوج في هذه الحالة. لأنه لا يعرف معنى القوامة ولا يمارسها ممارسة شرعية.. لكنه اعترض بشدة على تمكين زوجته من القوامة عليه وعلى بيت الزوجية في الأمور المالية ومراعاة مصالح أولادهما وبناتهما. وأصر على أنه القيم الشرعى. وحفاظا على كيان الأسرة من التفكك والانهيار المنتظر وافقت زوجته على قيامه بالالتزامات المالية. لكنه ازداد تمسكا وشغفا بتناول المسكرات. فتناولها أكثر مما كان يتناولها. وازداد استهتاره بمبادئ الإسلام وقيمه وإرشاداته في صون بيت الزوجية وفى الحفاظ على حقوق زوجته وأولاده وبناته. وأدركت الزوجة أن زمام الأمور بدأ يفلت من يدها رغم نصائحها لزوجها وتوجيهاتها له حتى يسير في الاتجاه الصحيح. ولم تجد الزوجة بدا من القضاء لإنهاء حياتها مع هذا الزوج الذي ضيع

زوجته وأولاده وبناته وبيت الزوجية الذي يحرص عليه كل مسلم.. وهكذا كان الانفصال هو الحل لوقف التدهور الحاد الذي أصاب الأسرة في جميع نواحى الحياة الأسرية بسبب أمية الزوج وعدم موافقته على تحويل القوامة المالية عنه إلى زوجته المتعلمة الواعية لهذه المسئولية...

عدم التكافؤ بين الزوجين في المستوى الدينى والخلقى:

إذا افتقد أحد الزوجين المستوى الدينى والخلقى الذي ينبغى أن يكون عليه باعتباره مسلما فإن ذلك ينعكس على الحياة الزوجية، فتفقد الكثير من استقرارها وسعادتها. إذ لاسكن ولا مودة ولارحمة بين الزوجين. ويسرى ذلك الحال على أولادهما وبناتهما حتى لو كانوا كبارا. ويحدث ذلك إذا كان طرفا الزواج أو أحدهما لا يقيم أركان الإسلام الخمسة أو أحدها. فلا توافق بطبيعة الحال بين زوج يؤدى الصلوات الخمس المفروضة على المسلم والمسلمة، وبين زوجة لا تؤديها، أو العكس. وكذلك الحال في بقية أركان الإسلام. فقد يدفع الحرص على

المادة الطرفين أو أحدهما إلى منع إخراج زكاة المال، أو منع القادر على أداء فريضة الحج من أدائها، وقد يؤدى ضعف المستوى الدينى إلى عدم تمكين أحد الطرفين من صيام رمضان مع قدرته على ذلك، وقد تتكرر هذه المخالفات إلى أن تصبح شيئا عاديا. وإذا حدث كل ذلك فمعناه أن هذه الأسرة الناشئة بكل أفرادها، لن تتذوق طعم السعادة. ولن يكون فيها سكن ولا مودة ولا رحمة. بل ستكون أسرة مفككة. وتكون عبئا على المجتمع الإسلامى، وليست تقدما وامتدادا له.. فهناك فرق بين أسرة يعتمد طرفاها على الله عز وجل في تحقيق أهدافهما وأهداف أولادهما وبناتهما، وطموحاتهم جميعا، مع الأخذ بأسباب تحقيق الآمال والطموحات، من عمل وجد واجتهاد - وبين أسرة تعتمد في تحقيق آمالها وطموحاتها على يد فلان من الناس أو منصب يتولاه أحدهم أو قريب لهم. ففى الحالة الأخيرة يتضح أنه لا أخذ بالأسباب في تحقيق المصالح والأهداف. وهذا التواكل قد

يضر بالأسرة؛ لأن فلانا صاحب المنصب، أو فلانا الواصل غير مضمون ضمانا مستمرا. وإذن فالتوكل على الله جل جلاله مع الأخذ بالأسباب هو الضمان الوحيد الباقى، والذى يوصل الأسرة كلها إلى ما يصبو إليه كل فرد فيها.

ومن ناحية أخرى فإن عدم التزام الأسرة أو أحد أفرادها بالأخلاق الحميدة التي دعا إليها الإسلام وأوصى المسلمين جميعا للتحلى بها - قد يقف حاجزا في سبيل تقدم هذه الأسرة وعدم تحقيقها للسعادة والاستقرار المنشودين.. فالقلوب العامرة الخيرة الرحيمة، لا تعيش ولا تسعد إلا في جو أخلاقى فاضل، يلتزم به أصحاب هذه القلوب. ولن يؤدى الأخذ بالأخلاق الوضيعة إلا إلى تحقيق أهداف وضيعة. وإذاكان الشاعر يقوِّمُ الأمم بأخلاقها فيقول:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ::: فإن هُمُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فنحن نقول: وكذلك الأسر. فالأسرة الملتزمة بمبادئ الدين الإسلامى الحنيف وأخلاقياته الكريمة التي ورد ذكرها في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - هى التي تبقى، وتُكوِّن علاقات قوية دائمة مع غيرها من الأسر الشبيهة بها. أما الأسرة التي لا يلتزم أفرادها بمبادئ الدين الإسلامى، وأخلاقه العالية الرفيعة - فلن يتعامل معها أحد، ولن يتعاون معها أحد. وستبقى منعزلة إلى أن تندثر، مادامت قد خلت من السكن والمودة والرحمة.. وإذا تواجد المستوى الدينى المطلوب بالتزام أحد طرفى الزواج بتوجيهات الإسلام وإرشاداته التي تهم الأسرة في جميع مجالات الحياة - فمن الممكن أن يؤثر هذا الطرف الملتزم في الطرف الآخر غير الملنزم ويجعله ملتزما، إذا أخلص في توجيهه وبين له أنه لا هدف له إلا مصلحته والسعى لجلب الخير له في كل اتجاهات الحياة. وهذا أمر وارد سواء كان الملتزم هو الزوج أو الزوجة. وقد يكون الخير على يد أولادهم وبناتهم إن كانوا واعين ملتزمين مقدرين لمسئولياتهم مع أبويهم في إعلاء شأن الكيان الأسرى الخاص بهم..

أما إذا كان الزوجان غير ملتزمين بآداب الإسلام وإرشاداته في جميع جوانب الحياة الأسرية، والحياة العامة - فإن الأمر سيكون مختلفا.. فهذا الثنائى غير الملتزم والذى كوَّن أسرة لا تلتزم عادة بأداء الفرائض الدينية، ولا بآداب التعامل المطلوبة من كل طرف نحو الطرف الآخر، ولا بالأخلاق الإسلامية الحميدة - يكون عرضة للضياع، فضلا عن ضياع من يتبعه من أولاد وبنات. وكمثال لعدم التزام الطرفين نذكر قصة رجل ديُّوث لا يغار على أهل بيته. ولا يتحرك للدفاع عن شرفه وشرفهم؛ لأنه لم يصل إلى المستوى الدينى والأخلاقى المطلوب في الإسلام، والذى يمكنه من تكوين أسرة مسلمة سعيدة بالتزامها الدينى والأخلاقى المطلوب من كل مسلم ومسلمة. وطبيعى في مثل هذه الظروف أن يترك هذا الزوج لزوجته الحبل على الغارب، وخصوصا إذا كانت هى الأخرى قد حرمت من الوصول إلى هذا المستوى المطلوب من الاهتمام بتوجيهات وآداب الدين الإسلامى، وتنفيذ ما افترضه الدين على الزوجين من حقوق وواجبات، والوصول إلى مستوى رفيع من الأخلاق التي دعا إليها الإسلام في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.. وقد دعته هذه المرأة الجميلة التي حذر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين والمسلمات في قوله صلى الله عليه وسلم

:{إياكم وخضراء الدمن} قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال:{المرأة الحسناء في المنبت السوء}.. وقد سبق شرح الحديث.. دعته إلى الزواج منها فقبل. وهكذا تزوج طرفان كلاهما لا يعبأ بتعاليم الإسلام وتوجيهاته، التي تحفظ على البشر كرامتهم وشرفهم وحياتهم السعيدة، ولا يهتم بالأخلاق الإسلامية الحميدة ولا يتخلق بها.. ولم يلجأ كلاهما في اختيار صاحبه إلى توجيهات الإسلام في اختيار الزوج والزوجة.. وبدأ الرجال ينظرون إلى زوجة الرجل في الغدوة والروحة، وفى كل وقت ومناسبة ممكنة، فلم تتحرك في الرجل نخوة الرجولة والحفاظ على الشرف. ولم يأمر زوجته بالحرص والحذر من نظرات الرجال؛ بلبس الحجاب أوالنقاب. ولم يحثها على الاحتشام وأخذ الحيطة مما هو أبعد من مجرد النظرات. وتطور الأمر فأخذ رجال من نفس النوعية يبتسمون لها ويتحدثون معها دون

أن تحاول صدهم، ودون أن يحرك زوجها ساكنا، متجاهلا بذلك تعاليم الإسلام في الحفاظ على الزوجة وعلى العرض والشرف. وبدا كأنه راض عن سلوك زوجته، وسلوك من يعاملونها معاملة دنيئة. ولم يدرك هذا الديوث أن خطوات الشيطان في تدنيس العرض تبدأ بنظرة فابتسامة فسلام لغرض غير شرعى فكلام - بقصد غرض سئ فموعد فلقاء آثم. وكلها خطوات غير شرعية وغير مطمئنة على شرف الزوجين وكرامتهما.. وازداد الخطر، فصار بعضهم يجلس على باب دارهما أو قريبا منه، يختلس الابتسامات والنظرات والأحاديث. ولم يمنعهم الزوج من ذلك. وتفاقم الخطر فسمح بعضهم لنفسه بدخول دارهما في حضور الزوج في البداية دون اعتراض منه، ثم بعد ذلك في غيبته. وتمادى الزوج في إثمه وبلاهته، ولم يمنع هذا التصرف غير الشرعى، لا من زوجته ولا من الداخلين إليها. وانتهى الأمر إلى أن مارس أحدهم الفاحشة معها داخل منزل الزوجية. وصارت بعد ذلك مطمعا لذئاب البشر. وتحول بيت الزوجية إلى بيت للدعارة، في غياب المستوى الدينى والخلقى الواجب توفره في كل من الزوج والزوجة. ومن الطبيعى مع هذ ا الحال أن تنتقل عدوى الديوثة إلى أبنائهما وبناتهما. فضاعت سعادة الأسرة بضياع السكن والمودة والرحمة منها وضاع معها شرف الأسرة

وكرامتها في غياب تطبيق مبادئ الدين الإسلامى والأخلاق الكريمة التي يدعو الإسلام أفراده وأسره إلى التمسك بها.

عدم الكفاءة بين الزوجين في الجنس:

تتنوع المشاكل الجنسية بين الزوجين، وتتفاوت أحيانا بين العجز الكلى أو الجزئى وبين الشذوذ. ولكل منها صور وأشكال..

فقد يكون العجز لسبب خِلقىّ، وله أحوال: فقد تكون الحيوانات المنوية عند الزوج ميتة لاتؤدى دورها مطلقا في عملية الإنجاب. وصحيح أن الزوج في هذه الحالة يجامع زوجته ولا يعجز عن الإنزال. لكنه ينزل حيوانات منوية ميتة لا تؤدى إلى الإنجاب. وهذا ما يطلق عليه العقم الكلى أو التام. ولا علاج له إلا بالتوجه إلى الله عز وجل، خالق هذه الحيوانات

المنوية والقادر وحده على إحيائها؛ لتؤدى دورها في عملية الإنجاب. ويذكر ربنا سبحانه وتعالى عباده بهذه النعمة فيسألهم عن خلقها ليقروا له بأنه خالقها. فيقول القادر على كل شيء: {أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾} [الواقعة: ٥٨ - ٥٩].

وهو القادر سبحانه على أن يجعلها حية عند بعض الأزواج وميتة عند البعض الآخر. فيجعل بعضهم منجبا للبنين أو للبنات أو لهما معا. وبعضهم عقيما لا ينجب حسب مشيئته سبحانه. ويقول جل جلاله في ذلك أيضا:{لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَـٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَـٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾} [الشورى: ٤٩ - ٥٠]..

وقد يكون العجز جزئيا، ناتجا عن تعطل الجهاز التناسلى أو جزء من أجزائه عن السير في عملية الإنجاب.. وغالبا ما يعالج الطب الحديث هذا التعطل.. وهناك حالة يطلق عليها العُنَّةُ. وهى عجز يصيب الرجل فلا يقدر على الجماع ويرجع لأسباب نفسية أو عضوية. فمن النفسية إعراض الرجل عن امراته واشتهاؤه لغيرها، أو اشتهاؤها لغيره. وقد يدخل فيه السحر، أو النُّشرة[1]. ومن العضوية اعتراض ذكر الرجل لقبل المرأة يمين أوشمالا[2]. وينتج عن انتفاخ في الخصية. والسبب النفسى يمكن علاجه بالقرآن الكريم وما ورد في السنة النبوية من الرقية الشرعية. وللنشرة أيضا علاج بالقرآن الكريم[3]. أما الأسباب العضوية فيمكن علاجها بالطب الحديث. لأنها تؤذى الرجل وتساهم في عجزه الجنسى، إلا أن تكون مُدَّعَاة أو غير حقيقية..

ويخبرنا القرآن الكريم كما تخبرنا السنة النبوية المباركة، أن طائفة من اليهود حاولت إلصاق

---

(1) النُشرة: تأخير الرجل عن امراته وتأخيذه عنها.
(2) المصباح المنير - حرف العين كلمة عنين من العنة.
(3) هامش ص315، 316 من كتاب فتح المجيد - للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل شيخ.

تهمة العجز الجنسى بالإضافة إلى اتهامات أخرى، بنبى الله موسى عليه السلام ليشككوا في جدارته بالرسالة. فيقول جل جلاله:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾} [الأحزاب: ٦٩]. وقد ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة، ما رواه البخارى رحمه الله عن أبي هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{إن موسى كان رجلا حييًّا سِتيرا، لايُرى من جلده شئ استحياء منه، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، إما برص، وإما أُدرة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوما وحده فخلع ثيابه على الحجرثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر وجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى مرعلى ملأ من بنى إسرائيل فرأوه أحسن ما خلق الله عريانا، وأبرأه مما يقولون}.. وفى رواية ابن عباس: أن قومه قالوا له:{إنك آدر " فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج

يتبعها عريانا حتى انتهت به إلى مجالس بنى إسرائيل. قال: فرأوه ليس بآدر} (1).. وهكذا اتهم فريق من بنى إسرائيل موسى عليه السلام أحيانا بالبرص وأحيانا بالأُدرة وهى انتفاخ الخصية، وهو عيب يمكن أن يعطل أو يعوق العملية الجنسية حتى أظهر الله براءته..

وقد يكون منى الرجل ضعيفا، وفى الطب الحديث علاج لهذا الضعف. وقد يسرع الزوج في قذف منيه في رحم زوجته قبل أن يصل إلى درجة المتعة والإشباع أو قبل أن تصل هى إلى تلك الدرجة، ولهذا القصور علاج أيضا في الطب الحديث.. أما بالنسبة للزوجة، فقد لايحتوى جهازها التناسلى على بويضات يحصل بها الإخصاب والحمل، وقد لا يقدر الرحم على احتضان البويضة حتى يحصل الإخصاب، وفى الطب الحديث علاج لهذين الأمرين.. وقد يعجز الرحم نفسه عن احتواء عملية الحمل، وعلاج هذا الأمر ميسور في الطب

---

(1) تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الجزء الثالث ص487 آدر: منتفخ الخصية.

الحديث. وهكذا يذلل الله عز وجل الصعاب أمام الزوجة التي قُدِّر لها الحمل.. وقد وصل هذا التيسير إلى درجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:{لو أن الماء الذي يكون منه الولد أهرقته على صخرة لأخرج الله منها ولدا} [1]..

على أن الثقة بالنفس لدى كل من الزوجين في مثل هذه الحالات المرضية، تعتبر من أهم العوامل النفسية التي تساعد على تخطى كثير من الصعاب الواردة في هذا الشان...

والشريعة الإسلامية توجب على الطرف الذي لديه عيوب خلقية تمنع الإنجاب أو تعطله، أن يصارح بها الطرف الآخر. فإن رضى فبها ونعمت، وإن رفض فله منذ البداية أن يكون في حل من هذا الارتباط. وهذه المصارحة مطلوبة قبل الدخول بل قبل الارتباط الشرعى. حتى

لا يفاجأ الطرف الآخر بعد الدخول أو بعد العقد بالمرض الخطير أو العيب الخلقى، فيحصل الخلاف ويكون الزواج في مهب الريح. فإذا لم تكن مصارحة وحصل علم بهذا المرض أو العيب بعد العقد أو بعد الدخول، فإن الأمر يحتاج إلى صبر وروية ومعالجة للعيب أو المرض إن أمكن ذلك. فإذا لم يمكن علاجه وكان الطرف الثانى السليم غير ملتزم بتوجيهات الإسلام وإرشاداته بحقوق وواجبات الزوجين في الحياة الزوجية، أو غير ملتزم بصفة عامة بتوجيهات وآداب وتعاليم الإسلام وتكليفاته الشرعية - فإن هذا الطرف السليم قد يعمد إلى تعويض هذا النقص عند طرف ثالث في الخفاء، فيُدخِل نفسه وأهله وأهلها في مشاكل كان في إمكانه النأى عنها إذا كانت هناك مصارحة ومكاشفة من أول الأمر...

ومن أمثلة المشاكل التي تترتب على العقم الكلى أو الضعف الجنسى الناتج عن مرض مزمن أو مؤقت - ذلك الشاب، الذي وقع اختياره على فتاة رأى أنها مناسبة له. دون دراسة لأحوالها وتأكُّد من صلاحيتها للإنجاب قبل الزواج بها. واكتشف بعد فترة أنها عقيم

---

(1) رواه أحمد في المسند عن أنس بلفظ: لأخرج الله منها ولدا. أو لخرج منها ولد ص514 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

لا تلد. وبعد نفس الفترة تقريبا وجدت الفتاة أن فارس أحلامها هو الآخر عقيم محروم من الإنجاب.. وكان من الممكن حينذاك أن يرضى كل منهما بما قسم الله له، خصوصا وأن العيب مشترك فيهما. ولعل الله تعالى يحدث بعد ذلك أمرا لصالحهما معا، إذا اتجها إليه سبحانه بالرجاء والدعاء. لكن الإنسان خُلِق عجولا. لقد راح كل منهما يفكر في مخرج له. ومع قلة وعيهما بمبادئ الدين وأخلاقياته وتوجيهاته العاصمة من الزلل - لم يجد كل منهما إلا أن يرتمى في أحضان طرف ثالث. وطبيعى ألا ينجح أحدهما في مسعاه لأن الخروج عن تعاليم الإسلام لا يبشر بخير، ولا يرجى منه إلا الشر. فلم يشعرا بالسعادة المنشودة ولم يجد أحدهما في الآخر سكنا ولامودة ولا رحمة. وكانت النتيجة الاختلاف والضياع ثم التفرق بسبب القصور في الكفاءة الجنسية بينهما..

وهناك نوع معروف من الضعف الجنسى يصاب به الزوج أحيانا نتيجة لبرود جنسى أصاب زوجته بسبب ختانها في الماضى بطريقة خاطئة وهى صغيرة. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يوجه الخاتنات إلى الطريقة الصحيحة في الختان حتى لا تجرن ولاتنهكن من تُختنهن من البنات. فعن أم عطية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر ختانة تختن فقال:{إذا ختنت فلا تنهكى، فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل} (1). وعن ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت للخاتنة: " إذا خفضت فأشمى ولا تنهكى، فإنه أسرى للوجه وأحظى لها عند زوجها " [(2)].. قال العلامة الشيخ أحمد الصاوى في شرحه لمتن العلامة أبى البركات الدرديرى: أى لا تجورى في قطع اللحمة الناتئة بين الشفرين فوق الفرج. فإنه يضعف بريق الوجه ولذة الجماع. فعدم المبالغة تكون أشرف للوجه وألذ عند الجماع؛

---

(1) رواه أبو داود ص131 من تحفة المودود بأحكام المولود - لابن قيم الجوزية - تنهكى: تجورى في القطع.

(2) ذكره حرب في مسائله عن ميمونة زوج النبى صلى الله عليه وسلم نفس الصفحة من المرجع السابق. أشمى ولا تنهكى: أى اتركى الموضع أشم. والأشم المرتفع. أى لا تخفضيه بأخذ الكثير منه.

لأن الجلدة تشتد مع الذكر عند كمالها، فتقوى الشهوة لذلك. ويضيف الشيخ أحمد الصاوى أنه إذا بلغ الشخص قبل الختان وخاف على نفسه من الختان فهل يتركه أوْ لا؟ قولان أظهرهما الترك، لأن بعض الواجبات يسقط بخوف الهلاك. فالسنة أحرى، ولا يجوز للبالغ أن يكشف عورته لغيره لأجل الختان. بل إن لم يمكنه الفعل بنفسه سقطت السنة وسقوطها عن الأنثى أولى بذلك " [1]. ففى الحديثين السابقين ما يدل على الإقلال وإبقاء الأصل كنواة. وغير هذا يعتبر جورا ويسبب المشاكل للزوجين ومنها البرود الجنسى لدى بعض النساء. فهن لايشعرن بلذة الجماع إلا بعد أن ينتهى دور أزواجهن فيه - وكأن الجماع بذلك قد حدث من طرف واحد هو الزوج ومع ذلك يكون الزوج محروما من تجاوب زوجته معه في تبادل اللذة. وقد تحدث له أعراض جانبية تجعله يفقد القدرة على التكيف مع زوجته في عملية الجماع. وعلى الرغم من ذلك فكثيرا ما ينتج عن هذا اللقاء الجنسى الضعيف ذرية قد تكون قوية صالحة. وذلك بالتعاون بين الطرفين لتبادل الشعور بينهما باللذة.. ويساعد الطب النفسى في إيجاد هذا التعاون مع اتباع أساليب الشريعة الإسلامية في تحبب كل طرف منهما إلى الآخر، والعمل بالآداب الإسلامية في الجماع.. ونظرا للتجاوزات الكثيرة التي حدثت وتحدث في هذه الأزمان المتأخرة في عمليات ختان البنات فقد تفضلت وزارة الصحة بجمهورية مصر العربية بإصدار قرار بمنع ختان الإناث وخصوصا بعد أن حدثت حالات وفاة عديدة لعدم خبرة الأطباء والطبيبات في هذا الأمر وساعد المسئولين في اتخاذ هذا القرار أن كثيرا من علماء الشريعة الإسلامية لم يحددوا رأيا قاطعا في أمر ختان الإناث. ومنهم الشيخ العلامة الصاوى كما سبق أن بينا. ولولى الأمر في هذه الحالة أن يأخذ بما فيه مصلحة الإناث.

---

(1) ص151، ص 152من الجزء الثانى من الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك - لأبى البركات الدرديرى - حاشية الصاوى.

أما عن الشذوذ الجنسى فهو من أسوأ ما يصيب الرجل أو المرأة من أمراض الجنس. وقد ذكرنا آنفا أن للأسباب النفسية علاج بالقرآن الكريم وبما ورد في سنة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم. فإذا كان الرجل معرضا عن دينه - أو المرأة - فإنه لا يستفيد من وسائل الإصلاح النفسى في القرآن الكريم، ولا يهتم حتى ببقية أمور دينه وكذلك المرأة - فإن هذا الإعراض يتحول إلى مرض خطير. إذ يحلو للرجل أن يبحث عن رجل يمارس معه الجنس، ويترك زوجته التي أحلها الله له. وهذا يسمى باللواط. وكذلك المرأة تبحث عن امرأة تمارس معها الجنس بطريقة أو بأخرى. وهذا يسمى بالسحاق. وكلاهما زنى محرم. وقد نفرت منهما السنة النبوية الكريمة. فعن السحاق بين النساء يقول النبى صلى الله عليه وسلم : {السَّحَاقُ بين النساء زنا بينهن} (1). وعن اللواط يقول سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم :{من مات من أمتى يعمل عمل قوم لوط نقله الله إليهم حتى يحشر معهم}

..[2]

ومن المعروف أن قوم لوط كانوا يمارسون هذا العمل، يأتى الرجل إلى الرجل فيمارس معه الجنس ويترك كلاهما زوجته. وقد عاقبهم الله عقابا جماعيا جزاء ممارستهم جريمة اللواط.. إذ أرسل الله تعالى لهم جبريل عليه السلام فرفع قريتهم على جناحه إلى عنان السماء ثم هوى بها إلى الأرض بعد صيحة مدوية مرعبة منه عليه السلام. وقال فيهم سبحانه:{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾} [الحجر: ٧٣ - ٧٤]. وكان هذا العذاب لقوم لوط بعد أن أنذرهم لوط عليه السلام بأنهم سيعاقبون على فعلهم الفاحشة وذكرهم بما يفعلون

---

(1) رواه الطبرانى ص86 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشـيخ السـيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه الخطيب عن أنس ص 148 من المصدر السابق.

ويقول الله تعالى في ذلك: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١)} [الأعراف: ٨٠ - ٨١]. ولو عالجوا أنفسهم وتحببوا إلى نسائهم ما فعلوا تلك الفاحشة التي عوقبوا على فعلها..

أما من يلجأ من الأفراد إلى الحلول غير الإسلامية لمشاكل الجنس. ولا يحاول تصفيتها مع زوجته بالطريقة التي أشرنا إليها - فإنه يدخل نفسه وزوجته وأهله وأقاربه - في دائرة الخطر. حيث يلجأ إلى الاتصال الجنسى غير المشروع بامرأة غير زوجته. فيكون بذلك عرضة للإصابة بأمراض خطيرة. ويعرض زوجته لنفس الخطر علاوة على إثمه وعقابه على فعل الفاحشة يوم القيامة. ومن حسن الحظ أن هؤلاء الذين يعرضون أنفسهم وأسرهم للإصابة بهذه الأمراض قلة قليلة من المسلمين غير الملتزمين بتعاليم الإسلام وإرشاداته في مجال الجنس، وفى غيره من مجالات الحياة، وهم كثرة كثيرة من غير المسلمين التواقين إلى الحرية المطلقة في المجال الجنسى..

فالإيدز الذي ينتج عن الشذوذ الجنسى بين الرجال وعن الاتصال الجنسى غير المشروع بين الرجل وغير زوجته - أصيبت به مجتمعات كثيرة في الدول غير الإسلامية التي لا التزام فيها بمبادئ وتوجيهات الإسلام وأصيبت به قلة قليلة من أفراد المجتمعات الإسلامية غير الملتزمين بمبادئ الإسلام وأخلاقياته. ومن تلك الأمراض أيضا بعض الأمراض السرية القاتلة، ومن أهمها السيلان. وهو أول ما يبتلى به الفاجر الذي تحلو له فروج النساء غير زوجته. وهو قرحة في الفرج لا تجف، ولا يسلم من أذاها الفاجر إلا نادرا. وهذه العاهة تتلف

الكبد والمثانة والخصيتين وغيرها من الأعضاء، وتسبب وجع المفاصل وأمراضا كثيرةأخرى[1].. ومن هذه الأمراض الزهرى. وهو مرض يفسد نظام الجسم كله. فلا يبقى في الإنسان عضو غير متأثر بسمومه وآذاه. وينتقل من المريض إلى أولاده وأحفاده[2]. وبذلك يسهم المريض المصاب به في إيجاد جيل من ذوى العاهات الدائمة.. والأولاد الصم والبكم والعمى والمجانين من أحط ثمرات ساعات اللذة القلائل غير الشرعية التي يعدها الأب الظالم لنفسه ولأهله من أسعد أوقات حياته[3]. بل إن من ثمرات هذا الاتصال غير الشرعى الابتلاء بالأخلاق الوضيعة، كالوقاحة، والخديعة، والكذب، والأثرة، والخضوع للشهوات وجموح النفس وشرود الفكر، وفساد الطبع، وقلة الوفاء. وكلها تنتج عن التورط في شئون جنسية غير شرعية. فتنقل العدوى بهذا المرض، الأخلاق المتدنية ونماذجها السابقة؛ لتصيب بها الأخلاق العالية الرفيعة وتقللها في المجتمع. فنسأل الله السلامة[4].

وكانت تنتشر في الجاهلية أنواع متعددة من الزواج كزواج الرهط وزواج الاستبضاع وزواج الأخدان وهى تتضمن نفس الخطر الذي تحدثنا عنه. وتبقى الصورة المألوفة في الزواج وهى الزواج الشرعى الإسلامى الذي يحمى الطرفين والأسرة من كافة الأخطار الصحية المحدقة بها، على أن يتبع به الأسلوب الإسلامى في الزواج..

---

(1) ص28 من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السعيد الشرقاوى - الطبعة الثانية 1986 ببعض التصرف.
(2) نفس الصفحة من المصدر السابق.
(3) نفس الصفحة من المرجع السابق.
(4) بتصرف من ص29 من نفس المرجع.

وحتى يقل التنافر بين الزوجين وينعدم، ننصح بالأخذ ببعض التوجيهات التي عرضها أحد الباحثين في مجال العلاقة الجنسية بين الزوج وزوجته. ونشير إلى أهمها في إيجاز وقد عرضنا لها فيما سبق[1]:

أولا: لكل من يحرص على الإنجاب عليه ألا يعزل أو ينزع قبل الإنزال. ثانيا: يجب على الزوج ألا ينزع إذا أنزل حتى تنزل زوجته؛ لأنه عمل مشترك بينهما. ثالثا: لابد من معرفة الزوجة ورضاها قبل الممارسة. فلا يأتيها زوجها بغير رضاها ولا بطريقة مفاجأة. رابعا: يحرم على الزوج أن يأتى زوجته ويجعل بين عينيه في مخيلته غيرها وكأنه يجامع تلك الأخرى التي ليست زوجته ففى ذلك إثم كبير.

وهناك توجيهات أخرى لغير هذا الباحث نذكر منها: أولا: يجب ألا يتجرد الزوجان من ملابسهما كما يدعى البعض فهما إن فعلا ذلك يشبهان العيرين اللذين يمارسان عملية الجماع. وفرق بين الإنسان والحيوان كبير وواضح. والله تعالى أحق أن يستتر منه عباده.. وقد ورد في الخبر: " إذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردان تجرد العيرين " [2]. ثانيا: المداعبة مطلوبة قبل المواقعة. وقد ورد ذلك في قول النبى عليه الصلاة والسلام:{لايقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، ليكن بينهما رسول. قيل وما الرسول؟ قال:{القبلة والكلام} (3). وقول النبى صلى الله عليه وسلم :{ثلاث من العجز عند الرجل: أن يلقى من يحب معرفته فيفارقه قبل أن يعرف اسمه ونسبه، والثانى أن يكرمه أحد فيرد عليه كرامته،

---

(1) بتصــرف من ص 141 إلى ص146 من كتاب الزواج الإســلامى - تأليف طارق إســماعيل كاخيا - الطبعة الأولى ص1966.

(2) ص92 من كتاب الزواج الإسلامى وآداب اللقاء بين الزوجين - للشيخ أبى حامد الغزالى - تحقيق محمد عثمان الخشت عام 1984 ميلادية.

(3) رواه أبو منصـور الديلمى في مسـند الفردوس من حديث أنس ص133 من كتاب الإســلام والحياة الزوجية - عثمان السعيد الشرقاوى.

والثالث: أن يقارب الزوج زوجته فيصيبها قبل أن يحدثها ويؤانسها، ويضاجعها، فيقضى حاجته منها قبل أن تقضى حاجتها منه} [1].

وغالبا ما يكون التوافق في عملية الجماع بين الزوجين مدخلا إلى التوافق بينهما في سائر العلاقات والعكس صحيح أيضا.. ومن أمثلة ذلك: تلك الفتاة التي تزوجت من شاب رأت قبل الارتباط به أنه هو المناسب لها. حيث لم يظهر منه ما يحتمل أن يعكر صفو الحياة الزوجية. لكنها اكتشفت بعد فترة من الزمن، أنه غير صالح للإنجاب لخروج حيواناته المنوية إلى الرحم وهى ميتة، أى أنه كامل العقم.. فندبت حظها. لكنها كانت من جهة أخرى غير ملتزمة بآداب الإسلام وتوجيهاته في الحياة الزوجية والحياة بصفة عامة فكانت تغافله وترتمى في أحضان رجل آخر، لعلها تنجب منه. فصارت تمقت الحياة الزوجية وتمقت نفسها وتريد أن تتخلص من هذا الكابوس الذي تعيش فيه. وكانت تعبر عن سخطها من الزواج فتقول: " تستحق الضرب بالحذاء من تفكر في الزواج من البنات والنساء " وهكذا ابتعدت عنها وعن زوجها السعادة التي تتواجد في جو يسوده السكن والمودة والرحمة بين الزوجين ويسيطر عليه الأمل في الإنجاب.. وينتهى الأمر بافتراق الزوجين. حيث لا أمل في حياة كريمة سعيدة...

وقد يزداد الاضطراب والقلق النفسى بين الزوجين عن الحد الذي يمكن السيطرة عليه، فيأخذ أشكالا شاذة وغير مألوفة في المجال الجنسى. فقد يهيئ للزوج خياله المضطرب، أنه لن يستطيع أن يجتاز عملية الجماع بنجاح إلا إذا فعل هو أو زوجته أمرا يدل على الغرابة. وقد ورد في هذا المجال أن زوجا انتابته موجة من الاضطراب النفسى، فكان يهيأ إليه أنه لن يجامع زوجته بنجاح إلا إذا ضربته بالحذاء أو ضربها هو بالحذاء، وكثيرا ما كان يأمرها أن تضربه بالحذاء حتى يستطيع أن يجامعها.. لكن المؤكد أن هذا الشذوذ في التعامل الجنسى بين الزوجين يحدث عادة في حالة عدم التزامهما بتعاليم الإسلام في الأمور

---

(1) نفس الصفحة من المرجع السابق.

الجنسية.. كما يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن نجاح الزوجين في تسيير بقايا نواحى حياتهما الزوجية يؤدى في الغالب إلى سيطرتهما على المجال الجنسى. حيث يكون الاضطراب الجنسى غالبا أمرا نفسيا يمكن علاجه كما سبقت الإشارة إلى ذلك...

ثامنا: الغيرة:

الغيرة سلوك نفسى ينشأ عن شدة الحب لشخص معين لرغبة صاحب هذا السلوك في أن يكون الطرف المحبوب خاصا به لا يملكه ولا يسعد به غيره. وينشأ عادة بين الزوجين.. لكن هذه الغيرة تأخذ أحيانا طريق المبالغة غير المقبولة.. وعلى ذلك فهى نوعان: غيرة مصحوبة بريبة أو تشكك في التزام الطرف الثانى بنفس الشعور الموجود عند الطرف الأول.. وهى الغيرة التي يحبها الله ورسوله. والواجب فيها أن يَبحث جانب الشك ويتوصل فيه إلى رأى قاطع بالإيجاب أوالسلب، ثم يعالجه إن كان موجبا. وغيرة غير مصحوبة بشك أو ريبة من الطرف الشاك وهى التي يكرهها الله ورسوله؛ لأنها تنشئ صراعا بين الزوجين بغير دليل أو سند شرعى. وقد تعصف بالحياة الزوجية وتقتلعها من جذورها. فينتهى السكن والمودة والرحمة، وتنتهى معها الحياة الزوجية.. حيث يتشكك الزوج أو تتشكك الزوجة في سلوك زوجها وفى استمرارية حبه لها. والإسلام يوجب الروية والتأنى والبحث عن الحقيقة. فإذا وصل الأمر من الزوج مثلا إلى حد شبه التأكد من تغير سلوك زوجته بغير سند أو دليل

شرعى أو شهود لإثبات ذلك بطريقة شرعية - فالإسلام هنا يحكم بالملاعنة بينهما ثم بافتراقه عنها بغير رجعة. وقد وردت صورة اللعان في قوله تعالى:{وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدۡرَؤُاْ عَنۡهَا ٱلۡعَذَابَ أَن تَشۡهَدَ أَرۡبَعَ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلۡخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾} [النور: ٦ - ٩].

. وحتى لا يصل الأمر إلى هذا الحد المدمر للحياة الزوجية بغير سند أو دليل شرعى - يعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيرة بنوعيها منبها ومحذرا للغيارى من أمته فيقول صلى الله عليه وسلم :{من الغيرة ما يحب الله ومنها ما يكره، فأما ما يحب الله فالغيرة في الريبة، وأما ما يكره فالغيرة في غير ريبة} [1]..

فالغيرة من غير ريبة هى التي تسير في طريق المبالغة غير المقبولة. ومن أجل ذلك لا يحبها الله ورسوله. إذ ليس لها ما يبررها ولا تتواجد معها أدلة شرعية تستدعى تواجدها. والأولى بمن يصاب بها أن ينصرف عنها إلى شئ مفيد.. وقد سبق لنا الحديث عنها وذكر أمثلة لها.. وأفضل مثال نذكره هنا على سبيل التذكرة تلك الغيرة التي كانت تتواجد وتظهر أحيانا من أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة حبها له ورغبتها في ألا تتملك قلبه غيرها. فكانت رضى الله عنها تغار عليه من بقية زوجاته رضوان الله عليهن أجمعين.. وفى كل مرة تمارس هذه الغيرة كانت رضى الله عنها تنتهى إلى أن غيرتها ليس لها ما يبررها.. وكانت أشد نوبات هذه الغيرة ما حدث منها ليلة النصف من شعبان. عندما خرج صلى الله عليه وسلم من عندها لابسا ملابسه بعد أن خلعها. وكانت ليلتها رضى الله عنها. فقد ظنت أنه خرج ليذهب إلى زوجة أخرى من زوجاته. فخرجت وراءه

وتابعته عن بعد فإذا هو يقف عند البقيع، ويدعو لأهله من الأموات امتثالا لأمر ربه عز وجل في هذه الليلة.. وعندما رأت وعلمت حقيقة هذا الأمر رجعت مسرعة إلى الدار حتى لا يراها. وازدادت لسرعتها في المشى سرعة ضربات قلبها وتتابعت أنفاسها. وما كادت تدخل حتى دخل وراءها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلاحظ نفسها الزائد وسألها عن سببه. وأخذ يناقشها في هذا السلوك الناتج عن الغيرة. ويوضح لها أنه سلوك شيطانى يجب

---

(1) رواه ابن ماجة عن أبى هريرة 643/1. وأقرأ ص474 من كتاب منهج السـنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

أن تترفع عنه أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها لأنه لايستند إلى دليل شرعى(1). حيث لا محل ولا مجال للتشكك في أى عمل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أى جانب من جوانب الحياة.

أما الغيرة المصحوبة بريبة وشك فعلى صاحبها الذي أحس بها أن يتأكد من سببها ويثبت صحة شكوكه أو عدمها. وإذا كان الطرفان صالحين، فعلى المتشكك منهما أن ينصح الطرف الآخر وينبهه إلى أن ما يفعله يثير في النفس الشكوك، فعليه ألا يفعل ذلك؛ حتى لا تتأثر العلاقة بينهما بسببه. ولاشك أن الطرف المتسبب في هذا الشك سيستجيب للنصيحة ويقلع عن هذا الفعل المثير للشك، وخصوصا إذا كان بريئا مما ينسب إليه.. وكم من زوج ارتاب في زوجته نتيجة قول أو فعل صدر عنها دون قصد. ثم اتضح له بعد ذلك أنها شريفة عفيفة محافظة على حصانتها.. وكم من زوجة ارتابت في زوجها نتيجة قول أو فعل صدر عنه دون قصد ثم اتضح لها أنه شريف عفيف، محافظ على عرضه وشرفه. ومثال الشك الذي لا محل له ولا فائدة من ورائه: ذلك الشاب الذي تزوج من فتاة فائقة الجمال. وكان عليه من البداية أن يوجهها ويرشدها إلى أن تتحجب أوتتنقب حتى لا تخرق جسدها سهام نظرات الرجال والشباب. وقد أمرت الشريعة الإسلامية بذلك خصوصا إذا خافت المرأة

الفاتنة أن تفتن الرجال أو يفتتنوا بها.. لكن زوجها المفتون بجمالها لم يفعل ذلك. بل لجأ إلى طريقة غير شرعية، فعندما وجد أنظار الرجال والشباب مصوبة إلى جسمها الفتان، ووجهها الجميل - منعها من الخروج وازداد في الخطأ فمنعها من النظر من النوافذ،

---

(1) وردت الرواية كاملة في صحيح مسلم كتاب الجنائز. وسنن النسائى في كتاب عشرة النساء باب الغيرة. واقرأ منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور - ص 458، ص459.

والوقوف أو الجلوس في شرفة المنزل. ومن الطبيعى ألا يُنهى إجراءه المتعنت مشكلة النظر إلى زوجته، بل إنه زاد الأمر حدة. ولم تطق الفتاة هذا السجن في منزل الزوجية فلجأت إلى أبيها كى يحل لها مشكلتها. لكن قلة وعيه ووعى أسرته وقلة وعى الفتى وزوجته الدينى، وجهلهم برأى الشريعة الإسلامية في إنهاء هذه المشكلة كان هو الغالب. فلم يهتد أحد منهم إلى هذا الحل الشرعى وهو الحجاب والنقاب. بل إن أحدا منهم لم يستسغ هذا الحل لبعدهم جميعا عن الأخذ بمبادئ وتوجيهات الشريعة الإسلامية.. ولم تجد الفتاة بدا من طلب الطلاق. وضاعت سعادة الأسرة المنشودة من الزواج بضياع السكن والمودة والرحمة التي لايتواجد منها شئ إلا في ظلال الأخذ والعمل بمبادئ الشريعة الإسلامية وتوجيهاتها. فغيرة الزوج هنا غير محمودة لأنه لايستطيع في الواقع منع الناس من النظر إلى زوجته إلا إذا لجأ إلى الحل الإسلامى وهو الحجاب والنقاب. ولو نصحها به لانقلب القلق إلى سعادة ولامتلأ بيته سكنا ومودة ورحمة لكن الجهل بتوجيهات الإسلام غلب عليه وعلى زوجته - وأسرتيهما - فلم يقبلا حل الشريعة الإسلامية. وانتهى الأمر بالانفصال المحتوم نتيجة غيرة لا أساس لها ولا مبرر...

تاسعا: التفريق بين الأبناء والبنات في التعليم والمعاملات المختلفة:

قد يقع الآباء والأمهات في خطأ كبير، فلا يسوون بين أبنائهم وبناتهم في إتاحة الفرصة للتعليم الدينى. ويغفلون عن استيفاء بعض حقوقهم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. وينتج ذلك غالبا عن قلة وعى الآباء بمبادئ وتعاليم الشريعة الإسلامية العادلة، التي تحفظ

للأبناء والبنات حقوقهم عند آبائهم وأمهاتهم. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول:{كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته} (1). الحديث. وقد مر إثباته وشرحه..

---

(1) متفق عليه عن ابن عمر ص112 من كتاب مختار الأحاديث النبوية - للمرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى.

والمسئول هنا هو الأب باعتبار قوامته على الأم وعلى الأسرة. فينبغى عليه أن يحصل على الخبرة في هذا الموضــوع من ذوى الخبرة فيه، إذا لم يكن عنده وعى بذلك. والأم شريكة له في المسئولية. وخصوصا إذا كانت متعلمة ومثقفة ومدركة لأهمية ذلك. وأهم حقوق الأبناء والبنات لدى والديهم هو التعليم. وأول ما يحرص الإســلام على أن يتعلمه الأبناء والبنـات هو القرآن الكريم، تلاوة وتعلما، وحفظـا، وفهما لعلومـه المتعـددة من توحيـد وفقه وتفسير وحديث وتجويد.. وتتم تلاوته وتجويده وتحفيظه على يد متخصصين فيه أو من عندهم خبرة في هذا المجال.. وتتم دراســة التوحيد والفقه والتفســير والحديث بواسـطة المتخصـصين في هذه العلوم. ويسـتطيع الأب العارف بهذه العلوم أن يدرسـها لأبنائه وبناته دون تفرقة بينهم. وليكن معلوما للآباء والأمهات، أن مرحلة الطفولة يسهل فيها تحفيظ القرآن الكريم وتلاوته مجودا، على يد متخصص أو عارف بذلك.. كما يسهل أيضـا في هذه المرحلة فهم القرآن الكريم ودراسـته بصـفة عامة، وبطريقة مناسـبة لسن الإبن والبنـت وربنـا الكريم ســبحانه يقول:{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾} [القمر: ١٧][1]. وفى الآية الكريمة تنبيه للآباء والأمهات الذين يميلون ويصرون على تعليم أحـد أبنـائهم وتحفيظـه القرآن الكريم - دون بقيـة أولادهم وبناتهم، مع أن الله العلى القدير قد يسر ذلك لمن يريد من الناس جميعا، رجالا كانوا أم نساء وصغارا كانوا أم كبارا.. وعلى الأب كما ســبق أن قلنا، إذا لم يســتطع أن يَحفِّظ القرآن الكريم ويَفهِّمهَ ويَدرِّسـهَ لأبنائه وبناته بنفسـه - أن يستعين بالمتخصصين في ذلك.. هذا بخصوص القرآن الكريم وعلومه المتعددة..

---

(1) المدكر: الخائف المتعظ.

أما في مراحل التعليم ونوعيته، فأشير إلى خطأ آخر يقع فيه كثير من الآباء والأمهات. وهو أنهم يختارون لأبنائهم وبناتهم نوعية التعليم التي يريدونها لهم، دون الرجوع إلى مدى استعداد هذا الابن أو ذاك للتخصص الذي رشحه له أبوه. فبعض الآباء يختارون لأبنائهم وبناتهم التعليم العام، على حين يكون استعداد بعضهم وميله مثلا إلى التعليم الزراعى أو الصناعى أو التجارى. والأب الواعى المدرك لمسئوليته عن ذلك الاختيار يدرس ميول كل ابن من أبنائه - وكذلك كل ابنة - ويلحقه بما يميل إليه ويسهل عليه السير فيه بتفوق. وإذا لم يستطع فعليه أن يستعين بذوى الخبرة في ذلك لتحديد نوعية التعليم اللازم لكل ابن وابنة من الأبناء والبنات.. وكذلك الأمر بالنسبة للتعليم الدينى..

أما بخصوص القرآن الكريم ووجوب تعليمه للأولاد والبنات قبل أى تعليم - فيجب أن أنبه إلى أن تخصيص الأب لابن من أبنائهِ أو بنت من بناته ليعمله القرآن الكريم ويحفظه إياه دون بقية أبنائه وبناته - خطأ كبير من الأب. إذ أنه لامجال للاختيار في هذا الشأن فمن المفروض أن يحفظ كل الأولاد والبنات القرآن الكريم، ويتعلمون تلاوته تلاوة مجودة. فليبدأ الأب مع كل منهم بنين وبنات. وما لا يدرك كله لا يترك كله. فإذا لم يستطع الأب القيام بهذه المهمة لسبب أو لآخر فعليه أن يخبرهم عند كبرهم أن الواجب الأول على الأولاد والبنات هو تلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة وحفظه ودراسة علومه المتعددة. وهذا أقل ما يجب على الأب إذا أخفق مع أبنائه وبناته في القيام بهذا الواجب، ليزيح عن كاهله بعض المسؤولية عن هذا الأمر..

ومسألة تخصيص أحد الأبناء والبنات بحفظ القرآن الكريم دون غيره من الأبناء والبنات، أو التحكم دون دراسة ونظر في مصير الأبناء ودون علم بميولهم في نوع التعليم المناسب لهم - تترك أثرا سيئا في نفوس الأبناء والبنات، وتترك ظلالا قاتمة قد تحجب السعادة عن الأبناء والبنات طوال فترة التعليم. وحتى بعد تخرجهم بفترة طويلة. وهذا بدوره يؤثر على جو السعادة في الأسرة والاستقرار فيها بالسلب في أحيان كثيرة، وعلى الأقل خلال فترة التعليم..

وليس التمييز من بعض الآباء لأحد أبنائهم على حساب الآخرين - قاصر على التعليم. فقد يهب الأب ابنا من أبنائه عطية لسبب من الأسباب، كأن يكون متميزا في عين أبيه لوجه أو لآخر دون بقية إخوته. فيخصص له أبوه عطية كقطعة أرض أو منزل أو شقة ناسيا أن ذلك يقضى على أواصر المودة والمحبة بين الأخ وإخوته وبين الأب وبقية أبنائه، ويقطع صلة الرحم بينهم. والإسلام يمنع هذا التمييز والتخصيص؛ حتى لايسود الغل والكراهية بين أبناء الرجل الواحد في الأسرة الواحدة، وتتقطع صلة الرحم بينهم من أجل عطية دنيوية زائلة. وقد أشرنا سابقا إلى قصة النعمان بن بشير مع أبويه وإخوته. وأن النبى صلى الله عليه وسلم رفض عطية بشير لولده النعمان ولم يشهد عليها. وقال له:{اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم} فرجع بشير وَرَدَّ الصدقة التي كان قد خصصها لولده النعمان تنفيذا لأمر النبى صلى الله عليه وسلم. وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال للنعمان:{أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء}. قال: بلى. قال:{فلا إذن} [1]. وفى هذا حرص من النبى صلى الله عليه وسلم على أن تبقى العلاقة بين البشير وسائر أبنائه وبين النعمان وإخوته بعيدة عن القطيعة التي تضفى نوعا من الكآبة على الأسرة بدلا من الود والوصال..

وإذا كان هذا التمييز قد حدث من بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورده الرسول الكريم ورفضه كما قدمنا - فإنه يحدث في أيامنا هذه الكثير والكثير من هذه الأنماط من التمييز غير الشرعى... فهذا أب قد تعلم تعليما متوسطا. وبعد أن تزوج وأنجب بنين وبنات ميز أصغر أبنائه عليهم جميعا. وكان هذا التمييز يظهر بين الحين والحين على شكل كلمة أو فعل أو منحة بسيطة، فقد كان فقيرا. واستمر الأب في لعبة التمييز وبرع فيها، فميز في مرحلة لاحقة الأخ الأكبر على بقية إخوته، وعمله القرآن الكريم، ووجهه إلى التعليم الدينى، دون بقية أبنائه ظنا منه أن هذا الولد هو فقط الذي يستطيع أن يسير في

---

(1) هامش ص466 من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

هذا الاتجاه. أوْ لاعتقاده أن هذا أسلوب الرجال الناصحين في تربية أولادهم وبناتهم. فهو يستطيع حسب هذا الظن أن يصنع من أولاده وبناته تشكيلة ظريفة؛ فهذا دكتور، وهذا شيخ، وهذا مدرس، وهكذا دون أن يدرس ميولهم ويوجههم حسبها الوجهة الصحيحة، كما سبق أن بينا. وتدور الأيام، ويكتشف الرجل أن ابنا آخر من أبنائه كان يمكن أن يسلك طريق التعليم الدينى بنجاح. وأن ولده الأصغر الذي أراده أن يكون طبيبا ليس عنده استعداد لهذا الاتجاه. فيندم حين لا ينفع الندم. لكن الأب يستمر في تمييزه فيمنح أحد أبنائه صكا بنصيبه من ميراث زوجته الذي أصبح حقا يوزع على الجميع كل حسب نصيبه. ويستمر في تمييزه الذي برع فيه فيمنح ابنا له سيكون له نصيب من الميراث - وصية بربع ممتلكاته - مع أن الجميع يعرف أنه لا وصية لوارث. وهكذا برع الأب في إثارة التشاحن والتباغض بين أبنائه بعضهم مع بعض وبينه وبين بعض أبنائه وبناته فاستحال بيت الأسرة إلى موطن للصراعات والبغضاء والكراهية. وانفرط عقد الأسرة الإسلامية التي أراد الإسلام أن يتلألأ بالسعادة والاستقرار في ظل السكن والمودة والرحمة بين الزوجين أًّوَلاً وبين بقية أفراد الأسرة ثانيا. لقد أضاع هذا الأب أسرة كاملة صارت كأنها مجموعة من الأسر لا سعادة فيها ولا رابط يربطها وذلك بفعل التمييز الذي برع فيه بين الإخوة حتى صاروا غرباء عن بعضهم بسبب سوء تصرفه...

عاشرا: تعطيل نقل ملكية الأخت الوارثة أو جزء منها إلى أبنائها وبناتها:

من أسباب التعثر في توفير السعادة بين أفراد الأسرة وسريانها بينهم - ما يحرص عليه ويتمسك به بعض الآباء وأبناؤهم من بعدهم بتصورهم أن ملكية الأسرة من الأموال والعقارات والأراضى ونحوها، يجب عدم نقلها إلى أسرة أخرى بعد موت رب الأسرة. وهم يزكون هذا التصور بالعمل على تحقيقه. فيحاولون حرمان بناتهم من ميراثهن أو بعضه أو يحاولون إبطال أو تعطيل نقل ملكية البنت من ميراث أبيها بوسائل شتى لتعطيل تصرفها في حقها الموروث طبقا لما تقرره الشريعة الإسلامية وينظمه القانون المعمول به..

ومن الوسائل التي يلجأ إليها بعض الإخوة في تعطيل تصرف أخواتهم في نصيبهن من الميراث -

الجور في القسمة وحصر نصيب البنت وجعله وسط أنصبة إخوتها الذكور وإنقاص نصيبها بطريقة أو أخرى عما هو مقرر شرعا.. وغالبا ما يترك الأب هذا الموضوع يتصرف فيه الأبناء بعد موته كما يروق لهم الأمر. ومحاولة الأبناء إنقاص أنصبة أخواتهم تصرف غير شرعى. والأب الحريص على أن يبره أبناؤه وبناته بعد موته - يحرص على حسم هذا الأمر في حياته إذا توقع شرا أو خروجا على النظام الإسلامى في قسمة التركة بعد موته. والإسلام يقره في هذا التصرف ما دام يحرص على العدل بين أبنائه وبناته دون ميل إلى أحدهم، وعلى أن تبره ذريته جميعها ذكرانهم وإناثهم.. وهو بهذا يمنع أبناءه من الجور على بناته ويمنع ما قد يحدث بينهم من تشاحن وتباغض وقطيعة للرحم بعد موته.. والأبناء بجورهم على أخواتهم البنات في القسمة يشبهون أبناء الجاهلية الذين كانوا يحرمون المرأة من الميراث ومن الحصول على كل حقوقها المشروعة. كما يحاول بعض الأبناء اليوم ذلك بصورة من الصور. فإذا تزوجت الابنة من غير عائلتها ومن غير أقاربها فإن ورثة أبيها بعد موته يتحايلون في قسمة ميراث أبيهم، بحيث يبخسون هذه البنت حقها أو بعض حقها من ميراث أبيها. وذلك عن طريق إخفاء ما يثبت حجم الميراث الحقيقى. وقد يتعمدون إخفاء جزء منه ليبخسوا البنت حقها.. ويرجع ذلك إلى قلة الوعى الدينى عند هؤلاء المتحايلين، وعدم إحاطتهم بمبادئ الدين الإسلامى وإرشاداته العادلة، التي تحفظ للبنت حقها من ميراث أبيها، والتى تحذر من تسول له نفسه إخفاء ميراثها أو جزء منه ليبخسها حقها فيه. ويقول أصدق القائلين سبحانه لهؤلاء الطامعين في حقوق الغير:{تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾} [النساء: ١٣ - ١٤]..

ومن يمعن النظر في أحكام الميراث في الشريعة الإسلامية - يجد العدالة السماوية واضحة في قسمة الميراث بين الرجال والنساء. فقد راعت شريعة الإسلام العادلة، أن الرجل هو المسئول عن رعاية أسرته والإنفاق عليها وتحقيق متطلباتها وسعادتها. والمفروض والمتبع شرعا أنه

هو الذي يعمل ويكد ويتعب ليغطى نفقات زوجته وأولاده وبناته، وما يلزم بيت الزوجية. راعت الشريعة الإسلامية كل ذلك فضاعفت من نصيب الرجل من الميراث ليناسب ذلك تعبه وكده والتزاماته نحو أسرته. فجعلت للذكر من الميراث مثل حظ الأنثيين. ويقول الحق تبارك وتعالى في ذلك:{يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ} الآية [النساء: ١١].. ومادامت الشريعة الإسلامية قد أعطت للولد حقه من الميراث مراعية دوره في الحياة الأسرية والزوجية - فلا داعى إذن لالتفافه حول نصيب أخته والطمع فيه؛ لأن ذلك ظلم للبنت التي منحها الله عز وجل نصيبها من الميراث وجعله نصف حق أخيها. ففى بخسها حقها ظلم يترتب عليه مشاكل عديدة وقطيعة للرحم وقطع لصلات الود والتحاب بين الناس.. وكما أنصفت الشريعة الإبن أنصفت أخته أيضا فجعلت من حقها التمتع بهذا النصيب وأطلقت لها الحرية في ذلك. فلها أن تتصرف فيه بكامل حريتها دون ضرر شرعى لأحد من إخوتها الذكور أو أقاربها المستفيدين من هذا الميراث.. ومن يتسبب في إنقاص نصيب أخواته البنات من ميراث أبيهم، يتسبب في ضياع فرص الاستقرار الأسرى، وفى حدوث الفرقة والتشاحن والتباغض بينه وبين أخواته البنات، وفى قطع صلة الرحم التي وصلها أبوهم قبل ان يموت.. وبذلك تتلاشى المودة والرحمة ويتلاشى السكن الذي أوجده الأبوان ليظلل هذه الأسرة ويسعدها.. وتتلاشى مع كل ذلك أسباب السعادة بين أفراد الأسرة من بنين وبنات بعد موت والديهم. وكل ذلك بسبب طمع الإخوة في نصيب أخواتهم مما يتسبب في وجود أسباب للقطيعة بين هؤلاء الأبناء الطامعين وبين أخواتهم وأولادهن.

وكل ذلك مخالف لتعاليم الإسلام وآدابه التي تدعو إلى الوفاق والاتفاق بدلا من الاختلاف والتفرق بين أفراد الأسر الإسلامية. وخصوصا تلك الأسر التي توجد بينها مصاهرة. وتختفى السعادة التي ينشدها الإسلام من وراء الزواج بسبب أطماع لا أساس لها ولا سند من القرآن الكريم والسنة النبوية المباركة.. ولو حسم الأب هذا الأمر قبل موته كما قدمنا لأراح نفسه وأراح عائلته، وعمل على استقرارها في ظل مبادئ الشريعة الإسلامية قرآنا وسنة...

حادى عشر: محاولة التدخل في شئون الزوجين من جانب الأهل: من الطبيعى أن تبدأ الحياة بين الزوجين بداية طيبة، وأن تستمر هكذا - طالما كان اختيار كل منهما لصاحبه موفقا، قائما على الأسس التي سبق ذكرها في الاختيار. وطبيعى أيضا أن ينطلق الزوجان في تدعيم بناء أسرتهما الجديدة في جو من الصفاء والتفاهم، والود والتسامح والتراحم المتبادل. وأن يسيرا نحو تقدم هذه الأسرة الناشئة، وتنميتها في جميع النواحى: الدينية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وفى علاقتها بأسر الأقارب والجيران..

ولكن قد يحدث ما لم يكن في الحسبان؛ فيحاول أهل الزوج أوأهل الزوجة التدخل بطريقة غير مشروعة في حياة الزوجين الجديدين، ليعكروا صفو عشهما الهادئ. وقد لا يقصد أهل الطرفين أو أحدهما ذلك.. لكن الشئ المؤسف أن يتصور أهل الزوج أن باستطاعة ابنهم أن يظل تابعا لهم في طريقة عيشه بعد استقلاله ببيت الزوجبة الجديد - حتى لو كان معهم تحت سقف واحد. وأن تظل طريقته في العيش مع زوجته خاضعة لآرائهم وتصوراتهم. ويصرفون النظر عن وضعه الجديد، كرب أسرة مستقلة ناشئة، لها طريقتها الجديدة في العيش، ولها استقلاليتها بعيدا عن أهله، مع الحفاظ على علاقته الطيبة معهم.. وكذلك الزوجة يمكن أن يعكر صفو عيشها محاولة أهلها التدخل في شئون أسرتها الجديدة واستمرار إخضاعها لما قبل مرحلة الزواج، مع صرفهم النظر عن أسرتها الجديدة الناشئة بالزواج، والتى استقلت وصارت لها سياستها الخاصة في تسيير شئونها غير المعادية لأسرتها التي ولدت ونشأت فيها، حتى تزوجت..

فمحاولة التدخل بين الإبن وزوجته كعائلة مستقلة - من جانب أهله وأهلها - تكون نتيجته صراعا مؤكدا بين الزوج وأهله من جانب وبين الزوجة وأهلها من جانب آخر، لاختلاف الرؤى في بعض أو كل أوجه الحياة الجديدة. ولو تركهما أهلهما لنعما بالاستقرار والسعادة والهناء ولشكر كل منهما فضل أهله عليه.. ونتيجة لهذا الصراع لايحس الزوجان صاحبا العش الجديد باستقرار ولا سعادة. بل تفقد حياتهما الجديدة لونها الزاهى. فلا سكن ولا مودة ولا رحمة، بل خلافات ومنازعات ومشاحنات ليل نهار؛ بسبب تدخل أهل كل منهما

أو أحدهما في حياتهما الخاصة بغير حق..

على أن الزوجين بتصرفهما اللبق الراقى في الأزمات وتعقلهما واستقلالهما في أخذ القرار - يستطيعان امتصاص كل أزمة، والقضاء على كل صراع أو خلاف يظهر بين أسرتيهما.. وهذه الاستقلالية في القرار لصلاح الأسرة الناشئة لا تعنى فك الارتباط بين الزوج وأسرته والزوجة وأسرتها. بل تعنى تعقل الزوجين وحسن تصرفهما واستقلالية قرارهما لتظل علاقة كل منهما بأسرته طيبة طبيعية، وتظل كذلك علاقة كل منهما بأسرة الآخر طيبة وطبيعية، خالية من محاولات التدخل في شئون أسرتهما الناشئة..

أما في حالة ميل كل من الزوجين إلى الأخذ بتعليمات أسرته، والسير في حياته الجديدة مع زوجته تبعا لميول أسرته التي لا يراعى فيها استقلالية أحوال الأسرة الجديدة الناشئة، وخضوعها لمفاهيم جديدة لا دخل لها بحياة أسرة كل منهما - فإن ذلك معناه أن تكون الأسرة الجديدة الناشئة بعيدة عن الاستقرار، وعن السعادة وعن السكن والمودة والرحمة، لاختلاف وجهات النظر في المسائل المتعددة وما يتبعها من مشاحنات وخلافات. وقد يعجل ذلك بانتهاء هذا الرباط الأسرى الناشئ، فتموت العلاقة الزوجية الناشئة التي خنقتها المشاحنات والخلافات والخصومات لتدخل أهل كل منهما في حياتهما. ولا يجد الطرفان في النهاية بدا من الافتراق..

فليقتد كل طرفين تنشأ بينهما علاقة زواج، بما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، حينما اختلفت ابنته فاطمة الزهراء مع زوجها على ابن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه. فلم يحاول النبى صلى الله عليه وسلم التدخل لصالح ابنته فاطمة، وكان يستطيعع أن يفعل ذلك، لكنه آثر عدم التدخل في شأن يخصهما. وعندما دخل على ابنته وهى غاضبة من زوجها في بيتها، ذكرها بعلاقة القرابة بينها وبين زوجها، والمفترض أنها علاقة ود وتعاطف وتسامح وتراحم، فقال لها سائلا عن زوجها:{أين ابن عمك؟}. ولما عرف مكانه ذهب إليه في المسجد فوجده نائما وقد سقط شق ردائه عنه وتعفر كاهله من التراب فقال له موقظا:{قم أبا تراب، قم أبا تراب}. ولم يحاول صلى الله عليه وسلم أن يسأله عن سر

الخلاف بينه وبين زوجته فاطمة. ولذلك قام علىْ رضى الله عنه من نومه ونفض التراب عن كاهله، فذهب مع التراب كل خلاف حدث بينه وبين زوجته فاطمة رضى الله عنها، ابنة سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، نظرا لموقف أبيها الذي رفض أن يتدخل لحل خلافهما، وكان يستطيع ذلك بالميل إلى جانب ابنته فاطمة لكنه أبى وترك الخلاف لهما ينهيانه بطريقتهما الخاصة في ساعة رضا، وما أكثر ساعات الرضا التي تمر بها تلك الصفوة من البشر[1]..

لكن التدخل من أجل الزوجين ومن أجل أسرتهما الناشئة واستمرارا لسعادتهما - جائز؛ إذا خاف والد الزوج على ابنه من فتنة أو خاف والد الزوجة على ابنته من فتنة تهدد التزامها الدينى بالإسلام ومبادئه وأركانه أو تعكر صفو الحياة الزوجية للزوجين السعيدين.. فقد تدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما علم أن عليا بن أبي طالب زُوج ابنته قد خطب عليها ابنة أبي جهل.

---

(1) بتصرف من ص 468، ص469من كتاب منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور.

. وهنا تدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن معارضته لتلك الخطبة على ابنته. إذ لا يصح ولا يعقل أن يجتمع في بيت على بن أبي طالب - ابنة حبيب الله محمد صلى الله عليه وسلم وابنة عدو الله وعدو رسوله، أبي جهل.. وبناء على هذه المعارضة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألغى عليّ رضى الله عنه خطبة ابنة أبي جهل خوفا من أن تفتتن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي جهل وابنته في دينها[1]..

ونذكر مثالا للعواقب السيئة لتدخل أهل الزوج أو أهل زوجته في الحياة الزوجية الهادئة للإبن والإبنة وإشعال نار البغضاء والكراهية في البيت الهادئ الناشئ.. فهذا شاب مسلم تزوج شابة مسلمة ابنة لأحد أقاربه. لكنه لم يكن غنيا ميسور الحال في بداية حياته الزوجية. ولذلك بقى مع زوجته في منزل أهله في شقة مستقلة. لكنهما كانا يجتمعان على مائدة واحدة للطعام مع أهله. واستمر الحال هادئا فترة من الزمن حتى عاد أخ له من الخارج. وأراد هذا العائد أن يتزوج كما تزوج أخوه. ووقع اختياره على فتاة تزوجها لرؤيته أنها مناسبة له. وازدادت بذلك مائدة الطعام المشتركة، فجمعت ثلاثا من الأسر. وصار لكل من الإبنين أولاد وبنات. والكل يجتمع على مائدة طعام مشتركة ولم يخل الأمر من قول هنا وقول هناك، وملاحظة هنا وملاحظة هناك، وتأويل لقول أو فعل هنا وقول أو فعل هناك وتحميل لأقوال أو أفعال من طرف لما لا تحمله تلك الأقوال والأفعال. وكان الظن السيئ من والد الشقيقين المتزوجين، بأحد الابنين وزوجته وأهلها، أنهم هم المسئولون عن تلك المهاترات والمشاحنات والمضايقات التي تحدث في الكيان الأسرى الثلاثى العجيب.. ومن الأعجب أن تكون الزوجة المتهمة مع زوجها وأهلها من أقارب والدته ووالده اللذين عليهما حق صلة الرحم عند الوالد.. وبدأ الأب يكيل الاتهامات دون أى دليل يرقى إلى مرتبة الصحة، ودون روية

(1) بتصرف واختصار من ص470، ص471 من نفس المرجع السابق.

وتفكير - لطرف بريء لم يفعل شيئا مما هو متهم به وحاول الابن المتهم أن يبرئ زوجته وأمها وأهلها مما نسب إليهم دون جدوى. فقد رسخ في ذهن الأب أن زوجة ابنه وأمها وأبيها هم السبب في كل ما يحدث.. ولما كانت الخلافات تحدث عادة بسبب مائدة الطعام وأمور كثيرة متصلة بها - أراد الابن المتهم أن يريح نفسه ويريح خصومه، فأعلن انتهاء علاقته وعلاقة زوجته وأولاده وبناته بمائدة الطعام المشتركة التي تلتف حولها ثلاث من الأسر. وبين للجميع أنه سيستقل في مسكنه بمائدة طعام خاصة به وبأسرته الناشئة. مع احتفاظه بعلاقات طيبة ومرضية وشرعية مع أبيه وأمه وأخيه. لكن ذلك لم يعجب الأب ولا الأخ وزوجته. وقامت القيامة وازداد الصدام حدة. وازداد الجدل بين الابن المتهم وزوجته وأولاده وبناته من جهة وبين الأب وابنه الآخر، بأن الابن المتهم ينصاع لزوجته وأهلها في تذكية الخلاف بين الجانبين. مع أن العكس هو الذي كان واضحا للعيان. فقد كان انحياز الأب لابنه الآخر وفريقه واضحا كل الوضوح. وهكذا تاهت ثلاث من الأسر بين تجاوزات واتهامات ومعاملات سيئة من الطرف الثانى للابن المتهم وفريقه.

وكل ذلك بسبب اعتقاد لا أساس له من الصحة. وانفرط عقد الألفة والمحبة والود بين الأسر الثلاثة. فأراد الإبن المتهم أن يريح الجميع من هذا العناء وهذا الخصام، فبنى بيتا خاصا به وانتقل إليه مع أسرته الناشئة. لكن الخلاف ظل باقيا مع والده وأخيه وزوجة أخيه وأولاده وبناته. وتحول الأمر إلى كراهية. وحلت الفرقة محل صلة الرحم. وكل ذلك بسبب محاولة الأب إلصاق التهم بأحد أبنائه دون روية وتفكير ودون أى دليل يدين هذا الابن. ولو ترك الأب ابنيه يتعاونان سويا

ويصفيان الخلافات أولا بأول - إن حدثت خلافات - لما حدث ما حدث من قطيعة للرحم ومن ضياع للألفة والمحبة بين أفراد الأسرة الواحدة..

ونموذج آخر من نماذج تدخل أسرة الزوج في حياته الزوجية وفى حياة زوجته وأبنائه. فهذا شاب مسلم من أقصى صعيد مصر(1). ملتزم بتعاليم الإسلام يختار زوجة رآها صالحة له، بعد فشله في الاختيار الأول وحل ارتباطه به، لكن الاختيار الثانى كذلك كان ينقصه التريث والدراسة قبل الارتباط. وقد سارت الأمور على ما يرام سنوات عدة. وبدأت تلوح في الأفق إشارات استنكار لبعض ما تفعله زوجته من تصرفات لم تعجب إخوانه. وبدلا من أن يناقش زوجها معها هذه التصرفات ليضع حدا لها، تركها تفعل ما تشاء، ولم يهتم باعتراضات إخوانه على بعض تصرفاتها. لكن الأمور تفاقمت بينه وبين زوجته فقد حدث له معوقات في عمله أحدثت خلافات بينه وبينها. واستمرت أزمة العمل بعض الوقت. فبدأ الخلاف بينه وبينها يتضح.. وكان يعرض حاله مع زوجته بين الحين والحين على أخ لها لعله يجد عنده حلا لمشكلاته معها. لكن هذا الأخ كان قليل الحيلة. ولم يستطع حل خلافاتهما. واشتد الخلاف فصار صوتها يعلو بالانتقادات الحادة له والحديث في بعض جوانب القصور في بيت الزوجية. ولم يعجب هذا الأسلوب إخوانه وبدلا من أن يحاول تقويمها وصدها عن الانتقادات والتجريح لم يفعل شيئا وبدا عاجزا عن حل مشكلته معها. مما جعل بعض

إخوانه يتدخل لفك هذا الارتباط الذي رآه غير متكافئ ويسبب له ولبقية أخوته حرجا. وانتهى الأمر بتزيين فكرة الطلاق لأخيه وانضم إليه بقية إخوانه فرأى نفسه مضطرا لتطليق زوجته فطلقها وحرم نفسه وأولاده وبناته من نعمة الاستقرار والسكن والمودة والرحمة وذلك بسبب تدخل إخوانه بينه وبين زوجته لحل خلافاتهما بالانفصال...

ثانى عشر: الرغبة الملحة في إنجاب البنين:

---

(1) عرفنى بقصته زميل صعيدى عمل معى بالمملكة العربية السعودية.

إن حب إنجاب البنين رغبة تهفو إليها نفوس البشر أجمعين. ويحزن كل الحزن من تزوج فأنجب أول ما أنجب بنتا. لأن الناس تعودوا أن ينادوا المتزوج بباكورة إنجابه، فيقولون: يا أبا فلان. ويحزن الزوج في قرارة نفسه لأنه ينادى بأبي فلانة.. والبنت عادة تتزوج وتترك بيت أبيها إلى بيت زوجها. ويقترن اسمها باسم زوجها. ويبقى أبوها حتى يموت فيتنهى ذكره إذا لم يكن قد أنجب ولدا.. وهذا أحد أسباب حب البنين.. ولتعمق هذه الفكرة في نفوس البشر، ولتعلقهم بإنجاب البنين - يُذكِّرهم ربهم عز وجل بهذه النعمة ويدلهم على طريق من طرق تواجدها، فيقول سبحانه وتعالى على لسان نوح عليه السلام إذ يشتكى قومه لربه العظيم، حيث طلب منهم عبادته وحده سبحانه واستغفاره وطاعته، فرفضوا:{فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾} [نوح: ١٠ - ١٢].. فالاستغفار هوأحد الوسائل التي يلجأ إليها الزوج في طلب البنين من الله سبحانه وتعالى؛ حتى لا ينقطع اسمه إذا مات كما سبق أن أشرنا. وفى ذلك يقول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم :{لا يدعْ أحدكم طلب الولد، فإن الرجل إذا مات وليس له ولد، انقطع اسمه} [1]. وفى نفع الولد لأبويه يوم القيامة، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{يجمع الله أطفال أمة محمد صلى الله عليه وسلم في حياض تحت العرش، فيطَّلع

---

(1) رواه الطبرانى في الكبير عن أبى حفصة ص16 من كتب الزوجة المسلمة والبيت السعيد - للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

الله عليهم اطّلاعة فيقول: مالى أراكم رافعي رؤوسكم؟ فيقولون: ياربنا الآباء والأمهات في عطش ونحن في هذه الحياض فيوحى إليهم أن اغرفوا في هذه الآنية من هذا الماء ثم خللوا الصفوف فاسقوا الآباء والأمهات} [1]. ومن فوائد الولد في الدنيا، ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم :{ما ولد في أهل بيتٍ غلام إلا أصبح فيهم عز لم يكن}[2].. فالولد في بيت أبيه وأمه عزّ لهما ولأسرته في دنياه وآخرته إذا كانوا جميعا مؤمنين صالحين.

ولكل ما سبق ذكره يتعلق الناس بإنجاب الولد. حتى إن بعض الرجال يحزن إذا بُشِّر بإنجاب زوجته بنتا. فينحو بذلك نحو أهل الجاهلية الذين كانوا يستقبلون نبأ إنجاب الأنثى باسوداد وجوههم وتشاؤمهم من قومهم من سوء ما بشروا به. بل إن أغلبهم كان لا يطيق ذلك فيذهب إلى ابنته فيدفنها وهى حية، ويواريها التراب. ويأخذ عليهم ربهم هذا الحكم القاسى على بناتهم فيقول عز وجل فيهم: { وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾} [النحل: ٥٨ - ٥٩].. وجاء الإسلام وانتشر وعاب على هؤلاء مسلكهم الشائن. وأعلن أنهم مؤاخذون يوم القيامة بما كانوا يفعلون في بناتهم. حيث يحاسبهم ربهم على ذلك بعد أن يسأل الموءودة عن سبب قتلها. ويقول ربنا سبحانه في ذلك:{وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾} [التكوير: ٨ - ٩].. وبقى مع ذلك أناس مسلمون يتعلقون بإنجاب الولد. ولا يقوى إيمانهم ليتحمل قضاء الله وقدره. فقد قدر سبحانه وتعالى أن يرزق البعض بالذكور، والبعض

---

(1) أخرجه الديلمى عن ابن عمر. نفس الصفحة من المرجع السابق.

(2) أخرجه الطبرانى في الأوسط ورواه البيهقى عن ابن عمر ص17 من المرجع السابق.

بالإناث، وأن يزوج بعضا ثالثا فيجعلهم ينجبون ذكورا وإناثا ويجعل بعضا رابعا عقيما لا يلد ذكورا ولا إناثا: فيقول ربنا الكريم:{لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾} [الشورى: ٤٩ - ٥٠].. فذلك إذن حكم الله. وتلك سنته في خلقه. ومادام ذلك هو قضاء الله فليرض كل بما قسم الله له. إذ هو الخير ولا خيرله سواه. وهذا الرضا متمم للإيمان، لايكتمل إيمان المسلم إلا به. فليس هناك خيار. وليس هناك تمرد على شئ قدره الله تعالى للمسلم. ومن لم يرض بما قسم الله به فهو ناقص الإيمان. ولعل الله جل جلاله فتنه بإنجاب البنات؛ ليختبر قوة إيمانه. وهذا الاختبار يثبت فيه أناس على إيمانهم، ويضيع فيه إيمان قوم آخرين. وذووا الإيمان القوى هم الذين يثبتون وعلى ربهم يتوكلون. أما ذووا الإيمان الضعيف فهم الذين يفقدون إيمانهم؛ بسبب عدم يقينهم في الله رب العالمين، وتعلقهم بعرض من أعراض الدنيا.. ومن هؤلاء الذين يتزعزع إيمانهم ولا يثبتون أمام فتنة الدنيا - أناس اتهموا زوجاتهم بأنهن السبب في عدم إنجاب البنين. وأخذوا منهم موقفا معاديا؛ فإما أن ينجبوا البنين وإما أن يخرجوا من حياة هؤلاء الأزواج. ومن هؤلاء من يقال له أبو حمزة، فقد تزوج امراة وأراد أن تنجب له ولدا لكنها أنجبت له بنتا. فهجرها إلى بيت مجاور. وتعجبت الزوجة المؤمنة من موقف زوجها الرافض لقضاء الله وقدره. فعبرت عن رأيها الإسلامى الصحيح في أبيات من الشعر منها:

مالأبى حمزة لا يأتينا ::: يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ألانلد البنينا ::: تالله ماذلك في أيدينا
وإنما نأخذ ما أَعطينا ::: ونحن كالأرض لزارعينا
نبت ما قد زرعوه فينا [1]

وإذا كان أبو حمزة هذا قد هجر زوجته لأنها أنجبت بنتا - فهناك من تصرف تصرفا أشد من تصرف أبي حمزة.. فهذا رجل تزوج امرأته عن حب. وبدأت الزوجة الإنجاب فأنجبت بنتا فلم يبد قلقه، لكنه تمنى أن يكون الحمل القادم ابنا. وجاء الحمل التالى فولدت زوجته بنتا. فتظاهر بالصبر وتمنى أن يكون الحمل القادم ولدا. وجاء الحمل الثالث فولدت زوجته بنتا. فبدأ يظهر قلقه وتبرمه من إنجاب البنات. وأعلن صراحة أمام زوجته: إن أنجبت بنتا في المرة القادمة فهى طالق. وجاء الحمل الرابع وولدت زوجته بنتا فطلقها وهو يعلم أنها لا حول لها ولا قوة لأن الأمر ليس بيدها. فاحتمل بهتانا وإثما مبينا سيحاسبه الله عليه يوم القيامة..

ومع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ورد عنه ما يمكن به معرفة نوعية الجنين إلا أن ذلك يصعب التنبؤ به. وخصوصا لأن الأمر في هذه اللحظات القليلة - لحظات الإنزال حال الجماع - يصعب تحديده. فقد جاء يهودى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: جئت أسألك عن الولد، قال:{ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فَعَلاَ منىُّ الرجلَ مَنِيَّ المرأة أذكرا بإذن الله وإذا عَلاَ منى المرأة منى الرجل أنثا بإذن الله} فقال اليهودى: لقد صدقت وإنك لنبى ثم انصرف فذهب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(1) ص58 من كتاب تربية الشباب في القرآن الكريم - للأستاذ عبد المعز خطاب.

{قد سألنى عن الذي سألنى عنه ومالى علم بشئ منه حتى أتانى الله عز وجل به}[1]. وعلى الرغم من أن الحديث النبوى الشريف واضح في تحديد نوع الجنين في لحظات الإنزال أثناء جماع الزوج لزوجته - إلا أن هذا التحديد عمليا يصعب على البشر عادة تحديده. فلا يعلم أحدهما هل عَلاَ ماء الذكر أم ماء الأنثى، علما يقينيا مؤكدا.. وحتى ما يحصل في أيامنا هذه من تمكن الطب الحديث من تحديد نوع الجنين. فهذا يكون بعد مضى زمان من الحمل. فيكون الأمر إذن تحصيل حاصل. ومع ذلك فإن الطب الحديث يخطئ أحيانا في تحديد نوع الجنين. وقد سبق لى الحديث في هذا الموضوع في بداية الكتاب، وبينت ما توصل إليه العلم الحديث في تحديد نوع الجنين. وأنه أيضا لا يمكن تحديده بقول فصل مع الأساس الذي تحدث عنه علماء الطب الحديث.

وكل هذا يؤكد أن الله عز وجل احتفظ لنفسه سبحانه بسر نوعية الجنين في هذه المرحلة الدقيقة والمبكرة أثناء عملية الجماع واستقرار ماء الرجل في الرحم. فقد استأثر ربنا القادر على كل شئ بعلم خمسة أشياء لا يمكن أن يعلمها إلا هوجل جلاله. وقد ورد ذلك في قوله تعالى:{ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ } [لقمان: ٤].. فلا داعى إذن أن نحمل الزوجة وحدها مسئولية إنجاب البنات لأن ذلك أمر مشترك بين الزوجة وزوجها. استأثر الخالق عز وجل بعلمه لحظة نزول المنى. فأيهما علا ماؤه؟ الله وحده أعلم بذلك. فمن يحمل زوجته مسئولية إنجاب البنات يخطئ خطأ جسيما يحاسبه الله عليه وعلى ما عاقب به زوجته من جراء ذلك الفهم الخاطئ لسر من أسرار الحمل استأثر الله تعالى بعلمه...

---

(1) ص36، ص37 من كتب تنوير الأذهان بذكر أطوار خلق الإنسان لابن قيم الجوزية - تحقيق أبو سامة الطحاوى - الواعظ بالجمعية الشرعية.

ثالث عشر: نشوز الزوجة أو الزوج أوهما معا:

نشوز الزوجة يعنى عصيانها لزوجها وعدم طاعتها له، وعدم تنفيذ التزاماتها الشرعية نحوه.. والنشوز بالنسبة للزوج يعنى عدم التزامه بتحقيق المطالب الشرعية لزوجته، وعدم أداء حقوقها التي ألزمته الشريعة الإسلامية بها: كالإطعام والشراب والكسوة والمسكن المناسب والمعاملة الحسنة لها. فعدم إنفاق الزوج على المتطلبات اليومية للحياة الزوجية، وتصعيده للخلافات بينه وبين زوجته وعدم رغبته في إنهائها ليعيش في سلام معها، كل ذلك يعتبر نشوزا من الرجل تجاه زوجته. وطبيعى أن يؤدى هذا النشوز من أى منهما، إذا استمر دون علاج شرعى، إلى فقدان الشعور بالأمن، وفقدان الإحساس بالسعادة لكل أفراد الأسرة. وخصوصا إذا أحس أولادهما وبناتهما بهذا الشقاق.. ويمكن تصور الانفلات الأمنى في الأسرة وعدم إحساس أفرادها بالسعادة، بأنه مع نشوز الزوجة أو الزوج لا يمر يوم بدون صياح وجلبة وصخب وتبادل للاتهامات بين الزوجين..

وقد وضع الإسلام علاجا حاسما، مزيلا لأسباب نشوز الزوجة أو الزوج والزوجة معا. ويتمثل ذلك في برنامج إسلامى يتلخص في نقاط أربعة. وردت في قوله تعالى:{وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾} [النساء: ٣٤ - ٣٥]. وتطبيق هذا البرنامج الحازم كما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كفيل بإنهاء النشوز، سواء كان من الزوجة أم من الزوج أم منهما معا.. ونصيب الزوجة من هذا البرنامج الإصلاحى ثلاث وسائل، هى على الترتيب العظة ثم الهجر ثم الضرب. فإذا لم تجد هذه الوسائل. وصَعَّد الزوج الخلاف وأصبح طرفا في النشوز فيجب التحكيم. وهذا التحكيم يكون إذا كان النشوز من الزوج أو منهما معا..

وقد تحدثنا بالتفصيل سابقا عن برنامج علاج النشوز. ولنا ملاحظات هامة ذكرناها سابقا؛ لأهميتها في اقتلاع النشوز من جذوره [1].

رابع عشر: نساء ورد النهى عن الزواج منهن:

لقد حذر النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه الكرام والمسلمين جميعا معهم من الزواج من أصناف خمسة من النساء. وذلك لما قد ينتج عن الزواج من إحداهن من مشاكل تعكر صفو الحياة الزوجية، وتقلل من فرص استقرارها، وتحقيق السعادة المنشودة منها.

وقد ظهر أمر هؤلاء النسوة واتضح من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد ابن حارثة:{تزوج تزد عفة إلى عفتك، ولا تزوج خمسة: شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا} قال زيد بن حارثة: يا رسول الله لا أدرى مما قلت وأنا بأحدهن جاهل. قال النبى صلى الله عليه وسلم :{ألستم عربا؟.. أما الشهبرة فالطويلة المهزولة. وأما اللهبرة فالزقاء البذية. وأما النهبرة فالقصيرة الذميمة. وأما الهيدرة فالعجوز المدبرة. وأما اللفوت فهى ذات الولد من غيرك} [2].

وقد سبق شرح الحديث بما فيه من صفات مذمومة لبعض النساء في مجال الحديث عن الاختيارعلى أساس الأصل والأخلاق الفاضلة. وقد قال بعض العرب في مجال حديثه عن حسن خلق الزوجة واختيارها للزواج من أجل أخلاقها الرفيعة - قال بعضهم محذرا من

---

(1) من صفحة 227 إلى صفحة 232 تحت عنوان: دور الزوج في توفير السعادة لزوجته في بيت الزوجية.

(2) رواه الديلمى ص57 من كتاب الزوجة المسلمة والبيت - السعيد للأستاذ عبد العزيز الشناوى.

الزواج من ست من النساء: " لا تنكحوا من النساء ستا: لا أنانة ولا منانة ولا حنانة ولا تنكحوا حداقة ولا براقة ولا شداقة " (1) وقد سبق الحديث عن هذه الأصناف الستة في مجال اختيار الزوجين من ذوى التمسك بالدين والأخلاق الفاضلة. فالنهى عن الزواج من هذه الأنواع الستة من النساء، والذى ورد في أقوال بعض العرب يحمل الكثير من المصداقية. لأن كلا من هذه الأنواع يحمل طابعا منفرا للزوج وللناس، يعكر صفو الحياة الزوجية بين الحين والحين، ويلفت أنظار الناس إلى تلك الزوجة العجيبة التي تحمل طابعا منفرا تؤذى به زوجها وتؤذى به من يعرفها من الناس عن قرب. فإذا استطاع المعجب بها أن يخلصها من هذا الطابع المنفر ويتزوجها بعد أن تكون قد انخلعت نهائيا من هذا الطابع وانخلع منها - فله أن يتزوج منها حينئذ، وإلا فلا يجب أن يعرض نفسه للفشل أو التعثر أو الرضى بحياة تسبب له الاضطراب والقلق بين الحين والحين، وتبعده عن الاستقرار والسعادة المرتقبة في الحياة الزوجية والتى تكلل بالسكن والمودة والرحمة..

وهناك أنواع من النكاح كانت منتشرة بين أهل الجاهلية. وقد حرمها الإسلام لكنها ما زالت موجودة بصورة أو بأخرى في بعض البلدان ولا سيما في بلدان غير المسلمين، كنكاح الأخدان ونكاح الاستبضاع ونكاح الاستلحاق ونكاح البغايا. والسر في تحريم الإسلام لها تجاوزها للحد المشروع الذي تضيع به الأنساب والحقوق الزوجية، وما ينتج عنها من أمراض خطيرة فتاكة قد تنتقل إلى الذرية التي لا ذنب لها فيما يقترفه الكبار من آثام. وقد تحدثنا عنها فيما سبق. وتحدث عنها قبلنا نخبة من العلماء الأجلاء منهم الأستاذ الدكتور محمد الأحمدى أبو النور. والأستاذ الدكتور محمد البهى. ويكفينا أن الإسلام حرمها لتلافى آثارها المدمرة....

خامس عشر: التسرع في قرار الارتباط:

---

(1) ص53 من كتاب الإسلام والحياة الزوجية - للأستاذ عثمان السعيد الشرقاوى.

لو تتبعنا أسباب التعثر في الوصول بالأسرة الناشئة إلى السعادة الزوجية والأسرية، وأسباب حرمان الزوجين من السكن والمودة والرحمة التي هى من أهم مظاهر السعادة الزوجية المنشودة - لوجدنا أن عاملا مشتركا يربط غالبية هذه الأسباب، وهو التسرع في أخذ قرار الارتباط. وعدم دراسة كل من الطرفين لظروف الآخر دراسة كافية تفيد الطرفين ومن يتبعهما....

وهذا الأمر في حد ذاته - قد يعرض الحياة الزوجية لكثير من المشاكل والمتاعب والهزات إذا لم ينته بها إلى التعثر والانفصال.. ولذلك فنحن ندعو إلى دراسة كل من الطرفين للآخر دراسة شاملة من جميع النواحى الدينية والصحية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. ويدخُل الجنس في كلتا الناحيتين الصحية والاجتماعية. وندعو أيضا إلى أن تكون هذه الدراسة متمهلة قائمة على أسس سليمة، يراعى فيها مصلحة الطرفين، وأولادهما وبناتهما مستقبلا في حالة الارتباط. كما ندعو إلى اللجوء إلى الطب إذا تطلب الأمر ذلك.

وليعلم الجميع أن كثيرا من الأسر الآن تلجأ إلى الطب حتى لو لم تكن هناك حاجة كشك في قصور أو مرض؛ وذلك للاطمئنان العام على حالة العروسين قبل الارتباط. وتلك خطوة تدل على رجاحة العقل والشجاعة، نؤيدها لأنها تقلل من خطر المفاجأة بشيء لم يكن في الحسبان.. فقد يُخفِى أحدُ الطرفين في فترة الخطوبة مرضا خطيرا عنده أو عيبا خلقيا واضحا أو غير واضح حتى يتم الزواج. وقد يخفى الزوج أو الزوجة بعض نواحى القصور في المجال الجنسى. وقد يخفى الزوج عجزه عن العمل أو بعض المشاكل الهامة فيه.. وبالرغم من أن فترة الخطوبة قد تطول، وتتكشف فيها للطرفين أشياء كثيرة كانت غير معروفة إلا أن طول هذه الفترة قد يعرض الطرفين لمشاكل وتعقيدات شتى، وعلى الأخص من أهل العروس الذين يصيبهم القلق على مستقبل ابنتهم، ويخشون مبدأ التأخير والتأجيل. ومهما طالت فترة الخطوبة فإن طولها لا يغنى عن وجوب دراسة كل من الطرفين لظروف الآخر الهامة والتى يمكن أن تؤثر على الحياة الزوجية بالسلب مستقبلا. وقد ثبت بالتجربة أنه لا يمكن معرفة ظروف كل من الطرفين في هذه الفترة.. ويتضح الآن للجميع أن فترة الخطوبة طويلة

كانت أم قصيرة - لا يُخْرِجُ فيها كل من الطرفين كل ما عنده من العوامل المؤثرة في حياتهما الزوجية بالسلب أو حتى بالإيجاب..

ومن هنا ندرك أن الحاجة ماسة إلى دراسة كل من الطرفين للآخر قبل الارتباط الشرعى، أو حتى قبل تقديم الشبكة في نهاية فترة الخطوبة.. وفى زماننا هذا أوجدت الحاجة إلى هذه الدراسة - ما يسمى بمكاتب الزواج. وقد تقوم هذه المكاتب بإنجاز ما يعجز عنه أفراد الأسرتين في فترة الخطوبة. خصوصا وأن كافة إجراءاتها وما تنجزه من أعمال يحاط بسرية تامة حرصا على إنجاح مهمتها المتمثلة في تعريف كل من العروسين وأسرته بالآخر. وذلك حتى يكون الزواج أنجح، والاستقرار أمكن، والسعادة والهناء أضمن، والسكن والمودة والرحمة آكد.. وليعلم الجميع أن حاجة الأسر التي ترتبط مع بعضها بالزواج، إلى الفحص قبل الارتباط الشرعى أو قبل الدخول على الأقل، أمر واجب شرعا؛ يحمى عش الزوجية مما ينتظره من مشاكل صحية أو اجتماعية أو وراثية قابلة للظهور مستقبلا، لم يفصح الطرفان عنها في فترة الخطوبة. ويحمى الأسرتين المرتبطتين من الحرج إذا وُجِدَ أو ظهر ما يدعو إلى الانفصال أو عدم إتمام الزواج. كما أنه يجعل الزوجين يعيشان في أمان وسلام واستقرار وحب، ويتمتعان بالسكن والمودة والرحمة، في ظل التعاون الوثيق والصادق، بين الأسرتين المرتبطتين وفى ذلك استقرار لعش الزوجية والأسرتين المرتبطتين وكافة أسر المجتمع الإسلامى بصفة عامة وفى ذلك فليتنافس المتنافسون، الحريصون على إتمام الزواج بنجاح...

سادس عشر: الطلاق:

اقتضت سنة الله تعالى في خلقه أن تعمر الأرض إلى أن تقوم الساعة. وعمارة الأرض تكون أولا بالإنسان سلالة بنى آدم عليه السلام، الذين خاطبهم الحق تبارك وتعالى بقوله:{هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ} [هود: ٦١] الآية.. وحتى يعمر بنو آدم الأرض كما أراد الله عز وجل، لابد أن يكونوا كثرة كثيرة، تتعاون فيما بينها على عمارة الأرض؛ بزراعتها وإقامة المدن والقرى والطرق فيها وإقامة الصناعات والمؤسسات التجارية

والصحية والثقافية، وكل ما يحتاج إليه البشر في هذه الأرض التي جعل الله تعالى الإنسان خليفة فيها.. ووسيلة تكاثر البشر في هذه الأرض هى الزواج.. فالمدن والقرى والصناعات والمؤسسات على اختلاف أنواعها - تحتاج إلى أسر صالحة منتجة. فنواة عمارة الأرض بالإنسان هى الزواج. حيث يتوفر السكن والمودة والرحمة، وكلها تؤدى إلى العمل الجاد والمثمر، فتنمو الأسرة وينمو معها المجتمع الإسلامى كله.. وتلك آية من آيات الله جل جلاله لتعمير الأرض، يقول فيها ربنا سبحانه وتعالى:{ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الروم: ٢١].

وقد حث القرآن الكريم المسلمين على استمرار قيام الأُسر بالزواج الشرعى، ودلهم على الطريقة التي تدوم بها العِشرة بين الزوج والزوجة في محيط الأسرة، فقال عز وجل:{وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا } [النساء: ١٩]. فليس معنى وصول الزوج مع زوجته إلى مرحلة الكراهية - أن تنتهى الحياة الزوجية بينهما. إذ ربما يكون الشعور بالكراهية من جانبه هو فقط. ومن هنا فالفرصة متاحة أمام الآخر لتحسين موقفه من زوجه حتى يعود إليهما كأسرة، السكن والمودة والرحمة.

فالشعور بالكراهية قد يُبنى على عوامل أو أشياء خيالية، ربما لو ناقش الزوج زوجته فيها لوجد أنه غير محق في تلك الكراهية. وحتى لو تأكدت في نفسه تلك الكراهية، فإن الشريعة الإسلامية تحثه على مضاعفة جهده من أجل استمالة زوجته إليه من جديد، محافظة على الميثاق الغليظ بينهما. والزوجة الصالحة تتفاعل مع زوجها إذا رأت منه رغبة في تحسين علاقته معها. حتى لو لم يكن لها منه ذرية تُحْكِمُ رباطه بها..

وقد حثت السنة النبوية الكريمة الزوجين أيضا على أن يحسن كل منهما معاملة الآخر؛ حتى تسير الحياة الزوجية والأسرية بينهما سيرا طبيعيا. فقد خطَّت لهما منهجا لحياتهما الزوجية يعرف كل منهما بموجبه ماله وماعليه. ونفرت كلا منهما من المعاملة غير السوية، إذا فكر أحدهما أن يعامل الآخر معاملة سيئة.. فحثت الزوجة على الطاعة والإخلاص للزوج وعمل كل ما من شأنه إسعاده. فيقول النبى صلى الله عليه وسلم :

{ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيرا من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أَبَرَّتْه، وإن غاب عنها صانته في نفسها وماله} (1) ويقول صلى الله عليه وسلم :{أيما امرأةٍ ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة} (2).. ومن ناحية أخرى تغرى السنة النبوية المسلمين وتحثهم على الزواج وتنفرهم من الفرقة والطلاق. فالزواج مجمع والطلاق مفرق. ومن أجل ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم : " تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهتز منه عرش الرحمن "[3].. ويحذر النبى صلى الله عليه وسلم الذواقين الظالمين لزوجاتهم، فيقول صلى الله عليه وسلم :{إن أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج امرأة فلما قضى حاجته منها طلقها، وذهب بمهرها، ورجل استعمل رجلا فذهب بأجرته}[4]..

---

(1) رواه ابن ماجة ص127 من مختار الأحاديث النبوية - للشيخ المرحوم السيد أحمد الهاشمى.

(2) رواه الترمذى50 من المرجع السابق.

(3) رواه ابن عدى ص60 من المرجع السابق.

(4) رواه البيهقى ص41 من المرجع نفسه.

فالذواق لا يخلص لزوجته ويستغنى عنها في أول فرصة ممكنة؛ لأنه قضى حاجته منها فذاق عسيلتها ولم يعد يهتم بها لدرجة أنه يستولى على ما تبقى لديه من مهرها ولا يرده. ولذلك فهو أعظم مذنب عند الله سبحانه وتعالى. ويتعاظم ذنبه بطلاقها؛ لأن الطلاق ليس مجرد كلمة تقال، بل إنه يترك وراءه آثارا وخيمة.. فنفقة للمطلقة إلى أن تنتهى عدتها، ونفقة لأولاده وبناته منها إلى أن يبلغ الأولاد سن الرشد وتتزوج البنات، وأوقات عصيبة تقضيها الأسرة بغير عائلها، لا استقرار فيها، ولا سكن ولا مودة ولا رحمة. ومن أجل ذلك كان الطلاق أبغض الحلال إلى الله، وإلى الزوج والزوجة وأسرتيهما كذلك؛ لما يتركه من مشاكل

وحساسيات يكون الأولاد والبنات فيها هم الضحية الأولى له. وفى ذلك يقول النبى صلى الله عليه وسلم :{أبغض الحلال إلى الله الطلاق}.. (1).

فمشاكل الطلاق كثيرة وآثاره متعددة سواء كان رجعيا أم بائنا.. فأحوال المطلقات عديدة ولكل حالة حكم وربما أحكام. وكذلك حالات العدة، وحالات النفقة والمتعة والرضاع والزواج من المراجعة.. والشئ المهم الذي يغفل عنه كثير من الناس في حالات الطلاق الرجعى - هو الإشهاد على الطلاق والزواج بعد الرجعة وهو في غاية الأهمية إذ يتوقف عليه انتهاء نفقة وبداية عهد جديد من الارتباط يجتمع فيه شمل الأسرة بعد الرجعة أو لا يجتمع بعد الطلاق البائن.. وفى كل الأحوال يترك خلفه مشاكل لا حصر لها، تُفقد المطلقين السعادة التي تمتعا بها فترة ما قبل الطلاق. وتجعلهما يتحسران على ما كانا يتمتعان به من سكن ومودة ورحمة. فقد ضاع كل شئ بكلمة طائشة ربما لم يحسب حسابها الطرفان.

---

(1) رواه أبو داود في سننه ص4 من المرجع السابق.

والأمثلة من واقع الحياة كثيرة ومؤلمة ومؤثرة.. فقد ينقذ طفل رضيع أبويه من مآساة الطلاق.. فذلك شاب بسيط يعمل تاجرا في الخردوات. تزوج من امرأة لم يدرسها دراسة كافية. وكانت تبدو أحيانا ملتزمة بأساسيات ومبادئ وآداب الدين الإسلامى، وأحيانا أخرى تبدو غير ملتزمة. لكن زوجها كان ملتزما بقدر استطاعته وعلمه أكثر منها. لكن أحوالها المتقلبة جعلت زوجها يفكر. وكلما راودته فكرة طلاقها تذكر ولده منها وكان رضيعا في سنته الأولى يتعلق بأمه وأبيه تعلقا كبيرا، على الرغم من أنه لم ينطق بعد. وذات يوم احتد فيه النقاش بين الزوجين، وانتهى الأمر بأن أخذ زوجها قرارا بطلاقها وأعلنها بهذه الرغبة. وكانت النتيجة أن طلب منها مصاحبته إلى المأذون لإتمام طلاقها. وما أن سارا خطوات في الطريق إلى المأذون، إذا بولدهما يصرخ مخاطبا أباه: " لا يابه لا ". وإذا بهما يتجمدان مكانهما وتنهمر دموعهما. ويتلقف الأب ولده ويقبله ويحتضنه، ويقول لزوجته: لقد صدر القرار

الصحيح ممن هو أقوى منى ومنك، لقد أنطق الله عز وجل الرضيع لينقذ أمه وأباه من مصيبة الطلاق. واستمع الرجل إلى نداء الحق، وأعلن لزوجته أنه لن يفكر في طلاقها أبدا بعد ذلك. وبالفعل ظل معها إلى أن فارقها إلى دار الكرامة بعد أن أنجب منها بنين وبنات تربوا في عش الزوجية المتواضع الهادئ، ونعموا فيه بالسعادة والاستقرار، مستظلين بسعادة أبويهم حتى تزوجوا وأنجبوا بنين وبنات. ولا يسعنى إلا أن أقول في هذا الشأن: إذا كان الأستاذ الدكتور الشيخ محمد المسير، قد تحدث عن أطفال تكلموا في المهد منهم عيسى عليه السلام، ومنهم طفل العابد جريج، ومنهم الصبى الداعى لنفسه، وطفل صاحبة الأخدود، وطفل ماشطة بنت فرعون[1]،

---

(1) من سلسلة ألفها فضيلته عن أطفال تكلموا في المهد - بقلم الأستاذ الدكتور محمد سيد أحمد المسير - أستاذ العقيدة والفلسفة، بكلية أصول الدين جامعة الأزهر.

فأنا أضيف إليهم قصة من واقع حياتنا اليومية أنقذ فيها طفل رضيع - لم يتجاوز عامه الأول - أمه وأباه من مشاكل الطلاق بقوله لأبيه " لا يابه لا ". فهو طفل لم ينطق بعد أنطقه الله تعالى ليكون عبرة لأبيه وأمه. ولكل من تحدثه نفسه بالطلاق دون تريث وتمهل وحذر...

وذاك شاب أراد أن يتزوج فكان يختار اختيارا عشوائيا لا دراسة فيه لأحوال من يختارها. هدته عاطفته إلى الارتباط برجل طيب فخطب ابنته واستمر خاطبا لها فترة من الزمن. وأراد على حد قوله أن يروضها حسب هواه. وكان صالحا من أسرة صالحة. ولو أنه التزم معها ببرنامج تربية إسلامية لنجح في مسعاه. لكنه خلط الجد بالهزل، فلم يستطع أن يروضها كما أراد. فتركها بعد أن سبب صدمة عنيفة لأبيها الذي رحب به في بداية الخطبة، لكنه مالبث أن تنكر له لخلطه الجد بالهزل، وفعله أمورا كان يستحى منها والد البنت. وانتهت تلك التجربة بالفشل. فبدأ تجربة أخرى رأى أنها مجدية. إِذْ عَدَّلَ بعض الشئ من عشوائيته في توجيه خطيبته الجديدة. واقتنع أخيرا بصلاحيتها كزوجة له. فعقد عليها ودخل بها.

واستمرت معه سنين طويلة. يتاجر في المواد الغذائية بالتجزئة في العاصمة التي تتبعها قريته التي نشأ وتزوج فيها. ويأتي آخر اليوم حاملا رزق الله له ولزوجته وأولاده وبناته. واستمر الحال على ذلك سنين، رأت خلالها زوجته أن الله تعالى يبسط له في رزقه. وبدأت تغير اتجاهها، من التزام بأركان وتعاليم وإرشادات الشريعة الإسلامية، التي تدعو إلى القناعة والرضى بما قسم الله تعالى، إلى تعنت وخروج عن هذه التعاليم السمحاء في غيبة زوجها عنها لسعيه على رزقه طوال اليوم في عاصمة قريته التي يعيش فيها. ومن الواضح أنها استغلت طيبة قلب زوجها، وتعبه في الحصول على الرزق واغترابه وغيابه طوال اليوم عن بيته. ففرضت عليه مبلغا من المال شهريا تأخذه منه

في مقابل أن فتح الله له طرق الخير والرزق. ووافق الزوج الطيب. لكن الزوجة الطماعة غير الملتزمة بمبادئ دينها طلبت زيادة المبلغ الشهرى. وشرعت في زيادته كل فترة على مدار السنة، حتى صارت الزيادة غير مقبولة وغير معقولة في نظر الزوج. وغيرت من سلوكها نحو زوجها فدأبت على تلكئها في تأدية ما يطلبه منها من أعمال وإرشادات ونصائح. ورأى زوجها أن زوجته صارت ناشزا، ولابد أن يستعمل معها العلاج الشرعى للنشوز. وبدأ بعظتها فلم تستجب لعظته. فلجأ إلى بعض أقاربها وأقاربه في عظتها فلم تستجب أيضا. وجاء دور الهجر، فلم يستطع هجرها، وبدا كأنه عاجز عن ذلك. ورأى أن الهجر ليس هو العلاج المفيد. وربما لو نفذ الهجر لكان هو المنقذ له ولزوجته. وتراءى له أن حل مشكلة زوجته وإنهاء نشوزها يكمن في ضربها. ولطيبة قلبه وعزيمته الفاترة كان يضربها ضربا غير مفيد. ولم تكن زوجته تشعر أساسا أنها تضرب. وقد عرفنا أن الضرب الشرعى لابد وأن يكون موجعا وغير مؤثر. أى لا يترك أثرا في جسم الزوجة ولا يكسر عضوا أو يسيل دما. وكل ذلك لم يحدث في ضربه لزوجته. ولهذا زاد عنادها وأصرت على عصيانها. وأشهرت كراهيتها لهذا الزوج الفاتر في طبعه الهادئ في سلوكياته في مواضع تجب فيها الشدة ويكره فيها الهدوء. وانتهى الأمر إلى طلبها الطلاق منه. فاتفقا على ذلك ونفذاه. إلا أن الضحية الأولى لهذا الطلاق كانت أولاده وبناته من تلك الزوجة. فقد اختار الأولاد - وهم كبار - أن يبقوا مع أبيهم. واختارت البنات - وهن كبيرات - البقاء مع الأم. وهكذا فتح الزوج على نفسه أبواب الهم والغم من كل جانب. فمطالب للأولاد ونفقة لأمهم ونفقة للبنات. وذهبت السعادة الزوجية في خضم تلك الأحداث الجسام. وتبعثر عقد السكن والمودة والرحمة الذي جمع الأسرة فترة من الزمن ليست بالقصيرة. وسيبقى الحال على ما هو عليه إلى أن يستقل الأولاد ويكوّن كل منهم أسرة جديدة. وإلى أن تتزوج البنات مكونات أسرا جديدة. ولعل الجميع قد أخذوا العبرة من هذا الزواج السريع غير المبنى على دراسة كل من الطرفين للآخر قبل الارتباط..

وعلى الرغم من أن الطلاق قد يكون هو الحل الوحيد أمام زوجين لم يسعدهما الحظ في التغلب على مشاكلهما التي تفاقمت واستفحلت. وهو أبغض الحلال عند الله عز وجل كما مر بنا - إلا أن الإسلام قد يبيح سلوك طريق آخر. يجرب فيه كل من الطرفين المفترقين حياة جديدة مع إلف جديد. فإن وفقا، كل مع أليفه الجديد، فبها ونعمت. وإن لم يوفقا يراجع كل منهم نفسه بعد فشلهما الجديد ويقارنان بين حالهما الأول والحال الجديد. وربما يدركان أن التجربة الأولى كانت أصلح مما هما فيه. وربما كان الخير في العودة إليها. والإسلام يبيح ذلك إلا أنه يشترط الدخول في الحالة الثانية أى في حالة ارتباط كل منهما بآخر جديد ثم الطلاق بعد فشل التجربة إذا فشلت. عندئذ يمكن عودة كل من الزوجين المطلقين أولا إلى الآخر. ويقول الحق تبارك وتعالى في ذلك:{ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ} [البقرة: ٢٣٠].. فالآية الكريمة توضح إمكان العودة إلى الزوجة الأولى بعد طلاقها طلاقا بائنا بشرط أن تتزوج من آخر ويدخل بها هذا الآخر ويطلقها إذا فشلت حياتهما الزوجية معا.. وذلك إذا وجُدت بارقة أمل في استئناف العلاقة بينها وبين زوجها الأول. على أساس الاحترام المتبادل وأداء كل منهما ما عليه شرعا للطرف الآخر حتى يعيشا في سلام وسعادة ويتوفر لهما من جديد السكن والمودة والرحمة...

سابع عشر: أثر الوضع السياسى في المجتمع على الأسرة وأفرادها:

وإذا كانت كل المساوئ الاجتماعية والاقتصادية التي تحدثنا عنها، تتواجد بمخالفة الناس لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم - فإن الوضع السياسى في أى مجتمع إسلامى - ليس بمعزل عن ذلك. فالمساوئ السياسية التي تنجم عن مخالفة الدستور السماوى الذي ارتضاه الله للبشر، أومخالفة الدستور الذي يضعه الناس لحكامهم، حتى تستقيم الأمور بين الحاكم والمحكوم - هذه المساوئ التي أشرنا إليها تتسبب في ارتباك الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية لأفراد المجتمع الإسلامى وأسره.

ومما يترتب عل ذلك فقدان السعادة بين الأفراد والأسر في المجتمعات الإسلامية. ففقدان جزء من دخل الفرد أو الأسرة شهريا على سبيل المثال، يحول بين الأفراد والأسر وطموحاتهم في حياة عزيزة كريمة تؤدى إلى الاستقرار والرخاء. فبفقدان هذا الجزء قل أوكثر يحس الفرد في أسرته بالشقاء والإحباط؛ نتيجة لشعوره بالظلم في مجتمعه الذي يعيش فيه، وعدم تحقيق رغباته في الاستقرار والنماء فقد يحتاج الإبن إلى عمل يساند به أسرته الفقيرة ويعين به نفسه على الزواج فلا يجد. وقد يحتاج أحد أفراد الأسرة إلى علاج طويل كثير النفقات فلا يجد. وقد يحتاج طالب إلى أن يمضى في تعليمه الأكاديمى إلى النهاية فلا يجد. وهذا ما كان يشعر به الناس في مجتمعنا المصرى قبل الخامس والعشرين من يناير من العام الحادى عشر الميلادى بعد الألفين.. ونأمل بعد ثورة الشباب التي أحيت الأمل عند الرجل والمرأة، والصغير والكبير - أن يجد كل فرد في الأسرة ما يساعده على المضى بأسرته إلى النماء والازدهار. والله ولى ذلك والقادر عليه.

* * *

مسك الختام

وبعد... فقد حلقت معك عزيزى القارئ في سماء القرآن الكريم، والسنة النبوية المباركة؛ لنتبين معا أركان ودعائم السعادة التي تغمر جسم الأسرة المسلمة، وتغذى أوصاله. بادئا بأول أسرة نشأت في الوجود، وهى أسرة آدم وحواء عليهما السلام، التي نشأت في رعاية الله تعالى وحفظه وتقديره. وتتبعت معك الجنين في بطن أمه، وتطور نشأته في رحمها طوال فترة حمله، وولادته، ورعاية الوالدين له لإمداده بأسباب السعادة التي منحها الله له، في طفولته وصباه. حتى إذا وصل إلى مرحلة الشباب، دعمه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بتوجيهات وإرشادات، تضمن له السعادة والهناء، في ظل أسرة سعيدة هنيئة. فإذا وصل إلى مرحلة الرجولة، واستطاع الاعتماد في كل شئونه على خالقه العظيم، ثم على نفسه الخبيرة في فعل الخيرات، واجتناب المنكرات - كون أسرة مستقلة سار معها على نهج أسرته المؤمنة السعيدة.. ومضيت معك إلى أسس اختيار الزوجة الصالحة والزوج الصالح، مع الاسترشاد بما ورد في كتاب الله العزيز وسنة نبيه الكريم، من هذه الأسس والعوامل المساعدة على نجاح الاختيار؛ حتى تنتج ثمرة صالحة، تنمو وتتطور، وتكتمل وتستمر، في إنتاج أسر سعيدة. وهكذا تدور الدورة، ويعمر بنو آدم الأرض كما أراد الله جل جلاله؛ بأسر مؤمنة، ومجتمعات مسلمة صالحة، تمارس دورها في عمارة الأرض بالصالحين والصالحات، ذوى النشاطات المختلفة في كل مجالات الحياة، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها... وتتبعت معك أسباب الصلاح؛ لتحقيقها والعمل بها، وأسباب الفساد والفجور؛ للابتعاد عنها وتجنبها.. ولم أنس عزيزى القارئ أن أذكرك بأسباب التعثر في الوصول إلى السعادة الأسرية المنشودة؛ لتلافيها وتجنبها والقضاء عليها.. وكل ذلك عزيزى القارئ حتى يُحسَّ بنو آدم وحواء - عليهما السلام - في كل جنبات الأرض بالسعادة التي ينشدونها في الدنيا، وإن كانت مؤقتة، وصولا إلى سعادة الآخرة الدائمة الخالدة. واستعنت بالله رب العالمين متتبعا توصيات نبيه محمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين، وصحابته وتابعيه الأولين.. آملا أن أكون قد وصلت معك عزيزى

القارئ إلى ما نرجوه من أسباب السعادة والهناء، التي تتطلع إليها نفوس بنى آدم الطيبة، في كل بلاد الدنيا المسلمة؛ ليعملوا بها حتى يصلوا إلى السعادة الكبرى في الآخرة، مع الآباء والأمهات، الصالحين والصالحات، ومع الأبناء والبنات الذين فازوا بسعادة الآخرة التي لا تنتهى، ونعيمها الذي لا يزول. ومع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا والحمد لله رب العالمين..

* * *

المراجـع

القرآن الكريم.

تفسير القرآن العظيم للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى. المكتبة القيمة. مدينة نصر. القاهرة 1993.صفوة التفاسير - الطبعة الأولى للمرحوم الشيخ محمد على الصابونى. دار القرآن الكريم. المكتبة العصرية. بيروت. 2005.

حاشية الصاوى على الجلالين: جلال الدين المحلى وجلال الدين السيوطى. دار المنار للطباعة والنشر والتوزيع. القاهرة.

صحيح البخارى للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعثى البخارى: طبعه ورقم أحاديثه ووضع فهارسه عناية الدكتور محمد تامر. دار التقوى. 2003.

صحيح مسلم: للإمام أبي الحسن بن الحجاج القشيرى النيسابورى206 - 261هـ - طبعة مميزة مرقمة بترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث - مكتبة الإيمان بالمنصورة.

اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان إماما المحدثين: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردذبه البخارى وأبو الحسن مسلم بن حجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى - وضعه محمد فؤاد عبد الباقى. دار الحديث خلف الجامع الأزهر. القاهرة. 1986.

مختار الأحاديث النبوية والحكم المحمدية تأليف المرحوم الشيخ السيد أحمد الهاشمى. دار الجيل. بيروت.

من كنوز السنة للدكتور الشيخ محمد على الصابونى. دار القلم. دمشق. الطبعة الثالثة 1989.

التذكرة في احوال الموتى وأمور الآخرة - تأليف القرطبى 671هـ الطبعة الثانية. المكتبة التوفيقية بالحسين. القاهرة.

قصص الأنبياء للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير - تحقيق أبي عبد الله الأنصارى - دار القلم للتراث: فيصل الهرم.

البداية والنهاية للحافظ بن كثير. مكتبة دار المعارف. بيروت. الطبعة الثانية. 1990.

تنوير الأذهان بذكر أطوار خلق الإنسان لابن القيم الجوزية. تحقيق أبو أسامة الطحاوى الواعظ بالجمعية الشرعية.

تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم الجوزية. دار الكتب العلمية. بيروت. الطبعة الأولى 1983.

موطأ مالك - طبعة الشعب. صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور محمد فؤاد عبد الباقى.

شرح الزرقانى على موطأ الإمام مالك. دار الفكر. بيروت. طبعة 1936.

الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك - حاشية الصاوى. دار المعارف بمصر. 1972.

فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن حسن آل الشيخ. دار القلم. بيروت. الطبعة الأولى. 1985.

صفوة السيرة المحمدية للشيخ أحمد حسن الباقورى. مطبعة المدنى العباسية. القاهرة.

جامع العلوم والحكم لابن رجب - تحقيق الدكتور محمد الأحمدى أبو النور. الجزءان الأول والثانى. مطبعة نهضة مصر. 1986.

منهج السنة في الزواج - للدكتور محمد الأحمدى أبو النور. دار التراث العربى. الطبعة الثانية. 1974م.

المرأة في الإسلام بين الماضى والحاضر للمرحوم الدكتور عبد الله شحاته.

أهداف الأسرة في الإسلام - حسين محمد يوسف - دار الاعتصام بيروت 1977م.

الزواج الإسلامى السعيد للعلامة الشيخ أبى حامد الغزالى. تحقيق محمد عثمان الخشت يونيه1984م.

تربية الشباب في القرآن الكريم عبد المعز خطاب. مطبعة المعرفة. لاظوغلى. القاهرة.

الإنسان في القرآن الكريم - للدكتور السعيد عاشور أستاذ الهندسة الصناعية والإدارية بكلية الهندسة - جامعة المنصورة - الطبعة الأولى 1998م.

الإسلام والحياه الزوجية - عثمان السعيد الشرقاوى - الطبعة الثانية 1986م.

مكانة المرأة في الإسلام محمد عطية الإبراشى.
الأسرة والمجتمع للدكتور على عبد الواحد وافى.
سيكولوجية الجنس للدكتور يوسف مراد - دار المعارف - سلسلة اقرأ.
الزوجة المسلمة والبيت السعيد - عبد العزيز الشناوى. دار اليقين للنشر والتوزيع. المنصورة. الطبعة الأولى.
الزواج الإسلامى - طارق إسماعيل كاخيا - طبعة أولى 1966م.
الاختلاط وما ينتج عنه من مساوئ الأخلاق للشيخ عبد الله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية والشئون الدينية بدولة قطر
تطور النظرية التربوية صالح عبد العزيز 1947م.
التعامل التجارى في ميزان الشريعة للدكتور يوسف قاسم. دار النهضة العربية. القاهرة. الطبعة الأولى. 1980م.
سلسلة أطفال تكلموا في المهد بقلم الدكتور محمد سيد أحمد المسير أستاذ العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر.
تيسير مصطلح الحديث - للدكتور محمود الطحان. مكتبة المعارف. الرياض. الطبعة الثامنة. 1987م.
الأهرام الأسبوعى 10 من إبريل 2009م.
رعاية الطفل - للدكتور أحمد خليل عبد الخالق عضو الجمعية الطبية بلندن - الطبعة الرابعة 1949م.
علم وظائف الأعضاء الجزء الأول - للدكتور محمد طلعت والدكتور أحمد طلعت الطبعة الثانية.
درر الأقوال لوقاية الأطفال في الصحة والمرض - للدكتور جورج عز قننجى - الطبعة الثانية 1926م.

تربية الطفل تأليف مبل بك رئيسة إصلاحية البنات.رعاية الأم والعناية بالطفل في الصحة والمرض - للدكتور زكى شعبان والدكتور إبراهيم مجدى والدكتور إسماعيل صبرى طبعة ثالثة.

المرأة والسياسة في صدر الإسلام - للدكتور أحمد الكبيسى. مكتبة14 المكتبة بالعين أبو ظبى.

معجم المصباح المنير.

المعجم الوجيز للغة العربية 1993م.

تحفة الطلاب في تاريخ الآداب - الطبعة الثانية 1932م.

* * *

فهرست المحتويات